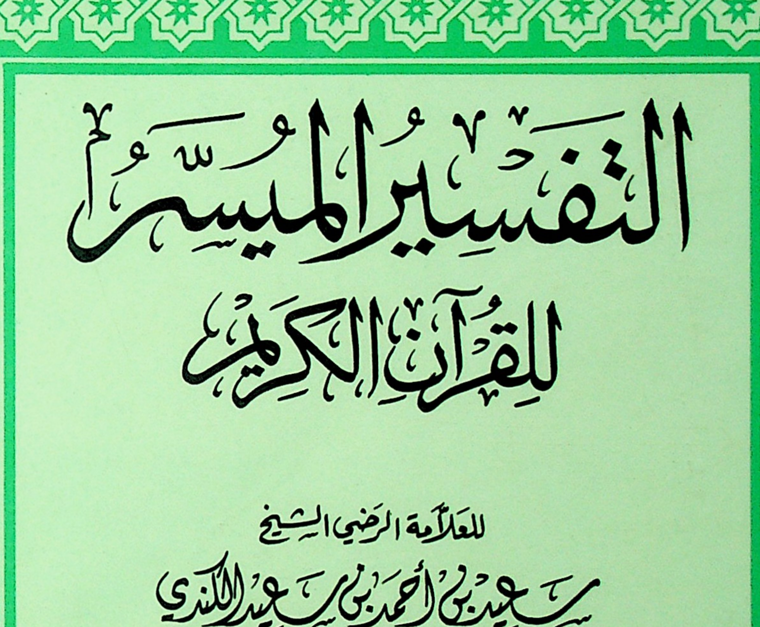


# التفسير الميسر للقرآن الكريم

للعلامة الرضي الشيخ

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفى سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م)

تحقيق

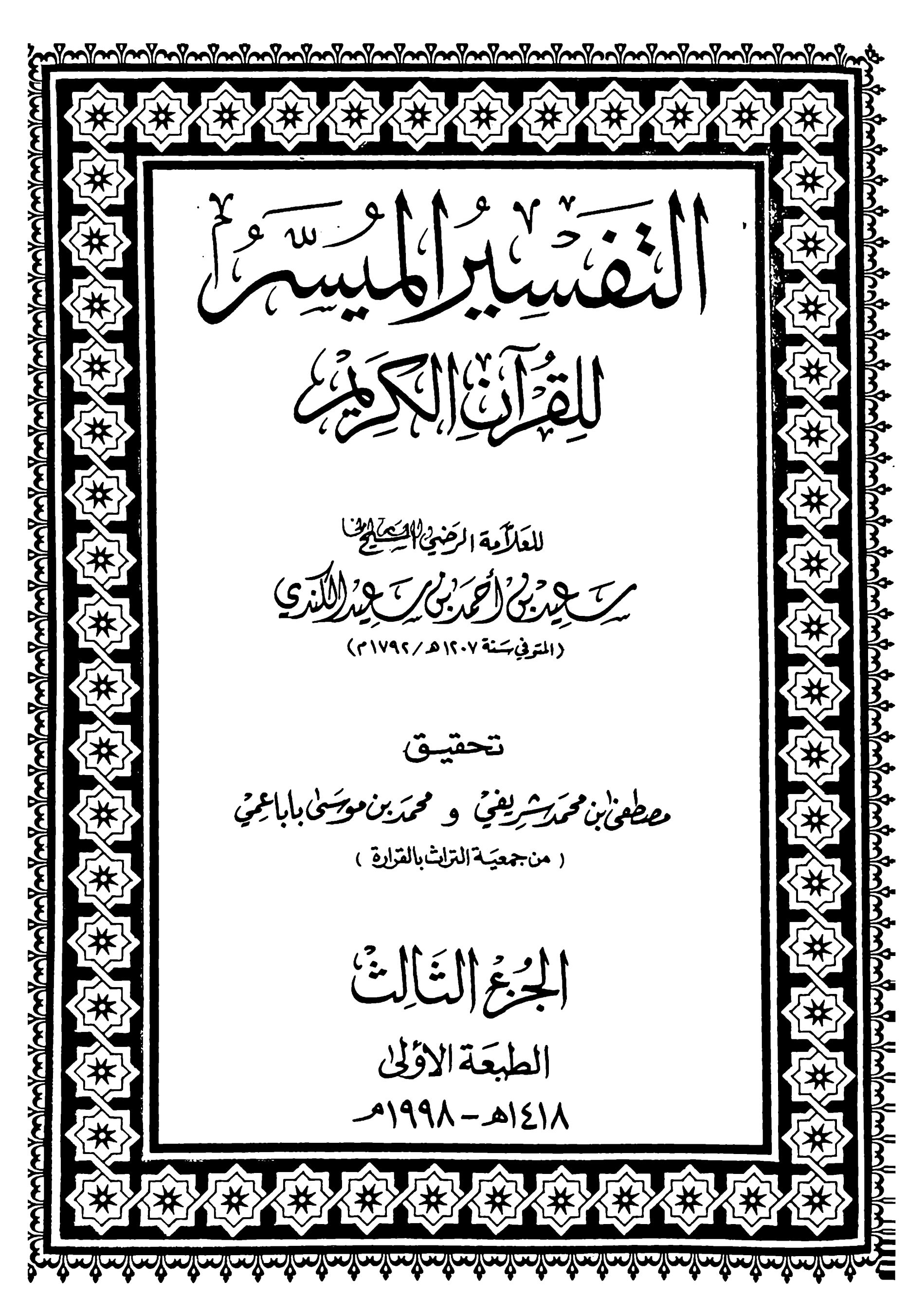
مصطفى بن محمد شريفي و محمد بن موسى باباعمي

(من جمعية التراث بالقرارة)

## الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



# التفسير الميسر

## للقرآن الكريم


للعلامة الرضي السمائلي

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفي سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م)


تحقيق

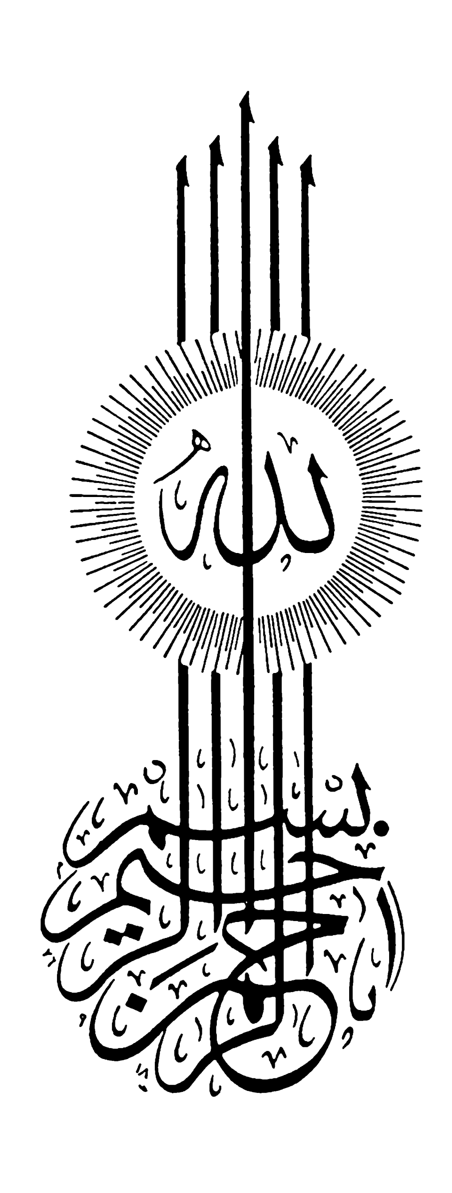

مصطفى ابن محمد شريفي و محمد بن موسى باباعمي

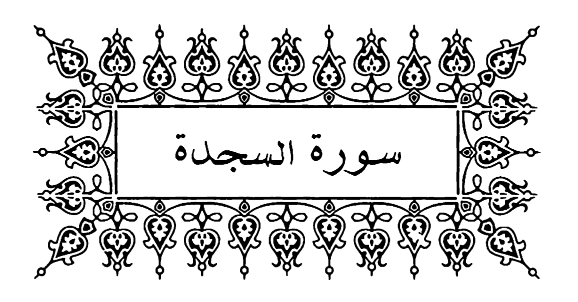
( من جمعية التراث بالقرارة )


## الجزء الثالث


الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



# سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم(١) تنزيل الكتاب لاَ ريب فِيهِ﴾ فيكون ﴿مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢) أم يقولون: افتراه﴾ معناه: بَل يقولـون، فإنَّـه إنكـار لكونـه مـن رَبِّ الْعَـالَمِينَ؛ وقوله: ﴿بَل هُوَ الحَقُّ مِن ربِّك﴾ فإنَّه تقريرٌ لَهُ، ونظم الكلام عَلَى هَذَا أنـَّـه أشار أوَّلاً إِلىَ الإعجاز، ثُمَّ رتَّب عليه أنَّ تنزيله من ربِّ الْعَالَمِينَ، وقرَّر ذَلِـكَ بنفيِ الريب عَنْـهُ، ثُمَّ أضرب عَن ذَلِكَ إِلىَ مَا يقولون فِيهِ عَلَى خلاف ذَلِـكَ، إنكارا لَهُ وتعجُّبا مِنْهُ، فإنَّ «أم» مُنقطعـة، ثُـمَّ أضـرب عَنْــهُ إِلىَ إثبـات أنـَّـه الحقُّ المنزَّل مِنَ ا لله وَهُوَ المقصود من تنزيله فقال: ﴿لتُنـذِر قَوما مَا أتاهم مِّـن نذيرٍ من قبلِكَ﴾ أي: لم يأتهم نذير من قبلك؛ قيل: قَالَ قتادة: «كَانَت أُمـَّـة أُمـِّيَّة لم يأتهم نَذير قبل محمَّد ﷺ»؛ وقيل: ذَلِكَ فِي الفترة التِـي كَـانَت بـين عيسـى ومحمَّـد ﷺ، إذ كَـانُوا أهـل فـترة، ﴿لَعَلَّهُـم يَهتـدُونَ(٣)﴾ بـإنذارك إيَّاهم. ثُمَّ أثبت معنى[1] الربوبيَّة فقال:

﴿ا لله الذِي خلق السَّمَاوَات والأَرْض وَمَـا بينهمـا فِي سـتَّة أيـَّام، ثُـمَّ استوى عَلَى العرش، مَـا لكـم مـِّن دونـِه مِن وليٍّ وَلاَ شـفيعٍ﴾ مـالكم إِذَا

---

١ - فِي الأَصْلِ: «منى»، وَهُوَ خطأ.

جاوزتم رِضَى ا للهِ أحدٌ يَنصركم ويشفع لكم؛ أو مَا لكم سواه وليٌّ وَلاَ شفيعٌ، بَل هُوَ الذِي يَتَوَلىَّ مصالحكم وينصركم فِي مواطن نصركم مَا كُنتُم عَلَى طاعته، وإن خالفتموه لم يتولّكم وليٌّ وَلاَ ناصر، ﴿**أفلا تتذكَّرُونَ(٤)**﴾ بمواعظ ا للهِ!.

﴿**يُدبِّر الأمر مِنَ السَّمَاء إِلىَ الأَرْضِ**﴾ يُدبِّر أمر الدُّنْيَا بأسباب سَماويَّة كالمَلاَئِكَة وغيرها، نازلة آثارها إِلىَ الأَرْض، ﴿**ثمَّ يَعرُجُ إِلَيْهِ**﴾ يصعد إِلَيْهِ، ويثبت فِي علمه موجودا، ﴿**فِي يومٍ كَانَ [٤٦٥] مِقدارُه ألف سنةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ(٥)**﴾ قيل: فِي برهة مِنَ الزمان مُتطاولة، يعني بذلك استطالة مَا بين التدبير والوقوع؛ وقيل: يدبِّر الأمر بإظهاره فِي اللَّوح، فينزل بِهِ المَلَك، ثُمَّ يعرج إِلَيْهِ فِي زمان هُوَ كألف سنة، لأَنَّ مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة، لأَنَّهُ قيل: مَا بين السَّمَاء والأَرْض مسيرة خمسمائة سنة؛ وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل بِهِ الملك، ثُمَّ يعرج بعد الألف لألف آخر؛ وَقِيلَ: يُدبِّر الأمر إِلىَ قيام الساعة، ثُمَّ يرجع إِلَيْهِ الأمر كلُّه يوم القيامة؛ وَقِيلَ: يُدبِّر المأمور به مِنَ الطاعات منزَّلا مِنَ السَّمَاء إِلىَ الأرض بالوحي، ثُمَّ لاَ يعرج إِلَيْهِ خالصًا كما يرتضيه إلاَّ فِي مدَّة مُتطاولة لقلَّة المخلصين والأعمال الخلَّص؛ و لم يَبِن لَنَا معنى هَذَا القول، وإنَّما رسمناه كما وجدناه[1].

---

١ - والعبارة بحرفيَّتها نجدها عند أبي السعود، إلاَّ أَنَّهُ يعلِّق عَلَيْهَا بقوله: «وأنت خبير بِأَنَّ قِلَّة الأعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها إِلىَ السماء بل قلَّته»، وَهُوَ تعليق وجيه. انظر: أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص٨٠.

﴿ذَلِكَ عـالِمُ الغيب والشهادة﴾ فيُدبِّر أمرها عَلَى وِفق الحكمة، ﴿العزيزُ الرحيمُ(٦)﴾ عَلَى العباد فِي تدبيره؛ وفيه إيمَاء بأنَّه يُراعي المصالح تفضُّلا وإحسانا. ﴿الذِي أحسنَ كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ﴾ خلَقَه وَمَا يستعدُّ بِهِ ويليق بِهِ، ويمدُّه عَلَى وِفق الحكمة والمصلحة. قَالَ قتادة: «خلق السَّمَاء فزيَّنها بالكواكب، وخلق الأَرْض فزيَّنها بالنبات، وخلق ابن آدم فزيَّنه بالأدب».

﴿وبدأ خَلَقَ الإنسان مِن طِينَ(٧)﴾ (لَعَلَّهُ) أي: ضعيفًا[1]. ﴿ثمَّ جعل نَسلَه من سلالةٍ من ماء مَهِينَ(٨)﴾ (لَعَلَّهُ) من طين[2]. ﴿ثمَّ سوَّاه﴾ قوَّمه بتصوير أعضائه عَلَى مَا ينبغي، ﴿ونفخ فِيهِ من رُوحه﴾ إضافته إلَى نفسه تشريفا وإشعارا بأنَّه خلقٌ عجيب، وأنَّ لَهُ شأنا، لَهُ مناسبةٌ ما إلى حضرة[3] الربوبيَّة، ولأجله [فـ]ـمن عرف نفسه فقد عرف ربَّه. ﴿وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ﴾ خصوصا لتسمعوا وتُبصروا وتَعقلوا، لتقتحموا العقبة، ﴿قليلاً مَا تَشكرُونَ(٩)﴾ شكرا قليلا.

﴿وَقَالُوا﴾ بلسان مقالهم؛ أو لسان حالهم: ﴿أئذا ضللنا فِي الأَرْض﴾ أي: صِرنا تُراب مخلوطا بتراب الأَرْض لاَ يتميَّز مِنْهُ، أو غبنا فِيهَا، ﴿أئنَّا لفِي خلقٍ

---

١ - فِي الأَصْلِ: «ضعيف»، والصواب نصبه عَلَى أَنَّهُ حال، أي: «خلق الإنسَان ضعيفا».

٢ - تفسير الماء المهين بالطين عدولٌ عن المَعْنَى الظاهر بغير قرينة، وَلَعَلَّهُ خطأ من الناسخ. وَفِي تفسير أبي السعود ـ وَهُوَ المعتمد الأساسيُّ للمصنِّف ـ : «﴿من ماء مهين﴾ هو المنيُّ الممتهن». أبو السعود: المرجع السابق، ص٨١.

٣ - فِي الأَصْلِ: «الحضرة»، والصواب ما أثبتناه، كما فِي تفسير أبي السعود. المصدر نفسه.

**جديد﴾**؟ وَهُوَ نُبعث ونجدِّد خلقـا[1]، **﴿بَـل هـم بلقـاء ربـِّهم﴾** للجـزاء **﴿كَافِرُونَ(١٠)﴾** جاحدون أو شاكُّون؛ وهـذه حالـة قـد كَانَت سـبب هـلاك أكـثر الخلق مِنَ المتعبِّدين واستخفُّوا بعاقبة أمرهم، ولو أنـَّهم عَلَى يقين من ذَلِكَ، لـمَا بنوا دينهم عَلَى اللَّهو واللَّعب؛ وقد قَالَ ا لله: ﴿إلاَّ لنعلم مَـن يُؤْمِـنُ بـالآخِرَة مِمَّن هُوَ منها فِي شكٍّ﴾[2] فكيف جعلهم فِي الدُّنْـيَا والعمل صنفين، كمَا فرَّقهم فِي الآخِرَة والجزاء فريقين[3]. **﴿قُل: يتوفـَّاكم﴾** ستُوفِّي نُفوسـكم لاَ يـترك منهـا شَيْئـًا، أو لاَ يبقـي منكـم أحـدا، **﴿مَلَكُ الموت الـذِي وُكِّـل بكـم﴾** لقبـض أرواحكم وإحصاء آجالكم، **﴿ثمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرجعُونَ(١١)﴾** للجزاء.

**﴿ولو تـرى إذ المجرمـون ناكسـو رُءوسِـهم عنـد ربِّهـم﴾** حيـاءً وخوفـا قـائلين: **﴿رَبـَّنَا أبصَرنـا﴾** وعـدك ووعيـدك، **﴿وسمِعْنـا﴾** منـك مـا كُـنَّا بـه مكذِّبين، وسمعنا ما آتانـا بـه، رسلنا... تصديـق رُسُـلك[4]، **﴿فارجعنـا﴾** إِلَى

١ - كذا فِي الأصل، وَفِي تفسيرَي الزمخشريِّ وأبي السعود: «وهو نبعث أو يجدَّد خلقنـا» ولعـلَّ الأصوب إضافـة "أن" المصدريـَّة: «وهـو أن نبعـث ويجـدَّد خلقنـا». انظـر: الزمخشـري: الكشَّاف، ٤٠٢/٣. أبو السعود: المرجع السابق، ص٨٢.

٢ - سورة سبأ: ٢١. وبتمام الآيَة يتَّضح معناها: ﴿ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنَّه فاتـَّبعوه إلاَّ فريقا من المؤمنين، وما كان له عليهم مِّن سلطانٍ إلاَّ لنعلمَ من يؤمن بالآخرة مِمَّن هو منها في شكٍّ﴾.

٣ - يبدو أنَّ فِي العبارة خللا إذ لم يَتَّضِح معناها فِي هَذَا السياق، وَلَعَلَّ بها سقطا.

٤ - كذا فِي الأصل، وَفِي الكشَّـاف: «أبصرنـا صـدق وعـدك ووعيـدك، وسمعنـا منـك تصديـق رسلك». الزمخشري: الكشَّاف، ٤٠٣/٣.

الدُّنْـيَا التِـي هِيَ دار العمل، ﴿**نعمل صالحا إنَّـا مُوقِـنُونَ(١٢)**﴾ إذ لم يَبق لَنَـا شكٌّ بِمَا شاهدنا، فلم يَنفعهم إيقانهم ذاك بعد مَا رأوه عين اليقـين، إذ لم يعلموا [٤٦٦] علم اليقين فِي الدُّنْـيَا، لأَنَّ إيـمَانهم ذاك لم يكن إيمانا بالغيب، وقد قَالَ ا لله: ﴿الذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾[1].

﴿**ولو شئنا لآتينا كُلَّ نفسٍ هُداهَا**﴾ هدى السعادة، لأَنَّ هدى البيان قـد أُوتيَ كلَّ نفس، ﴿**ولكن حقَّ القول مِنـِّي**﴾ ثبـت قضـائي، وسـبق وعيـدي، وَهُوَ: ﴿**لأملأنَّ جهنَّم مِنَ الجِـنـَّة والنـاس أجمعِينَ(١٣)**﴾ وذلـك تصريـح بعدم[2] إيـمانِهم لعدم المشِيئَة [و]الحكم بأنَّـهم من أهل النَّـار، وَلاَ يدفعه جعل ذوق العـذاب مسبَّبـًا عَـن نسيانهم العاقبـة، وعـدم تفكُّرهـم فيهـا لقولـه: ﴿**فذوقوا بِمَا نَسيتُم لقاء يومكم هَذَا**﴾ فإنَّـه من الوسائط والأسباب المقتضية لَهُ؛ ومعناه: تركتم الإيمان فِي الدُّنْـيَا، ﴿**إنَّا نَسيناكم**﴾ تركنـاكم مِـنَ الرحمـة في العذاب ترك المنسيِّ، ﴿**وذوقوا عذاب الخلد بِمَا كُنتُـم تَعْمَلُـونَ(١٤)**﴾ كرَّر الأمر للتأكيد، وَلِمَا ينُطُّ[3] بـِهِ مِـنَ التصريـح بمفعولـه، وتعليلـه بأفعـالهم السيِّئة، مِنَ التكذيب والمعاصي؛ كَمَا علَّله بتركهم تدبُّر أمر العاقبة، والتفكُّـر فِيهَا دلالةً أنَّ كُلاًّ منهما يقتضي ذَلِكَ.

---

١ - سورة البقرة: ٣.

٢ - فِي الأَصْلِ: «بعد».

٣ - «النطُّ: الشدُّ، يقال: نطَّه، وناطه ونطَّ الشَّيْءَ ينطُّه نطًّا: مـدَّه». ولم يَتـَّضِح معنـاه فِي هَـذَا السياق. ر: ابن منظور: لسان العرب، ج٦/ ص٦٦١، مَادَّة «نطط».

﴿إنــَّما يُؤْمِـنُ بـآيـَاتِنا الذِيـنَ إِذَا ذُكِّـروا بِهـا﴾ وُعِظـوا بهـا، ﴿خَـرُّوا سُجَّدا﴾ مُذعنين مُنقادين، مُسلِّمِينَ أمرهـم لله ــ خَوفا من عذابه ــ لاَ يريدون بدلا سواه، ﴿وسبَّحوا﴾ نزَّهوه عمـَّا لاَ يليق بِهِ، ﴿بحمد ربـِّهم﴾ حامدين لَهُ، شكرا عَلَى ما وفـَّقهم للإسلام وآتاهم الهدى، ﴿وَهُم لاَ يسـتكبِرُونَ(١٥)﴾ مِنَ الإيمان والطَّاعة، كما يفعل من يصرُّ مُستكبِرا. ﴿تَتجافى جُنُوبهم﴾ ترتفع وتَـتـَنَحَّى ﴿عَنِ المضاجع﴾ الفرش ومواضع النوم، ﴿يَدْعُون ربـَّهم﴾ يعبدونـه ﴿خوفًا﴾ من سَخطِه ﴿وطمعا﴾ فِي رحمته، ﴿ومـِمَّا رزقناهم يُنفقُونَ(١٦)﴾ فِي وجوه الخير.

﴿فلا تعلم نفس مَا أُخفيَ لَهُم﴾ لاَ ملك مقرَّب، وَلاَ نبيٌّ مُرسـل، ﴿مِـن قُرَّةِ أعيـُنٍ﴾ مِمـَّا تَقـرُّ بِـهِ عيونهـم، ﴿جـزاء بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُــونَ(١٧)﴾ «أُخفِيَ» للجزاء، فإنَّ إخفاءه لِعلـوِّ شـأنه؛ وقيـل هَـذَا [لأنَّ][1] القـوم أخفـوا أعمـالهم، فـأخفى ا لله ثوابهـم. ﴿أفمـن كَـانَ مُؤمِنـا كَمَـن كَـانَ فاسـقًا لاَ يَسـتوُونَ(١٨)﴾ فِي الجـزاء كمـا لم يستووا فِي العمـل. ﴿أمَّـا الذِيـنَ آمنـوا وعملوا الصالحات فلهم جنـَّات المـأوى﴾ فإنــَّها المـأوى الحقيقـيُّ، والدُّنْــيَا منزل (لَعَلَّهُ) مُرتَحل عَـنْـهُ لاَ محالة؛ وقيل المأوى جنَّة مِنَ الجنـان، ﴿نُـزُلا بِمَـا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٩)﴾ بسبب أعمالهم.

١ – من إضافتنا ليستقيم المعنى، أو لعلَّ الصـواب: «وَقِيـلَ: هـؤلاء القـوم» كمـا فِي تفسـير أبـي السعود: المرجع السابق، ص٨٥.

﴿وأمَّا الذِينَ فَسقُوا فَمأواهم النارُ﴾ مكَانَ جنّة المأوى للمؤمنين، ﴿كُلّما أرادوا أن يَخرجوا منها أُعِيدوا فِيهَا﴾ عبارة عَن خلودهم فِيهَا؛ ﴿وقيل لَهُم: ذوقوا عذاب النار الذِي كُنتُم بِهِ تكذبُونَ(٢٠)﴾ إهانة لَهُم. ﴿ولَنُذيقنّهم مِنَ العذاب الأدنى دون العذابِ الأكبر[1]﴾ مِن ضيق العذاب وشدَّته عذاب الدُّنْيَا؛ وَهُوَ وعيد لِكُلٍّ من فسق عَن أمر ا لله، فهو مُعذَّب العذاب الأدنى دون المؤمنين، بجميع مَا يناله من مقاساتها وجمعها، والادِّخار لها، وفوات مَحبُوباتها، وَلاَ يُثابون عليه كالمؤمنين، فتستحيل البليَّة عَلَيْهِم نعمة لَهُم، والفاسقون [٤٦٧] تستحيل النِّعمة لَهُم بليَّة عَلَيْهِم، جزاءً عَلَى تركهم أمر ا لله، ﴿لَعَلَّهُم يرجعُونَ(٢١)﴾ يَتوبون.

﴿ومن أظلم مِمَّن ذُكِّر بِآيَاتِ ربِّه﴾ وَهُوَ قيام الحجَّة بالعلم من أيِّ حال كَانَ، وأثبته وأقواه قيام الدَّلِيل من عقله، ﴿ثمَّ أعرض عنها﴾ فلم يَتفكَّر فِيهَا، و لم يعمل بها، و«ثمَّ» لاستبعاد الإعراض عنها، مَعَ فرط وضوحها، وإرشادها إِلَى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا، كما قيل:

ولاَ يكشف الغمَّاء إلاَّ ابن حُرَّة    يرى غمرات الموت ثُمَّ يزورها

﴿إنَّا مِنَ المجرمين مُنتقمُونَ(٢٢)﴾ النقمة: المكافأة بالعقوبة.

﴿ولَقَد آتينا موسى الكتاب فلا تكنْ فِي مِريَة﴾ شكٌّ ﴿من لقائه﴾ من

١ - في الأصل: «الأنى». - ﴿دون العذاب الأكبر﴾، وهو سهو.

لقائك الكتاب كقوله[1]: ﴿وإنَّك لَتُلقَّى القرآن﴾[2] فإنَّا آتيناك مِنَ الكتاب مثل مَا آتيناه مِنْهُ، فليس ذَلِكَ ببدع حتَّى ترتاب فِيهِ، أو من لقاء موسى الكتاب، أو من لقائك موسى. ﴿**وجعلناه**﴾ أي: المنزَّل عَلَى موسى، ﴿**هدًى لبَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٣)، وجعلنا مِنْهُم أئمَّة يَهدُون بأمرنا**﴾ إيَّاهم به، أو بتوفيقنا لَهُ، ﴿**لمَّا صبروا**﴾ عَلَى التعلُّم للعلم، والعمل بمَا فِيهِ، ﴿**وكَانُوا بآيَاتِنا**﴾ بِحُجَجنا البالغة لَهُم ﴿**يوقِنُونَ(٢٤)**﴾ لإمعانهم فيها النظر، واليقين: إزاحة الشكِّ.

﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفصل بَيْنَهُم يوم القيامة**﴾ يقضي، فيميِّز الحقَّ مِنَ الباطل بتمييز المُحقِّ مِنَ المبطل، ﴿**فيما كَانُوا فِيهِ يختلفُونَ(٢٥)**﴾ من أمر الدِّين. ﴿**أولم يَهْدِ لَهُم كم أهلكْنا مِن قبلِهم مِنَ القرون يَمشون فِي مساكنهم**﴾ لأَنَّ الماضي عبرة للآتي، ﴿**إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ، أفلا يسمعُونَ(٢٦)**﴾؟!.

﴿**أولم يروا أنَّا نسوق الماء إِلَى الأَرْض الجُرُز**﴾ التِي لاَ تنبت لعدم الماء، أو أُكِل نباتها، الذِي[3] جُرِزَ نباتها، أي: قُطِع وأزيل، ﴿**فنُخرِج بِهِ زرعا تأكل مِنْهُ أنعامهم وأنفسهم، أفلا يُبصِرُونَ(٢٧)**﴾؟! فيستدلُّون بِهِ عَلَى كمال قدرته وفضله!.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «بقوله». وصحَّحناه من تفسير أبي السعود: المرجع السابق، ص٨٦.

٢ - سورة النحل: ٦.

٣ - لَعَلَّ الصواب: «أو التِي».

﴿ويقولون: متى هَذَا الفتح﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله: ﴿رَبَّنَا افتح بيننا﴾[1]، ﴿إنْ كُنتُم صادقِينَ(٢٨)﴾ فِي الوعد بِهِ. ﴿قُلْ: يوم الفتح لاَ ينفع الذِينَ كَفَرُوا إيمانهم وَلاَ هم يُنظَرُونَ(٢٩)﴾ قيل: هُوَ يوم القيامة، أو يوم بدر، أو يوم فتح مكّة؛ والمراد بالذين كَفَرُوا: المقتولون مِنْهُم فِيهِ، فإنَّه لاَ ينفعهم إيمانهم حين القتل، وَلاَ يُمهلون.

﴿فأعرض عَنْهُم﴾ وَلاَ تُبالي بتكذيبهم، ﴿وانتظر﴾ النصرة عَلَيْهِم ﴿إنَّهم مُنتظِرُونَ(٣٠)﴾ الغلبة عليك؛ وقرئ بالفتح، عَلَى معنى أنَّهم أحقَّاء بأن يُنتظَر هلاكهم، وأنَّ مَلاَئِكَة الموت ينتظرونهم.

---

١ - سورة الأعراف: ٨٩. وقد جاءت عَلَى لسان شعيب وقومه المؤمنين، وتمامها: ﴿على الله توكلنا، ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بِالحَقِّ وأنت خير الفاتحين﴾.



# سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**يَا أَيُّهَا النبيُّ اتَّق ا لله**﴾ ناداه بالنبيِّ، وأمره بالتقوى، تعظيما لَهُ، وتفخيما لشأن التقوى؛ والمراد بِهِ: الأمر بالثبات عليه، ليكون مانعا لَهُ عمَّا نهى عَنْهُ بقوله: ﴿**وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ والمنافقينَ، إِنَّ ا للهَ كَانَ عليما حكيما(١)، واتَّبع مَا يوحَى إليك مِن ربِّك**﴾ كالنهي عَن طاعتهم. ﴿**إِنَّ ا لله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرا(٢)**﴾ فَمُوحٍ إليك مَا يصلح، ومُغنٍ (لَعَلَّهُ) عَن الاستماع إِلَىَ الكفرة. ﴿**وتوكَّل عَلَى ا للهِ**﴾ وَكِل أمرك إلى تدبيره، ﴿**وكفى با لله وكيلا(٣)**﴾ موكولا إِلَيْهِ الأمور كلُّها.

﴿**مَا جعل ا لله لرجل مِن قلبين** [٤٦٨] **فِي جوفه**﴾ أي: مَا جمع قلبين فِي جوف، لأَنَّ القلب معدن الروح الحيوانيِّ المتعلِّق للنفس الإنسانيِّ أوَّلاً، ومنبع القوى بأسرِها، وذلك بمنع[1] التعدُّد.

﴿**وَمَا جعل أزواجكم اللائي تـُظَاهِرون منهنَّ أُمـَّهاتكم، وَمَا جعل أدعياءكم أبناءكم، ذلكم قولُكم بأفواهكم**﴾ لاَ حقيقة لَهُ، كقول الهاذي،

١ - يمكن أن نقرأ: «بمنع»، أو «لِمنع».

﴿وا لله يقول الحَقَّ﴾ ماله حقيقة عينيَّة مُطابقة، ﴿وَهُوَ يهدي السـبيل(٤)﴾ سبيل الحقِّ. ﴿ادعوهم لآبائهم هُوَ أقسطُ عنـد ا لله، فإن لم تعلمـوا آبـاءهم فإخوانـُكم فِي الدين ومَواليكم﴾ وأولياؤكم فِيهِ، لأَنـَّهُم خلقوا عَلَـى الفطـرة والدين القيِّم مَا لم تعلموا مِنـْهُم خلافا، ﴿وليس عَلَيْكُم جناح فيمـا أخطـأتم بهِ، ولكن مَا تعمَّدت قلوبكم، وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(٥)﴾.

&﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم﴾ فِي الأمور كُـلِّها، فإنـَّه لاَ يَـأْمُـرُهم وَلاَ يرضى مِنـْهُم إلاَّ بمَا فِيهِ خلاصهم ونجاتهم بخلاف النفـس، ﴿وأزواجـُه أُمَّهاتـُهم﴾ مُـنزَلاتٌ مَـنزلتهنَّ فِي التحريـم واسـتحقاق التعظيـم، باختيـارهنَّ الإيمان بعد التخيير، ولذلك صرن أُمَّهات المؤمنين، ﴿وأولـو الأرحـام﴾ وذوو القربات ﴿بعضُهم أولىَ ببعض﴾ فِي التوارث، وَهُوَ نسخ لـمَا كَـانَ فِي صـدر الإسلام مِنَ التوارث [بالهجرة والمـوالاة فِي الديـن] [1]، ﴿فِي كِتـَاب ا لله﴾ فِي اللَّوح، أو فيما أنزل، ﴿مـن المؤمنـين والمهـاجرين﴾ أي: أولـوا الأرحـام بحـقِّ القرابة أولى بالميراث مِنَ المؤمنين بحقِّ الديـن، ﴿إلاَّ أن تَفعلـوا إِلَىَ أوليـائكم﴾ (لَعَلَّهُ) فِي الدين ﴿معروفا﴾ لكن إن وصلتموهم بشيء مِنَ الثلـث والإحسـان إِلَـيْهِم بالمال والنفس فِي الحياة ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكتاب مَسطُورا(٦)﴾.

﴿وإذ أخذنـا مِـنَ النبيـِّين ميثـاقَهم﴾ عهودهـم بتبليـغ مَـا أرسـلوا بِـهِ، ﴿ومنك ومن نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابن مَرْيَـم﴾ خصَّهـم بـالذكر

---

١ - إضافة من تفسير أبي السعود ليستقيم المعنى. مج٤/ ج٧/ ص٩١.

لأَنَّهُم مَشاهير أرباب الشرائع، ﴿**وأخذنا مِنْهُم ميثاقا غليظا(٧)**﴾ عظيم الشأن. ﴿**ليسألَ الصادقين عَن صدقهم**﴾ سؤال رحمة لاَ سؤال عذاب، ﴿**وأعدَّ للكَافِرِينَ عذابًا أليمًا(٨)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اذكروا نعمة الله عَلَيْكُم إذ جاءتكم جنود**﴾ يعني الأحزاب، ﴿**فأرسلنا عَلَيْهِم ريحا وجنودا لم تروها**﴾ قيل: بعث الله عَلَيْهِم صبًا باردة فِي ليلة شاتية فأخصرتهم[1]، وسفَّت التراب فِي وجوههم وأُطفئت نيرانهم، وقلعت خيامهم، وماجت الخيل فِي بعضها البعض، وكبَّرت المَلاَئِكَة فِي جوانب العسكر، وقال قائلهم: «أما محمَّد فقد بدأكم بالسِّحر فالنجا النجا» فانهزموا من غير قتال، ﴿**وكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بصيرا(٩)**﴾.

---

١ - كذا فِي تفسيرَي الزمخشريّ وأبي السعود، وفِي اللسان: «الخَصَر بالتحريك البرد يجده الإنسَان فِي أطرافه... وخصر الرجل: إذا آلمه البرد فِي أطرافه». فأخصرتهم: أوقعتهم فِي الخصر، أي البرد وآلمت أطرافهم. ويمكن أن تكون الكلمة بالحاء المهملة: «فأحصرتهم»، قال فِي اللسان: «والحَصَر: ضيق الصدر... وأحصره المرض: منعه من السفر أو من حاجة يريدها»، لهذا فيمكن أن يكون المـُرَاد بقوله: «فأحصرتهم» فمنعتهم وحبستهم عن مرادهم من أذى المسلمين وقتالهم. وَالله أعلم. ر: الزمخشري: الكشَّاف، ٤١٧/٣. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص٩٣. ابن منظور: لسان العرب، ج١/ ص٦٥٠، مَادَّة «حصر»؛ ج٢/ ص٨٣٩-٨٤١، مَادَّة: «خصر». الفيروزآبادي: القاموس، ص٣٣٩، مَادَّة: «حصر».

﴿**إذ جاءوكم مِن فوقكم**﴾ من أعلا الوادي، ﴿**ومن أسفل منكم**﴾ من أسفله ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾ مالت عَن مستوى نَظرها حَيرة وشخوصا، ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾ رُعبا، لأَنَّ الرئة تنتفخ من شدَّة الروع، فترتفع بارتفاعها إِلَى رأس الحنجرة، وهي مُنتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب، ﴿**وتظنُّون با لله الظنونا(١٠)**﴾ الأنواع مِنَ الظنِّ، فظنَّ المخلصون [٥٦٩] ثَبْتُ القلوبِ أنَّ ا لله مُنجز وعده فِي إعلاء دينه، أو مُمتَحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال؛ والضعافُ القلوبِ والمنافقون مَا حَكَى عَنْهُم. ﴿**هنالك ابتُلي المؤمنون**﴾ اختبروا فظهر المخلص مِنَ المنافق، ﴿**وزُلزلوا زلزالا شديدا(١١)**﴾ وحُرِّكوا حركة شديدة بشدائد وأهوال.

﴿**وإذ يقول**﴾ بلسان مقالهم أو لسان حالهم ﴿**المنافقون وَالذِينَ فِي قلوبهم مرض**﴾ ضعف اعتقاد، ﴿**مَا وعدنا ا لله ورسوله إلاَّ غرورا(١٢)**﴾ (لَعَلَّهُ) وذلك مِمَّا خَيَّل لَهُم الشيطان، ولم يعلموا أنَّهم هم فِي الغرور، لقوله تعالى: ﴿إن الكَافِرونَ إلاَّ فِي غرور﴾[1]، وقوله: ﴿فدلاَّهما بغرور﴾[2]، فقد حكم ا لله وأخبر أنَّ كلَّ مَا يدعو إِلَيْهِ الشيطان فهو غرور، وكلَّ مَا وعد بهِ ا لله وملائكته ورُسله، وَمَا جاء فِي كُتُبه، وَمَا ألهمه خلقه مِنَ الحقِّ، يدعو النَّاسَ إبليسُ عَلَى أنَّ ذَلِكَ غرور وباطل، قولا باطلا.

---

١ - سورة الملك: ٢٠.

٢ - سورة الأعراف: ٢٢.

﴿**وإذ قالت طائفة مِنهُم: يا أهل يثرب، لاَ مقامَ لكم**﴾ هاهنا ﴿**فارجعوا**﴾ إلى منازلكم هاربين، ﴿**ويستأذن فريق مِنهُم النبيَّ**﴾ للرجوع، ﴿**يقولون: إنَّ بُيُوتنا عورة**﴾ غير حصينة، وأصله: الخلل، ﴿**وَمَا هِيَ بعورة**﴾ بَل هِيَ حصينة، ﴿**إن يُريدُون إلاَّ فرارا(١٣)**﴾ وَمَا يُريدون بذلك إلاَّ الفرار مِنَ القتال. ﴿**ولو دُخلت عَلَيْهِم من أقطارها**﴾ من جوانبها، ﴿**ثمَّ سُئلوا الفتنة**﴾ الردَّة، ومقابِلَهُ: ﴿**لآتوها**﴾ لأعطوها، وقُرِئ بالقصر، أي: لفعلوها ﴿**وَمَا تلبَّثوا بها**﴾ بالفتنة أو بالمدينة بعد الرجوع ﴿**إلاَّ يسيرا(١٤)، وَلَقَد كَانُوا عاهدوا الله من قبل لاَ يولُّون الأدبار، وكَانَ عهد الله مسئولا(١٥)**﴾ مسؤولا عَن الوفاء بِهِ مُجاز.

﴿**قل: لن يَنفعكم الفرار إن فررتم مِنَ الموت أو القتل**﴾ فإنَّه لا بُدَّ لِكُلِّ شخص من حتف أنف، أو قتل فِي وقت مُعيَّن، سبق بِهِ القضاء وجرى عليه القلم، ﴿**وإذًا لاَ تُمَتَّعون إلاَّ قليلا(١٦)، قل: من ذا الذِي يَعصمكم مِنَ الله إن أَرَادَ بكم سوءا أو أَرَادَ بكم رحمة، وَلاَ يجدون لَهُم من دون الله وليًّا**﴾ ينفعهم، ﴿**وَلاَ نصيرا(١٧)**﴾ يدفع الضُّر عَنْهُم.

﴿**قد يعلمُ الله المعوِّقين منكم**﴾ المثبِّطين عَن رسول الله، ﴿**والقائلين لإخوانهم**﴾ من ساكني المدينة: ﴿**هلُمَّ إلينا**﴾ قَرِّبُوا أنفسكم إلينا، ﴿**وَلاَ يأتون البأس إلاَّ قليلا(١٨)**﴾ فإنَّهم يعتذرون ويُثبِّطون مَا أمكن لَهُم.

**﴿أشحَّةً عليكم﴾** بُخلاء عَلَيْكُم بالمعاونـة، **﴿فـإذا جـاء الخـوف رأيتهـم يَنظـرون إليـك تَـدورُ أعينـُهم﴾** فِي أحداقهـم **﴿كـالذي يُغشَـى عليـه مِـنَ الموت﴾** من مُعالجة سكرات الموت، **﴿فإذا ذهب الخوفُ﴾** وحيزت الغنـائم **﴿سَلَقوكم بألسنةٍ حِدَادٍ﴾** يطلبـون الغنيمـة؛ والسـلق: البسـط بقهـر اليـد أو باللسان، **﴿أشحَّةً عَلَى الخـير، أُولَـئِكَ لم يُؤمنـوا﴾** إخلاصـا، **﴿فـأحبط ا لله أعمالهم﴾** فأظهر بطلانهم، أو أبطل تصنُّعهم ونفاقهم، أو أبطل مَا فعلوه مِـنَ الـمَبَارِّ، **﴿وكَانَ ذَلِكَ عَلَى ا لله يسيرا(١٩)﴾**.

**﴿يحسَبون الأحزابَ لم يذهبوا﴾** أي: هؤلاء [٤٧٠] لجبنـهم يظنُّـون أنَّ الأحزاب لم ينهزموا، **﴿وإن يأتِ الأحزاب﴾** كـرَّة ثانيـة **﴿يـودُّوا لـو أَنـَّهُمْ بادون فِي الأعراب﴾** تمنَّوا أنَّهم خارجون فِي البدو، **﴿يسـألون﴾** كـلَّ قـادم من جانب المدينة **﴿عَن أنبائكم﴾** عمَّا جرى عَلَيْكُم، **﴿ولـو كَـانُوا فيكـم﴾** هَذِهِ الكرَّة، ولم يرجعوا إِلَى المدينة، وكَانَ قتال، **﴿مَا قاتلوا إِلاَّ قليـلا(٢٠)﴾** رياء وخوفا من التعيـير.

**﴿لَقَد كَانَ لكم فِي رسول ا لله أسوة حسنة﴾** خصلة حسـنة مـن حقِّهـا أن يتأسَّى بها كلُّ مُؤْمِن، كالثبات فِي الحرب ومقاساة الشـدائد، **﴿لمـن كَـانَ يرجـو ا لله واليومَ الآخر﴾** أي: ثواب ا لله، **﴿وذَكَرَ ا للهَ كثـيرا(٢١)﴾** وقـرن بالرجـاء كثرة الذكر المؤدِّية إِلَى مُلازمة الطاعة، فإنَّ المتأسِّيَ بالرسول من كَانَ كذلك.

**﴿وَلَـمَّا رأى المؤمنون الأحزاب، قَالُوا: هَذَا مَـا وَعَدَنـا ا لله ورسولـه﴾** بقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنـَّة وَلَـمَّا يأتكم مَثَلُ الذِينَ خلـوا مـن قبلكم﴾[1]، وقوله ﷺ: «*يشتدُّ الأمـر باجتمـاع الأحـزاب عَلَيْكـم والعاقبـة لكم عليهم*»[2]، **﴿وصدق ا لله ورسولُه﴾**وظهر خبر ا لله ورسوله، أو صدقـه فِي النصرة والثواب كما صدقا فِي الإظهـار، **﴿وَمَا زادهـم﴾** لـمَّا رأو البـلاء **﴿إلاَّ إيـمَانا﴾** با لله ومواعيده، **﴿وتسليما(٢٢)﴾** لأوامره ومقاديره.

**﴿مِنَ المؤمنين رجـالٌ صَدَقـوا مَـا عـاهدوا ا لله عليـه﴾** مِـنَ الثبـات مَـعَ الرَّسول والمقاتلة لأعداء الدِّين، **﴿فمنهم مَن قَضَى نَحبَـه﴾** نـذره، بِأن قـاتل حتَّى استشهد، والنحب: النذر، استعير للموت لأَنَّهُ كنذر لازم فِي رقبـة كُـلِّ حيوان، **﴿ومنهم مَن يَنتظر﴾** الشهادة، **﴿وَمَا بدَّلوا﴾** شَيْـئًا مِنَ الدِّيـن، وَمَـا غيَّروه، **﴿تبديلا(٢٣)﴾** فِيهِ تعريض لأهل النفاق ومِرَاضِ[3] القلوب بالتبديل، **﴿ليجـزيَ ا لله الصـادقين بصدقهـم؛ ويعـذِّب المنـافقين إن شـاء، أو يَتُـوب عليهم﴾** تعليل للمنطوق والمعرَّض بِهِ، فكأنَّ المنـافقين صدَّقـوا بـالتبديل عاقبـة

---

١ - سورة البقرة: ٢١٤.

٢ - لم نعثر عَلَيْـهِ فِي الربيع، ولا فِي الكتب التسعة، ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

٣ - يجمع مريض عَلَـى مرضـى، وَعَلَى مِراض كمـا أورده المُصَنـِّف هنـا، قـال فِي القـاموس: «مـرِض كفـرح، مرَضـا، ومرْضـا، فهـو مـرِض ومريـض ومـارض، ج: مِـراضٌ ومرضَـى ومَرَاضَى». الفيروزآبادي: القاموس، ص٥٨٧، مَادَّة: «مرض».

السوء، كما قصد المخلِّص بالثبات والوفاء، ﴿إنَّ ا لله كَانَ غَفُورا رحيما(٢٤)﴾ للتائب.

﴿وردَّ ا لله الذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الأحزاب ﴿بغيظهم﴾ مُتغيِّظين ﴿لم يَنالوا خيرا﴾ غير ظافرين، ﴿وكفى ا لله المؤمنين القتالَ﴾ بهزيمتهم بالريح والمَلاَئِكَة، ﴿وكَانَ ا لله قويًّا﴾ عَلَى إيجاد مَا يريده، ﴿عزيزا(٢٥)﴾ غالبا عَلَى كُلِّ شيء. ﴿وأنزل الذِينَ ظاهروهم﴾ ظاهروا الأحزاب، أي: عاونوا الأحزاب ﴿من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ من حصونهم، ﴿وقَذَفَ فِي قلوبهم الرعبَ﴾ الخوفَ، ﴿فريقًا تَقتُلون، وتأسِرون فريقا(٢٦) وأورثكم أرضَهم﴾ مزارعهم، ﴿وديارهم﴾ حصونهم، ﴿وأموالَهم﴾ نُقودهم ومواشيهم وأثاثهم، ﴿وأرضا لم تطئوها﴾ قيل: كلَّ أرض تفتح، ﴿وكَانَ ا لله عَلَى كُلِّ شيء قديرا(٢٧)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ، قل لأزواجك: إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنْيَا﴾ السعة والتنعُّم فِيهَا، لا التزوُّد منها، [٤٧١] ﴿وزينتَها﴾ زخارفها الظاهرة، كما الذِينَ لا يعلمون إلاَّ ظاهرا مِنَ الحياة الدُّنْيَا وَهُم عَن الآخِرَة هم غافلون، ﴿فتعالَيْنَ أمتِّعْكُنَّ﴾ أعطكنَّ المتعة، ﴿وأسرِّحْكنَّ سَراحا جميلا(٢٨)﴾ طلاقا من غير ضرار وبدعة، كَأنَّ هَذِهِ الآية تدلُّ عَلَى أنَّه نَهَى عَن مُعاشرة الأزواج المنافقات، وَكَأَنَّهُ خُصَّ بهذا دون أمَّته. ﴿وإن كنتُنَّ تُرِدْنَ ا لله ورسولَه والدارَ الآخِرَةَ، فإنَّ ا لله أعدَّ للمحسِنات مِنكُنَّ أجرا عظيما(٢٩)﴾ تستحقر دونه الدُّنْيَا وزينتها.

﴿يا نساء النبيِّ مَن يأت مِنكنَّ بفاحشةٍ مُبيِّنة﴾ ظاهرٍ قُبحُها، ﴿يضاعفْ لها العذاب ضِعفَيْن، وكَانَ ذَلِكَ عَلَى ا لله يسيرا(٣٠) ومن يَقنتْ مِنكنَّ﴾ ومن تُدم عَلَى الطاعة ﴿ لله ورسولِه وتعملْ صالحا، نؤتِها أجرها مرَّتين﴾ قيل: مرَّة عَلَى الطاعة، ومرَّة عَلَى طلبهنَّ رضَى النبيِّ بالقناعة وحُسن المعاشرة، ﴿وأعتدنا لها رزقا كريما(٣١)﴾ فِي الجنَّة عَلَى أجرها.

﴿يا نساء النبيِّ، لستُنَّ كأحدٍ مِنَ النساء إن اتَّقيتُنَّ﴾ مخالفة حكم ا لله ورضَى رسولِه، ﴿فلا تخضعْنَ بالقول﴾ مثل قول المُريبات، ﴿فيطمعَ الذِي فِي قلبه مرضٌ، وقُلن قولا معروفا(٣٢)﴾ حسنا بعيدا عَن الريبة، ﴿وَقَرْنَ فِي بيوتكنَّ﴾ أمرهنَّ ا لله بالوقار والقرار جميعا، وقُرئ: وقَرن، بفتح القاف[1]، أي: اِلزمن فِي بيوتكنَّ[2]، ومن كسره: فهو أمر بالوقار، ﴿ولاَ تبرَّجْن تَبرُّجَ الجَاهِلِيَّة الأولى﴾ تبرُّجًا مثل تبرُّج النساء فِي أيَّام الجاهليَّة القديمة، والجَاهِلِيَّة الأولى: هِيَ التِي قبل ظهور الإسلام، وهي جاهليَّة الكفر. والتبرُّج: هُوَ إظهار مَا وجب (لَعَلَّهُ) إخفاؤه، ﴿وأقِمْنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاةَ

---

١ - اعتمدنا قراءة حفص فِي ضبط الآيات، وهي تَتَّفِقُ مع قراءة ورش عَلَى فتح القاف. قال الألوسي: «﴿وَقَرْنَ﴾ مِن قرَّ يقرُّ من باب علم، أصله: «اقررن»... وقرأ الأكثر: «وقِرن» بكسر القاف، من وقر يقر وقارا إذا سكن وثبت، أصله: أوقرن». الألوسي: روح المعاني، ج٢٢/ ص٦.

٢ - لَعَلَّ الأصوب: «اِلزَمْنَ بيوتَكنَّ»، فالفعل يتعدَّى بنفسه، بلا حرف الجرِّ.

**وأطِعْنَ ا لله ورسوله﴾** فِي سائر مَا أمركُنَّ بِهِ، ونهاكُنَّ عَنْـهُ، **﴿إنـّما يُريد ا لله لِيُذهبَ عنكم الرجسَ﴾** الذنب المدنّس لعِرضكم، **﴿أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم﴾** عَن المعاصي **﴿تطهيرا(٣٣)﴾** استعار الرجس للمعصية، والترشيح[1] بالتطهير للتنفير عنها.

**﴿واذكرْنَ مَا يُتلَى فِي بُيوتكُنَّ من آيات ا لله والحكمة﴾** مِنَ الكتاب الجامع بين الأمرين؛ وَهُوَ تذكيرٌ بِمَا أنعم عليهنَّ من حيث جعلهنَّ أهل بيت النبوَّة ومهبط الوحي، وَمَا شاهدن من بركات الوحي مِمَّا يُوجب قوَّة الإيمان، والحرص عَلَى الطاعة، حثًّا عَلَى الانتهاء والائتمار فِي مَا كلِّفن بِهِ، **﴿إنَّ ا لله كَانَ لطيفا خبيرا(٣٤)﴾** يعلم ويُدبِّر مَا يصلح للدارين.

**﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمسلمات﴾** الداخلين فِي السلم لحكم ا لله، **﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾** المصدِّقين بِمَا يَجبُ أن يُصدَّقَ، **﴿والقانتين والقانتات﴾** المداومين عَلَى الطاعة، **﴿والصادقين والصادقات﴾** فِي القول والعمل والنية، **﴿والصابرين والصابرات﴾** عَلَى الطاعات وعن المعاصي، **﴿والخاشعين والخاشعات﴾** المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم، **﴿والمتصدِّقين والمتصدِّقات﴾** بالواجب وغيره من أموالهم، **﴿والصائمين والصائمات﴾** المفروضَ وغيرَه، **﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾** عن

---

١ - فِي القاموس: «الترشيح: التربية، وحسن القيام عَلَى المال». الفيروزآبادي: القاموس، ص١٩٩، مَادَّة: «رشح».

الحرام، ﴿**والذاكرين ا لله كثيرا والذاكرات**﴾ بقلوبهم وألسنتهم ذكر إخلاص بما يردعهم عن المعاصي، وينهضهم إلى الطاعات، ولا يكون من الذاكرين ا لله كثيرا حتّى يذكره فِي جميع أحواله، ﴿**أعدَّ ا لله لَهُم مغفرة**﴾ بِمَا اقترفوا مِنَ الصغائر لأنـَّهنَّ مُكفِّرات مَعَ الانتهاء عَن الكبائر، ﴿**وأجرا عظيما(٣٥)**﴾ عَلَى طاعتهم.

﴿**وَمَا كَانَ لمؤمن وَلاَ مُؤمِنة**﴾ مَا صحَّ له ﴿**إِذَا قضى ا للهُ ورسولُه أمرًا أن يَكون لَهُمُ الخيرة من أمرهم**﴾ يقول: مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة فيما[1] اختاره ا لله وقضاه لَهُم وعليهم؛ بَل ليس لَهُم أن يختاروا من أمرهم شَيْئًا، بل يجب عَلَيْهِم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار ا لله ورسوله، ﴿**ومن يـَّعْصِ ا للهَ ورسوله**﴾ فيما أمر بِهِ من قضائهما، ﴿**فقد ضلَّ ضلالا مبينا(٣٦)**﴾ بَيِّنَ الانحرافِ عَن طريقة الصواب.

﴿**وإذ تقول للذي أنعم ا لله عليه**﴾ بتوفيقه للإسلام، وتوفيقك لعتقه، ﴿**وأنعمتَ عليه**﴾ بِمَا وفـَّقك ا لله فِيهِ، قيل هُوَ زيد بن حارثة، ﴿**أَمسِكْ عليك زوجَك**﴾ زينبَ، ﴿**واتـَّقِ ا للهَ**﴾ فِي أمرها، ﴿**وتخفي فِي نفسك مَا ا لله مُبدِيه**﴾ هُوَ نكاحها إن طلَّقها، أو إرَادَة طلاقها، ﴿**وتخشى النـاس**﴾ تعيِيرهم إيـَّاك بِهِ، ﴿**وا لله أحقُّ أن تخشاه**﴾ أوجب أن يخشى، وليست المعاتبة عَلَى الإخفاء وحده فإنـَّه حسن، بَل عَلَى الإخفاء مخافة قالة الناس، وإظهار مَا يُنافي

١ - في الأصل: + «فيما»، وَهُوَ تكرار.

إضماره، فإنَّ الأَولى بِهِ فِي أمثال ذَلِكَ [أن] يَصمت ويفوِّض الأمر إِلى ربه وَهَذَا من أعمال الباطن.

﴿**فَلَمَّا قضى زيد منها وطرا**﴾ حاجة (لَعَلَّهُ) طلَّقها كرامة للنبيِّ، فزوَّجها ا لله بنبيِّه، كما قَالَ: ﴿**زوَّجناكها، لكي لاَ يكون عَلَى المؤمنين حرج فِي أزواج أدعيائهم إِذَا قَضَوْا مِنهنَّ وطرا**﴾ بالنكاح وطلَّقوهنَّ، أو ماتوا عنهنَّ، ﴿**وكَانَ أمر ا لله مفعولا(٣٧)**﴾ أمره الذِي يريده مكُونا لاَ محالة.

﴿**مَا كَانَ عَلَى النبيِّ من حرج فيما فَرَضَ ا للهُ لَهُ**﴾ قسم لَهُ وقدَّر، ﴿**سُنَّةَ ا لله**﴾ من ذَلِكَ سُنَّته ﴿**فِي الذِينَ خَلَوْا من قبلُ، وكَانَ أمرُ ا لله قَدَرا مقدورا(٣٨)**﴾ قضاء مَقضيًّا، وحكما مَثبوتا. ﴿**الذِينَ يُبلِّغون رسالات ا لله ويَخشونه، ولاَ يخشَوْنَ أحدا إِلاَّ ا لله**﴾ لاَ يخشون مقالة النَّاس وَلاَئمتهم فيما أحلَّ ا لله لَهُم، وفرض عليهم، ﴿**وكفى با لله حسيبا(٣٩)**﴾ كَافيا[1] للمخاوف، أو محاسبا، فينبغي أن لاَ يُخشى إِلاَّ مِنْهُ.

﴿**مَا كَانَ محمَّدٌ أبَا أحدٍ من رجالكم، ولكن رسولَ ا للهِ وخاتَمَ النبيِّين وكَانَ ا لله بِكُلِّ شيء عليما(٤٠) يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا اذكروا ا لله ذكرا كثيرا(٤١)**﴾ قيل: خالصا، (لَعَلَّهُ) أو بغالب[2] الأوقات، ويَعمُّ أنواع مَا [هو]

---

١ - فِي الأَصْلِ: «كان»، ولا مَعْنَى له، والصواب ما أثبتناه من تفسير أبي السعود مج٤/ ج٧/ ص١٠٦.

٢ - فِي الأَصْلِ: «بغلب»، وَهُوَ خطأ.

أهله مِنَ التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد؛ وَقِيلَ: فِي جميع أحوالكم التِي يجب عَلَيْكُم فِيهَا ذكر ا لله تعالى، [٤٧٣] لأَنـَّهُم إِذَا ذكروا ا لله فِي شيء دون شيء صار ذكرا قليلا، و لم ينفع، كمن يُؤْمِنُ ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ﴿وسبِّحوه بُكرةً وأصيلا(٤٢)﴾ أوَّل النَّهَار وآخرَه خُصُوصًا، أو تخصيصهما بالذكر للدلالة عَلَى فضلهما عَلَى سائر الأوقات، وَقِيلَ: المراد بالتسبيح: الصلاةُ أو الطاعة عُمُومًا، وهذا يستوعب كلَّ النـَّهَار، وذلك مَا دام المتعبّد مُعتصما بالجملة غير خارج منها بشيء من معاصي ا لله تعالى، فهو في الحقيقة مُوَحِّد لله، وذاكرٌ لَهُ، ومُسبِّح لَهُ، وإن لم يُسَبِّح بلسانه.

﴿هُوَ الذِي يُصلِّي عَلَيْكُم وملائكتُه﴾ فقيل: صلاة ا لله عَلَيْهِم: رحمته لَهُم، وغفرانه لذنوبهم، وصلاة المَلاَئِكَة لَهُم: استغفارهم لَهُم ليس بالركوع والسجود [وَإِنـَّمَا] بالاستغفار لكم والقيام بِمَا يصلحكم، والمُرَاد بالصلاة المشترك وَهُوَ العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم، (لَعَلَّهُ) مستعار مِنَ الصلْوِ، وقيل: الترحُّم والانعطاف المعنويُّ مأخوذ مِنَ الصلاة المشتَملة عَلَى الانعطاف الصوريِّ الذِي هُوَ الركوع والسجود؛ واستغفارُ المَلاَئِكَة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عَلَيْهِم سِيَما وَهُوَ سبب للرحمة من حيث إنـَّهم مجابو الدعوة، ﴿ليُخرِجَكم مِّنَ الظلمات إلىَ النور﴾ ليحفظكم بتوفيقه من ظلمات الكفر والمعصية إلىَ نور الإيمان والطَّاعة، ﴿وكَانَ بالمؤمنين رحيما(٤٣)﴾ حيث تفضَّل عَلَيْهِم بصلاح أمرهم واستعمل فِي ذَلِكَ ملائكته المقرَّبين.

﴿تحيّتهم يومَ يَلقَونَه﴾ عند الموت أو القيامة؛ أو دخول الجنّة ﴿سلامٌ﴾ إخبار بالسلامة عَن كلّ مكروه وآفةٍ، ﴿وأعدَّ لَهُم أجرا كريما(٤٤)﴾ هِيَ الجنّة.

﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهدا﴾ عَلَى مَا بعثت إِلَيْهِم، بتصديقهم وتكذيبهم، ﴿ومبشِّرا ونذيرا(٤٥) وداعيًا إِلَى ا لله﴾ إِلَى الإِقْرَار بِهِ وبتوحيده، وبما يجب الإيمان بِهِ من صفاته. ﴿بإذنه﴾ بتيسيره، أطلق لَهُ من حيث إنّه من أسبابه، وقيَّد به الدعوة إيذانا بأنّه أمرٌ صعب لا يتأتّى إلاَّ بمعونة مِنْهُ، ﴿وسِراجا منيرا(٤٦)﴾ يُستضَاء بِهِ عَن[1] ظلمات الجهالة، وتقتبس من نوره أنوارُ البصائر.

﴿وبَشِّر المؤمنين بأنَّ لَهُم مِّنَ ا لله فضلا كبيرا(٤٧)﴾ عَلَى أجر أعمالهم. ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ والمنافقين﴾ تهييج لَهُ على مَا هُوَ عليه من مخالفتهم، ﴿ودَع أذاهم﴾ إيذاءَهم إيَّاك، وَلاَ تحفل بِهِ، أو إيذاك إيَّاهم مجاراةً[2]، ﴿وتوكَّل عَلَى ا لله وكفى با لله وكيلا(٤٨)﴾ موكولا إِلَيْهِ الأمر فِي الأحوال كلّها.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا إِذَا نَكحتُم المؤمناتِ ثُمَّ طلّقتموهنَّ من قبلِ أن تَمَسُّوهنَّ فما لكم عَلَيهِنَّ من عدَّة تعتدُّونها﴾ تُحصونها عليهنَّ بالأقراء

---

١ - الأصوب: «في».

٢ - يمكن أن نقرأ: «مجازاةً»، وكِلا المعنيين جائزان.

والأشهر، ﴿**فمتّعوهنَّ وسرِّحوهنَّ**﴾ خلُّوا سبيلهنَّ، ﴿**سـراحا جميلا(٤٩)**﴾ كما أمر ا لله. (سراحا جميلا)[1].

﴿**يَا أَيُّهَا النبيُّ إِنَّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيتَ أجورَهنَّ وَمَا ملكت يمينُك مِمَّا أفاء ا لله عليك، وبناتِ عمِّك وبناتِ عمَّاتك وبناتِ خالِك وبناتِ خالاتك اللاتي هاجرن معك، وامرأةً مؤمنةً إن** [٣٧٤] **وهبت نفسها للنبيِّ إن أَرَادَ النبيُّ أن يستنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين**﴾ ليس لأحد مِنَ المؤمنين دونك؛ ﴿**قد عَلِمْنَا مَا فَرضْنَا عَلَيْهِم فِي أزواجهم وَمَا ملكت أيمانُهم لكيلا يكونَ عليك حرجٌ، وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(٥٠)**﴾.

﴿**تُرجِي من تشاء مِنهُنَّ**﴾ تترك مضاجعتها، ﴿**وتُؤوِي إليك من تشاء**﴾، وتضمُّ إليك وتضاجعها، ﴿**ومن ابتَغَيْتَ**﴾ طلبت، ﴿**مِمَّن عَزلتَ فلا جُناح عليك؛ ذَلِكَ أدنى**﴾ أقرب ﴿**أن تَقَرَّ أعينُهنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ ويَرضَيْنَ بِمَا آتيتَهن كلُّهنَّ**﴾ ذَلِكَ التفويض إِلَى مشيئتك أقرب إِلَى قرَّة أعينهنَّ، وقِلَّة حُزنهنَّ، ورضائهنَّ جميعا، لأَنَّهُ حكم لهنَّ كلهنَّ فِيهِ سواء، ثُمَّ إن سوَّيت بينهنَّ وجدن ذَلِكَ تفضُّلا منك، وإن رجَّحت بعضهنَّ عَلمنَ أنَّه بحكم ا لله فتطمئنَّ نفوسهنَّ، ﴿**وا لله يعلم مَا فِي قلوبكم**﴾ من أمر النساء والميل إِلَى بعض دون بعض. ﴿**وكَانَ ا لله عليما حليما(٥١)**﴾.

١ - ما بين قوسين تكرار لا مَعْنَى له.

**﴿لاَ يَحلُّ لك النساء من بعدُ وَلاَ أن تَبدَّلَ بهنَّ من أزواج ولو أعجبك حُسنُهنَّ﴾** حسن الجمال والدِّين، **﴿إلاَّ مَا ملكت يمينُك، وكَانَ ا لله عَلَى كُلِّ شيءٍ رقيبا(٥٢)﴾** فتحفظوا أمركم وَلاَ تتخطُّوا مَا حدَّ لكم.

**﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تدخلوا بيوت النبيِّ إلاَّ أن يُؤذَن لكم﴾** إلاَّ مَأذونا لكم **﴿إلَى طعام﴾** مُتَعَلِّق بـ«يؤذن»، لأَنَّهُ متضمِّن معنى يُدعى، للإشعار بأنَّهُ لا يحسنُ الدخول علـى الطعام من غير دعوة وإن أذن، كما أشعر بِهِ قوله: **﴿غير ناظرين إناه﴾** غير منتظرين وقته، أو إدراكه، **﴿ولكن إذَا دُعِيتم فادخلوا، فإذا طَعِمتم فانتشِروا﴾** تفرَّقوا وَلاَ تمكثوا؛ والآية خطاب لقوم كَانُوا يتحيَّنون طعام رسول ا لله، فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، مخصوصة وبأمثالهم، وَإلاَّ لَمَا جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام وَلاَ اللبث بعد الطعام لمهمٍّ؛ والآية كأنَّها مخصوصة فِي الظاهر بالنهي عَن الدخول لبيوت النبي ﷺ، ولكن يقتضي معناها المنع عَن الدخول إِلَى الأكل لجميع البيوت، إلاَّ بدعوة أو دلالة سبقت لها الأمارات عَلَى إباحتها. **﴿وَلاَ مُستأنِسين لحديثٍ﴾** لحديث بعضكم بعض، أو لحديث أهل البيت بالتسمُّع لَهُ، عطف عَلَى «ناظرين»، أو مقدَّر بفعلٍ، أي: وَلاَ تدخلوا وَلاَ تمكثوا مستأنسين، **﴿إنَّ ذلكم﴾** اللبث **﴿كَانَ يؤذي النبيَّ﴾** لتضييق المنزلة عليه، وعلى أهله، وإشغاله بمَا لاَ يعنيه عمَّا يعنيه. **﴿فيستحيي منكم﴾** من إخراجكم، لقوله: **﴿وا لله لاَ يستحيي مِنَ الحقِّ﴾** يعني أنَّ إخراجكم حقٌّ فينبغي أن لا يترك حياء كما لاَ يتركه ا لله ترك الحييِّ، فأمركم بالخروج.

**﴿وإذا سألتموهنَّ متاعا﴾** مَا ينتفع بِهِ، **﴿فاسألوهنَّ من وراء حجاب﴾** أي: ستر. روي أنَّ عمر قَالَ: «يا رسول ا لله يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرت أمَّهات المؤمنين بالحجاب»، فنزلت[1]. **﴿ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهنَّ﴾** مِنَ الخواطر الشيطانيَّة.

**﴿وَمَا كَانَ لكم﴾** وَمَا صحَّ لكم **﴿أن تؤذوا رسول ا لله﴾** أن تفعلوا مَا يكرهه، **﴿وَلاَ أن تَنكِحوا أزواجه [٤٧٥] من بعده أبدا، إنَّ ذلكم كَانَ عند ا لله عظيما(٥٣) إن تبدوا شَيْئًا أو تخفوه فإنَّ ا لله كَانَ بِكُلِّ شيء عليما(٥٤)﴾**.

**﴿لاَ جناح عليهنَّ فِي آبائهنَّ وَلاَ أبنائهنَّ وَلاَ إخوانهنَّ وَلاَ أبناء إخوانهنَّ وَلاَ أبناء أخواتهنَّ﴾** استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عَنْهُم، **﴿وَلاَ نسائهنَّ وَلاَ مَا ملكت أيمانهنَّ﴾** مِنَ الإماء عَلَى نسق نسائهنَّ؛ وَقِيلَ: مِنَ الذكران أَيْضًا **﴿واتَّقين ا لله﴾** فيما أُمِرتُنَّ بِهِ، وأن يراكنَّ غير هؤلاء، **﴿إنَّ ا لله كَانَ عَلَى كُلِّ شيء شهيدا(٥٥)﴾** فيجازيكم عَلَى حسب أعمالكم.

---

١ - روى أحمد في مسند المكثرين من الصحابة، رقم ٤١٣٢، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ ا للهِ: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ا للهُ تَعَالَى عَنْهُ بِأَرْبَعٍ: بِذِكْرِ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ فَأَنْزَلَ ا للهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ ا للهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وَبِذِكْرِهِ الْحِجَابَ أَمَرَ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَقَالَتْ لَهُ زَيْنَبُ: وَإِنَّكَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِنَا، فَأَنْزَلَ ا للهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾. وَبِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ: اللهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بِعُمَرَ. وَبِرَأْيِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ بَايَعَهُ. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «حجاب».

**﴿إنَّ ا لله وملائكتَه يصلُّون عَلَى النبيِّ، يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما(٥٦)﴾** أي انقادوا لأوامره، ولاتتعالوا عليه. **﴿إنَّ الذِينَ يُؤذُون ا لله ورسولَه﴾** يرتكبون مَا يكرهانه مِنَ الكفر والمعاصي **﴿لعنهم ا لله﴾** أبعدهم من رحمته **﴿فِي الدُّنْيَا والآخِرَة وأعدَّ لَهُم عذابا مهينا(٥٧) وَالذِينَ يُؤذُون المؤمنين والمؤمنات بغير مَا اكتسبوا﴾** بغير جناية استحقُّوا بها، **﴿فقد احتملوا بُهتانا وإثما مبينا(٥٨)﴾** ظاهرا.

**﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنِين عليهنَّ من جلابيبهنَّ﴾** يُرخين أرديتهنَّ وملاحفهنَّ فيتقنَّعن بها، **﴿ذَلِكَ أدنى أن يُعرَفن﴾** يُميَّزن عَن الإماء والفتيات، **﴿فلا يُؤذَيْنَ﴾** فلا يُؤذِيهنَّ أهل الريبة بالعرض[1] لهنَّ، **﴿وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(٥٩)﴾**.

**﴿لئن لم ينته المنافقون﴾** عَن نفاقهم، **﴿وَالذِينَ فِي قلوبهم مَّرضٌ﴾** ضعف إيمان وقلَّة ثبات، **﴿والمرجِفون فِي المدينة﴾** يُرجفون أخبار السوء، سرايا المُسْلِمِينَ ونحوها من إرجافهم[2]؛ وأصله: التحريك، مِنَ الرجفة، وهي: الزلزلة سَمَّى بِهِ الأخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير ثابت[3]، **﴿لنُغرِينَّك بهم﴾** لنأمرنَّك بقتالهم وإجلائهم، أو مَا يضطرُّهم إِلَى طلب

---

١ - لعلَّ الأصوب: «بالتعرُّض».

٢ - يبدو أنَّ صواب العبارة: «يُرجِفون أخبار السوء عن سرايا المُسْلِمِينَ ونحوها من أراجيفهم».

٣ - لَعَلَّ الصواب: «لكونها متزلزلة غير ثابتة»، أي الأخبار، وَأَمَّا بالتذكير فيكون الضمير للإرجاف.

الجلاء. ﴿**ثُمَّ لاَ يُجاورونك فِيهَا إِلاَّ قليلا(٦٠) مَلعونين أينما ثُقِفوا أُخِذوا وقُتِّلوا تقتيلا(٦١) سنّة ا لله**﴾ أي: كسنَّة ا لله ﴿**فِي الذِينَ خلوا من قبلُ**﴾ أي سنَّ ا لله ذَلِكَ فِي الأمم الماضية، وَهُوَ أن يقتل الذِينَ نافقوا الأنبياء، وسعوا فِي وهنهم أينما ثقفوا، ﴿**ولن تجد لسُنَّة ا لله تبديلا(٦٢)**﴾، لأَنَّهُ لاَ يُبدِّلها هُوَ، لأَنَّهَا حكمة وحقٌّ وَلاَ يقدر غيره عَلَى تبديلها.

﴿**يسألك الناس عَن الساعة قل: إِنَّمَا عِلمُها عند ا لله**﴾ لم يُطلع عليها مَلَكا وَلاَ نبيًّا، حكمةً مِنَ ا لله بالغة، ﴿**وَمَا يدريك لَعَلَّ الساعة تكون قريبا(٦٣)**﴾ فِيهِ تهديد للمستعجلين، وإسكات للمتعنِّتين. ﴿**إِنَّ ا لله لَعَنَ الْكَافِرِينَ وأعدَّ لَهُم سعيرا(٦٤) خالدين فِيهَا أبدا لاَ يجدون وليًّا وَلاَ نصيرا(٦٥) يوم تُقلَّب وجوهُهم فِي النار**﴾ تصرف من جهة إِلَى جهة كاللحم يُشوَى فِي النَّار، ﴿**يقولون: يا ليتنا أطعنا ا لله وأطعنا الرسولاَ(٦٦)**﴾ فلن نبتلى بهذا العذاب. ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أطعنا سادتنا وكُبرَاءنا فَأَضلُّونا السبيلاَ(٦٧) رَبَّنَا آتهم ضعفين مِنَ العذاب والعنهم لعنا كبيرا(٦٨)**﴾.

﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنوا لاَ تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾ أي لاَ تُؤذُوا من لايستحقُّ الأذى، ﴿**فبرَّأه ا لله مِمَّا قَالُوا**﴾ فأظهر براءته من مقولهم، ﴿**وكَانَ عند ا لله وَجيها(٦٩)**﴾ ذا قربة ووجاهة[1] مِنْهُ.

---

١ - في الأصل: «ووجاحة»، وهو خطأ.

[٤٧٦] ﴿**يَـا أَيـُّهَا الذِيـنَ آمنـوا اتَّقُـوا ا للهَ**﴾ فِي ارتكـاب مَـا يكرهـه، ﴿**وقولوا قولا سديدا(٧٠)**﴾ قَالَ أبو سعيد: «القول السديد: هُـوَ العـدل، وَهُـوَ الجملـة، وهـي شـهادة أن لاَ إلـه إلاَّ ا لله وحـده لاشـريك لَـهُ، وأنَّ محمَّدًا عَبـدُه ورسوله، وأنَّ جميع مَا جاء بِهِ محمَّد عَن ا لله فهو الحقُّ، فهذا هُوَ القول السديد فِي أصل الدِّين، وَهُوَ الجملة والتمسُّك بها» انتهى كلامـه. قَـالَ الغـزالي: «التسـديد: فهو توحيد حركاته إِلَى صوب المطلوب، وتيسيرها عليه ليستدَّ فِي صوب الصواب فِي أسـرع وقـت». ﴿**يُصلِحْ لكـم أعمـالكم**﴾ يوفِّقكـم للأعمـال الصالحـة، ويُصلحهـا بـالقبول والإثابـة عليهـا، ﴿**ويَغْفِر لكـم ذنوبكـم**﴾ ويجعلهـا مُكفِّـرة باستقامتكم فِي القول والعمل؛ ﴿**ومن يطـعِ ا لله ورسـوله**﴾ فِي الأوامـر والنواهـي ﴿**فقد فاز فوزا عظيما(٧١)**﴾ يعيش فِي الدُّنْـيَا حميدا، وفِي الآخِرَة شهيدا.

﴿**إنـَّا عرضنـا الأمانـة عَلَـى السَّـمَاوَاتِ والأَرْضِ والجبـالِ فَـأَبيْنَ أن يَحمِلْـنَها وأشفقْنَ منها، وحَمَلَهـا الإنسـانُ**﴾ تقريـر للوعـد السـابق بتعظيـم الطاعة؛ وسمَّاها أمانة من حيث إنَّها واجبـة الأداء، والمعنـى: أنـَّها ـــ لعظمـة شأنها ـ بحيـث لـو عُرِضـت عَلَـى هَـذِهِ الأجـرام العظـام، وكـانت ذا شـعور وإدراك لأَبين أن يَحمِلنها وأشـفقن منهـا، وحملهـا الإنسـان مَـعَ ضعـف نيـَّته ورخاوة قوَّته، لاَ جرم فـالمؤدِّي[1] لهـا والقـائم بحقوقهـا يفـوز بخـير الداريـن، ﴿**إنـَّهُ كَانَ ظلوما**﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقَّها، ﴿**جهولا(٧٢)**﴾ بِكُنهِ

---

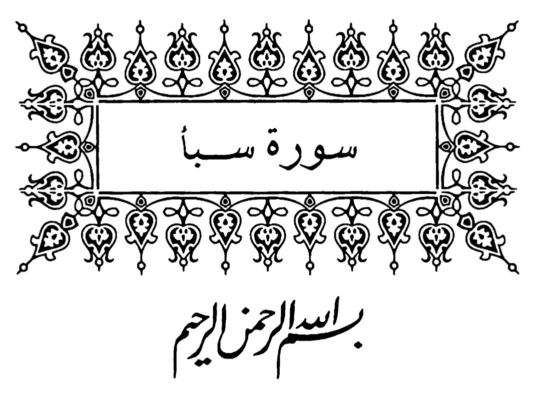
١ - فِي الأَصْلِ: «فالما فالما أدى».

عاقبتها؛ وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب. وقيل: المـُرَاد بالأمانة الطاعة التِي تعمُّ الطبيعة والاختياريـَّة؛ ولعلَّ المـُرَاد بالأمانة: العقلُ والتكليف، وبعرضِها عليهنَّ: اعتبارُها بالإضافة إلَى استعدادهنَّ، وبإيبائهنَّ الإيباءُ[1] الطبيعيُّ الذِي هُوَ عدم اللياقة والاستعداد، وتحمُّل الإنسان: قابليَّتُه واستعداده لها؛ وكونه ظلوما[2] جهولا لِمَا غلب عليه مِنَ القوَّة الغضبية والشهوية، وعلى هَذَا يَحسن أن يكون علّة للحمل عليه، فإنَّ من فوائد العقل أن يكون مهيمنا عَلَى القوَّتين، (لَعَلَّهُ) الديني والدُّنْيَاوي، حافظا لهما عَن التعدِّي ومجاوزة الحدِّ، ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما.

﴿**ليُعذّب ا لله المنافقين والمنافقاتِ والمشركينَ والمشركاتِ**﴾ (لَعَلَّهُ) وَهُوَ وصف للخائنين للأمانة، ﴿**ويتوبَ ا لله عَلَى المؤمنين والمؤمنات**﴾ الذِينَ قاموا بها عَلَى الوجه المأمور بِهِ، ﴿**وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(٧٣)**﴾.

١ - فِي الأَصْلِ: «الآبهاء»، ولا مَعْنَى له.

٢ - في الأصل: «ظلموما».



# سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ خلقا ونعمة، فله الحمد فِي الدُّنْيَا لكمال قدرته، ﴿وَلَهُ الحمد فِي الآخِرَة﴾ لأَنَّ فِي الآخِرَة أَيْضًا كذلك، لأَنَّ أهل الجنَّة يتلذَّذون بتحميده، وَهُوَ محمود (لَعَلَّهُ) بذاته، وإن لم يحمده أحد، ﴿وَهُوَ الحكيم﴾ الذِي أحكم أمور الدارين، ﴿الخبير(١)﴾ ببواطن الأشياء وحقائقها [٤٧٧] وظواهرها. ﴿يعلم مَا يَلِجُ فِي الأَرْض وَمَا يَخرُج منها، وَمَا يَنزِل مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعرُجُ فِيهَا، وَهُوَ الرحيم الغَفُور(٢)﴾.

﴿وقال الذِينَ كَفَرُوا: لاَ تأتينا الساعة﴾ إنكارًا لمجيئها، ﴿قل: بلى وربِّي، لتأتينَّكم، عالِمِ الغيبِ لاَ يَعزُبُ عَنْهُ مثقالُ ذرَّةٍ﴾ أي وزن ذرَّة، ﴿فِي السَّمَاوَات وَلاَ فِي الأَرْض، وَلاَ أصغر من ذَلِكَ[1] وَلاَ أكبر إِلاَّ فِي كِتَاب مُبين(٣)﴾ قيل: لاَ ينفصل عَن الغيب شيء إِلاَّ مسطورًا فِي اللوح، ﴿ليَجزيَ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات أُولَئِكَ لَهُم مَّغفِرة ورزق كريم(٤)﴾ لاَ تعب فِيهِ وَلاَ مَنَّ عليه.

---

١ - في الأصل: - «من ذَلِكَ»، وهو سهو.

﴿وَالذِينَ سعوا فِي آياتنا﴾ بالخوض فِيهَا، وترك العمل بِمَا فِيهَا: ﴿مُعاجزين﴾ مسابقين كي يفوتونا، وقرئ: «معجزين» أي: مثبِّطين عَن الإيمان من أراده، ﴿أُولَـئِكَ لَهُم عذاب من رِّجْزٍ﴾ من سيِّء العذاب، ﴿أليم(٥)﴾ فِي الدارين.

﴿ويرى الذِينَ أوتوا العلم﴾ ويعلم أولوا العلم ﴿الذِي أُنزل إليك من رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ﴾ أي ليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنَّه الحقُّ عيانا كما علموه الآن برهانا، ﴿ويهدي إِلَى صِرَاط العزيز الحميد(٦)﴾ الذِي هُوَ التوحيد والتدرُّع بلباس التَّقوى.

﴿وقال الذِينَ كَفَرُوا: هل ندلُّكم عَلَى رجلٍ﴾ يعنون محمَّدًا (﴿ينبِّئكم﴾ يحدِّثكم أَنَّكُم ﴿إِذَا مُزِّقتم كُلَّ مُمزَّقٍ إِنَّكُم لفي خلق جديد(٧)﴾؟ إنَّكُم تنشأون خلقا جديدا بعد أن تُمزَّق أجسادكم كلَّ التمزُّق. ﴿أفترى عَلَى الله كذبا أم بِهِ جنَّة﴾؟ جنون يُوهمه ويُلقِّنه عَلَى لسانه، ﴿بَل الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَة فِي العذاب﴾ الأدنى، ﴿والضلال البعيد(٨)﴾ عَن الصواب، بحيث لاَ يُرجى الخلاص مِنْهُ مَا داموا عَلَى ذَلِكَ الحال.

﴿أفلم يروا إِلَى مَا بين أيديهم وَمَا خلفهم مِنَ السَّمَاء والأَرْض؟ إن نَّشَأْ نخسفْ بِهِمُ الأَرْض أو نُسقِطْ عَلَيْهِم كِسَفًا مِنَ السَّمَاء﴾ المعنى: أُعموا فلم ينظروا إِلَى مَا أحاط بجوانبهم مِنَ السَّمَاء والأَرْض، و لم يتفكَّروا أهم أشدُّ خلقا أم هِيَ، وأنَّا إن نشأ نخسف بهم الأَرْض، أو نسقط عَلَيْهِم

كِسَفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البَيِّنَات!، ﴿**إنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ النظر والفكر فيهما وَمَا يدُلَّان عليه، ﴿**لآية**﴾ لدلالة ﴿**لِكُلِّ عبدٍ منيب(٩)**﴾ تائب راجع بقلبه إِلَى ربِّه، فإنَّه يكون كثير التَّأَمُّل فِي أمره.

﴿**وَلَقَد آتينا داوودَ مِنَّا فضلا**﴾ النبوَّة وفصل الخطاب، وَمَا فُضِّل به عَلَى سائره؛ ﴿**يا جبالُ أَوِّبي معه**﴾ قيل: سبِّحي معه إِذَا سبَّح بفعل...[1] ﴿**والطيرَ، وأَلَنَّا لَهُ الحديد(١٠)**﴾ قيل: جُعل فِي يده كالشمع من غير نار وَلاَ ضرب يصرفه حيث يَشَاء. ﴿**أنِ اعملْ سابِغات**﴾ دروعا واسعات. ﴿**وقدِّر فِي السرد**﴾ وقدِّر فِي نسجها، بحيث تتناسب حِلقها، أو قدِّر مساميرها فلا تجعلها دِقاقا فتفلق، وَلاَ غلاظا فتخرق، ﴿**واعملوا صالحا**﴾ الضمير فِيهِ لداوود وأهله، ﴿**إنِّي بمَا تَعْمَلُونَ بصير(١١)**﴾ فأجازيكم عليه.

﴿**ولسليمانَ الريحَ**﴾ أي سخَّرنا لَهُ الريحَ، ﴿**غدوُّها شهرٌ ورواحها شهرٌ، وأسلنا لَهُ عينَ القِطْرِ**﴾ النحاس المذاب أسيل لَهُ من معدنه؛ قيل: كَانَ يسيل فِي الشهر ثلاثة أيَّام بإذن الله تعالى. ﴿**ومن الجنِّ من يعملُ بين** [٤٧٨] **يديه بإذن ربِّه ومن يَزِغ مِنْهُم عَن أمرنا**﴾ ومن يَعدل مِنْهُم عَن مَا أمرناه من طاعة سليمان، ﴿**نُذقه من عذاب السعير(١٢)**﴾ عذاب الآخِرَة؛ ويحتمل فِي الدُّنْيَا، وذلك قيل: إنَّ الله عزَّ وجلَّ وكَّل بهم مَلَكًا بِيده سوطا من نار، فمن زاغ مِنْهُم عَن أمره ضربه ضربة أحرقته.

---

١ - فِي العبارة سقط واضح، ولم نستطع إكماله مِمَّا بين أيدينا من المصادر، وقد وضع الناسخ فيها إحالة إِلَى الحاشية ولم يكتب فيها شَيْئًا.

﴿**يعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن محاريب**﴾ قيل: قصورا حصينة، ومساكن شريفة؛ سُمِّيت بِهِ، لأَنَّهَا تذبُّ عَنْهُ، ويحارب عليها[1]. ﴿**وتماثيل**﴾ (لَعَلَّهُ) قوالب لآلات الصنائع، يكون كالمثل لها فِي الصغر والكبر والهيئة؛ وقيل غير ذَلِكَ. ﴿**وجفانٍ**﴾ وصحاف ﴿**كالجوابِ**﴾ كالحياض الكبار، جمع جابية. ﴿**وقدور راسيات**﴾ ثابتات عَلَى الأثافي لاَ تنزل عنها (لَعَلَّهُ) لعظمها، أو خُلقت لها أثافي منها، ﴿**اعملوا آلَ داوود شُكرًا**﴾ اعملوا واعبدوه شكرا، أو لأَنَّ العمل لَهُ شكرٌ[2]، ﴿**وقليل من عبادي الشكور(١٣)**﴾ المتوفِّر عَلَى أداء الشكر بِقلبه ولسانه وجوارحه أكبر أوقاته، ومع ذَلِكَ لاَ يوفَّى حقُّه، لأَنَّ توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر إلى مَا لا نهاية لذلك، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عَن الشكر.

﴿**فَلَمَّا قضينا عليه الموتَ مَا دلَّهم عَلَى موته**﴾ مَا دلَّ الجنَّ، وقيل: آله، ﴿**إلاَّ دابةُ الأَرْضِ تأكل منسأته**﴾ قيل: عصاه، ﴿**فَلَمَّا خرَّ تَبَيَّنَت الجنُّ أن لو كَانُوا يَعْلَمُونَ الغيبَ مَا لَبِثوا فِي العذاب المهِين(١٤)**﴾ فانظر سمَّاه الله عذابا مهينا.

﴿**لَقَد كَانَ لسبإٍ فِي مسكنِهم آيةٌ**﴾ علامة ودلالة على وجود الصانع، وأنَّه القادر عَلَى مَا يَشَاء مِنَ الأمور العجيبة؛ وقيل: سبأ هُوَ اسم رجل،

---

١ - وَفِي تفسير أبي السعود: «لأَنَّهَا يُذَبُّ عَنهَا، ويُحارَب عليها»، ويبدو أَنَّهُ أصوب. ر: مج٤/ ج٧/ ص١٢٥.

٢ - فِي الأَصْلِ: «شكرًا».

﴿**جنَّتان عَن يمينٍ وشمالٍ، كلوا من رزقِ رَبِّكُم واشكروا لَهُ**﴾ عَلَى مَا رزقكم مِنَ النِّعمة، والمعنى: بطاعته. ﴿**بلدةٌ طيِّبة وربٌّ غَفُور(١٥)**﴾ أي هَذِهِ البلدة التِي فِيهَا رزقكم بلدة طيِّبة، ورَبُّكُم الذِي رزقكم، وطلب شكركم ربٌّ غَفُوز فرطاتِ[١] من يشكره.

﴿**فأعرَضوا**﴾ عَن الشكر، ﴿**فأرسلنا عَلَيْهِم سيلَ العَرِمِ**﴾ قيل: السيل الشديد الذِي لاَ يُطاق، والعرِم: الوادي، ﴿**وبدَّلناهم بِجنَّتَيْهِم جنَّتين ذواتي أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ ثمر بشع؛ فإنَّ الخمط: كلُّ نبت أَخَذ طعما من مرارة؛ وقيل: الأراك، وكلُّ شجر لاَ شوك[٢] لَهُ، والتقدير أكل أكل الخمط، ﴿**وأثْلٍ وشيءٍ من سِدْرٍ قليلٍ(١٦) ذَلِكَ جزيناهم بِمَا كَفَرُوا**﴾ بكفرانهم النِّعمة. ﴿**وهل نُجازي**﴾ مثل هَذَا الجزاء ﴿**إلاَّ الكَفور(١٧)**﴾ أي لاَ نُجازى بالعقوبة إلاَّ من كفر.

﴿**وجعلنا بَيْنَهُم وبين القرى التِي باركنا فِيهَا**﴾ بالتوسعة عَلَى أهلها، ﴿**قرًى ظاهرة**﴾ قيل: متواصلة بعضها لبعض، ﴿**وقدَّرنا فِيهَا السير**﴾ قيل: بحيث يقيل الغادي فِي قرية، و يبيت الرائح فِي قرية، ﴿**سيروا فِيهَا**﴾ عَلَى

---

١ - فِي اللسان: «فَرَطَ فالأمر يَفرُط فَرْطا: أي قصَّر فيه»، ثُمَّ قال: «والفُرطة: اسم للخروج والتقدُّم». ويقصد بالفرطات هنا: الصغائر من الذنوب. ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ ص١٠٨٠، مَادَّة «فرط».

٢ - فِي الأصل: «شكوك»، وهو خطأ.

إرادة القول بلسان الحال أو المقال ﴿ليالِيَ وأيَّامًا﴾ متى شِئتم من ليل أو نهار، ﴿آمنِينَ(١٨)﴾ لاَ يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات؛ أو سيروا آمنين وإن طالت مدَّة سفركم فِيهَا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا باعِدْ بين أسفارنا﴾ أشروا النعمة، وملُّوا العافية كبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وليس سؤال هؤلاء وأمثالهم بأعجب من اختيار[1] الفقر عَلَى الغنى، ومعيشة الضنك عَلَى الحياة الطيِّبة، والجهد فِي طلب المعيشة عَلَى العبادة، وَهُم الذِينَ رزقهم الله مَا يكفيهم، ويطلبون المزيد لغيرهم لا لَهُم، ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالبطر والطغيان حيث بطروا النِّعمة، ولم يعتدُّوا بها عُدَّة الآخِرَة، [٤٧٩] ﴿فجعلناهم أحاديثَ﴾ يتحدَّث النَّاس بهم تعجُّبا، ومِنْهُم تفكُّها، ومنهم من يعتبر بهم ويتَّعظ، ﴿ومزَّقناهم كُلَّ مُمزَّق﴾ قيل: فرَّقناهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات﴾ لعبر ودلالات، ﴿لِكُلِّ صبَّار﴾ عَن المعاصي، ﴿شكور(١٩)﴾ عَلَى النعم.

﴿وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيْهِم إبليسُ ظنَّه﴾ أي ظنَّ فِيهم ظنًّا وصدق فِي ظنِّه، أو صدق بظنٍّ ظنَّه؛ وقرئ بالتشديد بمعنى: حقَّق ظنَّه أو وجده صادقا، (لَعَلَّهُ) وَهُوَ قوله: ﴿وَلاَ تجدُ أكثرَهم شاكرين﴾[2]، ﴿فاتَّبعوه إلاَّ فريقا مِنَ المؤمنِينَ(٢٠)﴾ (لَعَلَّهُ) قيل: إنَّ إبليس لعنه الله لـمَّا سأل النظرة فأنظره، قَالَ:

---

١ - فِي الأَصْلِ: «من اختار»، ويمكن أن يريد المُصَنِّف: «ممَّن اختار».

٢ - سورة الأعراف: ١٧.

لأُضلنّهم ولأُغوينّهم، لم يكن مستيقنا وقت هَذِهِ المقالة أنَّ مَا قاله فِيهم يتمُّ أم لاَ، وإنَّما قاله ظنًّا، فَلَمَّا اتَّبعوه وأطاعوه صدق عَلَيْهِم مَا ظنَّه فيهم. قَالَ الحسن: «إِنَّهُ لم يسلَّ عَلَيْهِم سيفا، وَلاَ ضربهم بسوط، إِنَّمَا وعدهم ومنَّاهم فاغترُّوا». ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سلطان﴾ تسلُّط بالاستغواء، ﴿إِلاَّ لِنعلم من يُؤْمِنُ بالآخِرَة مِمَّن هُوَ منها فِي شك﴾ ليتميَّز المؤمن مِنَ الشاكِّ. ﴿وربُّكَ عَلَى كُلِّ شيء حفيظ(٢١)﴾.

﴿قل: ادعوا الذِينَ زَعمتم﴾ أي زعمتموهم آلهةً ﴿من دون ا لله﴾ المَعْنَى: ادعوهم فيما يهمُّكم من جلب نفع أو دفع ضرر، لَعَلَّهُم يستجيبون إن صحَّت[1] دعواكم، ثُمَّ أجاب عنهم إشعارا بتعيُّن الجواب، وأنَّه لاَ يقبل المكابرة فقال: ﴿لاَ يملكون مثقالَ ذرَّةٍ﴾ من خير أو شرٍّ، ﴿فِي السَّمَاوَات وَلاَ فِي الأَرْض﴾، لأَنَّ الأسباب القريبة للشرِّ والخير سماويَّة وأرضيَّة، ﴿وَمَا لَهُم فيهما من شِركٍ[2] وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظهير(٢٢)﴾ يعينه عَلَى تدبير أمرها.

﴿وَلاَ تنفع الشفاعة عنده﴾ فلا تنفعهم شفاعة أَيْضًا كما يزعمون، ﴿إِلاَّ لمن أذن لَهُ﴾ أن يَشفع أو يُشفع لَهُ. ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّع عَن قلوبهم﴾ وَهُوَ عند الموت أو يوم القيامة؛ وَقِيلَ: كشف الفزع عَن قلوب المشركين بعد الموت، وَا لله أعلم، ﴿قَالُوا: ماذا قَالَ ربُّكم﴾؟ فِي الشفاعة، ﴿قَالُوا: الحَقَّ﴾

---

١ - فِي الأصل: «صحَّ».

٢ - فِي الأصل: - ﴿وَمَا لَهُم فيهما من شِركٍ﴾، وهو سهو.

وَهُوَ الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون، ﴿**وَهُوَ العليُّ الكبير(٢٣)**﴾ ذو العلوِّ والكبرياء، ليس لـمَلَك وَلاَ نبيٍّ أن يتكلَّم ذَلِكَ اليوم إلاَّ بإذنه.

﴿**قل: من يرزقكم مِنَ السَّمَاوَات والأَرْض**﴾؟ يريد تقرير قوله: ﴿**لاَ يملكون**﴾، ﴿**قل: الله**﴾ إذ لاَ جواب سواه، ﴿**وَإِنَّا أو إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو فِي ضلال مُبِينٍ(٢٤)**﴾ أي: وإنَّ أحد الفريقين مِنَ الموحِّدين المتوحِّدَ بالرزق والقدرة الذاتيَّة بالعبادة، والمشركين بِهِ الجمادَ، النازلين بِهِ فِي أدنى المراتب الإمكانيَّة، لَعَلَى أحدٍ مِنَ الأمرين مِنَ الهدى والضلال المبينين؛ وَهُوَ ـ بعدما تقدَّم مِنَ التقرير البليغ الدالِّ عَلَى من هُوَ عَلَى الهدى، ومن هُوَ فِي الضلال ـ أبلغُ مِنَ التصريح، لأَنَّهُ فِي صورة الإنصاف الـمُسكت للخصم المشاغب، لأنَّ الهادي كمن صعد منارا ينظر الأشياء ويتطلَّع عليها؛ أو ركب جوادا يركُضُه حيث يَشَاء، والضالُّ كأنَّه منغمس فِي ظلام التردُّد لاَ يرى شَيْئًا، أو محبوس فِي مطمورة لاَ يستطيع الخروج منها.

﴿**قل: لاَّ تُسأَلون عَمَّا أجرمنا، وَلاَ نُسأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٢٥)**﴾ هَذَا أدخل فِي الإنصاف، وأبلغ [٤٨٠] فِي الإخبات، حيث أسند الإجرام إِلَى أنفسهم، والعملَ إِلَى المخاطَبين. ﴿**قل: يجمع بيننا ربُّنَا ثُمَّ يفتح بيننا بِالْحَقِّ**﴾ يحكم ويفصل بأن يدخل المحقِّين الجنَّة، والـمُبطلين النَّار، ﴿**وَهُوَ الفتَّاح**﴾ الحاكم للفصل[1] فِي القضايا المنغلقة، ﴿**العليم(٢٦)**﴾ بِمَا ينبغي أن يقضيَ بِهِ.

---

١ - كذا في الأصل، وَفِي تفسير أبي السعود: «الفيصل». أبو السعود: تفسير، ص١٣٣.

﴿قل: أَرُوني الذِينَ أَلحقتُم بِهِ﴾ (لَعَلَّهُ) با لله فِي العبادة، يعني الأصنام، ﴿شركاء﴾ هل خلقوا مِنَ الأَرْض شَيْئًا؟ أم لَهُم شرك فِي السَّمَاوَات؟ لأرى بأيِّ صفة ألحقتموهم با لله فِي استحقاق العبادة، وَهُوَ استسفار عَن شبهتهم، فعدَّ[1] إلزام الحجَّة عليهم (لَعَلَّهُ) زيادة فِي تبكيتهم ﴿كلاَّ﴾ ردع لَهُم عَن المشاركة بعد إبطال المقايسة، ﴿بَل هُوَ ا لله العزيز الحكيم(٢٧)﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحَقون يتَّسمون بالذِّلَّة مُتأبِّية عَن قبول العلم والقدرة رأسا.

﴿وَمَا أرسلناك إلاَّ كافَّة للناس﴾ إلاَّ رسالة عامَّة لَهُم، مِنَ الكفِّ، فإنَّها إِذَا عمَّتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد مِنْهُم، أو جامعا لَهُم فِي الإبلاغ، ﴿بشيرا ونذيرا، وَلَكِنَّ أكثر الناس لاَ يَعْلَمُونَ(٢٨)﴾ فيحملهم جهلهم عَلَى مخالفتك.

﴿ويقولون﴾ من فَرطِ جَهلهم: ﴿متى هَذَا الوعد﴾؟ يعنون بِهِ المبشَّر بِهِ والمنذَر عَنْهُ أو الموعود بقوله: ﴿يجمع بينَنَا رَبُّنَا﴾[2]. ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ(٢٩)﴾ يخاطبون بِهِ رسول ا لله ﷺ والمؤمنين. ﴿قُل: لكم مِيعاد يوم لاَ تستأخرون عَنْهُ ساعة وَلاَ تستقدِمُونَ(٣٠)﴾ حين يأتيكم، وَهُوَ جواب تهديد جاء مُطابقا لِمَا قصدوه بسؤالهم مِنَ التعنُّت والإنكار.

١ - لَعَلَّ الصواب: «بعد».

٢ - سورة سبأ: ٢٦.

﴿وقال الذِينَ كَفَرُوا: لن نُؤمن بهذا القرآن وَلاَ بالذي بينَ يديه﴾ وَلاَ بِمَا تقدَّمه مِنَ الكتب الدالَّة عَلَى البعث أو الرسول، وهذا القول منهم يقتضي بلسان المقال مِنْهُم وَهُم الكفَّار الجاحدون، ويقتضي بلسان الحال مِنَ المنافقين، ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربِّهم﴾ أي: فِي موضع المحاسبة، ﴿يرجعُ بعضُهم إِلَى بعض القولَ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول فِي التلاوم، وَهُوَ حسرة وعذاب عليهم؛ ﴿يقول الذِينَ استُضعِفوا﴾: يقول الأتباع: ﴿للذين استكبروا﴾ للرؤساء ﴿لولا أنتُم﴾ لولا ضلالكم وصدُّكم إيَّانا عَن الإيمان ﴿لكنَّا مؤمنِينَ(٣١)﴾ بخلق ا لله إيَّانا عَلَى الفطرة، والدين القيِّم؛ ويحتمل هَذَا القول مِنْهُم للمستكبرين مِنَ الجنِّ والإنس.

﴿قَالَ الذِينَ استَكبروا للذين استُضعِفوا: أَنحنُ صَدَدناكم عَن الهدَى بعد إذ جاءكم؟ بَل كُنتُم مجرمِينَ(٣٢)﴾ أنكروا أنَّهم كَانُوا صادِّين لَهُم عَن الإيمان، وثبَّتوا أنَّهم هُمُ الذِينَ صدُّوا أنفسهم حيث أعرضوا عَن الهدى، وآثروا التقليد عليه، ولذلك بنوا الإنكار عَلَى الاسم. ﴿وقال الذِينَ استُضعِفوا للذين استكبروا: بَل مَكرُ اللَّيْل وَالنَّهَار﴾ إضراب عن إضرابهم، أي: لم يكن إجرامنا الصادُّ، بَل مكركم لَنَا دائبا ليلا ونهارا، حتَّى أغرتم علينا رأينا، ﴿إذ تأمروننا أن نكفرَ با لله ونجعلَ لَهُ أندادا﴾ يقتضي جميع معاصي ا لله؛ ﴿وأسرُّوا الندامة لَمَّا رأوا العذابَ﴾ وأضمر الفريقان الندامة عَلَى [٤٨١] الضلال والإضلال، إذ لاَ ينفع إظهارها، ﴿وجعلنا الأغلال فِي أعناق الذِينَ كَفَرُوا﴾

(لَعَلَّهُ) يحتمل هَذَا فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، ﴿**هل يُجزَوْنَ إلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٣٣)**﴾؟ أي لاَ نفعل بهم مَا نفعل إلاَّ جزاء عَلَى أعمالهم.

﴿**وَمَا أرسلنا فِي قرية من نَّذير إلاَّ قَالَ مُترَفوها**﴾ تسلية لرسول الله مِمَّا تمنَّى من قومه؛ وتخصيص المتنعِّمين بالتكذيب، لأَنَّهُم أقرب إِلَى الكبر والمفاخرة بزخارف الدُّنْيَا، والانهماك فِي الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها؛ ولذلك ضمُّوا التهكُّم والمفاخرة إِلَى التكذيب، فَقَالُوا: ﴿**إِنَّا بِمَا أُرسِلتم بِهِ كَافِرُونَ(٣٤) وَقَالُوا: نَحْنُ أكثرُ أموالاً وأولادًا**﴾ فنحن أَولَى بِمَا تدَّعون. ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُعذَّبِينَ(٣٥)**﴾ يحتمل هَذَا العذاب الذِي نَفوه عَن أنفسهم فِي الدُّنْيَا، ويحتمل فِي الآخِرَة من قِبَل غرورهم وأمانيهم الكاذبة.

﴿**قل**﴾ ردًّا لحسبانهم ﴿**إِنَّ رَبِّي يبسُطُ الرزقَ لمن يَشَاء ويَقْدِرُ**﴾ ولذلك يختلف فِيهِ الأشخاص المتماثلة[1] فِي الخصائص والصفات، ﴿**ولكنَّ أكثر الناس لاَ يَعْلَمُونَ(٣٦)**﴾ فيظنُّون أنَّ كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، وكثيرا مَا يكون للاستدراج، كما قَالَ:

﴿**وَمَا أموالكم وَلاَ أولادكم بالتي تُقرِّبكُم عندنا زُلفى**﴾ قربة، ﴿**إلاَّ من آمن وعَمِلَ صالحا**﴾ أي: الأموال والأولاد لاَ تقرِّب إِلاَّ المؤمن الصالح، وَمَا عداه استدراج لَهُم ومكر. وقال ابن عبَّاس: «يزيد إيمانُه وعملُه تقرُّبه

١ - لَعَلَّ الأصوب: «المتماثلون».

منـّي»، ﴿**فـأولئك لَهُـم جزاء الضّعـفِ بِمَـا عملـوا، وَهُـم فِي الغُرُفَـات آمِنُـونَ(٣٧)**﴾ مِنَ المكاره. ﴿**وَالذِينَ يَسعون فِي آياتنا**﴾ بالردِّ والطعـن فِيهَـا ﴿**مُعَاجزين**﴾ مسابقين لأنبـيائنا، أو ظانـّين أنـّهم يفوتونـنا، ﴿**أُولَـئِكَ فِي العذاب مُحـضَـرُونَ(٣٨)**﴾ فِي الدارين.

﴿**قل: إنَّ رَبِّي يبسُطُ الرزقَ لمن يَشَاء من عباده ويَقـدِر لَـهُ**﴾ يُوسِّع عليه تارةً ويضيـّق أخرى، ﴿**وَمَا أنفقتم من شيء فهـو يُخلِفـه**﴾ إمـَّا عـاجلا وإمـَّا آجلا، ﴿**وَهُوَ خير الرازِقِينَ(٣٩)**﴾ فإنَّ غيره وسائط فِي إيصـال رزقـه، وَلاَ حقيقة لرازقيـّته.

﴿**ويوم يحشُرُهم جميعا**﴾ المستكبرين والمستضعَفين، أو العـابدين والمعبودين، ﴿**ثُمَّ يقول للمَلاَئِـكَة: أهؤلاء إِيـَّاكُمْ كَانُوا يَعبدُونَ(٤٠)**﴾؟ تقريعا للمشركين، وتبكيتا لَهُم، وإقناطا لَهُم عمـَّا يتوقّعون من شفاعتهم؛ وتخصيص الملاَئِكَة، لأَنـَّهُم أشرف شركائهم. ﴿**قَالُوا: سبحانك أنـت وليـُّنا مـن دونهـم**﴾ كأنـّهم بيـّنوا بذلك برآءتهم عَن الرضا بعبادتهم، ثُمَّ أضربوا عَن ذَلِكَ ونفوا أَنـَّهُم مَـا عبدوهـم عَلَى الحقيقة بقولهم: ﴿**بَل كَانُوا يَعبُدون الجنَّ**﴾ أي الشـياطين حيـث أطـاعوهم فِي عبـادة غـير الله، ﴿**أكثرهم بهـم مُـؤمنُونَ(٤١)**﴾ مصدِّقون لوساوسـهم، تابعون لها؛ فإن قيل: إنـّهم كَانُوا يعبدون المَلاَئِـكَة، فكيف وجه قولـه: ﴿يعبـدون الجنَّ﴾؛ قيل: أراد أنَّ الشياطين زيـّنوا لهم عبادة الملائكة؛ يقول: ﴿يعبـدون﴾ أي:

يطيعون الجنَّ، فبطاعتهم لَهُم صاروا لَهُم عـابدين. ﴿**فـاليوم لاَ يملـك بعضكـم**[1] **لبعض نفعا وَلاَ ضَـرًّا**﴾ إذ الأمـر فِيـهِ كلّـه [ للهِ]، لأنَّ الـدار [٤٨٢] دار جـزاء، وَهُوَ الـمجازي وحده؛ ﴿**ونقول للذين ظَلموا: ذوقوا عذابَ النار التِي كُـنـتُـم بها تُكذِّبُونَ(٤٢)**﴾.

﴿**وإذا تُـتلى عَـلَـيْـهِـم آياتنا بَـيِّـنَاتٍ**﴾ واضحات مِنَ اللبس، ﴿**قَالُوا: مَا هَـذَا**﴾ يعنـون محمَّـدا ﷺ، ﴿**إلاَّ رجـل يريـد أن يَصدَّكـم عَمـَّا كَـانَ يعبـد آباؤكم**﴾ فيستـتـعِـبَكم بِمَا يستبْدِعُه[2]، ﴿**وَقَالُوا: مَـا هَـذَا**﴾ يعـني القـرآن، ﴿**إلاَّ إفْـكٌ**﴾ لعـدم مطابقـة مَـا فِيـهِ الواقـع، ﴿**مُفـترًى**﴾ بإضافتـه إلَى ا لله سبحانه، ﴿**وقال الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءهم**﴾ من أيِّ حـال كَـانَ: ﴿**إن هَذَا إلاَّ سحرٌ مُبينٌ(٤٣)**﴾ ظاهر سحريته.

﴿**وَمَا آتيناهم من كُتُب يدرسونها**﴾ وفيها[3] دليل عَلَى صِحَّة الإشـراك، ﴿**وَمَا أرسلنا إلَـيْهِم قبلَك من نَـذير(٤٤)**﴾ يدعوهم إلَـيْـهِ، ويُـنـذرهم عَلَـى تركه، وقد أبان من قبل أن لاَ وجه لَهُ، فمـن أيـن وقعـت لَهُـم هَـذِهِ الشـبهة، وهذا غاية التجهيل لَهُم، والتسفيه لرأيهم، ثُمَّ هدَّدهم فقال:

﴿**وكـذَّب الذِيـنَ مـن قبلهـم**﴾ كمـا كذَّبـوا، ﴿**وَمَـا بلغـوا معشـار مَـا آتيناهم**﴾ وَمَا بلغ هؤلاء عُشُر مَا آتينا أُولَـئِكَ مِنَ القوَّة وطول العمر، وكـثـرة

---

١ - فِي الأصل: «بعضهم»، وهو خطأ.

٢ - وَفِي تـفسير أبي السعود: «فيستتبعكم بما يستدعيه». أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٣٨.

٣ - فِي الأَصْلِ: «وفيه»، والصواب ما أثبتناه من أبي السعود، فالضمير يرجع عَلَى الكتب.

المال، أو مَا بلغ أُولَئِكَ عُشُر مَا آتينا هؤلاء مِنَ البَيِّنَات والهدى، ﴿**فكذَّبوا رُسُلِي فكيف كَانَ نكيرِ(٤٥)**﴾ فحين كذَّبوا رسولي جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كَانَ نكيري لَهُم، فليحذر هؤلاء من مثله.

﴿**قل: إنـَّمَا أَعِظُكُم بوَاحِدَةٍ**﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة وَاحِدَة، وهي مَا دَلَّ عليه ﴿**أن تقوموا لله**﴾ وَهُوَ الانتصاب فِي الأمر خالصا لوجه الله، ومُعرضا عن مَا سواه، ﴿**مَثنَى وفُرَادَى**﴾ كُنتُم جماعة أو متفرِّقين، ﴿**ثُمَّ تتفكَّروا**﴾ فِي أمر محمَّد وَمَا جاء بِهِ لتعلموا حقيقته، ﴿**مَا بصاحبكم من جِنـَّة**﴾ فتعلموا مَا بِهِ جنون يحمله عَلَى ذَلِكَ، ﴿**إن هُوَ إلاَّ نذير لكم بين يديْ عذابٍ شديد(٤٦)**﴾ قُدَّامه.

﴿**قل: مَا سألتكم من أجر**﴾ أيّ شيء سألتكم من أجر عَلَى الرسالة، ﴿**فهو لكم**﴾ وَالمُرَاد نفيُ السؤال؛ ﴿**إن أجري إلاَّ عَلَى الله، وَهُوَ عَلَى كلِّ شيءٍ شهيدٌ(٤٧)**﴾ مُطَّلع يعلم صدقي وخلوص نيتي. ﴿**قل: إنَّ رَبِّي يقذِفُ بِالْحقِّ**﴾ يُلقيه ويُنزله عَلَى من يَشَاء من عباده، أو يرمي بِهِ إِلىَ أقطار الآفاق فيكون وعدا بإظهار الإسلام وإفشائه، ﴿**علاَّم الغيوب(٤٨)**﴾.

﴿**قل: جاء الحقُّ وَمَا يُبدِئ الباطلُ وَمَا يُعيد(٤٩)**﴾ وزهق الباطل بحيث لم يبق لَهُ أثر مأخوذ من هلاك الحيِّ، فإنَّه إِذَا هلك لم يبق لَـهُ إبداء وَلاَ إعادة، لأَنَّ الحقَّ يُزيح الشبهات مِنَ القلوب، ويُطهِّرها من رجس الباطل إِذَا حلَّ فِيهَا وقبلته. ﴿**قل: إن ضَلَلْتُ**﴾ عَن الحقِّ، ﴿**فإنـَّما أَضِلُّ عَلَى نفسي**﴾ فإنَّ وبال ضلالي

عليها، فإنَّه يُسيئُها إذ هِيَ الجاهلة بالذَّات والأمَّارة بالسوء، ﴿**وإن اهتديتُ فبما يُوحي إليَّ رَبِّي**﴾ أيَّ وحيٍ كَانَ، إلهاميًّا أو غيره، والمعنى: بلوغ العلم إِلَيْهِ من أيِّ حال بلغه، وإنَّ الاهتداء بهدايته وتوفيقه، ﴿**إنَّهُ سميع قريب(٥٠)**﴾.

﴿**ولو ترى إذ فَزِعُوا**﴾ [عند][1] الموتِ ﴿**فلا فَوْتَ**﴾ فلا يفوتونه بهرب وَلاَ حصن، ﴿**وأُخِذوا من مكَانٍ قريب(٥١)، وَقَالُوا آمنـَّا بِهِ**﴾ بالإسلام، ﴿**وأنَّى لَهُمُ التناوُشُ**﴾ ومن أين لَهُم أن يتناولوا الإيمان [٤٨٣] وقد ارتفع عَنْهُم حين عاينوا الحقائق عين اليقين من حيث إنَّهم نبذوا علم اليقين حين أتاهم، ﴿**من مكَانٍ بعيدٍ(٥٢)**﴾ (لَعَلَّهُ) فإنَّهم لاَ يُطيقون تناوله فِي ذَلِكَ الحين، وقد بَعُد عَنهُم، وَهُوَ تمثيل حالهم فِي الاستخلاص بالإيمان بعد مَا فات عَنْهُم، وبَعُد عَنْهُم، بحال من يريد أن يتناول الشيء من غَلوة[2] بذراعه وقد طار عَنْهُ وارتفع فلا يَجِد إِلَيْهِ سبيلا، وكيف ينالون التوبة وهي فِي أيَّام التعبُّد وهي الدُّنْيَا وقد ارتحلوا عنها!.

﴿**وقد كَفَرُوا بِهِ**[3] **من قبل**﴾ ذَلِكَ أوان التكلف[4]، ﴿**ويَقذِفون**

١ - إضافة من أبي السعود ليستقيم المَعْنَى. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٤٠.

٢ - «وغلا السهمُ نفسُه: ارتفع فِي ذهابه وجاوز المدى، وَكَذَلِكَ الحَجَر، وكلُّ مَرماة من ذَلِكَ غَلوَةٌ... والجمع: غَلَواتٌ وغِلاءٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ ص١٠١٢، مَادَّة «غلا».

٣ - فِي الأصل: - «به»، وَهُوَ سهو.

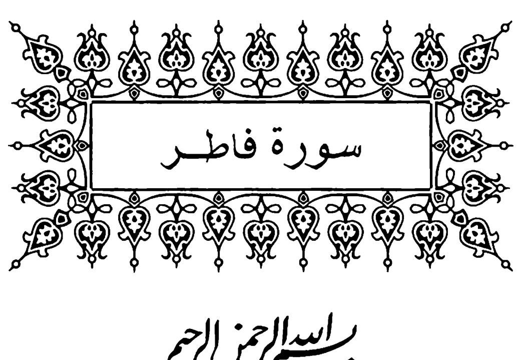
٤ - الصواب: «أي: من قبلِ ذَلِكَ فِي أوانِ التكليف»، انظر: أبو السعود، تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٤١.

**بالغيب﴾** قيل: ويرجمون بالظنِّ، سُمِّي ظنًّا[1] لأنَّهُ غاب علمهم عَنْهُ، والمكَانُ البعيد: بُعدُهم عَن علم مَا يقولون، ويتكلَّمون[2] بِمَا لم يصحَّ معهم بالكفر، **﴿من مكَانٍ بعيد(٥٣)﴾** من جانب بعيد من أمره، ولعلَّ تمثيل حالهم فِي ذَلِكَ من يرمِي شَيْئًا لاَ يراه من مكَان بعيد، وقرئ: «يُـقْذَفُون» عَلَى أنَّ الشيطان يلقي إِلَيْهِم ويلقِّنهم ذَلِكَ. **﴿وحيلَ بَيْنَهُم وبينَ مَا يَشتهون﴾** من نفع الإيمان والنجاة بِهِ مِنَ النَّار، **﴿كما فُعل بأشياعهم من قبلُ﴾** بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة، **﴿إنَّهم كَانُوا فِي شكٍّ مُريبٍ(٥٤)﴾** موقع فِي الريبة.

---

١ - لعلَّ الصواب: «سُمِّيَ غيبا».

٢ - فِي الأصل: شطَّب الناسخ عَلَى الصواب: «يَتَكَلَّمُون»، وأثبت الخطأ: «يتكلَّموا».



# سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد للهِ فاطرِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾ مُبدعها، مِنَ الفَطرة بمعنى: الشّقّ، كأنَّه شقَّ العدم بإخراجها مِنْهُ، ﴿جاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسلاً﴾ بينه وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يُبلِّغون إِلَيْهِ رسالاته بالوحي والإلهام، ﴿أُولِي أجنحةٍ، مَثنى وثُلاثَ ورُباعَ﴾ ذوي أجنحة مُتعدِّدة، مُتفاوتة بتفاوت مَا لَهُم مِنَ المراتب، ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون نحو مَا وكَّلهم الله عليه، فيتصرَّفون فِيهِ عَلَى مَا أمرهم بِهِ.

﴿يزيد فِي الخلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ استئناف للدلالة عَلَى أنَّ تفاوتهم فِي ذَلِكَ مُقتضى مشيئته ومُؤدَّى حِكمته، لاَ أمرٌ تستدعيه ذواتهم؛ قيل سأل النبيُّ عليه السلام جبريل أن يتراءى لَهُ فِي صورته، فلَمَّا رآه غشي عليه، فلَمَّا أفاق قَالَ: *«سبحان [الله]، مَا كنت أرى أنَّ شَيْئًا مِنَ الخلق هكذا»*!، فقال جبريل: كيف لو رأيت إسرافيل؟ إنَّ لَهُ اثنا عشر جناحا، منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب»[1]، ﴿إنَّ

---

١ - رواية مسلم فِي كتاب الإيمان: رقم ٢٥٥، وأحمد فِي مسند بني هاشم : رقم ٢٨١٢، تَدُلُّ عَلَى أنَّ لجبريل عليه السلام ستَّ مائة جناح، ولم يُذكَر فيها إسرافيل، إذ جاء فيها (واللفظ

ا لله عَلَى كلِّ شيء قديرٌ(١)﴾ وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض إنَّمَا من جهة الإرادة.

﴿مَا يفتحِ ا للهُ للناس﴾ مَا يطلق لَهُم ويرسلْ ﴿من رحمةٍ﴾ كنعمة وأمن وصِحَّة وعلم ونُبوَّة، ﴿فلا مُمسِكَ لها﴾ يحبسها، ﴿وَمَا يُمسكْ فلا مُرسِلَ لَهُ من بَعدِه﴾ يُطلقه من بعد إمساكه، ﴿وَهُوَ العزيز﴾ الغالب عَلَى مَا يَشَاء، ليس لأحد أن يُنازعه فِيهِ، ﴿الحكيم(٢)﴾ لاَ يفعل إِلاَّ بعلم وإتقان، ثُمَّ لَمَّا بيَّن أنَّه الموجد للملك والملكوت، والمتصرِّف فيهما عَلَى الإطلاق، أمر النَّاس بشكر إنعامه، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الناس اذكروا نعمة ا لله عليكم﴾ احفظوها بمعرفة حَقِّها، والاعتراف بها، وطاعة مولاها؛ ثُمَّ أنكر أن يكون لغيره فِي ذَلِكَ مدخل فيستحوا [٤٨٤] أن يُشرك بِهِ بقوله: ﴿هل مِن خالقٍ غيرُ ا لله﴾ فيكون شيءٌ قد خوَّلكم شَيْئًا مِمَّا مَرَّ، ومن أجلِّ النعم عَلَيْهِم إيجادهم وخلقه إيَّاهم،

=

لأحمد): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: ادْعُ رَبَّكَ، قَالَ: فَدَعَا رَبَّهُ، قَالَ: فَطَلَعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَنْتَشِرُ، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ صَعِقَ فَأَتَاهُ فَنَعَشَهُ وَمَسَحَ الْبُزَاقَ عَنْ شِدْقَيْهِ. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «في صورته». ولفظ الحديث كما ذكره المُصَنِّف أورده الزمخشريُّ فِي تفسيره بزيادات، قال مصحِّحه: «أخرجه ابن المبارك فِي الزهد، والثعلبيُّ من طريقه». الزمخشري: الكشَّاف، ٣/٤٧٠.

ثُمَّ رِزقه إيَّاهم، كما قَالَ: ﴿**يرزقكم مِنَ السَّمَاء والأَرْض لاَ إله إلاَّ هُوَ فأنَّى تُؤفكُونَ(٣)**﴾ فمن أيِّ وجه تُصرَفون عَن التوحيد إِلىَ الإشراك.

﴿**وإن يكذِّبوك فقد كُذِّبت رُسُلٌ من قبلك**﴾ فتأسَّ بهم فيِ الصبر عَلَى تكذيبهم إيَّاهم، ﴿**وإلى ا لله تُرجع الأمور(٤)**﴾ فيجازيك عَلَى الصبر ويجازيهم عَلَى التكذيب.

﴿**يَا أَيُّهَا الناس إنَّ وعدَ ا لله حقٌّ**﴾ لاَ خلف فِيهِ، ﴿**فلا تغرَّنَّكم الحياةُ الدُّنْيَا**﴾ فيذهلكم التَّمَتُّع بها عَن الجواز إِلىَ الآخِرَة، كما قيل: إنَّها قنطرة فاعبروها ولا تعمُروها، ﴿**وَلاَ يغرَّنَّكم با لله الغَرُورُ(٥)**﴾ الشيطانُ، بأن يُمنِّيَكم المغفرةَ مَعَ الإصرار عَلَى المعصية. ﴿**إنَّ الشيطان لكم عدوٌّ**﴾ عداوةً عامَّة قديمة، ﴿**فاتَّخِذوه عدوًّا**﴾ فيِ عقائدكم وأعمالكم وأقوالكم، وكونوا عَلَى حذر مِنْهُ فيِ مجامع أحوالكم، ﴿**إنَّما يدعو حِزبَه ليكونوا من أصحاب السعير(٦)**﴾ تقرير لعداوته وبيانٌ لغرضه فيِ دعوة شيعته إِلىَ اتِّباع الهوى، والركون إِلىَ الدُّنْيَا، (لَعَلَّهُ) فيكبَّهم معه فيِ نار السعير.

﴿**الذِينَ كَفَرُوا لَهُم عذابٌ شديد**﴾ فيِ الدارين، ﴿**وَالذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات لَهُم مَّغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ(٧)**﴾ وعدٌ لمن أجاب دعاءه ووعيد لمن خالفه. ﴿**أفمن زُيِّن لَهُ سوء عمله فرآه حسنا**﴾ بأن غلب همُّه وهواه عَلَى

عقلِه حَتّى انتكس رأيه فصار يقعش[1] عَلَى أمّ رأسه، فظنَّ الباطل حَقًّا والقبيح حسنًا، والعذابَ الشديدَ فِي الدُّنْيَا عذابا حسنا، كمن لم يُزيَّن لَهُ، بَل توقّف، وتأبّى حتّى عرف الحقَّ، واستحسن الحسن، واستقبح القبيح؟ **﴿فإنَّ ا لله يضلُّ من يَشَاء، ويهدي من يَشَاء؛ فلا تذهبْ نفسُك عَلَيْهِم حَسَراتٍ﴾** معناه لاَ تُهلك نفسك عَلَيْهِم للحسرات عَلَى غيِّهم وإصرارهم عَلَى المخالفة، **﴿إنَّ ا لله عليمٌ بِمَا يصنعُونَ(٨)﴾** وعيد وتهديد.

**﴿وا لله الذِي أرسَلَ الرياح فتُثِيرُ سحابا﴾** عَلَى حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالَّة عَلَى كمال الحكمة، **﴿فسقناه إِلَى بلد مَيِّتٍ، فأحيينا بِهِ الأَرْض بعدَ موتها كذلك النشور(٩)﴾** أي مثل: إحياء الأموات نشورُ الأموات فِي صِحَّة المقدور بِهِ.

**﴿من كَانَ يريد العزَّة﴾** الشرفَ والمنعة، **﴿فللّهِ العزَّة جميعا﴾** فيطلبها من عنده بطاعته وترك معصيته، فإنَّ فِيهِ الجاه الحقيقيَّ والمنعة التِي لاَ تُرام، **﴿إِلَيْهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ، والعملُ الصالح يَرفعه﴾** بيان لِمَا يطلب بِهِ العزَّة وَهُوَ التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إِلَيْهِ مجاز عن قبوله إيَّاهُما؛ والكلام الطيِّب يتناول الذكر، **﴿وَالذِينَ يمكُرون السَّيِّئَات﴾** أي: يخفونها وَهُوَ الرياء، **﴿لَهُم عذابٌ شديدٌ﴾** (لَعَلَّهُ) وَهُوَ مكرهم السيِّئات فِي الدُّنْيَا،

---

[1] - فِي اللسان: «قعش الشَّيْء قعْشا: عطفه... وانقعش الحائط إذا انقلع». ابن منظور: لسان العرب، ج٥/ ص١٣٠، مَادَّة «قعش».

والجزاء عليه فِي [٤٨٥] العقبى، **﴿ومكر أولَـئِكَ هُوَ يَبُور(١٠)﴾** يفسد وَلاَ ينفذ، وَلاَ يصعد كالعمل الصالح.

**﴿وَا للهُ خلقكم مِّن تراب، ثُمَّ من نُطفةٍ، ثُمَّ جعلكم أزواجا، وَمَا تحمِلُ من أنثى وَلاَ تضع إِلاَّ بعلمه، وَمَا يُعمَّر من مُعمَّر وَلاَ يُنقص من عُمُرِه﴾** من عمر المعمَّر **﴿إِلاَّ فِي كِتَاب﴾** هُوَ علم ا للهِ أو اللوح، **﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ا للهِ يسيرٌ(١١)﴾**.

**﴿وَمَا يستوي البحرانِ هَـذَا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه، وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾** ضَربَ مَثَلٌ للمؤمن والكافر؛ والفرات: الذِي يكسر العطش، والسائغ: الذِي يسهل انحداره، والأجاج الذِي يحرق بملوحته، **﴿ومن كلٍّ تأكلون لحما طريًّا، وتستخرجون حِليَة تَلبَسونها﴾** استطراد فِي صفة البحرين، وَمَا فيهما مِنَ النعم، أو تمام التمثيل؛ والمعنى: كما أنَّهما وإن اشتركا فِي بعض الفوائد لاَ يتساويان من حيث إنَّهما لاَ يتساويان فيما هُوَ المقصود بالذَّات مِنَ الماء، فإنَّه إن خالطه أحدهما ماء أفسده وغيره عَن كمال فطرته، فكذا لاَ يساوي المؤمن والكافر ـ وإن اتَّفق اشتراكهما فِي بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ـ لاختلافهما فيما هُوَ الخاصَّة العظمَى، وبقاء أحدهما عَلَى الفطرة الأصلية دُون الآخر؛ **﴿وترى الفُلْك فِيهِ مَوَاخِرَ﴾** تشقُّ الماء بجريها، **﴿لتبتغوا من فضله، ولعلَّكم تشكرُونَ(١٢)﴾** عَلَى ذَلِكَ.

﴿يُولِج اللَّيْل فِي النَّهَارِ، ويُولِجُ النَّهَار فِي اللَّيْل، وسخَّر الشمسَ والقمرَ كُلٌّ يجري لأجلٍ مُسمًّى﴾ هِيَ مُدَّة دورة، أو مُنتهاه، أو إلَى[1] يوم القيامة، ﴿ذلكم ا لله رَبُّكُم لَهُ الملك﴾ الإشارة إِلَى [أَنَّ] الفاعل لهذه الأشياء مُستحقٌّ للإلهية دون غيره، بدليل قوله: ﴿وَالذِينَ تَدعون من دونه مَا يملكون من قطمير(١٣)﴾ للدلالة عَلَى تفرُّده بالألوهيَّة والربوبيَّة، والقطمير: لُفافة النوَاة. ﴿إن تدعوهم لاَ يسمعوا دعاءَكم، ولو سمِعوا مَا استجابوا لكم﴾ لعدم قُدرتهم عَلَى الإنفاع، ﴿ويوم القيامة يكفرون بشركِكم﴾ لَهُم ويقرُّون[2] ببطلانه، أو يقولون: «ما كنتم إيَّانا تعبدون»، ﴿وَلاَ ينبِّئك مِثلُ خبيرٍ(١٤)﴾ وَلاَ يخبرك بأمر مُخبَرٍ مثلٌ خبير بِهِ أخبرك، وَهُوَ ا لله تعالى، فإنَّه الخبير به عَلَى الحقيقة دون سائر المخبرين، وَالمُرَاد تحقيق مَا أخبره من حال آلهتهم، ونفي مَا يَدعون لَهُم.

﴿يَا أَيُّهَا الناس أنتُم الفقراء إِلَى ا لله﴾ فِي أنفسكم وَمَا يعنُّ لكم؛ وتعريف الفقراء للمبالغة فِي فقرهم، فإنَّهم لشدَّة افتقارهم وكثرة احتياجهم هُمُ الفقراء، أو أنَّ افتقار سائر الخلائق بالإضافة إِلَى فقرهم غير مُعتدٍّ بِهِ، ولذلك قَالَ: ﴿وخُلق الإنسان ضعيفا﴾[3]، ﴿وا لله هُوَ الغنيُّ

١ - في الأصل: «إلى أو».

٢ - في الأصل: «لهم يتقرون».

٣ - سورة النساء: ٢٨.

**الحميد(١٥)**[1]﴾ الغنيُّ عَلَى الإطـلاق، المنعـم عَلَى سـائر الموجـودات حتَّـى استحقَّ عَلَيْهِمُ الحمد.

﴿**إن يشأْ يُذهِبْكم ويأتِ بخلقٍ جديد(١٦)**﴾ بقوم آخرين أطـوع منكـم، أو بعالم آخر غير مَا تعرفونه. ﴿**وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بعزيزٍ(١٧)**﴾ بمتعذّرٍ وَلاَ متعسِّر.

﴿**وَلاَ تَزرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ وَلاَ تحمل نفس آثِمةٌ إثـم نفـس أُخْـرَى؛ وَأَمَّا قوله: ﴿وليحملُنَّ أثقالَهم وأثقالاً مَعَ أثـقالهم﴾[2] ففي الضالِّين المضِلِّين، فإنَّـهم يحملون أثقال [٤٨٦] إضلالهم، وكـلُّ ذَلِـكَ أوزارهـم ليـس فِيهَـا مـن أوزار غيرهم، ﴿**وإن تدع مُثقلـة**﴾ نفـس أثقلَهـا مَـا حملتـه مِـنَ الأوزار ﴿**إِلَى حملِها**﴾ إِلَى حمل بعض أوزارهـا، ﴿**لاَ يُحمـلْ مِنـْهُ شـيءٌ**﴾ لم تُجَـب لحمـل شيء مِنْهُ، نفى أن يُحمل عنها ذنبها، كما نفى أن يُحمل عليها ذنب غيرهـا، وثقل هَذَا الحمل لاَ تحسُّ بِهِ النفوس الغافلـة فِي الحياة الدُّنْـيَا، بَـل يَـتـميـَّز بمعرفته ذوو الألباب فِي الدُّنْـيَا، وفِي الآخِرَة تنكشف حقيقته للجميـع، ﴿**ولـو كَانَ ذا قُربَـى**﴾ ولو كَانَ المدعو ذَا قرابتِـها.

﴿**إنَّـما تُنذرُ الذِينَ يَخْشَوْنَ ربَّـهم بالغيب**﴾ لاَ يرون حقائق الغيب بعين اليقين، بَل يرونَه بعلمِ اليقين، وحين مَـا يُـرى بعـين اليقـين لاَ ينفـع الإيمان فِي ذَلِكَ الحين، لأَنَّ التعبُّد قد ارتفع ووجب جزاؤه. ﴿**وأقاموا الصـلاة**﴾ فإنـَّـهم

١ - في الأصل: - «الحميد»، وهو سهو.

٢ - سورة العنكبوت: ١٣.

المتفعون بالإنذار لاَ غـير، ﴿ومـن تزكّـى﴾ تطهَّـر مـن طبـاع نفسـه الأمَّـارة بالسوء، ﴿فإنَّـما يتــزكّى لنفسـه﴾ إذ نفعـه لهـا، ﴿وإلى ا لله المصـير(١٨)﴾ فيجازي الجميع.

﴿وَمَا يستوي الأعمى والبصيرُ(١٩)﴾ الكافر والمؤمن، وقيـل الشـيطان وَا للهُ أعلم. ﴿وَلاَ الظلماتُ وَلاَ النورُ(٢٠)﴾ ولا الباطل و[لا] الحـَقُّ ﴿وَلاَ الظّلُّ وَلاَ الحَرور(٢١)﴾ وَلاَ الثواب وَلاَ العقـاب. ﴿وَمَـا يسـتوي الأحيـاء وَلاَ الأمواتُ﴾ لاَ يستوي العلماء وَلاَ الجهلاء، ﴿إنَّ ا لله يُسمِعُ من يَشَــاء﴾ هدايته، فَنُـوفِّــقه لفهم آياته والاتِّعاظ بعظاته، ﴿وَمَا أنـت بِمُسـمعٍ مـن في القبور(٢٢)﴾ ترشيح لتمثيل المصرِّين عَلَـى الكفـر بـالأموات. ﴿إن أنـت إلاَّ نذير(٢٣)﴾ فما عليك إلاَّ الإنذار، وَأَمَّا القبــول فليـس إليـك ولاحيلـة لـك إِلَيْـهِ فِي المطبوع عَلَى قلوبهم.

﴿إنَّا أرسـلناك بِالْحـَقِّ بشـيرا ونذيـرا﴾ محقِّـين، أو مُحقـًّا، أو إرسـالا مصحوبا بِالْحـَقِّ، أو نذيرا بالوعيد الحقِّ، ﴿وإن من أُمَّـة﴾ أهـل عصـر، ﴿إلاَّ خلاَ فِيهَا نذيـرٌ(٢٤)﴾ مـن نـبيٍّ أو عـا لم يُنـذر عَنْـهُ. ﴿وإن يكذِّبـوك فقـد كَذَّب الذِينَ من قبلهم جاءتهم رسلُهم بالبَـيِّـنَاتِ﴾ بالمعجزات الشاهدة عَلَى نُبوَّتهم، ﴿وبالزبر وبالكتاب المنير(٢٥) ثُمَّ أخذتُ الذِينَ كَفَرُوا فكيف كَانَ نكيرِ(٢٦)﴾؟ أي: إنكاري بالعقوبة.

﴿ألم تـر أنَّ ا لله أنـزَل مِـنَ السَّمَـاء مـاءً، فأخرجنـا بـهِ ثمرات مختلِفــا ألوانُـها﴾ أجناسها وأصنافها، ﴿ومـن الجبـال جُـدَدٌ بيـضٌ﴾ أي: ذو جُـدد،

أي: خططٍ وطرائق، ﴿**وحُمْرٌ مختلِفٌ ألوانها**﴾ بالشدَّة والضعف، ﴿**وغرابيبُ سودٌ(٢٧)**﴾ عطف عَلَى «بيض»، أو عَلَى «جدد». ﴿**ومن الناس والدوابِّ والأنعامِ مختلفٌ ألوانُه كَذَلِكَ**﴾ كاختلاف الثمار، والجبـال، ﴿**إنـَّما يخشـى ا لله من عباده العلماءُ**﴾ إذ شَـرطُ الخشية: معرفـة المخشـيِّ، والعلـم بصفاتـه وأفعاله، فمن كَانَ أعلم بِهِ كَانَ أخشى مِنـْهُ؛ وكذلك قيل: «كفى بالمرء عالما أن يخشى ا لله، وكفى بالمرء جهــلا أن يُعجـب بعملـه»، ولذلـك قَـالَ الـﷺ: *«إنِّـي أخشاكـم ا لله وأتقاكـم لَهُ»*[1]، ولذلـك أتبعـه ذكـر أفعالـه الـدالَّ عَلَـى كمال قُدرته فقال: ﴿**إنَّ ا لله عزيز غَفُور(٢٨)**﴾ تعليل لجواب الخشية الدالـَّة عَلَى أنـَّه [٤٨٧] مُعاقب للمصرِّ عَلَى طغيانه، غَفُور للتائب عَن عصيانه.

﴿**إنَّ الذِينَ يتلون كِتَاب ا لله**﴾ يداومـون قراءتـه بمتابعـة مَـا فِيـهِ، حتَّـى صارت سِمَة لَهُم وغفرانا[2]، ﴿**وأقاموا الصلاة وأنفقـوا مِمَّـا رزقنـاهم سـرًّا وعلانـيَّة**﴾ كيفـ[ـما] اتَّفق، ﴿**يرجون تجارة**﴾ تحصيل أبـواب الطاعـة، ﴿**لـن**

---

١ - لم نعثر عليه بهذا اللفظ. وفي صحيح مسلم، كتاب الصيام: ١٨٦٨ عَنْ عَائِشَـةَ رَضِـي ا للهُ عَنْهَا: «...وَا للهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ للهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي». ونحوه في أحمـد: باقي مسند الأنصار، رقم ٢٣٢٤٩، ٢٤٠٦٩، ٢٤٨٨٩. مالك: الموطـَّأ، كتـاب الصيـام، رقم ٥٦٤. وبلفـظ: «وَأَحْفَظَكُـمْ لِحُدُودِهِ»، عنـد أحمـد، في بـاقي مسـند الأنصـار، رقـم ٢٤٧٠٦. وعند أبي داود: كتـاب الصوم رقـم ٢٠٤١، بلفـظ: «وَأَعْلَمَكُـمْ بِمَـا أَتـَّبِعُ». العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أخشاكم لله».

٢ - الأصوب: «عنوانا»، كما فِي تفسير أبي السعود، مج٤/ ج٧/ ص١٥٢.

**تـَبور(٢٩)﴾** لـن تكسـد، ولـن تهلـك بالخسـران، صفـة للتجـارة، وقولــه: **﴿ليُوفـِّيهم أجورَهم﴾** أي: ينتفي عنها الكساد، وتنفـق عنـد ا لله ليوفيهـم[1] أجورَ أعمالهم، **﴿ويزيدَهم من فضله﴾** عَلَى مَا يقابل أعمالهم، **﴿إِنَّهُ غَفُور﴾** لصغائرهم، **﴿شكور(٣٠)﴾** لطاعتهم.

**﴿والذي أوحينا إليك مِنَ الكتاب﴾** يعني القـرآن، **﴿هُـوَ الحـقُّ مُصدِّقـا لِمَا بين يديه﴾** أحقَّه مصدِّقا لِمَا تقدَّمه مِنَ الكتب السـماويَّة، حـال مؤكـِّدة، لأَنَّ حقيقتـه تسـتلزم موافقتـه إيـَّاها فِي العقـائد وأصـول الأحكـام، **﴿إنَّ ا لله بعباده لَخَبيرٌ بصيرٌ(٣١)﴾** عالم بالبواطن والظواهر، فلو كَانَ فِي أحوالـك مَـا ينافِي النبوَّة لم يوح إليك مثل هَذَا الكتاب المعجز الذِي هُـوَ عـيار عَلَـى سـائر الكتب؛ وتقديم الخبرة للدلالة عَلَى أنَّ العمدةَ فِي ذَلِكَ الأمورُ الروحانيـَّة.

وروى لَنَـا أبو سعيد أنـَّه يوجـد فِي تفيسـر قـول ا لله عـزَّ وجـلَّ: **﴿ثـُـمَّ أورثنا الكتابَ الذِينَ اصطفينا من عبادنا﴾** قَالَ أبو سعيد: «فماكَانَ مـيراثهم لَهُ بملك وَلاَ باستزادته دون غيرهم، ولكن إِنـَّمَا ورَّثهم ا لله تبارك وتعـالى مِـنَ الكتاب أو مِنَ أحكام الكتب أن جعلهم حُجَّة لَهُ، وأعيانا فِي الأَرْض، شـهودا وقواما، وأدلَّة، وحجَّة لمن تبعهم، وعلى من اتـَّبعهم، ولمن طـاعهم وعلـى مـن أطاعهم، كما جعل النبيِّـين والرسل حجَّـة وشـهودا وأدلَّـة، وَإِلاَّ فمـا ورثـوا

١ - في الأصل: + «نفاقها»، و لم يَتـَّضِح لنا معناها فِي هَذَا السياق، لأنَّ الفاعل إِنـَّمَا هـو ا لله، فلا يقال: «ليوفـِّيَهم نَفاقـُها أجورَ أعمالهم»، وَا لله أعلم.

مِنْهُ وَمَا جعلوا ورثَة فِي شيءٍ مِنْـهُ مُلكـا؛ ومـن شـواهد ذَلِكَ قولـه: ﴿وقـل اعملـوا فسـيرى ا لله عملَكـم ورسـولُه﴾[1]، ﴿**فمنهـم ظـالِمٌ لنفسـه، ومنهـم مُقتصدٌ، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذنِ ا لله**﴾ فأحسب أنَّ فِي بعض مَـا قيـل فِي التأويل أنَّ الظا لم لنفسـه مِنـْهُم: الـذِي يرتكـب الذنـوب والمعـاصي ويتـوب، ويطلب المعاش من أمور الدُّنْـيَا من وجـوه الحـلال، والمقتصـد الـذِي لاَ يـأتي شَيـْئًا مِنَ المعاصي إلاَّ أنـَّه يتعـرَّض بالشـيء فِي الدُّنْـيَا للمعـاش، والسـابقون بالخيرات: الزهَّاد والعبَّـاد المنقطعـون إِلىَ ا لله، الذِيـنَ لا يتعرَّضـون لشـيء مِـنَ المعاش من أمـور الدُّنْـيَا، والأحبـار معهـم أنـَّهم العلمـاء؛ وَأَمـَّا الربـَّانيـُّون فعندي أنـَّهم فوق الأحبار معي فِي العلم، وَهُوَ اسم العلمـاء» انتهـى. ﴿**ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير(٣٢)**﴾ الإشارة إِلىَ التوريث أو الاصطفاء أو السبق.

﴿**جنَّاتُ عدن يدخلونها يُحَلَّون فِيهَا من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤا ولباسُـهم فِيهَا حريرٌ(٣٣) وَقَالُوا: الحمد لله الذِي أذهبَ عنَّا الحَزَنَ**﴾ هَمَّهم من خوف العاقبة، أو من أجـل المعـاش وآفاتـه، أو مـن وسوسـة إبليـس، ﴿**إنَّ رَبـَّنَـا لغفـورٌ شكور(٣٤) الذِي أحلَّنـا دار المـُقامةِ مـن فضلـه، لاَ يَمَسـُّنا فِيهَـا نَصَـبٌ وَلاَ يَمَسُّنا فِيهَا لُغُوب(٣٥)**﴾ كلال إذ لاَ تكليف [٤٨٨] فِيهَا وَلاَ كدَّ.

﴿**وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُم نارُ جَهَنـَّم لاَ يُقضَى عليهم**﴾ لاَ يُحكـم عَـلَيْـهِـم بموت ﴿**فيموتوا**﴾ فيستريحوا، ﴿**وَلاَ يُخفَّف عَنـْـهُم مِّـنْ عذابهـا**﴾ وَلاَ يـأتي

---

١ - سورة التوبة: ١٠٥.

عَلَيْهِم حال فيُخفَّف عَنْهُم، بَل خالدين فِيهَا أبدا، ﴿**كذلك نجزي كُلَّ كَفور(٣٦) وَهُم يَصطَرِخون فِيهَا**﴾ يستغيثون، يفتعلون، مِنَ الصراخ: وَهُوَ الصياح، استعمل فِي الاستغاثة لجهد المستغيث صوته. ﴿**رَبَّنَا أخرجنا نعمل صالحا غير الذِي كُنَّا نعملُ**﴾ بإضمار القول؛ وتقييدُ العمل الصالح بالوصف المذكور، للتحسُّر عَلَى مَا عملوه من غير الصالح، والاعتراف بِهِ، والإشعار بأنَّ استخراجهم لتلافيه، ولعلَّهم كَانُوا يحسبون أنَّه صالح، والآن حقَّق لهم خلافه؛ ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكم مَّا يتذَكَّر فِيهِ من تذكَّر، وجاءكم النذير**﴾ جواب مِنَ الله وتوبيخ لَهُم، ﴿وَمَا يتذكَّر فِيهِ من تذكَّر﴾ متناول كلَّ عمر يمكن المكلَّف فِيهِ مِنَ التفكُّر والتذكُّر، كأنَّه قيل: عمَّرناكم وجاءكم النذير، وَهُوَ النبيُّ، أو الكتاب، أو العقل، أو الشيب، أو موت الأقارب؛ وقيل: عشر سنين؛ وقيل اثنتي عشرة سنة؛ وقيل ثماني عشرة؛ وقيل عشرين سنة، والمعنى هنا: قيام الحجَّة عَلَى المرء بكمال عقله وبلوغ سنِّه، فإذا بلغ سنًّا، وكمل عقلا فذلك العمر الذِي تقوم عليه فِيهِ الحجَّة، ولو عصى الله بعد ذَلِكَ طرفة عين و لم يعمِّر غيرها ثُمَّ مات عَلَى ذَلِكَ كَانَ مقطوع العذر، هالكًا[1] بمعصيته بعد بلوغ سنِّه، وكمال عقله، شاب أو لم يشب؛ فصحَّ معنا هَذَا القول هُوَ أصحُّ الأقوال مِنَ التأويل، ﴿**فذوقوا فما للظالمين من نَّصيرٍ(٣٧)**﴾ يدفع العذاب عَنْهُم.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «هالك»، وَهُوَ خطأ من الناسخ.

﴿**إنَّ ا لله عالِمُ غيبِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ**﴾ لاَ تخفى عليه خافية، فلا تخفى عليه أحوالهم. ﴿**إنَّهُ عليمٌ بذَاتِ الصدورِ(٣٨)**﴾ تعليل لَهُ، لأَنَّهُ إذَا علم مضمرات الصدور ـ وهي أخفى مَا يكون ـ كَانَ عالما لغيره. و﴿**هُوَ الذِي جعلكم خلائف**[1] **فِي الأَرْضِ**﴾ ملقي إليكم مقاليد التصرُّف فِيهَا، فينظر كيف تَعْلَمُونَ، وذلك يتناول كلَّ متعبّد فيما هُوَ مُستخلَف فِيهِ، كما قَالَ عليه السلام: «*ألا وكُلُّكم راع وكُلُّكم مسؤول عَن رعيَّته*»[2]، ﴿**فمن كفر**﴾ فيما هُوَ مستخلف فِيهِ ﴿**فعليه كفرُه**﴾ جزاء كفره؛ ﴿**وَلاَ يزيد الْكَافِرِينَ كُفرُهم عند ربِّهم إلاَّ مقتًا**﴾ بغضا، ﴿**وَلاَ يزيد الْكَافِرِينَ كُفرُهم إلاَّ خَسَارا(٣٩)**﴾ بيانٌ لَهُ، والتكرير للدلالة عَلَى أنَّ اقتضاء الكفر لِكُلِّ وَاحِد مِنَ الأمرين مستقلٌّ باقتضاء قبحه ووجوب التجنُّب عَنْهُ.

﴿**قل أرأيتم شركاءكم الذِينَ تدعون من دون ا لله**﴾ يعني آلهتهم؛ والإضافة إِلَيْهِم إنَّهم جعلوهم شركاء لله، أو لأنفسهم فيما يملكونه، ﴿**أروني ماذا خَلَقوا مِنَ الأَرْضِ**﴾؟ أي: أخبروني عَن هؤلاء الشركاء، أروني

---

١- في الأصل: - «خلائف»، وَهُوَ سهو.

٢ - البخاري: فِي كتاب الجمعة، رقم ٨٤٤، كتاب الاستقراض وأداء الديون، رقم ٢٢٣٢. كتاب العتق، رقم ٢٣٦٨، ٢٣٧١. كتاب الوصايا، رقم ٢٥٤٦. وكذا في كتاب النكاح والأحكام. ورواه مسلم في كتاب الإمارة. والترمذيُّ في كتاب الجهاد، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة. وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «كلكم راع».

أيَّ جزء مِنَ الأَرْض استبدُّوا بخلقه؛ ﴿أم لَهُم شِرْكٌ فِي السَّمَاوَات﴾؟ أم لَهُم شركة مع الله فِي خلق السماوات فاستحقُّوا بذلك شركه فِي الألوهيَّة ذاتيَّة؟. ﴿أم آتيناهم كِتَابًا﴾ ينطق عَلَى أنَّا [٤٨٩] اتَّخذناهم شركاء، ﴿فَهُم عَلَى بيِّنة مِنْهُ﴾ على حجَّة من ذَلِكَ الكتاب بأنَّ لَهُم شركة جَعليَّة، ﴿بَل إِنْ يَعِدُ﴾ أي ما يَعِدُ ﴿الظالمون بعضُهم بعضا إلاَّ غُرورا(٤٠)﴾ لـمَّا نفى أنواع الحجج فِي ذَلِكَ أضرب عَنْهُ بذكر مَا حملهم عليه، وَهُوَ تقرير الأسلاف للأخلاف، والرؤساء للأتباع بأنَّهم شفعاء عند الله يشفعون بالتقرُّب إِلَيْهِم.

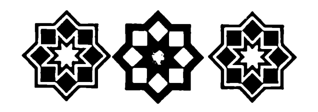
﴿إنَّ الله يمسك السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ أن تَزُولا، ولَئِن زَالَتَا إن أَمْسَكَهما﴾ مَا أمسكهما ﴿مِن أَحَدٍ من بعدِهِ إنَّهُ[1] كَانَ حليما غَفُورا(٤١) وأقسَموا بالله جَهْدَ أَيْمانِهم لَئِن جاءَهم نذيرٌ لَيَكُونُنَّ أهدَى من إحدَى الأمم؛ فَلَمَّا جاءهم نذيرٌ مَا زادَهم﴾ أي النذير ﴿إلاَّ نُفورا(٤٢)﴾ تباعدا عَن الحقِّ. ﴿استكبارًا فِي الأَرْض، ومَكرَ السيِّئِ، وَلاَ يَحِيقُ﴾ أو لا يحيط ﴿المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهله. فهل يَنظُرون﴾ ينتظرون ﴿إلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلين﴾؟ سنة الله فِيهِم وَهُوَ هلاكهم، ﴿فلن تجد لسُنَّة الله تبديلا، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلا(٤٣)﴾.

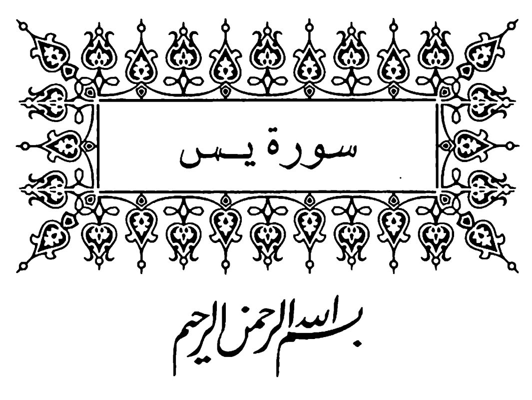
﴿أولم يسيروا فِي الأَرْض فينظروا كيف كَانَ عاقبة الذِينَ من قبلهم﴾؟ استشهاد عليه بِمَا يشاهدونه فِي مسائرهم فِي الأَرْض من آثار الماضين،

[1] - في الأصل: «إنَّ الله»، وهو خطأ.

﴿وكَانُوا أشدَّ مِنـهُم قوَّة، وَمَا كَانَ ا لله لِيُعجزَه من شيءٍ﴾ ليفوته ويسـبقه، ﴿فِي السَّـمَاوَات وَلاَ فِي الأَرْض، إِنـَّهُ كَـانَ عليمـا﴾ بالأشـياء كلّهـا، ﴿قديرا(٤٤)﴾ عليها.

﴿ولو يُؤاخِذ ا لله الناسَ بِمَـا كَسَبوا﴾ مِـنَ المعـاصي، ﴿مَا تَـرَكَ عَلَـى ظَهْرِها من دَابـَّة﴾ من نَسَمة تدبُّ عليها بشؤم معاصيهم؛ وفيه دليل أنَّ جميـع مَا خلق فِي الأَرْض منافع لَهُـم؛ وقيـل المـراد بالدابـَّة: الإنـس وحـده، لقولـه: ﴿ولكن يؤخّرهم إِلَى أجلٍ مسمًّى﴾ هُوَ انقضاء آجالهم، ﴿فإِذا جـاء أجلهـم فإنَّ ا لله كَانَ بعباده بصيرا(٤٥)﴾ فيجازيهم عَلَى أعمالهم.





# سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس(١) والقرآنِ الحكيم(٢) إنـَّكَ لَمِن المرسَلِينَ(٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٤)﴾ لَمِن الذِينَ أُرسِلوا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، وَهُوَ: التوحيد والاستقامَة فِي الأمور؛ وفائدته: وصفُ الشرعِ بالاستقامة صريحـًا. ﴿تَنزِيلَ العزيز الرحيمِ(٥) لِتُنذِر قومًا مَّا أُنذِر آباؤُهم﴾ أي: مثل مَا أُنذِر آباؤهم، ﴿فَهُم غافِلُونَ(٦)﴾ عَن الإنذار والإيمان بالرُّسُل. ﴿لَقَد حقَّ القولُ عَلَى أكثرِهم فَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ(٧)﴾ لأَنـَّهُم مِمَّن علم أنـَّهم لاَ يُؤْمِنُونَ.

﴿إنـَّا جَعلنا في[1] أعناقِهم أغلالا﴾ تقرير لتصميمهم عَلَى الكفر، والطبع عَلَى قلوبهم بحيث لاَ تُغني الآيات والنُّذُر، [بـ]تَمثيلهم بالذين غُلَّت أعناقهم. ﴿فهي إِلَى الأذقانِ﴾ أي: فالأغلالُ[2]، وأصله: إلى أذقانهم، فلا تخلِّيهم يطأطئون رؤوسهم غاضُّون أبصارهم، في أَنـَّهُمْ لا يلتفتون لفت الحَقِّ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له، ﴿فَهُم مُقمحُونَ(٨)

١- في الأصل: «على» وهو خطأ من الناسخ.

٢ - فِي الأَصْلِ: «﴿فهي إِلَى الأذقانِ﴾ فأغلال»، وصحَّحناه من تفسير أبي السعود، مج٤/ ج٧/ ص١٦٠.

**وجَعَلنـا مِـن بَـين أيديهـم سَـدًّا ومِـن خَلفِهِـم سَـدًّا، فأغشَـيناهم فَهُـم لاَ يُبصِرُونَ(٩)﴾** بِمَن[1] أحاط بِهِم سَدَّانِ، فَغطَّى أبصـارهم بحيـث لاَ يُبصِـرون قُدَّامهم وَوَرَاءهم فِي أنـَّهم مَحبُوسُون [٤٩٠] فِي مطمورة الجهالـة، مَمنُوعـون عَن النظر فِي الآيات والدلائِل.

**﴿وسواءٌ عَلَيْهِـم أأَنذَرتَهُم أم لَم تُنذِرهُم لاَ يُؤمِنُونَ(١٠) إنـَّما تُنـذِرُ﴾** إنذارا تَـتَرتَّب عليه البغيَة الـمَرُومَة، **﴿مَن اتَّبع الذكرَ﴾** أي: القـرآن بالتـأمُّل فِيهِ، والعمل بِـهِ، **﴿وخَشِيَ الرَّحــمَنَ بـالغيبِ﴾** وخـافَ عِقابَـه قَبـل حُلولِـه ومُعايـَنَة أهوالـه، أو فِي سُنـَّتِه، وَلاَ يَغتـرُّ برحــمَته، فإنــَّه كمـا هُــوَ رحمــن بِالـمُؤمِنين، مُنتَقِمٌ قاهرٌ للعاصين، **﴿فبَشِّرهُ بـمَغفِرةٍ وأجرٍ كريمٍ(١١)﴾**.

**﴿إنـَّا نَحنُ نُحيِي الـمَوتَى﴾** الأمـوات بـالبعث، أو الجـُهَّال بالهدايـة. **﴿ونَكتُب مَا قدَّموا﴾** مَا أسلفوا مِنَ الأعمال الصالحة والطالحة، **﴿وآثـارَهم﴾** مَا أثـَرُوه مِنَ الحقِّ والبـاطل، **﴿وكـلَّ شَـيءٍ أحصينـَاه فِي إمَامٍ مُّبِينٍ(١٢)﴾** يَعنِي اللَّوح المـَحفُوظ.

**﴿واضربْ لَهُم﴾** ومَثِّل لَهُم **﴿مَثَلاً أصحابَ القريَة﴾** أي: واجعـل لَهُـم مثلاً أصحاب القرية مثلاً[2]، **﴿إذْ جَاءَها المـُرسَلُونَ(١٣) إذْ أرسلنَا إلَـيْهِم اثنَـينِ فكذَّبـُوهُما، فَعزَّزنـَا﴾** فقوَّيـنَا **﴿بِثـالِثٍ، فَقَـالُوا: إنـَّا إلَيكُـم مُّرسَلُونَ(١٤) قَالُوا: مَا أنتُم إلاَّ بَشَـرٌ مِّثـلُنا﴾** لاَ مَزِيَّة لكـم علَينـا تَقتَضِـي

---

١ - لَعَلَّ الصواب: «كمن».

٢ - تكرار كلمة «مثلا»، والصواب: حذف إحداهما.

اختصاصكم بمَا تَدَّعُون، ﴿**وَمَا أنزَلَ الرَّحمنُ مِن شَيءٍ، إن أنتُم إلاَّ تَكْذِبُونَ(١٥)؛ قَالُوا: رَبُّنَا يَعلَم إنَّا إليكم لَمُرسَلُونَ(١٦) وَمَا عَلينَا إلاَّ البلاغُ المُبينُ(١٧)**﴾ الظاهر البيِّن بالآيات الشاهدة.

﴿**قَالُوا: إنَّا تَطيَّرنَا بكُم**﴾ تَشَاءَمْنا بِكُم، ﴿**لَئِن لَّم تَنتَهُوا لَنَرجُمَنَّكم وليَمَسَّنَّكم مِّنَّا عذابٌ أليمٌ(١٨) قَالُوا: طَائِرُكم مَّعَكُم**﴾ سبَبَ شُؤمِكم مَعَكم، وَهُوَ سُوء عَقِيدَتِكم وأعمَالكم. ﴿**أئِن ذُكِّرتُم، بَل أَنتُم قَومٌ مُّسرِفُونَ(١٩)**﴾ عادتكم الإسراف فِي أموركم.

﴿**وجاء مِن أقصَى المَدينَة رَجُلٌ يَسعَى، قَالَ: يَا قَومِ اتَّبِعُوا المُرسَلِينَ(٢٠) اتَّبعوا مَن لاَ يَسألُكم أجرًا**﴾ عَلَى النُّصح وتَبلِيغ الرسالة ﴿**وَهُم مُّهتدُونَ(٢١)**﴾ إلَى خير الدارين، (لَعَلَّهُ) وَهَذَا سنٌّ سنَّة حسنة لجميع من دعا إلى طاعة، أو نهى عن معصية.

﴿**وَمَا لي لاَ أعبُدُ الذِي فَطَرَني، وَإلَيْهِ تُرجَعُونَ(٢٢)**﴾؟ تلطُّف فِي الإرشادِ، بإيرَادِه فِي معرض المُناصَحَة لِنفسِه، وإمحَاضِ النُّصح، حيثُ أَرَادَ لَهُم مَا أَرَادَ لها، والمُراد: تَقريعُهم عَلَى تَركِ عِبادة خَالِقِهم إلَى عِبادَة غيره، ولذلك قَالَ: ﴿**أأَتَّخِذُ مِن دُونِه آلهة؟! إنْ يُرِدنِي الرحمَنُ بضُرٍّ لاَّ تُغنِي عنِّي شفاعتُهم شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ(٢٣)**﴾ بالنَّصر والمظاهرة. ﴿**إنِّي إذًا لَفِي ضَلالٍ مُّبينٍ(٢٤)**﴾، فإنَّ إيثَار مَا لاَ يَنفَعُ وَلاَ يَدفَع ضُرًّا بوجهٍ عَلَى الخالق المقتدر عَلَى النفعِ، ودفعِ الضُّرِّ وإنزاله[1] ضلالٌ بَيِّن لاَ يخفى عَلَى عاقل.

١ - فِي الأَصْلِ: «واسراله»، ولا مَعْنَى له.

﴿**إنّي آمنتُ بِربّكُم فاسمَعُونِ(٢٥)**﴾ فاسمعوا إيمَانِي. ﴿**قِيلَ: ادخُل الجنَّةَ**﴾ قيل لَهُ (لَعَلَّهُ) بعد الموت، إذنًا فِي دُخُولِها كسائِر الشُّهداء؛ ﴿**قَالَ: يَا لَيتَ قَومِي يَعْلَمُونَ(٢٦)**﴾ وقتَ التعبُّد، فإنَّ العلم بعد ارتفاعه لاَ يَنفَعُ، ﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وجَعَلَنِي مِنَ المُكرَمِينَ(٢٧)**﴾ وإنَّما تمَنّى عِلمَ قَومِه بحالِهِ لِيَحمِلَهم عَلَى اكتساب مِثلِها بالتوبَة عَن الكفرِ، والدخول فِي الإيمان والطَّاعة عَلَى آدَاب الأولياء فِي كظمِ الغَيظِ؛ أو لِيَعلَموا [٤٩١] أنَّهم كَانُوا عَلَى خَطَإٍ عظيم فِي أمره، وأنَّهُ كَانَ عَلَى حقٍّ.

﴿**وَمَا أنزَلنَا عَلَى قَومِه مِن بَعدِه**﴾ من بعد إهلاكه ﴿**مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاء**﴾ لإهلاكهم، ﴿**وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ(٢٨) إن كَانَت**﴾ الأخذة والعقوبة ﴿**إلاَّ صَيحَةً وَاحِدَةً**﴾ صاح بها جبريل عَلَى مَا قيل، ﴿**فَإذا هُم خَامدُونَ(٢٩)**﴾ مَيِّتُون، شُبِّهوا بِالنَّار رَمزًا إِلَى أنَّ الحيَّ كالنار الساطع، والمَيِّتَ كَرَمادها.

﴿**يَا حَسرَةً عَلَى العبَاد**﴾ تَعَالَيْ، فهذه مِنَ الأحوال التِي مِن حقّها[1] أن تَحضُرِي، وهي مَا دلَّ عَليها: ﴿**مَا يَأتِيهم مِّن رَّسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَستهزِءُونَ(٣٠)**﴾ فإنَّ المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحِقَّاء بأن يُتحسَّر عليهم، وقد تلهَّف عَلَى حالهم المَلاَئِكَة والمؤمِنُون[2] مِنَ الثقلَينِ؛ ومَن أحاطت بِهِ الحسرة فَهوَ عَن النِّعمة بِمعزِل.

---

١ - لَعَلَّ الأصوب، «من حقّك»، انظر: الزمخشري، الكشَّاف، ١٣/٤.

٢ - في الأصل: «والمنون»، وهو خطأ.

﴿ألم يَرَوا﴾ ألم يَعلموا ﴿كَم أهلَكنَا قَبلَهم مِّنَ القرون﴾ فيتَّعظُون بهـم. ﴿أنَّهُم إلَيْهِم لاَ يرجعُونَ(٣١)﴾ أي: ألم يَرَوا كَـثرَة إهلاكِنـا[1] مَـن قبلَهـم كَونهم غَير راجعين إلَيْهِم. ﴿وإن كَلٌّ لَّمَّـا جَمِيـعٌ لَدَينَـا مُحضَـرُونَ(٣٢)﴾ يوم القيامة للجزاء.

﴿وآيةٌ لَّهُـمُ الأَرْض الـمَيِّـتَـة أحيَيْـنَاها، وأَخرَجْنَـا مِنهـا حبـًّا فَمِنهُ يَأكلُونَ(٣٣) وجَعلنَـا فِيهَا جنَّـاتٍ مِن نـَّخيلٍ وأعنَـابٍ، وفجَّرنـا فِيهَـا مِـنَ العيُونِ(٣٤) لِيَأكُلُوا مِن ثَمَرِه، وَمَا عَمِلَتهُ أيدِيهم﴾ (لَعَلَّـهُ) مـا يُتـَّخَذُ مِنْـهُ كالعصير والدِّبْـسِ[2] ونحوهمـا، ﴿أفَـلا يَشـكُرُونَ(٣٥)﴾ أمـرٌ بالشُّـكرِ مِـن حيث إنَّـه إنكارٌ لِتركِه.

﴿سُبحَان الـذِي خَلَـقَ الأزوَاجَ كُلَّـها﴾ الأنـواع والأصنـاف، ﴿مِمَّـا تـُنبت الأَرْضُ﴾ مِـنَ الشـجر والنبـات، ﴿ومِـن أنفُسِـهم﴾ الذكـر والأنثـى، ﴿ومِمَّــا لاَ يَعْلَمُونَ(٣٦)﴾ وأزواجًا مِمَّا لاَ يُطلِعُهم الله عليه، و لم يَجعَل لَهُم طَريقا إلَى معرفته.

﴿وآيـةٌ لَهُـمُ اللَّيـلُ نَسـلَخُ مِنـْهُ النـَّهَارَ﴾ نُزيلُـه ونَكشِـف عَـن مَكانِـه؛ مُستَعَار مِن سَلخِ الجِلـد. ﴿فـإذا هُـم مُّظلِمُـونَ(٣٧)﴾ داخِلُـون فِي الظـلام. ﴿والشمس تَجرِي لِمُستَقرٍّ لَها﴾ لِحَـدٍّ مُعيـَّن يَنـتَهي إليـه دَورُهـا، فشبـَّهَ

١ - في الأصل: «أهلكنا»، والصواب ما أوردناه. انظر: المصدر نفسه.

٢ - «الدِّبْسُ بالكسر، وبكسرتين: عسل التمر وعسل النحـل». الفيروزآبـادي: القـاموس، ص٤٨٩، مَادَّة: «دبس».

بمُستَقرٍّ[1] المُسافر إذَا قَطَع مَسِيرَة؛ أو لاَ استقرار لها عَلَى نهج مخصوص، أو مُنتَهى مُقدَّر لِكُلِّ يَوم مِنَ المشارق والمغارب، فإنَّ لها فِي دورها ثلاثمائة وستِّين مَشرِقا ومَغربا، تَطلُع كلَّ يَوم مِن مَطلِع، وتَغرُب مِن مَغرِب، ثُمَّ لاَ تَعودُ إلَيْهِما إلَى العام القابل، أو لِمُنقَطَع جَريها عند خراب العالم؛ وقُرئ: «لاَ مستقرَّ لها» أي: لاَ سُكون، فإنَّها مُتحرِّكة سائرة سَائِحة فِي فلكها دائما إلَى يوم القيامة؛ ﴿ذَلِكَ تَقدِيرُ العزيزِ﴾ الغالبة قدرتُه عَلَى [كُلِّ] مَقدُور، ﴿العليم(٣٨)﴾ المحيط عِلمُه بِكُلِّ مَعلُوم.

﴿والقمرَ قدَّرنَاه﴾ قَدَّرنا مَسِيرهُ، ﴿مَنازِلَ﴾ أو مَسِيرَه فِي مَنَازِل، يَنزِل كلَّ لَيلَة فِي وَاحِدٍ مِنهَا لاَ يَتخَطَّاه، وَلاَ يَتقَاصَر عَنْهُ، فإذا كَانَ فِي آخر منازله، وَهُوَ الذِي يكون قُبَيلَ الاجتماع، دقَّ واستَقوَسَ ﴿حتَّى عاد كالعُرجُون﴾ كالشمرَاخ المعوجِّ ﴿القديم(٣٩)﴾ العتيق؛ وقيل: مَا مَرَّ عليه حولٌ فصاعدًا.

﴿لاَ الشمسُ يَنبَغِي لَها﴾ يَصحُّ لَها ﴿أن تُدرِكَ القمَرَ﴾ فِي سُرعةِ مَسيرِهِ، فإنَّ ذَلِكَ يُخِلُّ بتكوُّن [٤٩٢] النبات وتعيُّش الحيوان أ[و] فِي آثاره ومنافعه، أو مكانِه بالنزول إلَى محلِّه، أو سلطانه فيطمس نوره، ﴿وَلاَ اللَّيلُ سابقُ النَّهارِ﴾ يَسبِقُه فَيَفُوتُه ولكن يُعاقِبُه، ﴿وكلٌّ فِي فلكٍ يَسبَحُونَ(٤٠)﴾ يَسِيرون فِيهِ بانبساط، فانظر هل ترى فِي خلق الرحمن من [تفاوت][2].

---

١ - فِي الأصل: «مُستقرٌّ»، وصحَّحناه من: الزمخشري: الكشَّاف، ٤/١٦؛ وأبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٦٧.

٢ - من إضافتنا ليستقيم المَعْنَى، وقد وضع فيه الناسخ إحالة إلَى الحاشية ولم يكتب فيها شَيْئًا.

﴿وآيةٌ لَهُم أنـَّا حَملنا ذُرِّيـَّتَهم فِي الفُلْكِ المشحُونَ(٤١) وخَلَقنـا لَهُـم مِن مِثلِه مَا يَركَبُونَ(٤٢) وإن نَـّشَأْ نُغرِقْـهُم فَـلا صَرِيـخَ لَهُـم﴾ فـلا مُغِيـث لَهُم يحرسهم عن الغرق، ﴿وَلاَ هُـم يُنقَـذُونَ(٤٣)﴾ يُنجَـوْن مِـنَ المـوت بـه. ﴿إلاَّ رَحـمَةً مِنـَّا ومَـتَاعا﴾ إلاَّ الرحمـة وَالتَّمَتـُّع بالحياة ﴿إلَى حِينَ(٤٤)﴾ زَمَانٍ قُدِّر لآجَالِهم.

﴿وإذا قيل لَهُم: اتَّقُـوا مَا بَين أيدِيكم وَمَا خَلفَكـم﴾ الوقـائع التِـي قـد خلـت، والعـذاب المـُعَدِّ فِي الآخِـرَة، أو نَـوازِل السَّمَـاء وكَواكـبَ الأَرْض، لقوله: ﴿أفلم يَرَوْا إلَى مَا بَين أيديهم وَمَا خَلفَهم مِنَ السَّمَـاء والأَرْض﴾[1] أو مَا تَقدَّم مِنَ الذنوب وَمَا تأخَّر. ويُروى عَن ابن عـبَّاس: «﴿مَـا بيـن﴾ (لَعَلَّـهُ) ﴿أيديكـم﴾ الآخِـرَة، فـاعملوا لهـا، ﴿وَمَـا خلفكـم﴾ الدُّنْـيَا فاحذروهـا». ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ(٤٥) وَمَا تأتيهم مِن آيةٍ مِن آيات رَبـِّهم إلاَّ كَـانُوا عنهـا مُعرِضِينَ(٤٦)﴾ كأنـَّه قَالَ: وإذا قيل لَهُـم: اتـَّقُوا العـذاب أعرضـوا، لأَنـَّهُم اعتَادوه وتـمرَّنوا عليه.

﴿وإذا قِيـل لَهُـم: أنفِقُـوا مِمَّـا رَزقَكـم ا لله﴾ عَلَـى مَحـاوِيجِكم. ﴿قَـالَ الذِينَ كَفَرُوا للذين آمنوا﴾ تَهكُّمًا مِن إِقْرَارهم بِهِ، وتعليقهم الأمور بمشيـئَته ﴿أنُطعِمُ مَن لَو يَشَـاءُ ا للهُ أطعَمَه﴾؟ قيل عَن ابن عـبَّاس: «كَانَ بمكَّـة زنادِقـة إذَا أُمِروا بالصدَقَة على المساكين قَالُوا: لاَ وَا للهِ أَيُـفقِرُه ا لله ونُطعِمُه نَحْـنُ»؟!؛ ﴿إن أَنتُم إلاَّ فِي ضلالٍ مُبين(٤٧)﴾ حيث أمَرتُمُونا بِمَا يُخالف مَشِيئَة ا لله.

---

١ - سورة سبأ: ٩.

﴿**ويَقولُون: مَتَى هَذَا الوعدُ إن كُنتُم صَادقِينَ(٤٨)؟ مَا يَنظُرُونَ**﴾ مـا يتنظرون ﴿**إلاَّ صيحةً وَاحِـدَةً**﴾ النفخة الأولى، أو نُزول الـمَوتِ على كـلِّ شَخص؛ والدليل على ذَلِكَ تَمَام الآيـة: ﴿**تَـأخُذُهم وَهُـم يَخِصِّمُـونَ(٤٩)**﴾ يَتَخَـاصَمُون فِي مَتَاجِرهِم ومُعَـامَلاتِهم، لاَ يَخطُـر بِبَـالهم أمرُهـا، كقولـه: ﴿فأخذناهم بَغـتَةً[1] وَهُم لاَ يَشعُرُون﴾[2] ومَـن قَرَأَهَـا: «يُخَصِّمـون» (بضـم الياء وفتح الخاء وكسر الصاد) فَهُم يُخَصِّمُونَ (لَعَلَّهُ) ربَّهم وأولِيـاءَه، كقولـه: ﴿أو لم ير الإنسان أنَّا خلقنـاه مـن نـُّطفةٍ فـإذا هُـوَ خَصِيـمٌ مُّبِـينٌ﴾[3]. ﴿**فـلا يَستطِيعُون تَوَصِـيَةً**﴾ فِي شيء مِن أُمورِهم، ﴿**ولاَ إلَى أهلِهم يَرجعُونَ(٥٠)**﴾ فَـيَرَوا حَالَهُم.

---

١ - في الأصل: «فأخذتهم الساعة»، وهو خطأ إذ لا توجد آية هكذا، وقـد وقـع فِي نفس الخطإ الألوسيُّ فِي روح المعـاني، ج٢٣/ ص٣١ . وَفِي تفسير أبي السـعود: «كقولـه تَعَالَى: فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون» وَهُوَ خطأ أفحش. انظـر أبـو السـعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٧١.

والآيات المشابهة هي كما يأتي:

﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم السـاعة بغتـة وهـم لا يشـعرون﴾ (يوسف: ١٠٧).

﴿لا يؤمنون به حَتَّى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهـم لا يشـعرون﴾ (الشعراء: ٢٠١-٢٠٢).

﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمًّى لجاءهم العذاب وليأتينـَّهم بغتـة وهـم لا يشعرون﴾ (العنكبوت: ٥٣).

﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (الزخرف: ٦٦).

٢ - سورة الأعراف: ٩٥.

٣ - سورة يس: ٧٧.

**﴿ونُفِخَ فِي الصورِ فَإذا هُم مِنَ الأجداثِ إلَى ربِّهم يَنسِلُونَ(٥١)﴾** يُسرِعُون. **﴿قَالُوا: يا وَيلَنَا! مَن بَعثَنا مِن مَرقَدِنا؟ هَذَا مَا وعدَ الرحمنُ وصَدقَ المرسَلُونَ(٥٢)﴾** أي: مَا وعد الرحمن حقٌّ. **﴿إن كَانَت﴾** مَا كَانَت الغفلة **﴿إلاَّ صَيحَةً وَاحِدَةً﴾** هِيَ النفخة الأَخِيرة، **﴿فإذا هُم جَمِيع لَدينَا مُحضَرُونَ(٥٣)﴾** لِمُجرَّد تِلكَ الصيحة؛ وفِي ذَلِكَ تَهوِين أمرِ البعث [والحشر][1] فِي قُدرَة ا لله، واستغناؤهما عَن الأسباب التِي ينوطان فيما يُشاهِدونَه.

**﴿فاليوم لاَ تُظلَم نَفسٌ شَيئًا، وَلاَ تجزَوْنَ إلاَّ مَا كُنتُم تَعمَلُونَ(٥٤)﴾** حكايةٌ لِمَا يُقال لَهُم حينئذ، [و]تَصويرًا للمَوعُود، وتمكِينًا لَهُ فِي النفوس؛ وكذا قوله: **﴿إنَّ أصحابَ الجنَّة [٤٩٣] اليوم فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ(٥٥)﴾** مُتَلَذِّذُون فِي النِّعمة من الفاكهة؛ وفِي تنكير "شغلٍ" وإبهَامِه تَعظِيم لِمَا هُم فِيهِ مِن البهجة والتلذُّذِ، وتَنبِيه عَلَى أنَّه أعلى عَن أن تُحِيط بِهِ الأفهام، ويعرف عَن كُنهه الكلام، (لَعَلَّهُ) وإعلامٌ عَلَى أنَّه لاَ يأتي عَلَيْهِم حالٌ وَهُم فِي غير فَاكهَة.

**﴿هُم وأَزوَاجُهم فِي ظِلاَل عَلَى الأرَائِكِ﴾** عَلَى السُرُرِ المزيَّنة **﴿مُتَّكِئُونَ(٥٦) لَهُم فِيهَا فاكهةٌ، ولهم مَا يَدَّعُونَ(٥٧)﴾** مَا يَدَّعُون بِهِ لأنفسهم. **﴿سلامٌ قولاً مِن رَبٍّ رَحِيم(٥٨)﴾** أي أنَّ ا لله يُسَلِّم عَلَيْهِم بواسطة المَلاَئِكَة تعظيما لَهُم، وذلك مَطلُوبُهم ومُتَمَنَّاهم. **﴿وامتَازوا اليوم أيُّها المُجرِمُونَ(٥٩)﴾** وانفرِدوا عَن المؤمنين، وذلك حينَ يُسارُ بِهم إلَى الجنَّة.

---

١ - إضافة لا بُدَّ منها (من أبي السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص١٧٢. الألوسي: روح المعاني، ج٢٣/ ص٣٢). حَتَّى يسوغ إرجاع الضمير بالمثنَّى فِي قوله: «واستغناؤهما».

**﴿أَلَمْ أعهَدْ إلَيكم يَا بنَي آدم أنْ لاَ تَعبُدوا الشيطانَ﴾** مِن جملَة مَا يُقَال لَهُم تَقرِيعا وإلزامًا للحجَّة، وعهدُه إلَيْهِم مَا نَصَب لَهُم مِنَ الحجج العَقلِيَّة والسمعِيَّة الآمِرَة بعبادته، الزاجرة عَن عبادة غيره، وجعلها عبادةً للشيطان[1]، لأَنَّهُ الآمِر بها والـمُزيِّن لها، وفيه دَلِيل عَلَى أنَّ جميع الخلق المُتَعبِّدِين إمَّا عابد لله، وإمَّا عابد للشيطان؛ وسمَّى طاعتَه عبادةً بدليل هَذِهِ الآية والتي تليها، **﴿إنَّهُ لَكُم عَدوٌّ مُبين(٦٠)﴾** تعليلٌ للمنعِ عَن عبادته بالطاعة فيما يحمِلُهم عليه. **﴿وأن اعبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُستَقِيمٌ(٦١)﴾** إشارةٌ إلَى مَا عَهَد إلَيْهِم، أو إلى عبادته.

**﴿وَلَقَد أضلَّ مِنكُم جِبلاً كَثيرًا أفَلَم تَكُونُوا تعقِلُونَ(٦٢)﴾** زيادَة إيضاح مُعَادَاةِ الشيطان، مَعَ ظُهُورِ عَداوَتِه، وَوُضُوحِ إضلالِه لِمَن لَهُ أدنى عَقلٍ ورَأيٍ؛ والجبلُّ: الخلق. **﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ التِي كُنتُم توعَدُونَ(٦٣) اصلَوهَا اليومَ بِمَا كُنتُم تَكفُرُونَ(٦٤)﴾** ذُوقُوا حَرَّها اليومَ بِكُفرِكُم فِي الدُّنْيَا.

**﴿اليوم نَختِم عَلَى أفوَاهِهِم﴾** نَمنعُها مِنَ الكلام، **﴿وتكلِّمُنا أيدِيهِم، وتَشهَدُ أرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ(٦٥)﴾** بظهور آثام المعاصي عليها، ودلالتِها عَلَى أفعالها، أو بإنطاق الله إيَّاها؛ وفي الحديث: إنَّهم يَجحَدون ويُخَاصِمون فيُختَم عَلَى أفواههم وتكلِّم أيديهم وأرجلهم[2]. **﴿ولَو نَشَاء**

---

١ - فِي الأَصْلِ: «عبادة الشيطان».

٢ - روى البخاريُّ عن طَاوُس عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي كتاب تفسير القرآن: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لأَهْلِ الإِخْلاَصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخَتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَنطِقُ =

**لطمَسنا عَلَى أعينهم فاستبَقُوا الصِّرَاط فأنَّى يُبصِرُونَ(٦٦)﴾** الطريق، وجهة السلوك فَضلاً عَن غيره.

**﴿ولو نَشاء لَمَسخنَاهم﴾** بتصغِير صُوَرِهِم وإبطالِ قُوَاهُم، **﴿عَلَى مَكانَتِهم﴾** مَكانِهم، بِحيثُ يجمدون فِيهِ، **﴿فما استَطَاعُوا مُضيّاً﴾** ذهابا **﴿وَلاَ يَرجِعُونَ(٦٧)﴾** وَلاَ رجوعا؛ والمعنى: أنَّهم بِكفرِهم ونَقضِهم مَا عُهِد إِلَيْهِم أحِقَّاءَ بأن يُفعَلُ بهم ذَلِكَ، لكنَّا لم نَفعَل، لِشمُول الرحمة، واقتضاء الحكمة إمهالهم إلَى انقضاء آجَالهم، كقوله: ﴿ولو يؤاخذ الله النَّاسَ بِمَا كَسبوا مَا ترك عَلَى ظهرها مِن دَابَّة...﴾[1] الآيَة.

**﴿ومَن نُعمِّرهُ﴾** ومَن نُطِل عُمرَه **﴿نُنكِّسهُ فِي الخلق﴾** نُعلِّيه فِيهِ، فَلا يَزال يَتَزَايَد ضُعفُه، وانتِقَاص بُنيَتِه وقُوَاه، عَكسَ مَا كَانَ عليه بدء أمرِه، (لَعَلَّهُ) فإنَّه [٤٩٤] ولو تنقص مِنْهُ ضَرسٌ فذلك انتكاس فِي خلقه، **﴿أفلا يَعقلُونَ(٦٨)﴾** أنَّ مَن قَدرَ عَلَى ذَلِكَ، قَدرَ عَلَى الطمس والمسخ، فإنَّه مُشتَمِل عليها وزيادة، غير أنَّه يدرج.

**﴿وَمَا علَّمنَاه الشعرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾** وَمَا يَصِحُّ لَهُ الشعر، وَلاَ يتأتَّى لَهُ إن أَرَادَ قَرضَه؛ **﴿إن هُوَ إلاَّ ذِكرٌ﴾** عِظة وإرشادٌ مِنَ الله، **﴿وقرآن مُبِين(٦٩)﴾**

---

أَيْـدِيهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لاَ يُكْتَمُ حَدِيثًا...». العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أفواههم».

١ - سورة فاطر: ٤٥؛ وتمامها: ﴿ولكن يؤخّرهم إلى أجل مُسمًّى، فإذا جاء أجلهم فإنَّ الله كان بعباده بصيرا﴾.

كِتَابٌ سماويٌّ يُتلَى فِي المَعابِد، ظاهرًا أنَّه ليس كلام البشر لِمَا فِيهِ مِنَ الإعجاز. ﴿**لِيُنذِر مَن كَانَ حيًّا**﴾ عاقلاً فهمًا، فإنَّ الغافلَ كالميِّت، أو مُؤمِنًا فِي علم الله. فإنَّ الحياة الأبديَّة بالإيمان؛ وتَخصيصه بالإنذار لأَنَّهُ المُنتَفِع بِهِ لاَ غير. ﴿**ويَحِقَّ القولُ**﴾ وتَجب كلمة العذاب ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ(٧٠)**﴾ المُصرِّين على الكفر، وجعلهم فِي مُقابَلة مَن كَانَ حيًّا إشعارٌ بأنَّهم لكفرهم وسُقوط حُجَّتهم وعدمِ تَأمُّلِهم أمواتٌ فِي الحقيقة.

﴿**أولَمْ يَروا أنَّا خَلَقنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَت أيدِينَا**﴾ مَا تَولَّينا إيجَادَه، و لم يَقدِر عَلَى إيجادِهِ غيرُنا، ﴿**أنعامًا**﴾ خَصَّصَها بالذكر لِمَا فِيهَا من بَدَائِع الفطرَةِ وكَثرَة المَنافِع، ﴿**فَهُم لَهَا مَالِكُونَ(٧١)**﴾ مُمتَلِكُون بتَملُّكِنا إيَّاهم، ﴿**وذلَّلنَاها لَهُم**﴾ صيَّرنَاها مُنقَادَة لَهُم، ﴿**فَمِنهَا رَكُوبهم، ومِنهَا يَأكُلُونَ(٧٢) ولهم فِيهَا مَنافِع**﴾ أُخرَى ﴿**ومَشارِب أفَلا يَشكُرُونَ(٧٣)**﴾ أنعُمَ الله فِي ذَلِكَ، إذ لولا خَلقُه لَها وتَذلِيلُه إيَّاها، كَيفَ أمكنَ التوصُّل[1] إِلَى تحصِيل هَذِهِ المنافع المُهمَّة؟.

﴿**واتَّخذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَة**﴾ أشرَكُوها بِهِ فِي العبادة بعدما رَأَوا مِنْهُ تِلكَ القُدرَة البَاهِرَة، والنِّعَم المُتَظاهِرَة، وعَلِموا أنَّه المُنفَرِد بها، ﴿**لَعَلَّهُم يُنصَرُونَ(٧٤)**﴾ رجاءَ نَصرِهِم لَهُم، والأمرُ بالعكسِ، لأنَّهُ ﴿**لاَ يَستَطِيعون نَصرَهم، وَهُم لَهُم**﴾ لآلِهَتِهم ﴿**جَندٌ مُحضَرُونَ(٧٥)**﴾ مُعدُّون لِحفظِهم والذبِّ[2] عَنْهُم، أو مُحضَرون إثرهم فِي النَّار، أو مُحضَرُون لَهُم فِي دار الدُّنْيَا، يعذِّبهم الله بهم فِيهَا كما يُعذَّبُون بالأموال والأولاد.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «التوسل»، ولا مَعْنَى له.

٢ - فِي الأَصْلِ: «والدأب»، والصواب ما أثبتناه من تفسير أبي السعود: مج٤/ ج٧/ ص١٧١.

﴿فَلا يَحزُنك﴾ فَلا يَهُمَّنـَّك ﴿قَولـهُم﴾ فِي ا لله بالإلحـاد والشـرك، ﴿إنـَّا نَعلَمُ مَا يُسرُّون وَمَا يُعلنُونَ(٧٦)﴾ فَنُجازِيهم عليه، وكفى ذَلِكَ أن تَتَسَلَّى بِهِ.

﴿أولم يَرَ الإنسانُ أنـَّا خَلقنَاه مِن نُّطفَةٍ، فإذا هُـوَ خَصِيـمٌ مُّبِـينٌ(٧٧)﴾ تَسلِيَة ثَانِية بِتهوِين مَا يقولونه بالنسبة إِلَى إنكـارهم الحشـر؛ وفيـه تَقبيـح بَلِيـغ لإنكاره، حيث ذمـَّه، وجعله إفراطا فِي الخصومة بَيِّنـًا، ومُنَافاة لجحود القدرة عَلَى مَا هُوَ أهون مِمَّا عمله فِي بداية خَلقه، ومُقابَلـة النـِّعمة ـ التِـي لاَ مَزيـد عليها، وهي خَلـقُه مِن أخسِّ شَيء وأمهنه شريفًا مُكرَّمًا ـ بالتكذيب؛ وقيـل: مَعَنى ﴿فإذا هُوخَصِيم مُبِين﴾ فإذا هُوَ بَعدَمَا كَانَ مـاءً مَهِينـًا ممَـيِّـزٌ منطـيقٌ قادرٌ عَلَى الخصام، مُعرِبٌ عمـَّا فِي نفسه.

﴿وضربَ لَنـَا مَثَلا﴾ أمرًا عجيبًا، وَهُوَ نَفـيُ القـدرة عَلَى إحيـاء الموتـى، وتشبيهه بخلقِه بوَصفِه بالعجز عمـَّا [٤٩٥] عجزوا عَنـْهُ. ﴿ونَسيَ خَلقَـه﴾ خَلقَنا إيـَّاه. ﴿قَالَ: مَن يُحيِ العظامَ وهيَ رَمِيم(٧٨)﴾ مُنكِرًا إيـَّاه؛ والرميم: مَا بَلِي مِنَ العظام؛ ﴿قُل: يُحيِـيهَا الذِي أنشأها أوَّل مرَّة﴾ فـإنَّ قُدرَتَـه كمـا كَانَت لامتِنَاعِ التغيـير فِيـهِ. ﴿وَهُـوَ بكـلِّ خَلـقٍ عَليـم(٧٩)﴾ يعلـم تفـاصيل المخلوقات وكيفيـَّة خلقها.

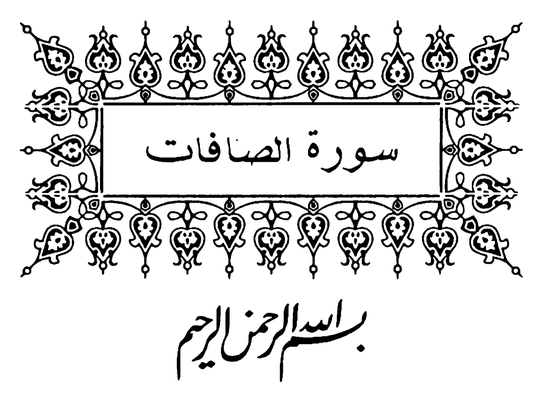
﴿الـذِي جَعـلَ لَكُـم مِّـنَ الشـجرِ الأخضـر نـارا، فـإذا أَنتُـم مِّنـْهُ تُوقِدُونَ(٨٠)﴾ فمن قدر عَلَى إحداث النَّار مِنَ الشجر الأخضر مَـعَ مَـا فِيـهِ مِنَ المائيـَّة المضادَّة لها، كَانَ قادرًا عَلَى إحيـاء الموتـى، إن لَـوْ تدبَّـروا وأنصفـُوا فيما حَكَموا. ﴿أوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السماوت والأَرْض﴾ مَـعَ كِبَرِ جُرمِهِمـا وعِظَمِ شَأنِهمَا، ﴿بقادرٍ عَلَى أن يَخلُق مِثلَهم﴾؟ فِي الصغر والحقارة بالإضافة إِلَـيْهما. ﴿بَلَى﴾ جوابٌ مِنَ ا لله لِتقريرِ مَا بعد النفي، مُشـعِرٌ بأنـَّه لاَ جـواب سواهُ، ﴿وَهُوَ الخلاَّق العليم(٨١)﴾.

﴿إنـما أمرُه إذَا أَرَادَ شَيْـئًا أن يَقولَ لَهُ: كُن، فَيَكُونَ(٨٢)﴾ يَحـدث، وَهُوَ تَمثِيل لِتأثِير قُدرَتِه فِي مُراده، بأمرِ الـمُطاعِ للمُطِيع فِي حُصُول المأمور مِـن غير امتِناع وتوقُّـف، وافتقـار إِلىَ مُزاوَلَـة عَمَـل، واستعمال آلـة، قَطعًـا لِمَـادَّة الشبهة، وعَن أنْ يَكُون قادِرًا بقُدرَة (لَعَلَّهُ) هِيَ غـيره؛ وعـن أن يَكُـون مُفتَقِـرًا إِلىَ شَيء مِن مَخلُوقَاتِه عزَّ وجلَّ وتعالى عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿فَسُبحَان الذِي بِيَدِه مَلكُوتُ كلِّ شَيءٍ﴾ أي: حَقِيقَـة كـلِّ شـيء مِـن تَنزيهٍ لَهُ عمـَّا ضَربُوا لَهُ، وتعجيب عمـَّا قالوه فِيهِ، مُعلّـلاً مَالكـا للمُلـك كُلِّـه، قـادرا عَلَـى كـلِّ شـيء، ﴿وَإِلَيْـهِ تُرجَعُـونَ(٨٣)﴾ وعـدٌ وَوَعِيـدٌ للمُقِرِّيـن والمنكرين. عَن ابن عـبَّاس: «كُنت لاَ أعلم مَـا رُوِي فِي فضـل «يـس» كيـف خُصَّت بِهِ، فَإِذَا أنَّـه لِهذه الآيـَة»، وعنـه الطَّيْكِلاً فِيمَـا يـروى: «*أنَّ لِكُـلِّ شـيء قلبا، وقلبُ القرآن يس*»[1].

❁❁❁

١ - رواه الترمذيُّ فِي كتاب فضائل القرآن: ٢٨١٢ عَنْ أَنَسٍ، قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس وَمَنْ قَرَأَ يـس كَتَـبَ اللهُ لَـهُ بِقِرَاءَتِهَـا قِـرَاءَةَ الْقُـرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ». قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِـنْ حَدِيـثِ حُمَيْـدِ بْـنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَبِالْبَصْرَةِ لاَ يَعْرِفُونَ مِنْ حَدِيثِ قَتَـادَةَ إِلاَّ مِـنْ هَـذَا الْوَجْـهِ، وَهَـارُونُ أَبُـو مُحَمَّدٍ شَيْخٌ مَجْهُولٌ. حَدَّثَنَا أَبُـو مُوسَى مُحَمَّـدُ بْـنُ الْمُثَنَّـى حَدَّثَنَـا أَحْمَـدُ بْـنُ سَـعِيدٍ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهَذَا وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي بَكْـرٍ الصِّدِّيـقِ وَلاَ يَصِحُّ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ. ورواه الدارمـيُّ فِي سننــه، كتـاب فضـائل القرآن، رقـم ٣٢٨٢. العالميـَّة: موسـوعة الحديـث، مَـادَّة البحث: «قلب القرآن».



# سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**والصافَّات صفًّا(١)**﴾ قِيلَ: صُفوفُ المَلائِكَة فِي السَّمَاء، لصفوف المصلّين فِي الأَرْض، ﴿وَإِنَّا لَنحنُ الصَّافُّون﴾[1]. ﴿**فالزاجِرَات زَجرًا(٢) فالتالِيَاتِ ذِكرًا(٣)**﴾ قيل: أقسَم بالمَلائِكَة الصافّين فِي مَقامِ العبوديَّة عَلَى مَراتِب، باعتبارها تفيض عَلَيْهِم الأنوار الإلَهيَّة، مُنتَظِرين لأمرِ الله، الزاجرين الأجرام العُلويَّة والسُّفليَّة بالتدبير المأمور فِيهَا؛ أو الناس عَن المعاصي بإلهام الخيرات؛ أو الشياطين عَن التعرُّض لها، التالين آيات الله، وجلايا قدسِه عَلَى أنبيائه وأوليائه؛ أو بطوائف الأجرام المتزيِّنة كالصفوف المرصوصة، والأرواح المدبِّرة لها، والجواهر القدسيَّة المستغرقة فِي بحار القدس، ﴿يسبِّحُون اللَّيل وَالنَّهَارَ لاَ يَفتُرون﴾[2]؛ أو بِنفُوس العلماء الصافّين فِي العبادات، الزاجرين عن الكفر، والسَّوق بالحجَجِ والنصائح، التالين آياتِ الله وشرائِعِه.

﴿**إنَّ إلهَكم لَواحِدٌ(٤) ربُّ السَّمَاوَات والأرض، وَمَا بَينَهُما، وربُّ المشارقِ(٥)**﴾ فإنَّ وجودها وانتِظَامَها عَلَى الوجه الأكمَل مَعَ إمكَانِ غيره،

---

١ - سورة الصافات: ١٦٨.

٢ - سورة الأنبياء: ٢٠.

دَلِيل وجود الصانع الحكيم، ووَحدتِهِ عَلَى مَا مَـرَّ غير مَرَّة؛ والمشارق: مشارق الكواكب؛ أومشارق الشمس فِي النسنة، وهي ثلاثمائة وستُّون مَشرِقًا، تشـرق فِي كُـلِّ يَـوم فِي وَاحِـد، وبحسبها [٤٩٦] تختلـف المغـارب؛ ولذلـك اكتفـى بذكرها، مَعَ أنَّ الشروق أدلُّ عَلَى القدرة، وأبلغ فِي النِّـعمة.

﴿**إنـَّا زيَّـنـَّا السَّمَـاء الدُّنـْيَا بزينَـةِ الكَوَاكِـبِ(٦) وحِفظًا مِـن كـلِّ شَيطانٍ مَّارِدٍ(٧) لاَ يسمعون إلَى الملإِ الأعلَى**﴾ وَهُم المَلاَئِـكَة، ﴿**ويُقذَفُـون**﴾ ويُرمَونَ ﴿**مِن كلِّ جَانِب(٨)**﴾ من جوانب السَّمَـاء. ﴿**دُحُورا**﴾ وَهُوَ الطرد، ﴿**ولهـم عـذاب**﴾ أي: عـذاب آخَـر ﴿**واصِـب(٩)**﴾ دائـم، (لَعَلَّـهُ) وكذلـك إخوانُهم مِنَ الإنس، العذاب مَآلهم. ﴿**إلاَّ مَن خَطِف الخَـطفَةَ فَأتبَعَه شِـهابٌ**﴾ والخطف: الاختلاس؛ والمُرَاد اختلاس كلامِ المَلاَئِـكَة مُسارَقة؛ والشـهاب: مَـا يُرَى كَأنَّ كَوكَبًا انقضَّ، ﴿**ثاقب(١٠)**﴾ مَضَى كأنـَّه يَثقُب الجوَّ بِضَوئِه.

﴿**فاستَفتِهِم**﴾ فاستخبرهـم ﴿**أهُم أشدُّ خلقًا أمْ مَّن خَلقنَا**﴾ يَعنِي مَا ذكـر مِنَ المَلاَئِـكَة والسَّمَـاء والأَرْض وَمَا بينهمـا، والمشـارق والكواكـب والشـهب الثواقب، ﴿**إنـَّا خلقناهم مِـن طِـين لازِبٍ(١١) بَـل عجبـتَ**﴾ مِـن إنكـارهم البعثَ. يُروى عَن قتادة أنـَّه قَالَ: «عجبَ النبيُّ ﷺ مِن هَذَا القرآن حين نـزل، وضلال بني آدم، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يظنُّ أنَّ كلَّ مَن يَسمعـ[ـه] يُؤْمِـنُ بِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ[ـه] المشـركون سَخِروا مِنـه، ولم يُؤمِنـوا بِـهِ عجـب مـن ذَلِـكَ ﷺ». ﴿**ويسخرُونَ(١٢)**﴾ مِن تَعجُّبك وتَقرِيرك للبعـث. ﴿**وإذا ذُكّـِرُوا لاَ يَذكُرُونَ(١٣)**﴾ وإذا وُعِظوا بشيءٍ لاَ يَـتَّعظُون بِهِ، وإذا ذكـرَ لَهُـم مَـا يـدلُّ عَلَى صِحَّة الحشر، لاَ يَنتَفِعُون بِهِ لبلادتهم وقِلَّة فِكرِهم.

﴿وإذا رَأَوا آيَـةً﴾ مُعجِـزة تـدلُّ عَلَـى صِـدقِ القـائل بِـهِ، ﴿يَستَسخِرُونَ(١٤)﴾ يُبالِغُون فِي السخرِيَة. ﴿وَقَـالُوا إنْ هَـذَا﴾ يَعنُـون مَـا يَرَونَه ﴿إلاَّ سِـحرٌ مُّبِـينٌ(١٥)﴾ ظاهر سِحرِيتَّه، وذلـك لضُعفِ إيـمَانهم، (لَعَلَّهُ) أو عَدمِه للبعث[1]، بدليل قوله: ﴿أئذا مِتنا وكنَّا تُرابا وعظاما، أئنـَّا لَمبعوثُونَ(١٦) أوآباؤنـا الأوَّلُونَ(١٧) قُـل: نعـم وأنتـم دَاخِـرُونَ(١٨)﴾ صاغرون. ﴿فإنـَّما هِيَ زجرةٌ وَاحِدَةٌ، فإذا هم يَنظرُونَ(١٩)﴾ أي: إذَا كَانَ ذَلِكَ، فإنـَّما البعثة زجـرة وَاحِـدَة، [وَ]هِـيَ النفخـة الثانيـة؛ مِـن زَجَـرَ الراعـي غَنَمَه: إذا صاح عليها، وأمَرَها بالإعَادة[2].

﴿وَقَـالُوا: يَـا وَيلَنـا هَـذَا يَـومُ الدِّيـنَ(٢٠)﴾ اليَـوم الـذِي نُجـازَى فيـه بأعمالنا[3] وَهُوَ ثَمرَةَ الدِّين، وقد تَمَّ بِهِ كلامُهم. وقولـه: ﴿هَـذَا يَـوم الفصـل الذِي كُنتُـم بِهِ تُكذِّبُونَ(٢١)﴾، قيل: جـواب المَلاَئِـكَة؛ والفصـل: القضـاء، والفرق بين المحسن والمسيء. ﴿احشروا الذِينَ ظَلمُوا﴾ بـأمر الله المَـلاَئِـكَةَ، ﴿وأزواجَهم﴾ وأشباههم، عابدُ الصنَمِ مَعَ عبـدةِ الصنـم، أو نسـاؤُهم اللاتِـي

---

١ - الصواب: «بالبعث».

٢ - كذا في الأصل، والعبارة نجدها عند البيضاويِّ هكذا: «...إذا صـاح عليهـا. وأمْرُهـا فِي الإعَـادة كَـأمْرِ "كُـنْ" فِي الإبـداء، وَلِذَلِـكَ رتـَّب عَلَيْهَـا: ﴿فـإذا هـم ينظـرون﴾». البيضـاوي، نـاصر الديـن أبـو سـعيد عبـد الله بـن عمـر بـن محـَمَّد الشـيرازي: تفسـير البيضاوي، المسمَّى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبعة مصطفى محَمَّد، مصر، د.ت. ج٤/ ص٧٤.

٣ - فِي الأَصْلِ: «يوم الذي نجازى بأعمالنا». وقد صحَّحنا العبارة من أبي السعود: تفسـير، مج٤/ ج٧/ ص١٨٧.

عَلَى دينكم، أو قرنَاؤهم مِنَ الشياطين، **﴿وَمَا كَانُوا يَعبدُونَ(٢٢) مِن دُونِ الله، فاهدوهم إِلَى صِرَاط الجحيم(٢٣)﴾** فعرِّفوهم طريقها ليسلكوا. **﴿وقِفُوهُم﴾** واحبسوهم فِي الموقف[1]، **﴿إِنَّهم مَسئُولُونَ(٢٤)﴾** عَن عقائدهم وأعمالهم. **﴿مَا لَكُم لاَ تَنَاصرُونَ(٢٥)﴾** لاَ يَنصُر بَعضُكم بعضا بالتخلُّص، وَهُوَ توبيخ وتقريع، **﴿بَل هُمُ اليومَ مُستَسلِمُونَ(٢٦)﴾** مُنقادون لعجزهم وانسداد الحيل عَنْهُم، وأصل الاستسلام: طلبُ السلامة.

**﴿وأقبل بَعضُهم عَلَى بَعض﴾** يعني: [٤٩٧] الرؤساء والأتباع **﴿يَتساءلُونَ(٢٧)﴾** يَسأل بعضهم بعضا للتوبيخ، ولذلك فسِّر: يَتخَاصَمُون، وذلك زيادة عذاب فوق عذابهم. **﴿قَالُوا إِنَّكُم كُنتُم تَأتُونَنَا عَن اليمِينَ(٢٨)﴾** عَن أقوى الوجوه وأيمَنِهـ[ـا]، أو عَن الدين؛ **﴿قَالُوا: بَل لَم تَكونُوا مُؤمِنِينَ(٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلطان، بَل كُنتُم قومًا طاغِينَ(٣٠)﴾** أجابهم الرؤساء بِمنع إضلالهم، فإنَّهم كَانُوا ضَالِّين فِي أنفسهم؛ وثانيا: بأنَّهم ما أجبروهم عَلَى الكفر، إِذْ لم يكن لَهُم عَلَيْهِم تسلُّط، وإنَّما جنحوا إِلَيْهِ، لأَنَّهُم كَانُوا قوما مُختَارِين الضلال.

**﴿فحقَّ علينا قَولُ رَبِّنَا إِنَّا لَذائقُونَ(٣١) فأغوَيْنَاكم إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ(٣٢) فإِنَّهم يَومَئِذ فِي العذاب مُشتركُونَ(٣٣)﴾** كما كَانُوا مُشتركِين فِي الأفعال، **﴿إِنَّا كذلك﴾** مِثل ذَلِكَ الفعل **﴿نَفعَل بالمُجرمِينَ(٣٤) إِنَّهم كَانُوا إِذَا قيل لَهُم لاَ إله إِلاَّ الله يستكبِرُونَ(٣٥)﴾** أي: عَن كلمة التوحيد والعمل بِمُقتَضاه.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «المواقف».

﴿**ويَقولُون: أئِنـَّا لَتارِكُوا آلهتِنا لِشاعر مَجنُونٍ(٣٦)**﴾ للرُّسُل ورسُلِهم، ولـو مِـن حُجَّةِ عقلٍ قـامَت عَلَيْهِـم حجَّـة الله لقـالوا: هَـذَا مِـن وسـواس الشيطان، وإنَّ الحـقَّ خِلافَـه؛ فَـردَّ الله عَلَيْهِـم دَحضًـا لحجَّتهـم، وإزهاقـا لباطلهم فقال: ﴿**بَـل جـاءَ بِالْحـقِّ، وصـدَّق المرسَلِينَ(٣٧) إنـَّكُم لذائقـوا العـذابِ الأليـمِ(٣٨)**﴾ بردِّكـم حجَّـة الله. ﴿**وَمَـا تُجـزَوْنَ إلاَّ مَـا كُنتـُم تَعْمَلُونَ(٣٩)**﴾ إلاَّ جزاء مَا عملتم.

﴿**إلاَّ عبادَ الله المخلَصِينَ(٤٠) أُولَـئِكَ لَهُـم رِزقٌ مَعلُومٌ(٤١)**﴾ خصائصُه، مِنَ الدوام وتمحُّض اللذَّة، ولذلك فسَّره بقوله: ﴿**فَوَاكِهُ**﴾ فإنَّ الفاكهة مَا يُقصَد بها [إلاَّ] التلذُّذ دُونَ التغذِّي والقوت؛ فإنَّ أهلَ الجنَّة لـمَّا أعيدوا عَلَى خلقة محكمة محفوظة عَن التحلُّل كَانَ أرزاقهم فواكه خالصة. ﴿**وَهُم مُكرمُونَ(٤٢)**﴾ فِي نَيله، يَصل إِلَيْهِم مِن غير تَعب، لاَ كَمَا عليه غذاء أهل الدُّنْيَا، لأنَّ فِي الحقيقة ليس فِي الدُّنْيَا فاكهة مَحضة عَن الشوائب؛ بَل فِيهَا قُوتٌ وقَوَام، لأَنـَّهَا دار عبادة. ﴿**فِي جنـَّات النعيم(٤٣)**﴾ فِي جنـَّات ليس فِيهَا إلاَّ النعيم. ﴿**عَلَى سُرُرٍ مُتقَابِلِينَ(٤٤)**﴾.

﴿**يُطافُ عَلَيْهِـم بكأسٍ مِن مَّعِينٍ(٤٥)**﴾ مِن شراب مَعِين؛ إشعارا بـأنَّ مَا يَكُون لَهُم بمنزلة الشرَاب الجامع لِـمَا يـُطلَب مـن أنـواع الأشربة لِكمَـال اللّذة؛ ولذلك قوله: ﴿**بَيضَاءَ لَذَّة لِلشارِبِينَ(٤٦)**﴾ (لَعَلَّهُ) والناظرين، وصفها بـ«لَذَّةٍ» لِلمبَالَغة؛ ﴿**لاَ فِيهَا غَوْلٌ**﴾ غائِلة، كما فِي خَمر الدُّنْيَا كالخمار؛ مـن غاله يغوله: إِذَا أفسده، ومنه الغول، ﴿**وَلاَ هُـم عَنهَـا يُـنزَفُونَ(٤٧)**﴾ (لَعَلَّـهُ) قِيل مَعناه: لاَ يَنفُد شَرابهم.

﴿**وعِندَهم قَاصِرات الطرْفِ**﴾ قَصرن أبصارهنَّ، وذلك مِن تَمام الحسن، ﴿**عِينٌ(٤٨)**﴾ قيل: نَجْلُ العيون، جمع: عيناء. ﴿**كَأَنَّهُن بيضٌ مَكنُونٌ(٤٩)**﴾ شبَّهَهُنَّ ببَيْض النعام المصون مِنَ الغبار ونحوه في الصفاء والبياض.

﴿**فأقبَل بَعضُهم عَلَى بَعضٍ يَتساءلُونَ(٥٠)**﴾ فإنَّه ألذُّ تِلك اللَّذَّات إلىَ العقل تَساؤُلُهم عن مَا جرى عَلَيْهِم ولَهُم فِي الدُّنْيَا. ﴿**قَالَ قَائِل مِنْهُم**﴾ فِي مُكالَمَتِهم: ﴿**إنِّي كَانَ لِي قرِينٌ(٥١)**﴾ جَليس فِي الدُّنْيَا ﴿**يَقُول: أئنَّك لَمِن المصدِّقِينَ(٥٢)**﴾ يُوَبِّخنِي عَلَى التصدِيق [٤٩٨] بالبعث، وقُرِئ بالتشدِيد مِنَ التصدُّق. ﴿**أئِذا مِتنَا وكُنَّا تُرابًا وعظامًا أئنَّا لَمَدينُونَ(٥٣)**﴾ لَمَجزِيُّون مِنَ الدِّين، بمعنى: الجزاء.

﴿**قَالَ**﴾ أي: ذَلِكَ القائل: ﴿**هَل أَنتم مُطَّلِعُونَ(٥٤)**﴾ إلىَ أهل النَّار لأُرِيكم ذَلِكَ القرين؛ وقيل: القائل هُوَ الله، أو بعض الملائِكَة، يقول لَهُم: تُحبُّون أن تَطَّلِعوا عَلَى أهل النَّار لأُرِيكم ذَلِكَ القرين، فَتَعلَموا أيْن مَنزلَتكم مِن مَنزِلَتِهم؟، وذلك نِعمَة جَلِيلَة تَصغُر فِي حقِّها النعم. ﴿**فاطَّلع فَرآه في سَوَاء الجحِيم(٥٥)**﴾ وسطه، ﴿**قَالَ تَالله إنْ كِدتَ لَتُردِينِ(٥٦)**﴾ لَتُهلِكنِي بالإغواء، ﴿**ولَولاَ نِعمَةُ ربِّي**﴾ بالهداية والعصمة، ﴿**لَكُنتُ مِنَ المُحضَرِينَ(٥٧)**﴾ معك فِيهَا. ﴿**أفَما نَحْنُ بمَيِّتِينَ(٥٨)**﴾ أي: مُخلَّدُون مُنعَّمون، ﴿**إلاَّ مَوتَتَنا الأولى**﴾ التِي كَانَت فِي الدُّنْيَا، ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُعذَّبِينَ(٥٩)**﴾ كالكفَّار، ﴿**إنَّ هَذَا لَهُوَ الفَوْز العظيم(٦٠)**﴾ وذلك تمام كلامه لقرينه تَقرِيعا لَهُ، أو مُعاوَدَة مُكالَمَة جُلسائِه تَحدُّثا بنعمة الله، وتلذُّذا

بها، وتعجـُّبا مِنهَا؛ أو أنْ يكون مِن كلام الله لتقرير قوله، والإخبار بِمَا عليـه مِنَ النِّعمة والخلود والأمن مِنَ العذاب.

﴿**لِمِثل هَذَا فَليَعمَلِ العامِلُونَ(٦١)**﴾ أي: لِنَيل مِثلِ هَذَا يَجب أن يَعمـل العاملون، لاَ للحظوظ الدُّنيَوِيَّة الـمَشوبَة بالآلام السريعة الانصرام.

﴿**أذَلِك خَيرٌ نُزُلا**[1]**، أمْ شَـجَرَةُ الزَّقـُّوم(٦٢) إنـَّا جعلناهـا فِتنَـةً للظالِمِينَ(٦٣)**﴾ مِحنَةً وعذابا فِي الآخِـرَة. ﴿**إنـَّها شـجرةٌ تَخـرُجُ فِي أصـل الجحيـم(٦٤)**﴾ مَنبَتُهـا فِي قعـر الجحيـم، وأغصانهـا ترتفـع إلَى دركاتهـا. ﴿**طَلْعُها**﴾ حملُها، مُستَعار من طَلع التمر لمـُشاركته إيَّاه فِي الشـكل، ﴿**كأنـَّه رُءُوس الشياطِينَ(٦٥)**﴾ فِي تناهي القبح والهول، (لَعَلَّـهُ) لأَنَّ منظرهـا ومنظر ما فيها عذاب خلاف الجنـَّة؛ وَهُوَ تشبيه بالمتخيَّل، كتشبيه الفـائق فِي الحسـن بالـمَلَك؛ وقيل: الشياطِينُ (لَعَلَّهُ) حيَّات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلّها سُـمِّيت بها لذلك.

﴿**فإنـَّهم لآكلون مِنها، فمـالئون مِنهـا البطُونَ(٦٦)**﴾ لِغلبـَة الجـوع، والجبر عَلَى أكلها، أو لضيق النفس عليه، لأَنـَّهَا لا تُغنِي مِن جوع، فَهُم جياع عِطاش أبدا؛ والـمِلءُ: حَشوُ الوعاء بِمَا لاَ يَحتمل الزيادة عليه. ﴿**ثـمَّ إنَّ لَهُـم عليها**﴾ أي: بعدما ملؤوا[2] بطونهم منها وغلبهم العطش، شربوا مِـنَ الحميـم فوق مـلء البطـون، فصـار ذَلِـكَ عذابا؛ والأكـل عـذاب، والجـوع والعطـش

---

١ - في الأصل: - «نزلا»، وهو سهو.

٢ - في الأصل: «ميلوا» وهو خطأ.

عذاب، زيادةً عَلَيْهِم من عذاب النار، لأَنَّ «ثُمَّ» يكون لِمَا [في] شربهم من مزيد الكراهة والبشاعة، لأَنَّ النعيم محرَّم عَلَيْهِم، فلا تَلذُّذ بأكل وَلاَ شرب، وَلاَ شبع وَلاَ تحقُّق[1] من ذَلِكَ، ويدلُّك عَلَى ذَلِكَ قوله: ﴿**لشَوبًا مِن حَمِيم(٦٧)**﴾ لَشرابا من غساق، أو صديد مشوبا بماء حميم يقطِّع أمعاءهم. ﴿**ثمَّ إنَّ مَرجِعهم لإلى الجحيم(٦٨)**﴾ إِلَى دركاتها أو إِلَى نفسها.

﴿**إنَّهم أَلْفَوا آباءهم ضَالِّينَ(٦٩) فَهُم عَلَى آثارهم يُهرَعُونَ(٧٠)**﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بِتقليد الآباء فِي الضلال؛ والإهراعُ: الإسراع الشديد، كأنَّهم يزعجون عَلَى الإسراع عَلَى آثارهم؛ وفيه إشعار بأنَّهم بادروا إِلَى ذَلِكَ من غير توقُّف عَلَى نظر وبحثٍ.

[٤٩٩] ﴿**وَلَقَد ضلَّ قَبلهم**﴾ قبل قومك ﴿**أَكثرُ الأَوَّلِينَ(٧١) وَلَقَد أرسلنا فِيهِم مُنذِرِينَ(٧٢)**﴾ أرسل (لَعَلَّهُ) رسلا أنذروهم مِنَ العواقب، وحَذَّروهم غُرور الظواهر. ﴿**فانظر كيف كَانَ عاقبةُ المنذَرِينَ(٧٣)**﴾ مَا حلَّ بهم مِنَ البلوى. ﴿**إلاَّ عبادَ الله المخلَصِينَ(٧٤)**﴾ إلاَّ الذِينَ تنبَّهوا بإنذارهم، فأخلصوا دينهم لله، أو أخلصهم الله لدينه؛ وقد قُرِئَ بِهِ، والخطاب للرسول وقومه فإنَّهم سمعوا أخبارهم أو آثارهم.

﴿**وَلَقَد نَادَانَا نُوحٌ**﴾ شُروع فِي تفصيل القَصص بعد إجمالها؛ أي: وَلَقَد دعانا حين أيس من قومه، ﴿**فَلَنِعْمَ المجيبُونَ(٧٥)**﴾ أي: أجبناه أحسن الإجابة. ﴿**ونجَّيناه وأهلَه مِنَ الكربِ العظيمِ(٧٦)**﴾ مِنَ الغرقِ، أو أذى

---

[1] - يمكن أن نقرأ: «ولا تخفُّف من ذَلِكَ».

قَومِه، أو من زلّته التِي زلّها. ﴿وجَعلنَا ذُرِّيَّـتَه هُـمُ البـاقِينَ(٧٧)﴾ إذ هلـك مَن عداهم، وبَقَوا مُتناسِلين إلىَ يوم القيامة، إذ رُوِي أنّـه مات كـلُّ مَـن كَـانَ معه فِي السفينة غير بَنِيه وأزواجهم. ﴿وتركنا عليه فِي الآخرِينَ(٧٨)﴾ قيـل: أبقينا لَهُ ثنـاءً حسنًا، وذكـرا جميـلا فيمـن بعـده مِـنَ الأنبيـاء والأمـم إلىَ يـوم القيامة؛ وقيل: يُصلّى عليه إلىَ يوم القيامة.

﴿سلامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ قيل: هُوَ سلامٌ مِـنَ ا لله عليـه ﴿فِي الْعَـالَمِينَ(٧٩)﴾ قيل: معناه الدعاء بِثُبُوت هَذِهِ التحيَّـة فِي المـَلاَئِكَة والثقلَيـن جميعـا. ﴿إنـَّا كذلك نَجزي المحسنِينَ(٨٠)﴾ تعليل لِمَا فعل بنوح مِـنَ التكرِمـة، بـأَنَّ ذَلِـكَ مُجازاةٌ لَهُ عَلَى إحسانه. ﴿إنـَّهُ مِن عبادنـا المؤمنِـينَ(٨١)﴾ تعليـل لإحسـانه بالإيمان، [و]إظهار لجلالة قدره، وتأصيل لعزِّه. ﴿ثمَّ أغرقنا الآخَريـنَ(٨٢)﴾ يعني: كُفـَّار قومه.

﴿وإنَّ مِـن شـيعته﴾ مِمَّـن شَايـَعه فِي الإيمـان وأصـول الشـريعة، ﴿لإبراهيم(٨٣)﴾ وَلاَ يـبعد اتّـفاق شَرعِهما فِي الفروع أو غالبا؛ وقيل: كَانَ بينهما هود وصالح. ﴿إذ جَاء ربـَّه بقلب سـليم(٨٤)﴾ مـن آفـات القلـوب، خالص لله وحده. ﴿إذ قَالَ لأبيه وقومه: ماذا تَعبدُونَ(٨٥) أئفكا آلهةً دونَ اللهِ تُرِيدُونَ(٨٦)﴾ أي: تُرِيـدون آلهـة ذَاتَ[1] إفـك دون ا لله، لأَنَّ الأهـمَّ أن يقرِّر أنـَّهُمْ عَلَـى البـاطل، ومَبنـَى أمرهـم عَلَـى الإفـك. ﴿فمـا ظنـُّكم بِـرَبِّ الْعَالَمِينَ(٨٧)﴾؟ مِمَّـن هُوَ حقيق بالعبادة، لكونه ربـًّا للعـالمين، حتـَّى تركتـم عبادتَه، وأشركتم بِهِ غيرَه!.

١ - فِي الأَصْلِ: «ذا».

﴿**فنظر نظرة في النجوم(٨٨)**﴾ فرأى مواقعها، مَعَ أنَّ قصده إيهامهم. ﴿**فقال: إنّي سقيمٌ(٨٩)**﴾ قيل أَرَادَ: إنّي سقيم القلب لكفركم؛ أو خارج المِزاج عَن الاعتدال خروجا قلَّ مَا يخلو مِنْهُ [أحدٌ][1]، أو بصدد الموت، ومنه الميل، كفى بالسلامة داء، ﴿**فتولَّوْا عنْهُ مُدبرينَ(٩٠) فراغ إلىَ آلهتِهم**﴾ فذهب إِلَيْها فِي خفية، من روغَة الثعلب، وأصلُه الميل بحيلة، ﴿**فقال**﴾ أي: للأصنام استهزاءً: ﴿**ألا تأكلونَ(٩١) مَا لكم لاَ تنطِقُونَ(٩٢)**﴾ بجَوَابِي. ﴿**فراغ عليهم**﴾ فمال عَلَيْهِم مُستَخفِيا، ﴿**ضربا باليمِينَ(٩٣)**﴾ للدلالة عَلَى قوَّته، فإنَّ قُوَّة الآلة تَستَدعِي قُوَّة الفعل.

﴿**فأقبلوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ(٩٤)**﴾ يُسرِعون من زَفِيفِ النعام، على [٥٠٠] مَا قيل. ﴿**قَالَ: أتعبدون مَا تَنحِتُونَ(٩٥)**﴾ مَا تعملونه مِنَ الأصنام. ﴿**والله خلقكم وَمَا تَعْمَلُونَ(٩٦)**﴾ أي: وَمَا تعملونه، فإنَّ جوهرَها بخلقِه؛ وشكْلُها وإن كَانَ بفعلهم ـ ولذلك جعل من أعمالهم ـ فبإقداره إيَّاهم عليه، وخَلْقِه مَا يتوقَّف عليه فعلُهم مِنَ الدواعي والعدد. ﴿**قَالُوا: ابنوا لَهُ بُنيَانًا فألقُوه في الجحيم(٩٧)**﴾ فِي النار الشديدة، من الجحمة: وهي شدَّة التأجُّج.

﴿**فأرادوا بِهِ كيدا**﴾ فإنَّهم لـمَّا قهرهم بالحُجَّةِ، قصدوا تَعذِيبَه بذلك، ﴿**فجعلناهم الأسفلِينَ(٩٨)**﴾ المقهورين الأذلّين بإبطال كيدهم، وجعله بُرهانا نيِّرا عَلَى عُلوِّ شأنه، حيث جعل النار عليه بردا وسلاما. ﴿**وقال إنّي ذاهبٌ إلىَ ربِّي**﴾ تجرُّدًا لعبادة رَبِّه مِنَ الشواغل الدنيويَّة إلىَ الأعمال

---

١ - من إضافتنا ليتمَّ المـَعْنَى.

الدينيَّة، ﴿سيهدين(٩٩)﴾ إِلَىٰ مَا فِيهِ صلاح ديني؛ وإنَّما بتَّ القول بالهداية لسبق وعدِه، وحقيقة توكُّله عليه، وانقطاعه إِلَيْهِ. ﴿ربِّ هَبْ لِي مِنَ الصالِحِينَ(١٠٠)﴾ يُعينُنِي عَلَى الطاعة، لأَنَّهُ كأنَّه[1] فريدا.

﴿فبشَّرناه بغلامٍ حليمٍ(١٠١) فَلَمَّا بلغ معه السَّعي﴾ أي: بلغ معه العمل بطاعة الله ﴿قَالَ: يا بُنَيَّ إِنِّي أرى فِي المنام أَنِّي أذبحُك، فانظر ماذا تَرَى﴾ مِنَ الرأي، إِنَّمَا شاوره فِيهِ وَهُوَ حتم ليعلم مَا عنده فيما نزل من بلاء الله، فَتثبُت قدمه، أو تزلَّ إن جزع، ويأمن عليه إن سلم، لِيُوَطِّنَ نفسه عليه، فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد لَهُ قبل نزوله.

﴿قَالَ: يا أبتِ افعل مَا تُؤمَر﴾ ولعلَّ الأمر بِهِ فِي اليقظة دون المنام، لتكون مُبادرتهما إِلَى الامتثال أدلَّ عَلَى كمال الانقياد والإخلاص، ﴿ستجِدُني إن شاء الله مِنَ الصابرينَ(١٠٢)﴾ عَلَى قضاء الله، ﴿فَلَمَّا أسلَمَا﴾ استسلما لأمر الله، ﴿وتلَّه للجبينَ(١٠٣)﴾ صرعه عَلَى شقِّه، فوقع جبينه عَلَى الأَرْض، فهو أحد جانبي الجبهة، وقيل: كبَّه عَلَى وجهه بإشارته، لئلاَّ يرى فِيهِ تعبيرا يرقُّ لَهُ فلا يذبحه.

﴿وناديناه أن يا إبراهيمُ(١٠٤) قد صدَّقتَ الرؤيا﴾ بالعزم والإتيان بالمقدِّمات؛ تقديره كَانَ مَا كَانَ مِمَّا ينطبق بِهِ الحال، وَلاَ يحيط بِهِ المقال من استبشارهما، وشُكرهما لله عَلَى مَا أنعم عليهما، من دفع البلاء بعد حلوله، والتوفيق لِـمَا لم يوفَّق غيرهما لمثله، وإظهار فضلهما بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ؛ مَعَ مَا

---

١- لعلَّ الصواب: «كان».

نـالا بـهِ [مـن] الثـواب العظيـم، إلىَ غـير ذَلِـكَ، ﴿**إنـَّا كذلـك نجـزي المحسنِينَ(١٠٥)**﴾ تعليل لإفراج تلك الشـدَّة عنهمـا بإحسـانهما؛ والـمَعنـَى: أنـَّا عفونا إبراهيم عَن ذبح ولده، نَجزي من أحسن فِي طاعتنا بإفراج الشدائد. ﴿**إنَّ هَذَا لهو البلاءُ الْمُبِينُ(١٠٦)**﴾ الابتلاء البيـِّن، الذِي يتميَّز فِيهِ المخلـص من غيره؛ أو المحنة البيـِّنة الصعوبة، فإنـَّها من مشاقِّ البلوى.

﴿**وفديناه بِذِبْحٍ**﴾ مِمَّـا يُذبـح بدلـه، فيتمُّ بـهِ الفعـل، ﴿**عظيـمٍ(١٠٧)**﴾ عظيم الجثَّة سمين، أو عظيم القدِّ؛ ﴿**وتركنا عليـه فِي الآخرِيـنَ(١٠٨) سـلام عَلَى إبراهيم(١٠٩) كذلك نجزي المحسنِينَ(١١٠)**﴾ أي: نجـزي بالسـلامة كلَّ من أحسن. ﴿**إنـَّهُ من عبادنا المؤمنِينَ(١١١) وبشَّرناه بإسحاقَ نبيـًّا مِّـنَ الصـالحِينَ(١١٢) وباركنـا عليـه**﴾ أي: عَلَـى [١٠٥] إبراهيـم فِي أولاده، ﴿**وعلى إسحاقَ، ومن ذُرِّيـَّتِهما مُحسِنٌ**﴾ فِي عمله، أو عَلَـى نفسـه بالإيمـان والطاعة، ﴿**وظالِمٌ لنفسه**﴾ بالكفر والمعاصي، ﴿**مُبِينٌ(١١٣)**﴾ ظَاهر ظُلمـه؛ وفيه تنبيه عَلَى أنَّ النسب لاَ أثر لَهُ فِي الهدى والضلال، وأنَّ الظلم مِنَ الذُرِّيـَّة لاَ يعود عَلَى الأبوين بِنقيصة وَلاَ عيب.

﴿**وَلَقَد مَنَنـَّا عَلَى موسى وهارُونَ(١١٤)**﴾ أنعمنا عليهمـا بـالنبوَّة، وغيرهـا مِنَ المنافع الدينيَّة والدنيويَّة. ﴿**ونَجَّيناهما وقَومَهما مِنَ الكرب العظيـم(١١٥)**﴾ من تغَلُّب فرعـون وآلـه. ﴿**ونصرنـاهم فكَـانُوا هُـمُ الغـالبِينَ(١١٦) وآتيناهمـا الكتـابَ المستـبِينَ(١١٧)**﴾ الواضـح فِي بيانـه. ﴿**وهديناهمـا الصِّـرَاطَ المُـسْتَقِيمَ(١١٨)**﴾ الطريق الموصل إلىَ الحقِّ والصواب. ﴿**وتركنا عليهمـا فِي**

**الآخرِينَ(١١٩) سلامٌ عَلَى موسى وهارُونَ(١٢٠) إنـَّا كذلك نجزي المحسنِينَ(١٢١) إنَّهما من عبادنا المؤمنِينَ(١٢٢)﴾.**

﴿**وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المرسَلِينَ(١٢٣) إذ قَالَ لقومه: ألا تَتَّقُونَ(١٢٤) أتدعون بَعْلاً**﴾ أتعبدون أو تطلبون الخير مِنْهُ، وَهُوَ اسم صَنَم فيمَا قِيل، ﴿**وتَذَرُون أحسَنَ الخَالقِينَ(١٢٥) اللهَ رَبَّكُم وربَّ آبائكم الأوَّلِينَ(١٢٦) فكذَّبوه فإنَّهم لَمُحْضَرُونَ(١٢٧)**﴾ فِي العذاب. ﴿**إلاَّ عبادَ الله المخلَصِينَ(١٢٨) وتركنا عليه فِي الآخرِينَ(١٢٩) سلام عَلَى إلْ ياسِينَ(١٣٠) إنَّا كذلك نجزي المحسنِينَ(١٣١) إنَّهُ من عبادنا المؤمنِينَ(١٣٢)**﴾.

﴿**وإنَّ لوطا لَمِنَ المرسَلِينَ(١٣٣) إذ نـجَّيناه وأهله أجمعِينَ(١٣٤) إلاَّ عجوزا فِي الغابرِينَ(١٣٥) ثُمَّ دمَّرنا الآخَرِينَ(١٣٦) وَإنَّكُم لَتَمُرُّون عَلَيْهِم مُّصبحِينَ(١٣٧) وبالليل أفلا تعقِلُونَ(١٣٨)**﴾ أفليس فيكم عقل تعتبرون بهِ.

﴿**وإنَّ يونسَ لَمِن المرسَلِينَ(١٣٩) إذ أبَقَ**﴾ هرب، وأصله: الهرب مِنَ السيِّد، ولكن لـمَّا كَانَ هربه من قومه بغير إذن ربِّه، حسن إطلاقَه عليه، ﴿**إلَى الفُلْكِ المشحُونِ(١٤٠)**﴾ المملوء. ﴿**فَسَاهَمَ**﴾ فقارع أهله ﴿**فكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ(١٤١)**﴾ فصار مِنَ المغلوبين بالقرعة؛ وأصله: المزلق عَن مقام الظفر. روي: «أنَّه لَمَّا وعد قومَه بالعذاب خرج من بَيْنِهم قبل أن يَأْمُرَه الله بِهِ، فركب السفينة فوقفت، فَقَالُوا: هنا عبد آبق، واقترعوا فخرجت القرعة عليه، فقال: أنا الآبق، ورمى بنفسه فِي الماء». ﴿**فالْتَقَمَهُ الحوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(١٤٢)**﴾ داخل فِي الملامة، أو أتى بِمَا يُلامُ عليه، أو مُليمٌ نفسَه.

﴿**فلولا أنَّه كَانَ مِنَ المسبِّحِينَ(١٤٣)**﴾ فِي بطن الحوت، وَهُوَ قوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] فيما قيل، ﴿**لَلَبِثَ فِي بطنه إِلَى يومِ يُبعَثُونَ(١٤٤)**﴾ قيل: حيًّا، وقيل: ميِّتا. ﴿**فنبذناه بالعَراء**﴾ بالمكَانَ الخالي عمَّا يُغطِّيه من شجر أو بيت، ﴿**وَهُوَ سَقيم(١٤٥)**﴾ مِمَّا ناله؛ قيل: صار بدنه كبدن الطفل حين يُولد. ﴿**وأنبتنا عليه**﴾ فوقه مظلَّة عليه ﴿**شجرةً مِن يَقطِين(١٤٦)**﴾ مِن شجر ينبسط عَلَى وجه الأَرْض وَلاَ يقوم عَلَى ساقه؛ "يفعيل" مِن "قَطَن بالمكَان": إذا قام بِهِ؛ والأكثَر عَلَى أنَّها كَانَت الدبَّاء، وغطَّته بأوراقها عمَّا يُؤذِيه.

﴿**وأرسلناه إِلَى مائةِ ألفٍ**﴾ هم قَومه الذِينَ هرب عَنْهُم؛ والمُرَاد: مَا سبق من إرساله، أو إرسال ثانٍ إِلَيْهِم، أو إلى غيرهم [٥٠٢] ﴿**أو يزيدُونَ(١٤٧) فآمنوا**﴾ فصدَّقوه، ﴿**فمتَّعناهم إِلَى حِينٍ(١٤٨)**﴾ إِلَى أجلهم المسمَّى.

﴿**فاستَفتِهم أَلِرَبِّكَ البناتُ، ولهم البنُونَ(١٤٩)**﴾ معطوف عَلَى مثله فِي أوَّل السورة، وَهُوَ قوله: ﴿فاستفتهم أهم أشدُّ خلْقًا أم مَّنْ خلَقْنَا﴾ أمر رسوله ﷺ أوَّلاً باستفتائهم عَن وجه إنكارهم البعث، فساق الكلام فِي تقريره جارًّا لِمَا يُلائمه مِنَ القصص، موصولا بعضها ببعض، ثُمَّ أمر باستفتائهم عن وجه القسمة، حيث جعلوا لله البنات، ولأنفسهم البنين، فِي قولهم: «المَلاَئِكَة بنات ا لله». ﴿**أَمْ خلَقْنَا المَلاَئِكَةَ إناثًا وَهُم شاهِدُونَ(١٥٠)**﴾؟ وإنَّما خصَّ علم المشاهدة، لأَنَّ أمثال ذَلِكَ لاَ يعلم إِلاَّ بِهِ.

---

[1] - سورة الأنبياء: ٨٧.

﴿**أَلاَ إنَّهم مِن إفكِهِم لَيَقولُونَ(١٥١): وَلَدَ اللهُ**﴾ لعدم مَا يقتضيه، وقيام مَا ينفيه، ﴿**وَإنَّهُم لَكاذِبُونَ(١٥٢)**﴾ فِي مَا يتديَّنون بِهِ، ﴿**أَصْطَفَى البناتِ عَلَى البنِينَ(١٥٣)**﴾؟! استفهام إنكار، واستبعاد، ﴿**مَا لكم كيف تحكُمُونَ(١٥٤)**﴾؟! بِمَا لاَ يرتضيه عقل، ﴿**أفلا تذَكَّرُونَ(١٥٥)**﴾؟! إنَّهُ مُنزَّه عَن ذَلِكَ، ﴿**أم لكم سلطانٌ مُبِينٌ(١٥٦)**﴾؟ حجَّة واضحة، ﴿**فأتوا بكتابكم**﴾ الذِي أنزل عليكم ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ(١٥٧)**﴾.

﴿**وجعلوا بينه وبين الجنَّة نَسَبًا**﴾ قَالَ الحسن: «معنى النسب: أنَّهم أشركوا السلطان فِي عبادة الله»؛ وقيل: أَرَادَ بـ«الجِنَّة» المَلاَئِكَة، سمُّوا جنَّة لاجتنانهم عَن الأبصار؛ كقولهم: «المَلاَئِكَةُ بناتُ اللهِ»؛ ﴿**وَلَقَد عَلِمَتِ الجنَّة إنَّهم**﴾ إنَّ الكفرة أو الإنس ﴿**لَمُحضَرُونَ(١٥٨)**﴾ فِي العذاب. ﴿**سبحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٥٩)**﴾ مِنَ الباطل؛ ﴿**إلاَّ عبادَ اللهِ الْمُخلَصِينَ(١٦٠)**﴾.

﴿**فَإنَّكُم وَمَا تعبُدُونَ(١٦١)**﴾ عود إِلَى خطابهم، ﴿**مَا أَنتُم عليه**﴾ (لَعَلَّهُ) معناه: مَا أَنتُم بمُضلِّين إلاَّ من سبقت لَهُ الشقاوة، ومن هُوَ صالِ الجحيمِ، ﴿**بفاتِنِينَ(١٦٢)**﴾ مفسدين الناس بالإغواء. ﴿**إلاَّ من هُوَ صالِ الجحيمِ(١٦٣)**﴾ إلاَّ من سَبَقَ فِي علمه أنَّه من أهل النار، ويَصِلُها[1] لاَ محالة.

﴿**وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مقام معلومٌ(١٦٤)**﴾ حكاية اعتراف المَلاَئِكَة بالعبوديَّة، للردِّ عَلَى عبدتهم عَلَى مَا قيل، والمَعنَى: مَا مِنَّا أحد إِلاَّ لَهُ مقام

١ - لَعَلَّ الأصوب: «ويصلاها».

معلوم فِي المعرفـة والعبـادة، والانتهـاء إِلىَ أمـر ا لله فِي تدبـير العـالَم. يحتمـل أن يكون هَذَا وَمَا قبله من قوله: ﴿سبحان ا لله﴾ مـن كلامهـم، ليتـصل بقولـه: ﴿وَلَقَد عَلِمت الجنَّة﴾ كأنَّه قَالَ: وَلَقَد علم المـَلاَئِكَة أنَّ المشـركين مُعذَّبـون بذلك، وَقَالُوا: «سبحان ا لله» تنزيها لَهُ عَنْـهُ، ثُمَّ استثـنوا المخلصين تنزيهًـا[1] لَهُم مِنْهُ، ثُمَّ خاطبوا الكفرة بِأَنَّ الافـتتان بذلك للشقاوة المقدَّرة، ثُـمَّ اعـترفوا بالعبوديـَّة، وتفـاوت مراتبهـم فِيـهِ، لاَ يتجاوزونهـا. ﴿وَإِنـَّا لَنَحْـنُ الصافـُّـونَ(١٦٥)﴾ فِي أداء الطاعـة، ومنـازل الخدمـة، وقيـل: صفـوف المـَلاَئِكَة فِي السَّمَـاء للعبادة (لَعَلَّهُ) كصفوف الناس فِي الأَرْض، ﴿وَإِنَّا لَنحـنُ المسبِّحُونَ(١٦٦)﴾ المنزِّهون لله عمَّـا لاَ يليـق بِـهِ، ولعـلَّ الأوَّل إشـارة إِلىَ درجاتهم فِي الطاعات، وَهَذَا فِي المعارف.

﴿وإن كَانُوا لَيقولُونَ(١٦٧): لو أنَّ عندنا ذِكْرًا مِنَ الأوَّلِـينَ(١٦٨)﴾ كِتَابًـا مِنَ الكتب السماويَّة ﴿لكُنَّـا عبـادَ الله المخلَصِـينَ(١٦٩)﴾ لأخلصنـا العبادة لَهُ، ﴿فكفروا بِهِ﴾ أي: لَمَّا جاءهم الذكر الـذِي هـو أشـرف الأذكـار [٥٠٣] المهيمن عليها، ﴿فسوف يَعْلَمُونَ(١٧٠)﴾ عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَـد سَـبَقَتْ كَلِمـتُنَـا لعبادِنـا المرسَـلِينَ(١٧١) إنـَّهم لَهُـمُ الـمَنصُورُونَ(١٧٢) وإِنَّ جُندَنا لَهُمُ الغالِبُونَ(١٧٣)﴾ أي: حزب ا لله لَهُمُ الغلبة بِالحُجَّةِ والنصرة فِي العاقبة. ﴿فَـتَولَّ عَنْـهُم﴾ فأعرض عَنْـهُم ﴿حتَّى حِينٍ(١٧٤) وأَبْـصِرْهُم﴾ عَلَى مَا ينالهم حينئذ؛ والمراد بالأمر: الدلالة عَلَى أنَّ

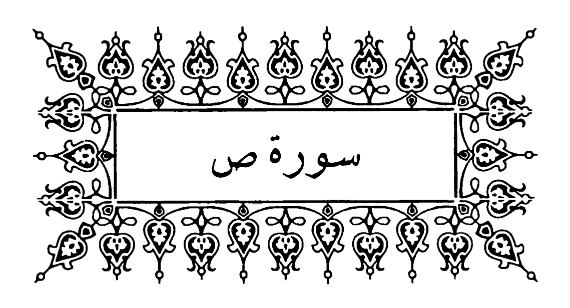
---

١ - فِي الأَصْلِ: «تنزيه».

ذَلِكَ كائن قريب كأنَّه قدَّامه، ﴿**فسوف يُبصِرُونَ(١٧٥)**﴾ مَا قضينا لك وعليهم؛ ﴿**أفبعذابنا يَستَعجِلُونَ(١٧٦)**﴾؟! قيل: إنَّهُ لَمَّا نزل: ﴿فسوف يُبصِرون﴾ قَالُوا: متى هَذَا؟ فنزل: ﴿**فإذا نزل بسَاحتهم**﴾ بفنائهم بغتة، ﴿**فَسَاءَ صَبَاحُ المنذَرِينَ(١٧٧)**﴾ فبِئْسَ صباح المنذَرين صباحهم.

﴿**وَتَوَلَّ عَنْهُم حتىَّ حِينٍ(١٧٨) وأبصِرْ فسوف يُبصِرُونَ(١٧٩)**﴾ وعدٌ لَهُ بالنصر، ووعيد عَلَيْهِم بالهلاك، والتكرير فِيهِ عَلَى المبالغة.

﴿**سبحان رَبِّكَ ربِّ العزَّة**﴾ الغلبة والقوَّة ﴿**عمَّا يَصِفُونَ(١٨٠)**﴾ عمَّا قاله المشركون فِيهِ، عَلَى مَا حكى فِي السورة؛ وإضافة الربِّ إِلىَ العِزَّة لاختصاصها بِهِ، إذ لا عِزَّة إلاَّ لَهُ، أو لمن أعزَّه، وقد أدرج فِيهِ جُملة السلبيَّة والثبوتيَّة، مَعَ الإشعار بالتوحيد، ﴿**وسلامٌ عَلَى المرسَلِينَ(١٨١)**﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم، ﴿**والحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٨٢)**﴾ عَلَى مَا أفاض عَلَيْهِم، وعلى من اتَّبعهم مِنَ النعم وحُسنِ العاقبة، ولذلك أخَّره عَن التسليم، والمراد: تعليم المؤمنين كيف يَحمدونه ويُسلِّمون عَلَى رسله.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ص، والقرآنِ ذي الذّكْرِ(١) بَل الذِينَ كَفرُوا فِي عِزَّةٍ وشِقاقٍ(٢)﴾ أي: مَا كَفَر بِهِ مَن كَفرَ لِخَلَلٍ وَجَدَهُ فِيهِ...[1] وَهُوَ الاستكبار عَن الحقِّ، والشقاق خلافٌ[2] للهِ ولرسوله، والمراد بالذكر: العظة، وَمَا يُحتاج إِلَيْهِ فِي الدين مِنَ العقائد والشرائع والمواعيد، (لَعَلَّهُ) واسم الكفر داخل عَلَى المشركين.

﴿كم أهلكنا مِن قبلِهم من قَرنٍ﴾ وعيدٌ لَهُم عَلَى كفرهم بِهِ استكبارا وشقاقا، ﴿فَنَادَوْا﴾ للإيمان استغاثة وتوبة واستغفارًا عند نزول العذاب، ﴿وَلاَتَ حينَ مناصٍ(٣)﴾ أي: ليس الحين حين مناص، والمناص هُوَ المنجَا.

﴿وعَجِبوا أن جاءهم مُّنذِرٌ مِّنْهُم﴾ بشرٌ مثلهم. ﴿وقال الْكَافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير غضبا عَلَيْهِم وذمًّا لَهُم، وإشعارا بِأَنَّ كفرهم جسَّرهم عَلَى هَذَا القول، ﴿هَذَا ساحرٌ﴾ فِي مَا يُظهره مِنَ الإعجاز

١ - يبدو أَنَّ فِي العبارة سقطا، تقديره: «وَإِنَّمَا لعزَّةٍ وشقاقٍ، وَهُوَ الاستكبار عن الحقِّ...»إلخ.

٢ - فِي الأَصْلِ: «خلافًا».

﴿كذّابٌ(٤)﴾ فيما يَقول عَلَى ا لله، وَهَذَا القول مِنَ المشركين بلسان المقـال، ومن الْكَافِرِينَ كفر النفاق بلسان الحال، ﴿أَجَعَـلَ الآلهـةَ إلهـًا واحـدا﴾؟ بـِأن جعل الألوهيَّة التِي كَانَت لَهُم لواحد، ﴿إنَّ هَذَا لَشـيءٌ عُجَابٌ(٥)﴾ بليغ فِي العجب، فإنَّه خلاف مَا أطبق عليه آباؤنا.

﴿وانطلَقَ الملأُ مِنـهُم﴾ وانطلق أشراف قريش من مجلـس رسـول ا لله ﷺ بعدما بكَـتهم، ﴿أَنِ امْشُـوا﴾ قـائلين بعضهـم لبعـض، ﴿واصـبروا﴾ واثبتـوا ﴿عَلَى آلهتكم﴾ عَلَى عبادتها ﴿إنَّ هَذَا لشيء يُراد(٦)﴾ إنَّ هَذَا الأمر لشيء من ريب الزمـان [٥٠٤] يُـراد بنـا فـلا مَـرَّد لَـهُ، وإنَّ هَـذَا الـذِي يدَّعيـه مِـنَ التوحيد ويقصده، مِنَ الرئاسة والترفُّع لَشيءٌ يُتمنَّى، أو يريده كلُّ أحـد، وإنَّ دينكم يُطلب ليُؤخذ منكم.

﴿مَا سمعنا بهذا﴾ بالذي يقوله ﴿فِي المِلَّة الآخِرَة﴾ فِي المِلَّـة التِـي أدركنـا عليها آباءنا، ﴿إنْ هَذَا إلاَّ اختلاقٌ(٧)﴾ كذبٌ اختلقه، ﴿أأنزِلَ عليه الذِّكْـرُ مِن بَيْنِنـَا﴾ إنكـارا لاختصاصه بـالوحيِ، وجعلـوه كأنَّـه مثلهـم، أو دون مِنْهُم فِي الشرف والرئاسة، كقولهم: ﴿لولا نُزِّل هَذَا القرآنُ عَلَى رجـلٍ مِّـنَ القريَتَيْنِ عظيمٍ﴾[1] وأمثال ذَلِـكَ دَلِيل عَلَى أنَّ مبـدأ تكذيـبهم [ليس] إلاَّ الحسد، وقصور النظر عَلَى الحطام الدنيويِّ؛ ﴿بَل هم فِي شـكٍّ مِن ذِكْـرِي﴾ مِنَ القرآن لِمَيلهم إِلَى التقليد، وإعراضهم عَن الدَّلِيـل؛ وليـس فِي عقيدتهـم مَـا

---

١ - سورة الزخرف: ٣١.

ينبئون[1] من قولهم: «هَذَا ساحر»، «إِنْ هَذَا إِلاَّ اختلاقٌ»، ﴿**بَل لَمَّا يذوقوا عذابِ(٨)**﴾ بَل لم يذوقوا عذابي بعدُ، فإذا ذاقوه زال شكُّهم، وثبت يقينهم حين لاَ ينفعهم؛ والمعنى: أنَّهم لاَ يُصدِّقون بِهِ حتَّى يذوقوا عذاب الموت، فيُلجِئهم إِلىَ تصديقه اضطرارًا[2].

﴿**أم عندهم خزائنُ رحمةِ رَبِّكَ العزيزِ الوهَّابِ(٩)**﴾؟ بَل أعندهم خزائن رحمته، وفي تصرُّفهم حتَّى يصيبوا بها مَا شاؤوا، ويصرفوها عمَّن شاؤوا فيتخيَّروا للنبوَّة بعض صناديدهم؟؛ والمـَعنَى: إنَّ النبوَّة عطيَّة مِنَ ا لله يَتفضَّل بها عَلَى من يَشَاء من عباده، فلا مانع لَهُ، فإنَّه العزيز الغالب الذِي لاَ يُغلَب، الوهَّاب الذِي له أن يهب كلَّ مَا يَشَاء لمن يَشَاء، ثُمَّ رشَّح ذَلِكَ فقال: ﴿**أم لَهُم مُلكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَينهما**﴾ كأنَّه لـمَّا أنكر عَلَيْهِم التصرُّف فِي نبوَّته، بأَن ليس عندهم خزائن رحمته التِي لاَ نهاية لها، أردف ذَلِكَ بأنَّه ليس لَهُم مدخل فِي هَذَا العالم الجسمانيِّ، الذِي هُوَ جزء يسير من خزائنه. ﴿**فليرتقوا فِي الأسباب(١٠)**﴾ أي: إن كَانَ لَهُم ذَلِكَ، فليصعدوا فِي المعارج التِي يُتَوصَّل بها إِلىَ العرش، حتَّى يستَوُوا عليه، ويدبِّروا أمر العالَم، فيُنزيلون الوحي إِلىَ من يستصْوِبون، وَهُوَ غاية التهكُّم بهم؛ وقيل: المراد بالأسباب: السَّمَاوَات، لأَنَّهَا أسباب الحوادث السفليَّة.

---

١ - كذا في الأصل، وفِي تفسير أبي السعود: «ما يبتُّون به، فهم مذبذبون بين الأوهام، ينسبونه تارة إِلىَ السحر، وأخرى إِلىَ الاختلاق». أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص٢١٦.

٢ - فِي الأَصْلِ: «اضطرارٌ» عَلَى أَنَّهُ فاعل «يلجئهم»، والأوفق ما أثبتناه.

﴿جُندٌ مَا هنالك مَهزومٌ مِّنَ الأحزابِ﴾ أي: جُندٌ مِنَ الكفَّار والمتحزِّبين عَلَى الرسل، مهزوم: مكسور عمَّا قريب، فمِن أين لَهُم التدابير الآلهيَّة والتصرُّف فِي الأمور الربَّانيَّة؟ فلا تَكترث بِمَا يقولون وَ«مَا» مزيدة للتعليل؛ و«هنالك» إشارة إِلىَ حيث وضعوا فِيهِ أنفسهم مِنَ الانتداب لمثل هَذَا القول.

﴿كذَّبت قبلهم قَومُ نُوحٍ، وعادٌ، وفرعونُ ذو الأوتادِ(١٢)﴾ ذو الملك الثابت بالأوتاد، كقوله:

ولقد غَنَوا فِيهَا بأنعم عيشة غنوا يعني: أقاموا
في ظلِّ ملك ثابت الأوتاد[1]

مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاد، أو الجموع الكثيرة، سُمُّو بذلك لأَنَّ بعضهم يشدُّ بعضا كالوتد يشدُّ البناء؛ وقيل: نصب أربع سَوَارٍ، وكَانَ يمدُّ يدي المعذَّب ورجليه إِلَـيْهِا[2]، ويضرب عليها [٥٠٥] أوتادًا، و يتركه حتَّى يموت.

﴿وثمودُ، وقومُ لوطٍ، وأصحابُ الأيكةِ﴾ أصحاب الغيضة، وَهُم قوم شعيب، ﴿أولَـئِكَ الأحزابُ(١٣)﴾ المتحزِّبون[3] عَلَى الرسل؛ ﴿إن كلٌّ إلاَّ كَذَّبَ الرسُلَ فَحَقَّ عقابِ(١٤)﴾ عَلَيْهِم فِي الدارين. ﴿وَمَا ينظر هؤلاء﴾ وَمَا ينتظر قومك ﴿إلاَّ صيحةً وَاحِدَةً﴾ وَهُوَ انتظار كلٍّ عاصٍ عَلَى الانفراد

١ - البيت للأسود بن يعفر. انظر: الزمخشري: الكشَّاف، ٤/ ٥٨. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٧/ ص٢١٧.

٢ - فِي الأصل: «إليهما».

٣ - فِي الأصْلِ: «المتحزِّبين»، وَهُوَ خطأ.

عذابَ الموت كَانَ بسببٍ كالقـتل ونحوه، أو غير سبب وَهُوَ حتف أنفه، ﴿مَا لها من فَوَاقٍ(١٥)﴾ من تَـوَقُّـف مقدار «فواق» وَهُوَ مَا بين الحلبتين.

﴿وَقَالُوا: رَبَّنَا عجِّلْ لَّنَا قِطَّنا﴾ قيل: إِنَّهُ الموت أو العذاب، ﴿قبـل يـوم الحسابِ(١٦)﴾ استهزاء؛ وقيل: القِطُّ: هُوَ الحظُّ، فسألوا حظَّهم مِنَ العقـاب قبل يوم الحساب استـهزاءً مِنـْهُم بـالنبيِّ وبـالقرآن، وَا للهُ يسـتهزئ بهـم وَهُـوَ كقوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾[1].

﴿اصبر عَلَى مَـا يقولـون واذكُـرْ عبدَنـا داوودَ﴾ واذكـر قصَّتـه تعظيمـا للمعصية فِي أعينهم، فإنَّـه مَعَ علوِّ شـأنه واختصاصـه بعظـائم النعـم، لَمَّـا آتـى سَيِّئة نزل عَن منزلته، ودخل عليه المـَلاَئِكَة بالتمثيل والتعريـض، حتَّـى تفطَّـن واستغفر؛ أو تذكَّرْ قصَّته؛ وصُنْ نفسك أن تَزِلَّ فيلقاك مَا لقيه مِنَ المعاتبة عَلَى إهمال عِنان نفسه أدنى إهمال، ﴿ذا الأيـدِ﴾ ذا القـوَّة، ﴿إِنـَّهُ أوَّابٌ(١٧)﴾ رجَّاع إِلىَ مرضاة ا لله، وَهُوَ تعليل للأيدي، دَلِيل عَلَى أنَّ المـُرَاد بِـهِ: القـوَّة فِي الدين، كان يصوم يوما ويفطر يوما.

﴿إِنَّا سخَّرنا الجبال مَعه يُسبِّحنَ﴾ للدلالة عَلَى تَجدُّد التسبيح حالا بعـد حال، ﴿بالعشيِّ والإشراقِ(١٨) والطيرَ مَحشورةً﴾ أي: مجموعة إِلَيْـهِ مـن كلِّ جانب، ﴿كـلٌّ لَـهُ أوَّاب(١٩)﴾ كـلُّ وَاحِـد مِـنَ الجبـال والطـير لأجـل تسبيحه رجَّاع إِلىَ التسبيح؛ والفرق بينه وبين مَا قبله أنـَّه يدلُّ عَلَى الموافقـة فِي التسبيح، وَهَذَا عَلَى المداومة عليهـا؛ أو كـلٌّ منهـا ومـن داوود مُرجِـع إِلىَ ا لله

١ - سورة الحج: ٤٧. وسورة العنكبوت: ٥٣.

التسبيح؛ ﴿**وشَدَدْنا مُلكَه**﴾ وقوَّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود، ﴿**وآتيناه الحكمةَ**﴾ النبوَّة، أو كمال العلم، وإتقان العمل، ﴿**وفصلَ الخِطَابِ(٢٠)**﴾ فصل الخصام، بتميُّز الحقِّ عَن الباطل، والكلام الملخَّص، الذِي ينبِّهُ المخاطَب من غير التباس، يراعَى بِهِ مظانُّ الفصل والوصل.

﴿**وهل أتاك نبأُ الخَصْمِ**﴾؟ استفهام معناه التعجُّب والتشويق إِلَى استماعه، ﴿**إذ تسوَّروا المحرابَ(٢١)**﴾ إذ تصعَّدوا سور الغرفة، ﴿**إذ دخلوا عَلَى داوودَ فَفَزِعَ مِنْهُم**﴾ قيل: لأَنَّهُم نزلوا عليه من فوق فِي يوم الاحتجاب، والحرس عَلَى الباب لاَ يتركون من يدخل عليه، فإنَّه قيل: جزَّأ زمانه: يوما للعبادة، ويوما للقضاء، ويوما للوعظ، ويوما للاشتغال بخاصَّته، فتسوَّر عليه مَلاَئِكَةٌ عَلَى صورة إنسان فِي يوم خلوة.

﴿**قَالُوا: لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ**﴾ نَحْنُ فوجان متخاصمان، عَلَى تسمية مُصاحب الخصم خصما، ﴿**بَغَى بعضُنا عَلَى بعضٍ، فاحكُمْ بينَنَا بالْحَقِّ وَلاَ تُشطِط**﴾ وَلاَ تجر فِي الحكومة، ﴿**واهدِنا إِلَى سواء الصِّرَاط(٢٢)**﴾ إِلَى وسطه، وَهُوَ العدل. ﴿**إنَّ هَذَا أخي**﴾ بالدين أو الصحبة ﴿**لَهُ تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ [٥٠٦] هي الأنثى مِنَ الضأن، وقد يُكنَّى بها عَلَى المرأة، والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ فِي المقصود؛ ﴿**فقال: أكفِلنيها**﴾ ملِّكنيها، وحقيقته اجعلني أكفلُها كما أكفل مَا تحت يدي؛ وقيل: اجعلها كفلي [أي] نصيبي، ﴿**وعزَّني فِي الخطاب(٢٣)**﴾ وغلبني فِي مخاطبته إيَّايَ.

﴿**قَالَ: لَقَد ظَلَمَكَ بسؤالِ نعجتِك إِلَى نعاجه، وإنَّ كثيرا مِنَ الخُلَطَاءِ**﴾ الشركاء الذِينَ خلطوا أموالهم ﴿**لَيَبْغِي**﴾ ليتعدَّى ﴿**بعضُهم عَلَى**

**بعضٍ، إلاَّ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات﴾** الذِينَ عادتهم دون الأوَّلين، **﴿وقليلٌ مَا هم، وظنَّ داوودُ أنَّما فتنَّاهُ﴾** ابتليناه بالذنب وامتحنَّاه بتلك الحكومة، **﴿فاستغفَرَ ربَّه﴾** لذنبه، **﴿وخرَّ راكعًا﴾** ساجدا على تسمية السجود [ركوعا][1]، **﴿وأناب(٢٤)﴾** ورجع إِلَى الله بالتوبة.

**﴿فغفرنا لَهُ ذَلِكَ﴾** أي: مَا استغفر عَنْهُ، **﴿وإنَّ لَهُ عندنا لَزُلْفَى﴾** لقربة بعد المغفرة **﴿وحسنَ مآبٍ(٢٥)﴾** مَرجع فِي الجنَّة. **﴿يا داوودُ، إِنَّا جعلناك خليفةً فِي الأَرْضِ﴾** استخلفناك عَلَى الملك فِيهَا، أو جعلناك خليفة مَن قبلَك مِنَ الأنبياء والقائمين بِالْحَقِّ، **﴿فاحكم بين الناس بِالْحَقِّ﴾** بحكم الله، **﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الهوَى﴾** ما تهوى النفس، وَهُوَ يُؤَيِّدُ مَا قيل: إنَّ ذنبه المبادرة إِلَى تصديق المدَّعي، وتظليم الآخر قبل مسألته، **﴿فيُضِلَّك عَن سبيل الله﴾** دلائله التِي نصبها عَلَى الحقِّ، **﴿إِنَّ الذِينَ يَضِلُّون عَن سبيل الله لَهُم عذابٌ شديدٌ﴾** عاجلا وآجلا **﴿بِمَا نَسُوا يومَ الحسابِ(٢٦)﴾** بسبب نسيانهم، وَهُوَ ضلالهم عَن السبيل، فإنَّه بذكره تقتضي مُلازمة الحقِّ ومُخالفة الهوى.

**﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بينهما باطلا﴾** خلقا باطلا لاَ حكمة فِيهِ، أو مُبطلين عابثين؛ **﴿ذَلِكَ ظنُّ الذِينَ كَفَرُوا﴾** الإشارة إِلَى خلقها باطلا، **﴿فويلٌ للذين كفَرُوا مِنَ النَّارِ(٢٧)﴾** بسبب هَذَا الظنِّ. **﴿أم نجعلُ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسِدين فِي الأَرْضِ؟ أم نَجعل المُتَّقِينَ كالفجَّارِ(٢٨)﴾**؟ لم نساوِ[2] بَيْنَهُم فِي الجزاء، كما لم يستووا فِي العمل.

---

١ - إضافة من تفسير أبي السعود، مج٤/ ج٧/ ص٢٢٢. ليستقيم المعنى.

٢ - فِي الأَصْلِ: «نساوي»، وَهُوَ خطأ من الناسخ.

﴿**كِتَابٌ أنزلناه إليك مباركٌ**﴾ نفّاع، ﴿**ليدَّبَّروا آياتِه**﴾ ليتفكّروا فِيهَا، فيعرفوا تدبُّر[1] ظاهرها مِنَ التأويلات الصحيحة، والمعاني المستنبطة، ﴿**وليتذكّر أولو الألبابِ(٢٩)**﴾ وليتّعظ بهِ ذو العقول السليمة، وليستحضروا مَا هُوَ كالمركوز فِي عقولهم، مِن فرط تَمكُّنهم من معرفته بِمَا نصب عليه مِنَ الدلائل؛ فإنَّ الكتب الإلهِيَّة بيان لِمَا لاَ يُعرف إلاَّ مِنَ الشرع، وإرشاد إِلَى مَا لاَ (لَعَلَّهُ) يَستقبحه العقل، ولعلَّ التدبُّر للعلوم الأوَّل، والتذكُّر للثاني.

﴿**ووَهَبْنا لِداوودَ سليمانَ، نِعمَ العبدُ إنَّهُ أوَّابٌ(٣٠)**﴾ رجَّاع[2] إِلَى الله بالتوبة. ﴿**إذ عُرِضَ عليه بالعشِيِّ**﴾ بعد الظهر ﴿**الصافِنَاتُ**﴾ الصوافن مِنَ الخيل: الذِي يقوم عَلَى طرف سنبك[3] يد أو رجل، وَهُوَ مِنَ الصفاتِ المحمودة فِي الخيل، لاَ تكاد تكون إلاَّ فِي العراب الخُلَّص ﴿**الجياد(٣١)**﴾ [٥٠٧] جمع جواد. ﴿**فقال: إنِّي أحببتُ حُبَّ الخيرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بالحجابِ(٣٢) رُدُّوها عليَّ، فطَفِق مَسحًا بالسُّوقِ والأعناقِ(٣٣)**﴾ لأَنَّ كلَّ مَا يشغل عَن الله فلا خير فِي الاشتغال بهِ.

﴿**ولَقَد فَتَنَّا سليمانَ وألقينا عَلَى كرسِيِّه جَسَدًا ثُمَّ أنابَ(٣٤) قَالَ: ربِّ اغفرْ لي وَهَبْ لي مُلكا لاَ يَنبغي لأحدٍ مِن بعدي**﴾ قيل: لاَ يصحُّ لأحد

---

١ - فِي الأَصْلِ: «فيعرفوافوايدلرظاهرها»، ويمكن أن نقرأها هكذا: «فيعرفوا فوائد تدبُّر ظاهرها».

٢- في الأصل: «رجارع»، وهو خطأ.

٣ - «السُّنبُك كقُنفُذ: ضربٌ من العَدْوِ، وطَرَفُ الحافِرِ». الفيروزآبادي: القاموس، ص٨٤٩، مَادَّة: «سنبك».

مِن بعدي لعظمته، ﴿**إنَّك أنتَ الوهَّاب(٣٥) فسخَّرنا لَهُ الريحَ تَجري بأمره رُخاءً**﴾ لَينة، مِنَ الرخاوة لاَ تُزعزع، وَلاَ تُخالف إرادته، كما المأمور[1] المنقاد، ﴿**حيثُ أصابَ(٣٦) والشياطينَ كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ(٣٧) وآخرينَ مُقرَّنينَ فِي الأصفادِ(٣٨) هَذَا عَطاؤُنا فامنُنْ أو أمسِكْ**﴾ فأعط مَن شئت، وامنع مَن شئت ﴿**بغير حساب(٣٩) وإنَّ لَهُ عِندنا لَزُلفَى**﴾ فِي الآخِرَة، مع مَا لَهُ مِنَ الملك العظيم فِي الدُّنْيَا، ﴿**وحُسنَ مَآبٍ(٤٠)**﴾.

﴿**واذكر عَبدنا أيُّوب إذ نادى ربَّه أنِّي مسَّنيَ الشيطانُ بنُصب**﴾ بتعب ﴿**وعذابٍ(٤١)**﴾ أَلَمٍ؛ أضاف ذَلِكَ إِلَى الشيطان لأنَّه (لَعَلَّهُ) بسبب طاعته له، كما قَالَ: ﴿وَمَا أصابَكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم﴾[2] ﴿**اركضْ برِجْلِكَ هَذَا مُغتَسَلٌ باردٌ وشراب(٤٢) ووهبنا لَهُ أهلَه ومثلَهم مَّعَهم رحمةً مِّنَّا، وذكرَى لأُولِي الألبابِ(٤٣)**﴾ وتذكيرًا[3] لَهُم، لينتظروا الفرج بالصبر، والالتجاء[4] إِلَى الله فيما يَحيق بهم. ﴿**وخُذ بيدِك ضِغْثًا**﴾ الضغث: الحزمة الصغيرة مِنَ الحشيش ونحوه؛ ﴿**فاضربْ بِهِ وَلاَ تحنثْ، إنَّا وجدناه صابرا**﴾ فيما أصابه، وفيما تعبّد بِهِ، ﴿**نِعْمَ العبدُ إِنَّهُ أوَّاب(٤٤)**﴾.

﴿**واذكر عِبادنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أُولِي الأيدي والأبصار(٤٥)**﴾ أُولِي القوَّة فِي الطاعة والبصيرة فِي الدين؛ أو إِلَى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة؛

---

١ - الصواب: «كالمأمور».

٢ - سورة الشورى: ٣٠.

٣ - فِي الأَصْلِ: «تذكيرٌ».

٤ - فِي الأَصْلِ: «الآلجاء».

فعبَّر بالأيدي عَن الأعمال، لأَنَّ كثرتها بمباشرتها، وبالأبصار عَن المعارف، لأَنـَّهَا أقوى مبادئها؛ وفيه تعريض للبطلة والجهَّال أنـَّهم كالزَّمنى والعُماة. **﴿إنـَّا أخلصناهم بِخالِصةٍ﴾** جعلناهم خالصين لَنَا بخصلة خالصة لاَ شَوبَ فِيهَا هِيَ: **﴿ذكرَى الدارِ(٤٦)﴾** تذكُّرُهم للآخرة دائما، فإِنَّ خلوصهم فِي الطاعة بسببها، وذلك لأَنَّ مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون رضاه ولقاء ثوابه، والخوف من عقابه؛ وإطلاق الدار للإشعار بأنَّها الدار الحقيقيَّة، والدُّنْيَا معبرها. **﴿وَإنـَّهُم عندنا لَمِنَ المـُصْطَفَيْنَ الأخيارِ(٤٧)﴾** لَمِنَ المختارين مِن أمثالهم، المصطفين عَلَيْهِم فِي الخير.

**﴿واذكر إسماعيلَ واليسعَ وذَا الكِفْلِ وكلٌّ مِنَ الأخيار(٤٨)﴾.**

**﴿هَذَا﴾** إشارة إِلَى مَا تَقدَّم مِن أمورهم، **﴿ذِكْرٌ﴾** شرفٌ لَهُم، أو نوع مِنَ الذكر، وَهُوَ القرآن؛ ثُمَّ شرع فِي بيان مَا أعدَّ لهم ولأمثالهم، فقال: **﴿وإنَّ للمتَّقين لَحُسْنَ مَآبٍ(٤٩)﴾** مَرجع، **﴿جنَّات عَدنٍ﴾** عطف بيان لـ«حسن مآب»، **﴿مفتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ(٥٠) مُتـَّكئين فِيهَا، يـَدْعُونَ فِيهَا بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ(٥١)﴾** الاقتصار عَلَى الفاكهة للإشعار بِأَنَّ جزاءهم مَحضُ التلذُّذ؛ فإِنَّ التغذِّي للتحلُّل وَلاَ تَحلُّل هناك، ثُمَّ **﴿وعندهم قاصراتُ الطرفِ أترابٌ(٥٢)﴾** لِدَاتٌ لَهُم؛ فإِنَّ التحابَّ بين [٥٠٨] الأقران أثبت، أو بعضهنَّ لبعض لاَ عجوز فِيهِنَّ وَلاَ صبيَّة.

**﴿هَـذَا مَا توعَدونَ لِيومِ الحسابِ(٥٣)﴾** لأجله، فإِنَّ الحساب علَّة الوصول إِلَى الجزاء. **﴿إنَّ هَذَا لَرِزْقُنا مَا لَهُ من نَفادٍ(٥٤)﴾** انقطاع.

﴿هَذَا، وإنَّ للطَّاغين لَشَرَّ مآبٍ(٥٥)﴾ مرجع، ضدّ مآب المتّقين. ﴿جهنَّم يَصلونها، فبِئسَ المهادُ(٥٦)﴾ المفتَرَش؛ مستعار مِن فراش النائم. ﴿هَذَا فَليذوقوه حميمٌ وغَسَّاق(٥٧)﴾ الغسَّاق: قيل مَا يغسق من صديد أهل النَّار؛ مِن غَسَقَت العين: إذَا سال دمعها. ﴿وآخَرُ﴾ أي: مَذوق، أو عذابٌ آخر، وقرئ: «وأُخر»، أي: مَذوقات، أو أنواع عذاب أُخر ﴿مِن شَكْلِهِ﴾ مِن مِثل هَذَا المذوق، أو العذاب فِي الشدَّة ﴿أزواجٌ(٥٨)﴾ أجناسٌ لاَ يعلمها إلاَّ الله، ومَن أعلمه بذلك.

﴿هَذَا فوجٌ مُقتَحِمٌ معكُم﴾ حكاية مَا يقال للرؤساء الطاغين إِذَا دخلوا النَّار، واقتحمها معهم فوجٌ تَبعهم فِي (لَعَلَّهُ) الضلال؛ والاقتحام: ركوب الشدَّة، والدخول فِيهَا؛ وذلك [أَنَّ] القادة إِذَا دخلوا النَّار ثُمَّ دخل بعدهم الأتباع؛ قالت الخزنة للقادة: هَذَا ـ يعني: الأتباع ـ فوج جماعة مُقتحم معكم، قالت[1]: ﴿لاَ مرحبا بهم﴾ دعاء مِنَ المتبوعين عَلَى أتباعهم، والمرحب، أي: مَا أوتوا بهم رحبا وسعة، ﴿إنَّهم صالوا النارِ(٥٩)﴾ داخلين النَّار بأعمالهم مثلنا.

﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع للرؤساء: ﴿بَل أَنتُم لاَ مرحبا بكم﴾ بَل أَنتُم أحقُّ بِمَا قُلتم، ﴿أَنتُم قدَّمتموه لَنَا﴾ قدَّمتم العذاب لَنَا بإغوائنا عَلَى مَا قدَّمتم مِنَ العقائد الزائغة، والأعمال القبيحة، ﴿فبِئْسَ القرار(٦٠)﴾ فبِئْسَ المقرُّ جهنَّم. ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع أَيْضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لنَا هَذَا﴾ أي: شرعه وسنَّه،

---

١ - هنا وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية ولم يكتب فيها شَيْئًا، وَلَعَلَّ فِي العبارة سقطا.

﴿فَزِدْهُ عذابا ضِعفا فِي النـار(٦١)﴾ مضاعفـا، أي: ذا ضِعـف، وذلـك أن تزيـد عَلَى عذابه مثله فيصير ضعفين، كقوله: ﴿رَبَّنَا آتهم ضعفين مِنَ العذاب﴾[1].

﴿وَقَالُوا﴾، أي: الطـاغون: ﴿مَـا لَنَـا لاَ نـرى رجـالا كُنـَّا نعدُّهـم مِـنَ الأشـرارِ(٦٢)﴾؟ يعنـون فقـراء الـمُسْلِمِينَ الذِيـنَ يسـترذلونهم ويسـخرون مِنْهُم. ﴿أتـَّخذناهم سِخريـًّا أم زاغـتْ﴾ مـالت ﴿عَنـهُم الأبصـارُ(٦٣)﴾ فلا نراهم، أو المُرَاد: الدلالة عَلَى أنَّ استرذالهم والاستسخار مِنْهُم كـانَ لزيـغ أبصـارهم، وقصـور نظرهـم عَلَـى رثـاثة حـالهم. ﴿إنَّ ذَلِـكَ﴾ الـذِي حكينـا عَـنْـهُم ﴿لَحَقٌّ تخاصُمُ أهلِ النارِ(٦٤)﴾ لاَ بدَّ من وقوعه.

﴿قل﴾ يا محمَّد للعاصين: ﴿إنـَّما أنا مُنذِرٌ﴾ أنذركم عذابَ الله، ﴿وَمَـا مـن إلهٍ إلاَّ الله الواحدُ﴾ الـذِي لاَ يقبـل الشـركة والكـثرة فِي ذاتـه، ﴿القهـَّارُ(٦٥)﴾ لِكُـلِّ شـيء. ﴿ربُّ السـَّمَاوَات والأَرْض وَمَـا بينهمـا﴾ مِنـْهُ إبداؤهـا وَإِلَيْـهِ إيعادها، ﴿العزيز﴾ لاَ يُغلب، ﴿الغفـَّار(٦٦)﴾ الذِي يَغْفِـر لمن تـاب، وفِي هَـذِهِ الأوصاف تقرير للتوحيد ووعدٌ للموحِّدين، ووعيد لمن عداهم.

﴿قل: هُوَ﴾ أي: مَا أنبأتكم بِهِ مِنَ أنـِّي نذيرٌ من عقوبَةِ مَن هَذَا صفته، وَأنـَّهُ وَاحِد فِي الألوهيَّة، ﴿نبأٌ عظيـمٌ(٦٧) أنتُـم عَنـهُ معرضُـونَ(٦٨)﴾ لتمـادي [٥٠٩] غفلتكم، فإنَّ العاقل لاَ يعرض عَن مثله، كيف وقـد قـامت عليـه الحجـج الواضحة، إمـَّا عَلَى التوحيد فيما[2] مـرَّ، وَإمـَّا عَلَى النبوَّة فِي قوله[3]: ﴿مَا كَانَ لي

---

١ - سورة الأحزاب: ٦٨.

٢ - فِي الأصل: «فما»، وَهُوَ خطأ.

٣ - فِي الأصْلِ: «فقوله»، ولا يستقيم مع السياق.

**من عِلْمٍ بالمَلإِ الأعلَى إذ يَخْتَصِمُونَ(٦٩)﴾** فإنَّ إخباره عن تقاول المـلاَئِكَة، وَمَا جرى بَيْنَـهُم عَلَى مَا وردت فِي الكتب المتقدِّمـة، مـن غير سماع أو مطالعة كِتَاب، لاَ يُتصوَّر إلاَّ بالوحي. و«إذ» متعلّق بـ«عِلْـمٍ»، أو محذوفٍ، إذ التقدير: «من علمٍ بكلام الملإ الأعلى». **﴿إنْ يوحَـى إِلَيَّ إلاَّ أنـَّما أنا نذيرٌ مُّبِينٌ(٧٠)﴾** أي: لأنـَّما، كأنـَّه لَمَّا جوَّز أنَّ الوحي ثابت[1]، بيَّن بذلـك مَا هُوَ المقصود بِهِ، تحقيقا لقوله: ﴿إنـَّمـا أنا نذير﴾.

**﴿إذ قَالَ رَبُّكَ للمَلاَئِكَة: إنِّي خالقٌ بَشَرًا من طِينٍ(٧١)﴾** بـدلٌ مـن «إذ يختصمون» مُبَيِّن لَهُ، فإنَّ القصَّة التِي دخلت «إذ» عليهـا مُشتَمِلة عَلَى تقاوُل المـلاَئِكَة وإبليس فِي خلق آدم، واستحقاقِه للخلافة والسـجود عَلَى مَا مَرَّ فِي البقرة، غير أنـَّها اختصرت اكتفاءً بذلك، واقتصارًا عَلَى مَا هُوَ المقصود منها، وَهُوَ إنذار المشركين عَلَى استكبارهم عَلَى النبيِّ ﷺ بمثل مَا بإبليس عَلَى استكباره عَلَى آدم، هَذَا ولعلّه يجوز أن يكون مقاولة الله إيـَّاهم بواسطة ملك، وأن يفسَّر الملأ الأعلى بِمَا يعمُّ الله تعالى والمـلاَئِكَة.

**﴿فإذا سوَّيتُه﴾** عدَّلت خلقته **﴿ونَفَخْتُ فِيهِ من رُّوحِي﴾** وأحييته بنفخ الروح فِيهِ؛ وإضافته إِلَى نفسه لشـرفه وطهارتـه، **﴿فَقَعُوا لَهُ﴾** فخرُّوا لـه **﴿ساجدِينَ(٧٢)﴾** خاضعين، أو منقادين لَهُ، أو مؤتمِّـين بِهِ؛ ولعلَّ هَذِهِ الآيـة تشهد لمن قَالَ: «إنَّ المؤمنين من بني آدم أفضل مِنَ المـلاَئِكَة»، وممـَّا يقـوِّي معنى هَذَا القول قول إبليس لعنه الله: ﴿أنـا خيرٌ مِنْـهُ﴾، والأفضل لاَ يسـجد لِمَن دونه، وَلاَ ينقاد لَهُ. **﴿فسَجَدَ المـلاَئِكَةُ كلُّهم أجمعُونَ(٧٣) إلاَّ إبليـسَ**

---

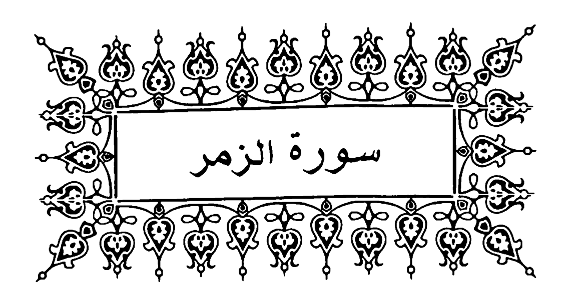
١ - في الأصل: «ثابتـه».

**استكبرَ﴾** تعظّم، **﴿وكان﴾** وصار **﴿من الْكَافِرِينَ(٧٤)﴾** باستكباره عَن أمر الله، وكَانَ مِنْهُم فِي علمه.

**﴿قَالَ: يا إبليس مَا مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، أستكبرتَ أم كنتَ مِنَ العالِينَ(٧٥)﴾** تكبَّرت من غير استحقاق. **﴿قَالَ: أنا خيرٌ مِنْهُ، خلقتَنِي من نَّار، وخلقتَه من طِين(٧٦) قَالَ: فاخرُجْ منها﴾** مِنَ السَّمَاء، أو مِنَ الصورة الملَكيَّة، **﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ(٧٧)﴾** مطرود مِنَ الرحمة ومَحلِّ الكرامة. **﴿وإنَّ عليكَ لَعنَتي إلَى يومِ الدِينِ(٧٨)﴾** علم الله مِنْهُ الإصرار، وأنَّه لاَ يتوب إلَى يوم النفخة الأولى، لقوله: **﴿قَالَ: ربِّ فأنظرني إلَى يومِ يُبعثُونَ(٧٩) قَالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ(٨٠) إلَى يومِ الوقتِ المعلومِ(٨١) قَالَ: فبِعزَّتِكَ﴾** فبسلطانك وقهرك **﴿لأُغوينَّهم أجمَعِينَ(٨٢) إلاَّ عبادك مِنْهُمُ المخلَصِينَ(٨٣)﴾** الذِينَ أخلصهم الله لطاعته، وعصمهم مِنَ الضلالة، أو أخلصوا قلوبهم لله، عَلَى اختلاف القرائن، **﴿قَالَ: فالحقَّ والحقَّ أقولُ(٨٤)﴾** أي: أُحقُّ الحقَّ وأقوله، **﴿لأملأنَّ جهنَّمَ مِنك ومِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُم أجمعِينَ(٨٥)﴾**.

**﴿قل: مَا أسألكم عليه من أجرٍ﴾** بتبليغ الوحي، **﴿وَمَا أنا مِنَ المتَكلِّفِينَ(٨٦)﴾** المتصنِّعين بِمَا لست من أهله مَا عرفتم من حالي، فأنتَحل النبوَّة، وأتقوَّل القرآن، وكلُّ من قَالَ شَيْئًا من تلقاء نفسه فهو مُتكلِّف. **﴿إن هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ﴾** عِظةٌ **﴿للعالَمِينَ(٨٧)﴾** للثقلين، **﴿ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾** بِمَا أخبرتكم مِنَ التوحيد والجزاء عليه [٥١٠]، وَهُوَ مَا فِيهِ مِنَ الوعد والوعيد، **﴿بعد حِينِ(٨٨)﴾** عند الموت.





# سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ(١) إنـَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بِالْحَقِّ﴾ ملتبسا بِالْحَقِّ، ﴿فاعبد اللهَ مُخلِصا لَهُ الدِينَ(٢)﴾ ممحضا لَهُ الدِّين مِنَ الشرك والرياء. ﴿ألاَ للهِ الدينُ الخالصُ﴾ أي: ألاَ هُوَ الذِي وجب اختصاصه بأن تُخلص لَهُ الطاعة، فإنـَّه المنفرد بصفات الألوهيَّة، والاطِّلاع عَلَى السرائر والضمائر، ﴿وَالذِينَ اتـَّخذوا من دونِه أولياءَ مَا نعبدُهم إلاَّ ليقرِّبونا إلَى الله زُلفَى، إنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُم فِي مَا هم فِيهِ يَختَلِفون﴾ (لَعَلَّهُ) فِي الدِّين، بإدخال المحقِّ الجنـَّة، والمبطل النـَّار، والضمير للكفرة ومقابليهم؛ وَقِيلَ: لَهُم ولمعبودهم، فإنـَّهم يرجون شفاعتهم وَهُم يلعنونهم، ﴿إنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي﴾ لاَ يُوفِّق للاهتداء إلَى الحقِّ ﴿من هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ(٣)﴾ والاسمانِ مُتلزمان لاَ ينفكَّان عَن بعضهما بعض.

﴿لو أَرَادَ اللهُ أن يتـَّخذ وَلَدًا﴾ كما زعموا، ﴿لاصطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إذ لاَ وجود سواه إلاَّ وَهُوَ مخلوق، ﴿سُبحانه هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القهَّارُ(٤)﴾ فإنَّ الألوهيَّة الحَقِيقِيَّة تتبع الوجوب المستلزم للوَاحِد الذاتـيِّ،

وهي تُنافي الـمُمَاثَلَة فضلا عَن التوالد، لأَنَّ كلَّ وَاحِد مِنَ المـثلين مركّـب مِـنَ الحقيقة المشتركة.

﴿**خَلَق السَّـمَاوَاتِ والأَرْضَ بِالْحـَقِّ**[1] **يُكوِّر اللَّيْـلَ عَلَـى النـَّهَارِ، ويُكوِّر النـَّهَارَ عَلَى اللَّيْـلِ**﴾ يُغشي كلُّ وَاحِد مِنْهُما الآخَر، كأنَّه يَلُفُّ عليه لفَّ اللباس باللاَّبِس، أو يُغيِّـبه بـهِ، كمـا يُغيَّـب الملفـوف باللُّفافـة؛ ﴿**وسـخَّر الشمسَ والقمرَ، كلٌّ يَجري لأجَلٍ مُّسـمًّى**﴾ هُـوَ مُنـتهى دورة، أو منقطـع حركته، ﴿**ألا هُوَ العزيز**﴾ القادر عَلَى كُلِّ ممكـن، الغـالب عَلَـى كُـلِّ شـيء، ﴿**الغفَّارُ(٥)**﴾ حيث لم يُعاجل بالعقوبة، وسلب ما في هَذِهِ الصنائع مِنَ الرحمة وعموم المنفعة.

﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّـفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ جَعَلَ منها زوجَها**﴾ استدلال آخر بِمَـا أوجده فِي العالم السفليِّ، مبتدَؤُه من خلقِ الإنسان، لأَنَّهُ أقربُ وأكـبرُ دلالـة، وأعجب، ﴿**وأنزلَ لكم**﴾ وقضى، أو قسم لكم، فإنَّ قضاياه وقسمه تُوصـف بالنزول مِنَ السماء، حيث كتب فِي اللَّـوح؛ أو أحـدث لكـم بأسبابٍ نازلـة، كأشعَّة الكواكب والأمطار، ﴿**من الأنعـامِ ثمانيـةَ أزواجٍ**﴾ ذكـرًا وأنثـى، مِـنَ الأبل والبقر والضأن والمعز، ﴿**يَـخْلُـقُكم فِي بُطون أُمـَّهاتكم**﴾ بيـان لكَـيفيـَّة خلق آدم، [وَ]مَا ذكر مِنَ الأناسـي والأنعـام، إظهـارًا لِمَـا فِيهَـا مـن عجـائب القدرة، غير أنَّه غلَّـب أولي العقـل وخصَّهـم بالخطـاب، لأَنـَّهُم المقصـودون، ﴿**خَلْقًا من بعدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثـلاثٍ**﴾ حيوانـا سويـًّا، ﴿**ذلكـم**﴾ الـذي

---

١- في الأصل: - «بالحق» وهو سهو.

هَذِهِ أفعاله، ﴿**اللهُ ربُّكم**﴾ هُوَ المستحقُّ لعبادتكم والمالك ﴿**لَـهُ الملـك، لاَ إلـه إلاَّ هُوَ**﴾ إذ لاَ يُشاركه فِي الخلق غيره، ﴿**فأنَّى تُصرَفُونَ(٦)**﴾ فكيف تَعدلون عَن عبادته بالإشراك بعد هَذَا البيان!.

﴿**إن تَكفُرُوا، فإنَّ الله غنيٌّ عنكم**﴾ عَن عبـادتكم، ﴿**وَلاَ يَرضَـى لعبـاده الكفرَ**﴾ لاستضرارهم بـهِ، رحمـةً عَـلَيْـهِـم [٥١١]، ﴿**وإن تُشـكرُوا يرضَـهُ لكم**﴾ وَهُوَ سـبب فَلاَحِكـم، ﴿**وَلاَ تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى، ثُـمَّ إِلَىَ رَبـِّكُم مَّرجِعُكم فـيُنـبِّئُكم بِمَـا كُنتـُم تَعْمَلُونَ**﴾ بالمحاسبة والمجـازاة، ﴿**إِنـَّهُ عليـم بذات الصدور(٧)**﴾.

﴿**وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ، دعا ربـَّه مُنيـبا إِلَيْـهِ**﴾ لـزوال مَـا يُـنَازع العقل من الأهوية فِي القلوب وأمراضها فِي الدلالـة عَلَـى أنَّ مبـدأ الكـلِّ مِنـْهُ، ﴿**ثمَّ إِذَا خَوَّلَه**﴾ أعطاه، مِنَ الخول وَهُوَ التعهُّد، ﴿**نعمةً مِّنـْهُ نسِـيَ مَـا كَـانَ يَدعُو إِلَيْـهِ**﴾ أي: الضُّر الذِي كَانَ يدعو اللهَ إلىَ كشفه، أو ربـَّه الـذِي كَـانَ يتضرَّع إِلَيْـهِ، ﴿**من قبلُ**﴾ من قبل النـِّعمة؛ ﴿**وجعـلَ لله أنـدادا لـيُضِلَّ عَـن سبيلِه، قل: تـمتَّعْ بكفرِكَ**﴾ الذِي تهواه ﴿**قليلا**﴾ لأنـَّهُ سـريع الـزوال، وفيـه تهديد وإشعار بأنَّ الكفر نوع تشبيه وإقناط للكافر مِـنَ المتمتـع[1] فِي الآخِـرَة، ولذلك علَّلَه بقوله: ﴿**إنـَّك من أصحاب النار(٨)**﴾.

﴿**أمَّن هُوَ قانتٌ**﴾ قائم بوظائف الطاعات؛ والقانت: المقيم عَلَـى الطاعـة فِي كُـلِّ الأوقـات، راجيـا خائفـا عالمـًا أنَّ وعـد الله حـقٌّ، ﴿**آنـاء اللَّيْـلِ**﴾

١ - صواب العبارة نجده عند البيضاويّ: «فيه إشعار بـأنَّ الكفـر نـوعُ تَـشَـهٍّ لا سَنَدَ لـه، وإقناط للكافرين من التمتُّع فِي الآخرة». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٩٥.

ساعاته؛ والمعنى: أمَّن هُوَ قانت لله كمن جعـل لَـهُ أنـدادا، ﴿**سـاجدا وقائمـا يحذَرُ الآخِرَة، ويرجو رحمةَ ربـِّه. قُل: هل يَستـوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِيـنَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾؟ نَفيٌ لاستواء الفريقين باعتبار القوَّة العلميـَّة بعد نفيها باعتبار القـوَّة العلميـَّة[1] عَلَى وجه أبلغ لمزيد فضل العلم، ﴿**إنـَّمَا يتذكَّر**﴾ يـتَّعظ بوعـظ الله ﴿**أولو الألبابِ(٩)**﴾ بأمثال هَذِهِ البَـيِّنَات.

﴿**قل: يا عبادِ الذِيـنَ آمنـوا، اتـَّقُـوا ربـَّكم**﴾ بـلزوم طاعتـه، ﴿**للذيـن أحسَنوا فِي هَذِهِ الدُّنـْيَا حسنةٌ**﴾ أي: للذيـن أحسـنوا بالطاعـات فِي الدُّنـْيَا، مثوبَةٌ حسنةٌ فِي الآخِرَة؛ وقيل: للذين أحسنوا حسـنة فِي الدُّنـْيَا، هِـيَ الصِحَّـة والعافية، لأنـَّهَا توصل المحسن إِلىَ الحسنة الحقيقيـَّة، وهي الجـنَّة، وفِي هَذِهِ بيـان لمكَان حسنه، ﴿**وأرضُ اللهِ واسعةٌ**﴾ فمن تعسَّر عليه التوفُّر عَلَـى الإحسـان فِي وطنه، فليهاجر من حيث يتمكَّن مِنْهُ، ﴿**إنـَّما يُوَفَّى الصابرون**﴾ عَلَى مشـاقِّ الطاعـة، مـن احتمـال البـلاء ومهـاجرة الأوطـان لهـا، ﴿**أجرَهـم بغـير حسابٍ(١٠)**﴾ أجر لاَ يهتدي إِلَيْـهِ حساب الحساب.

﴿**قُل: إنـِّي أُمِرتُ أن أعبـدَ اللهَ مُخلِصـا لَـهُ الدِّيـنَ(١١)**﴾ مُوَحِّـدا لَـهُ، ﴿**وأُمِرتُ لأَن أكون أوَّلَ الـمُسْلِمِينَ(١٢)**﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكـون مُقدَّمهم فِي الدُّنـْيَا والآخِرَة.

---

١ - نفس العبارة نجدها عند البيضاوي: (المصدر نفسه). لَعَلَّ الصواب: «باعتبـار القُـوَّة العَمَلِيـَّة»، أي أنَّ المعتبر فِي نفي استواء القانت والعاصي هو القُـوَّة العَمَلِيـَّة. والمعتـبر فِي نفي استواء العالم والجاهل هو القوَّة العِلمِيـَّة. وَالله أعلم.

﴿**قُل: إِنِّي أخافُ إن عَصَيْتُ ربِّي**﴾ بترك الإخلاص، والميل إِلَى مَا أَنتـم عليه مِنَ الشرك والرياء ﴿**عذابَ يَومٍ عظيم(١٣)**﴾ لعظمة مَا فِيهِ، ﴿**قُـل: الله أعبدُ مُخلِصا لَهُ ديني(١٤)**﴾ أمر بالإخبار عَن إخلاصه، وأن يَكـون مُخلِصا لَهُ دينه، بعد الأمر بالإخبار عَن كونه مأمورا بالعبادة والإخلاص، خائفـا عَلَى المخالفة مِنَ العقاب، قطعا لأطماعهم، ولذلك رتَّـب علَيه قوله: ﴿**فاعـبُدُوا مَا شئتم مِّن دونـه**﴾ تهديدا وخذلانا لَهُم.

﴿**قُل: إنَّ الخاسرين**﴾ الكاملين فِي الخسران ﴿**الذِينَ خسِروا أنفسَهم**﴾ بالضلال، ﴿**وأهليهم**﴾ لأَنَّـهُم أرادوا بهم التمتِيع دون العبادة والطَّاعة، وَهُـوَ كقوله: ﴿واتَّـبَعوا مَن لم يَزِده مالُـه [٥١٢] وولـدُه إلاَّ خَسـارا﴾[1] ﴿**يـومَ القيامةِ، ألاَ ذَلِكَ هُوَ الخسرانُ الْمُبِينُ(١٥)**﴾ مُبالغة فِي خُسرانهم، ﴿**لَهُم مِّن فَوقِهِم ظُلَلٌ**﴾ أطباق وسُرَادقات ﴿**مِن النار، ومِن تَحتِهِم ظُلَلٌ**﴾ أطبـاق مِـنَ النَّار هِيَ ظُلَلٌ لـمَن تحتهم، ﴿**ذَلِكَ يُخوِّف الله بِهِ عبادَه**﴾ ذَلِـكَ العـذاب هُـوَ الذِي يُخوِّفهم بِهِ لـيَجتَـنِبُوا مَا يُوقعهم فِيهِ، وفِي موضع الفـرش والمهـاد مِـنَ النـار سـمَّى الأسـفلَ ظلـلا، لأنـَّهَا ظُـلَلٌ لـمَن تحتهـم، ﴿**يـا عبـادِ فاتَّقُـونِ(١٦)**﴾ وَلاَ تـتعرَّضوا لـمَا يُوجِب سخطي.

﴿**وَالذِينَ اجتَنَبوا الطاغوتَ**﴾ البـالغ غايـة الطغيـان، ﴿**أن يَعبُـدُوها، وأنابوا إِلَى الله**﴾ وأقبلوا إِلَيْـهِ بصفاء لُبِّـهم، ﴿**لَهُمُ البشـرَى**﴾ بـالثواب عَلَـى ألسنة الرسل والمَـلاَئِكَة عند حضور المـوت مُعاينـة ومُشـاهدة؛ وقيـل: المـوت

---

١ - نوح: ٢٢.

بشـارة بـاليقين، ﴿**فبشِّـر عبـادِ(١٧) الذِيـنَ يَسـتمِعون القَـولَ، فيتـَّبِعُون أحسنَـه**﴾ لأنـَّهُم نُقَّاد فِي الدين، يُمَيِّزون بين الحقِّ والباطل، ويُؤثِرون الأفضـل فالأفضل، ﴿**أُولَـئِكَ الذِينَ هداهم الله**﴾ لخـالص دينـه، ﴿**وأولئـك هُـم أولـو الألبابِ(١٨)**﴾ العقول السليمة، عند مُنازَعة الوهم والعادة، وفِي ذَلِـكَ دلالـة عَلَى أنَّ الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس بها.

﴿**أفَمَن حقَّ عليه كَلِمةُ العذابِ**﴾ فِي علم الله، أنـَّهُ من أهل (لَعَلَّهُ) النـَّار، ﴿**أفأنت تُنقِذ مَن فِي النار(١٩)**﴾؟ دلالة عَلَى أنَّ مَـن حُكِـم عليـه بـالعذاب كالواقع فِيهِ لامتناع الخُلفِ، وأنَّ اجتهاد الرَّسول فِي دعائهم إِلَى الإيمان سـعيٌ فِي إنقاذهم مِنَ النـَّار. ﴿**لكـنِ الذِيـنَ اتـَّقَـوْا ربـَّهم**﴾ لكـن ذكّـر مـن تَنفعـه الذكرَى، وَهُم المُـتـَّقون لاَ غير، وتَذكيرُ من سِـواهم إلزامـا للحجَّـة، ﴿**لَهُـم غُرَفٌ مِن فوقِها غُرَفٌ**﴾ أي: لَهُم مَنازل فِي الجنـَّة رفيعة فوقهـا مَنـازِل أرفـع منهـا، ﴿**مَبنِيـَّة، تَجـري مـن تحتهـا الأنهـار، وعـدَ الله لاَ يُخلِـفُ الله الميعادَ(٢٠)**﴾ لأنَّ الخُلفَ نـقصٌ، وَهُوَ عَلَى الله مُحال.

﴿**ألم تَـرَ أنَّ الله أنـزَلَ مِـنَ السَّمَـاء مـاءً فسلكه**﴾ فأدخلـه ﴿**ينـابيعَ فِي الأرْض**﴾ هِيَ عُـيُون ومَجارِي كائنـة فِيهَـا، ﴿**ثـُمَّ يُخـرِج بـهِ زرعـا مُختَلِفـا ألوانـه ثـُمَّ يهيجُ**﴾ يتمُّ جفافه، ﴿**فتراه مُصفرًّا، ثـُمَّ يَجعله حُطاما**﴾ فُتاتا، ﴿**إنَّ فِي ذَلِـكَ لَذِكـرَى**﴾ تُذكّـر بأنـَّه لاَ بُـدَّ لَـهُ مـن صـانع حكيـم دبـَّره وسـوَّاه، [وَ]بأنـَّه مثل الحياة الدُّنـْيَا فلا يغترَّ بها، ﴿**لأولي الألباب(٢١)**﴾ إذ لاَ يَتذكّـر بِهِ غيرهم.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صدرَه للإسلام﴾ وسَّعه لقبول الحقِّ، حتَّى يمكَّن فِيهِ بيُسرٍ، عبَّر عَنْهُ عمَّن[1] خُلُقُ نفسِه شديدةُ الاستعداد لقبوله غير مُتأبِّيَة عَنْهُ، من حيث إنَّ الصدر مَحلُّ القلب المتَّبع للروح، المُتعلّق بالنفس، القابل للإسلام، ﴿فهو عَلَى نورٍ من ربِّه﴾ يعني: المعرفة والاهتداء إِلَى الحقِّ؛ وعنه ﷺ: «إِذَا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، فقِيل: وَمَا علامة ذَلِكَ؟ قَالَ: «الإنابة إِلَى دار الخلود، [والتجافي عن دار الغرور]، والتأهُّب للموت قبل نزوله»[2]. ﴿فويل للقاسيةِ قلوبُهم مِّن ذكر الله﴾ من أجل ذكرهم، وَهُوَ أبلغ من أن تكون «عَن» مكَانَ «من»، لأَنَّ القاسية [٥١٣] من أجل الشيء، أشدُّ تأبِّيًا من قبوله مِنَ القاسي عليه لسبب آخر، للمبالغة فِي وصف أُولَئِكَ بالقبول، وهؤلاء بالامتناع. ذَكَر شرح الصدر وأسنده إِلَى الله، وقابله بقساوة القلب وأسندها إِلَيْهِ، ﴿أُولَئِكَ فِي ضلال مُّبِينٍ(٢٢)﴾ يظهر للناظر بأدنى نظر؛ قيل: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من (لَعَلَّهُ): القسوة.

﴿اللهُ نزَّل أحسنَ الحديث كِتَابًا مُتشَابِها﴾ تشابهُه تشابُهُ أبعاضِه فِي الإعجاز، وتجاوب النظم، وصِحَّة المعنى والدلالة عَلَى المنافع العامَّة، ﴿مَثَانِيَ تَقشَعِرُّ﴾ تضطرب مِنَ الحزن؛ واقشعرَّ جلده: أخذته رَعدَة، ﴿مِنهُ جلودُ

---

١ - فِي الأَصْلِ: «عن»، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٩٦.

٢ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من المصادر. وقد أورده الزمخشريُّ، وقال مصحِّحه: «أخرجه الثعلبيُّ والحاكم والبيهقيُّ فِي الشعب من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام، ورواه الترمذيُّ الحكيم فِي النوادر فِي الأصل السادس والثمانين، وَفِي إسناده إبراهيم بن |بياض فِي الأَصْلِ| وَهُوَ ضعيف». الزمخشري: الكشَّاف، ٤/٩٥.

**الذِينَ يَخشَوْنَ ربَّـهم﴾** (لَعَلَّهُ) عند ذكر العقـاب تشـمئزُّ خوفـا مِمَّـا فِيـهِ مِـنَ الوعيد، وَهُوَ مثل فِي شدَّة الخوف، **﴿ثُمَّ تلينُ﴾** ثُمَّ تُذعن وتـنـقاد، **﴿جلودهم وقلوبـُـهم إِلَى ذكـر الله﴾** إِلَى طاعتـه، ليس فِيهَـا صلابـة فتعتـو، **﴿ذَلِـكَ﴾** الوصف الحسن، وَهُوَ الخشية مِنَ العذاب، والانقياد إِلَى طاعة الرحمن؛ **﴿هُدَى اللهِ يهدي بِهِ من يَشَـاء، ومن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ من هادٍ(٢٣)﴾**.

**﴿أفمن يـتَّقي بوجهـه سـوءَ العـذابِ يـومَ القيامـة﴾** قيـل: لأَنـَّهُ تكـون مغلولة يداه إِلَى عنقه، فلا يقدر أن يتَّقي إِلاَّ بوجهه؛ ويحتمل أنَّه يدفعه بلسانه بكذبه، كمـا قَـالَ: ﴿يـوم يـبعـثهم الله جميعـا، فيحلفـون لَـهُ كمَـا يحلفــون لكم﴾[1]؛ **﴿وقيل للظالمين ذوقوا مَا كُنتُـم تكسِبُونَ(٢٤)﴾** أي: وباله.

**﴿كذَّب الذِينَ من قبلهم فأتاهم العذابُ من حيث لاَ يشـعرُونَ(٢٥)﴾** مِنَ الحال الذِي لاَ يخطر ببـالهم أنَّ الشرَّ يـأتيهم مِنـْهُ، وَهُـوَ عـذاب الموت أو النَّـار، أو عذاب الأدنى[2]، أو عذاب الإبعاد والغضب، فـإِنَّ ذَلِـكَ لاَ يحسُّـون بِهِ فِي دار الدُّنْـيَا إِلاَّ عند الموت؛ ودليله قوله: **﴿فأذاقهم الله الخـزيَ فِي الحيـاة الدُّنـْيَا ولَعذابُ الآخِرَة﴾** المـُعدُّ لَهُم **﴿أكبرُ﴾** لشـدَّته ودوامـه، **﴿لـو كَـانُوا يَعْلَمُونَ(٢٦)﴾** لوكَانُوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذَلِكَ، واعتبروا بِهِ.

---

١ - سورة المجادلة: ١٨.

٢ - الصواب: «العذاب الأدنى»، كما فِي قَوله تَعَالَى: ﴿ولنذيقنـَّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لَعَـلَّهُمْ يرجعون﴾ (السجدة: ٢١). ونلاحظ أنَّ هَذَا الخطأ تكـرَّر مـرارا فِي هَذَا التفسير، ولَعَلَّ له وجها آخر، وَهُوَ تقدير محذوف، أي: «عذاب الحياة الأدنى». وَالله أعلم.

﴿**وَلَقَد ضربْنَـا للناس فِي هَذَا القرآن من كُلِّ مَثلٍ**﴾ يحتاج إِلَـيْـهِ النــاظر فِي أمر دينه ودنياه، ﴿**لَعَلَّهُم يتذكَّرُونَ(٢٧)**﴾ يتـّعظون بـِهِ، ﴿**قرآنـا عربيـًّا غيرَ ذي عِوَجٍ**﴾ أي: لا اختلاف فِيهِ بوجه مَا؛ وهُـوَ أبلـغ مِـنَ المـُـسْـتَـقِـيم، وأخصُّ بالمعاني، ﴿**لَعَلَّهُم يـتّـَقُونَ(٢٨)**﴾.

﴿**ضَـرَبَ الله مَثَـلاً رَّجـلاً**﴾ (لَعَلَّهُ) للمشـرك والموحِّـد، ﴿**فِيـهِ شـــركاء مُتشاكِسون**﴾ (لَعَلَّهُ) مختلفون، أي: أهويـة مختلفـة مُتضـادَّة، ﴿**ورجـلا سَـلَمًا لِرجلٍ**﴾ مثل المشرك عَلَى مَا يقتضيه مذهبه، مـن أن يدَّعـي كـلٌّ مـن معبوديـه عبوديـَّته، ويتنـــازعون فِيــهِ، مثــل عبــد يتشـــارك فِيــهِ جماعــة يتجاذبونــه، ويتعاوزونه[1] فِي مهامهم المختلفة، وَهُوَ مُتحيـِّر بَـيْـنَـهُم، لاَ يدري أن يُـقـبل عَلَى مَن مِنْـهُم، ويُـدبِر عمَّن، لأنَّ نفسه وَاحِدَة وأنفسهم كـثيرة، ويكون قلبه مُتوزِّعا بَـيْـنَـهُم؛ والموحِّد كمن أخلص لوَاحِد ليس لغيره عليـه سبيل. وأصـل التشاكش والتشاخص: الاختلاف، ﴿**هـل يسـتويان مثـلاً؟ الحمـد لله**﴾ كـلُّ الحمد لله لاَ يشاركه فِيهِ عَلَى الحقيقة سواه، لأَنـَّهُ المنعم بـالذات والمـالك عَلَـى الإطلاق، ﴿**بَل أكثرهم لاَ** [٥١٤] **يَعْلَمُونَ(٢٩)**﴾ أنَّ فِيهِم شركاء.

﴿**إِنـَّكَ مَـيـِّتٌ وَإنـَّهُم مَـيـِّتُـونَ(٣٠)**﴾ فـإنَّ الكـلَّ بصـدده المـوت، وفِي عداد الموتى، ﴿**ثمَّ إِنـَّكُم يومَ القيامة عند رَبِّكُم تختـصمُونَ(٣١)**﴾ فتحتـجَّ عَـلَـيْـهِـم بأنـَّك كنت عَلَى الحقِّ فِي التوحيد، وكَانُوا عَلَى البـاطل فِي الشـرك، واجتهـدت فِي الإرشـاد والتبليـغ ولجـُّوا فِي التكذيـب[2] والعنـاد، ويعتـــذرون

---

١ - وَفِي تفسير البيضاوي: «يتعارونه»، من الإعارة. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٩٧.

٢ - فِي الأصل: «التك بب»، وهو خطأ.

بالأباطيل مثل: ﴿أطعنا سـادتنا﴾[1]؛ ﴿وجدنـا آباءنـا﴾[2]؛ وَقِيـلَ: المـراد بـهِ: الاختصام العامُّ، يُخاصم النَّاس بعضهم بعضـا فِي مَـا دار بَيْنَـهُم فِي الدُّنْـيَا. ﴿فمَن أظلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى الله وكذَّب بالصدق إذ جـاءه﴾ حـين قـامت عليه حجَّته، مـن أيِّ علـم كَـانَ؛ ﴿أليـس فِي جهَنـَّم مَثوَى﴾ منزلا ومقامـا ﴿للكَافِرِينَ(٣٢)﴾؟ وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم.

﴿والذي جاء بالصدق وصدَّق بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المتَّـقون(٣٣) لَهُـم مَـا يَشَـاءون عند ربِّهم﴾ لِكُلٍّ مِنْهُم مَا يَشَـاء مِنَ الجنـَّة، وَلاَ يَشَـاء أكـبر مـن جزاء عمله، لارتفاع عذاب التغابن عَن الأدنى منزلة مِنَ الأعلى مِنْـهُ درجـة لتمادم[3] النِّعمة للجميـع، ﴿ذَلِكَ جزاء المحسنِينَ(٣٤) ليكفِّر الله عَنْـهُم أسوأَ الذِي عَمِلوا﴾ (لَعَلَّـهُ) يسترها عَـلَيْهِـم بـالمغفرة، ﴿ويجزيهـم أجرهـم بأحسنِ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(٣٥)﴾ قيل: يجزيهم بالمحاسن مـن أعمـالهم، وَلاَ يجزيهم بالمساوئ، وضدُّهم يجزيهم بالمساوئ، وَلاَ يجزيهم بالمحاسن.

﴿أليسَ الله بِكافٍ عبدَه. ويخوِّفونك بالذين مِن دونـِه، ومـن يُضلِـل الله﴾ حتَّى غفل عَن كفاية الله، وخوفه مِمَّا لاَ ينفع وَلاَ يضرُّ، ﴿فما لَهُ من هادٍ(٣٦)﴾ يهديهـم إِلَىَ الرشـاد. ﴿ومـن يهـدِ الله فمـا لَـهُ مـن مُضـلٍّ أليـسَ الله بعزيـزٍ ذي انتقـامٍ(٣٧) ولئـن سألتـهم مـَّن خلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْض ليقُولُـنَّ: الله. قـل

---

١ - سورة الأحزاب: ٦٧.

٢ - سورة الشعراء: ٧٤...

٣ - لَعَلَّهُ مـن الـدوام، أي لـدوام النعمـة للجميـع، أو صوابهـا حـذف الـدال، أي: «لتمـام النعمة».

**أفرأيتـم**[1] **مـَّا تَدْعُـون مـن دونِ الله إن أرادنـي الله بِضُـرٍّ هـل هُـنَّ كاشـفاتُ ضُرِّهِ**﴾؟ أي: أرأيتم ـ بعدما تحقَّقتم أنَّ خالق العالم هُـوَ الله ـ أنَّ آلهتكـم إن أراد الله أن يصيبني بضرٍّ هل تكشفه؟ ﴿**أو أرادني برحمة**﴾ تـنـفع ﴿**هل هنَّ مُمسِكات رحمتِه**﴾؟ فيمسكها عليَّ؛ ﴿**قل: حسبيَ الله**﴾ كافينا فِي إصابة الخير ودفع الضُّر، إذ تقرَّر بهذا التقرير أنَّهُ القادر الذِي لاَ مانع لِمَا يريـده مـن خـير أو شـرٍّ، ﴿**عليـه يتوكَّل المتوكِّلُونَ(٣٨)**﴾ لعلمهم بأنَّ الكلَّ مِنْهُ.

﴿**قل: يا قومِ اعملوا عَلَى مكانـَتِكم**﴾ عَلَى حالكم، ﴿**إنِّي عامل**﴾ أي: عَلَى مكانتِي، ﴿**فسوف تَعْلَمُونَ(٣٩) من يأتيه عـذابٌ يُخزيـه ويَحـلُّ عليـه عذابٌ مُقيمٌ(٤٠) إنـَّا أنزلنا عليك الكتـاب للنـاس**﴾ لأجلهـم، فإنـَّه عمـاد مصالحهم فِي معاشهم ومعادهم، ﴿**بالْحَقِّ، فمن اهتـدى فلنفسـه**﴾ أي: نفـع بِهِ نفسه، ﴿**ومن ضلَّ فَإنـَّمَا يَضِلُّ عليها**﴾ فإنَّ وباله لاَ يتخطَّاها، ﴿**وَمَا أنتَ عَـلَيْـهِـم بوكيل(٤١)**﴾ لتـُجبرهم عَلَى الهدى، وإنـَّما أُمرت بالبلاغ.

﴿**الله يـتـَوَفـَّى الأنفُسَ حـينَ موتِـها والـتِي لم تَمُـت فِي منامهـا**﴾ أي: يقبضها عَـن الأبـدان، بـأن يقطـع تعلُّقهـا عنهـا، وتصرُّفهـا فيهـا، إمـَّا ظـاهرا وباطنا، وذلك عند الموت، أو ظاهرا لاَ باطنا وَهُوَ فِي النوم، ﴿**فيُمسِـكُ التِـي قَضَى عليها الموتَ**﴾ وَلاَ يردُّها إِلَى البدن؛ وقيل: لِكُلِّ إنسان نفسـان [٥١٥] أحدهما نفس الحياة، وهي التِـي تـفارقه عنـد المـوت، فـتزول بزوالهـا النفـس، والأخرى نفس التمييز، وهي التِـي تـفارقه إذا نام، ﴿**ويُرسـل الأخـرَى**﴾ أي:

---

١- في الأصل: «قل أرأيتم» وهو خطأ.

النائمة إِلَى بدنها عنـد اليقظـة، ﴿**إِلَى أجـلٍ مُسَـمًّى**﴾ وَهُوَ الوقـت المضـروب لموته؛ (ولعلّه) وَلَعَلَّ هَذِهِ تقوّي حجّـة من قَـالَ: إنَّ مـوت المؤمـن لاَ ألم فِيـهِ، وإنّما الألم فِي مقدّماته، وَهُوَ غاية جنس الإرسال؛ وَمَا روي عَن ابن عـبَّاس: «إنَّ فِي بني آدم نفسا وروحا، بينهما مثل شعاع الشـمس، فـالنفس التِـي بهـا العقـل والتمييز، والـروح التِـي بهـا النفـس والحيـاة، فيتوفّيـان عنــد المــوت، وتـتـوفّى النفس وحدها عند النوم»، ﴿**إنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ مِـنَ التوفـّي والإمسـاك والإرسال، ﴿**لآياتٍ**﴾ عَلَـى كمـال قدرتـه وحكمتـه وشمـول رحمتـه، ﴿**لقـومٍ يتفكّـرُونَ(٤٢)**﴾ فِي تعلّقهـا بـالأبدان، وتوفّيهـا عنهـا بالكُلّيـَّةِ عنـد المـوت، وإمساكها باقية لاَ تفنى بفنائها، وَمَا يعتريهـا مِـنَ السـعادة والشـقاوة، (لَعَلَّـهُ) والحكمة فِي توفّيها عَن ظواهرها، وإرسالها حينا بعد حين؛ أي: تُوفّى آجالها.

﴿**أم اتَّخذوا**﴾ بَل اتَّخذوا ﴿**من دون الله شـفعاء**﴾ تشـفع لَهُـم، بجلـب المنافع، ودفع المضارّ الدُّنْـيَاويَّة، ﴿**قـل: أوَلَـوْ كَـانُوا لاَ يَملِكـون شيْـئًا وَلاَ يعقلُونَ(٤٣)**﴾؟ أوَيَـشفعون ولوكَانُوا عَلَـى هَـذِهِ الصِّفـة، كمـا يُشـاهدونهم جمادات لاَ تقدر وَلاَ تعلـم؟، ﴿**قـل: للهِ الشـفاعةُ جميعـا**﴾ المعنـى: أنّـه مـالك الشفاعة كلّها لاَ يستطيع أحد شفاعة إلاَّ بإذنه وَلاَ يستقلُّ بها، ثُمَّ قـرَّر ذَلِـكَ، فقال: ﴿**لَهُ ملكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ**﴾ فإنّه مالك الملـك كلّـه، ﴿**ثـمَّ إِلَيْـهِ تُرجَعُونَ(٤٤)**﴾ للجزاء.

﴿**وإذا ذُكِر الله وحدَه**﴾ دون آلهتهم، ﴿**اشمأزَّت قلوبُ الذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بـالآخِرَةِ**﴾ وانقبضـت ونفـرت عَـن التوحيـد؛ وأصـل الاشمـئزاز: النفـور

والاستكبار، ﴿**وإذا ذُكِر الذِينَ مِن دونِه**﴾ يعني الأوثان، وحقيقة مَا تهواه أنفسهم دون الأوَّل، ﴿**إِذَا هم يستبشِرُونَ(٤٥)**﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حقَّ الله؛ ولقد بالغ فِي الأمرين حتَّى بلغ الغاية فيهما، فإنَّ الاستبشار: بأن يمتلئ قلبه سرورا، حتَّى تنبسط لَهُ بشرة وجهه، والاشمئزاز: أن يمتلئ غمًّا حتَّى ينقبض أديم وجهه.

﴿**قل: اللهمَّ فاطرَ السَّمَاوَات والأَرْض عَالِمَ الغيبِ والشهادةِ**﴾ التجئْ إِلَى الله بالدعاء لـمَّا اشمأزَّت قلوبهم من ذكر الله، واستبشرت بالخوض والباطل[1] أن يحكم بينه وبينهم؛ وَهُوَ العدل الذِي لاَ يجور، ﴿**أنت تحكمُ بين عبادِك فِي مَا كَانُوا فِيهِ يختلفُونَ(٤٦)**﴾.

﴿**ولو أنَّ للذين ظَلَموا مَا فِي الأَرْض جميعًا ومِثلَه معه لاَفتَدَوْا بِهِ من سوءِ العذابِ يومَ القيامةِ**﴾ وعيد شديد، وإقناط كلِّيٌّ لَهُم مِنَ الخلاص فِيهِ، ﴿**وبدا لَهُم مِّنَ الله مَا لم يكونوا يحتسِبُونَ(٤٧)**﴾ فِي الدُّنْيَا أنَّه نازل بهم فِي الآخِرَة زيادة، (لَعَلَّهُ) مبالغة فِيهِ، ﴿**وبدا لَهُم سَيِّئَات مَا كَسبُوا**﴾ سيِّئات أعمالهم حين تُعرض صحائفهم، ﴿**وحاقَ بهم**﴾ أي: أحاط بهم وألزمهم الأمر، وبهم نزل، ﴿**مَا كَانُوا بِهِ يستهزءُونَ(٤٨)**﴾ وأحاط بهم جزاؤه.

﴿**فإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانا، ثُمَّ إِذَا خوَّلناه نعمةً مِّنَّا، قَالَ: إنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلمٍ**﴾ منِّي بحيلةِ كَسْبِه؛ وفي [٥١٦] المعنى: كأنَّه أنكر أن يكون ذَلِكَ من عند الله، ﴿**بَل هِيَ فتنةٌ**﴾ إن جعلها من قِبَل تدبيره، فعليه

١ - لَعَلَّ الصواب: «فِي الباطل».

﴿قلْ: أفغيرَ اللهِ تأمرونّي أعبدُ أيُّها الجاهِلُونَ(٦٤)﴾ وذلك يقتضي فعل جميع الباطل. ﴿وَلَقَد أوحي إليكَ وإلى الذينَ مِن قبلِك لَئن [٥١٧] أشرَكْتَ﴾ بأيٍّ شرك كَانَ، ﴿لَيَحبَطَنَّ عملُك ولتكونَنَّ مِنَ الخاسرِينَ(٦٥)﴾ مِنَ الذِينَ خسروا الدُّنْيَا والآخِرَة. ﴿بَل اللهَ فاعبُدْ وكن مِّنَ الشاكرِينَ(٦٦)﴾.

﴿وَمَا قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِه﴾ مَا قدَّروا عظمته فِي أنفسهم حقَّ تعظيمه، (لَعَلَّهُ) حين عصوه وخالفوا أمره؛ ثُمَّ أخبر عَن عظمته، فقال: ﴿والأرْضُ جميعا قَبْضَتُه يومَ القيامةِ﴾ أي: أنَّها فِي قدرته وملكه وسلطانه؛ ويقال: الأشياء فِي قبضة الله، أي: ملكه، ﴿والسماواتُ مَطويَّات بيَمِينِه﴾ تنبيهٌ عَلَى عظمته وحقارة الأفعال العظام التِي تتحيَّر فيها الأوهام بالإضافة إِلَى قدرته، ودلالةٌ عَلَى أنَّ تَخريب العالم أهون شيء عليه، ﴿سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ(٦٧)﴾.

﴿ونُفِخ فِي الصُّور﴾ يعني: المرَّة الأولى، ﴿فَصَعِقَ﴾ أي: مات ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ ومَن فِي الأرْض﴾ خرَّ مَيِّتًا[1]، ﴿إلاَّ من شاء اللهُ﴾ (لَعَلَّهُ) فانظر إِلَى قدرته الباهرة، وأنَّهُ لاَ يشغله شأن عَن شأن، قد يُوفِّى[2] الله من فِي السماوات ومن فِي الأَرْض إِلاَّ من شاء الله بنفخةٍ وَاحِدَة أُخْرَى، كما قَالَ: ﴿ثمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى فإذا هم قيامٌ ينظرُونَ(٦٨)﴾ مَا يُفعل بهم.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «خرُّوا مَيِّتًا»، وَلَعلَّهُ يقصد: «خرُّوا أمواتا».

٢ - لَعَلَّ الصواب العكس: «قد يُحيِي»، لأَنَّهُ يتحدَّث عن النفخة الثانية، كما يَدُلُّ عَلَيْهِ السياق الآتي.

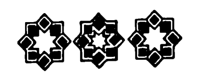
﴿**وأشرَقَتِ الأرْضُ بنورِ ربّها**﴾ بِمَا أقام فِيهَا مِنَ العدل، سمـّاه نـورا، لأنـّهُ يزيّن البقاع ويُظهر الحقوق، كما سمَّى الظلم ظُلمة؛ أو بنور خُلق فِيهَا بلا توسّط أجسام مضيئة، ولذلك أضافها إِلَى نفسه، ﴿**ووُضع الكتاب**﴾ الحساب والجزاء، ﴿**وَجِيءَ بالنبيّين والشهداءِ**﴾ للأمم وعليهم، مِنَ المـلاَئِكَة والمؤمنين، ﴿**وقُضِيَ بَيْنَهُم**﴾ بين الشاهد والمشهود عليه ﴿**بالْحَقِّ وَهُم لاَ يُظلمُونَ(٦٩)**﴾ بنقص ثواب، أو زيادة عقاب، عَلَى مَا جرى بِهِ الوعد. ﴿**ووُفّيَتْ كُلُّ نفسٍ مَا عَمِلت**﴾ جزاءه، ﴿**وَهُوَ أعلمُ بِمَا يفعلُونَ(٧٠)**﴾ فلا يفوته شيء من أفعالهم.

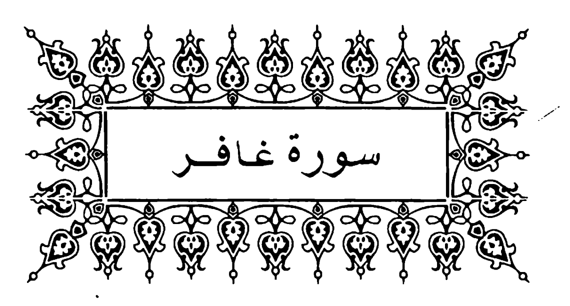
ثُمَّ فصَّل التوفية فقال: ﴿**وسيقَ الذِينَ كَفَرُوا**﴾ سَوقا عنيفا، يُسحبون عَلَى وجوههم ﴿**إِلَى جهنّم زُمَرًا**﴾ أفواجا متفرِّقة بعضها فِي إثر بعض، عَلَى تفاوت أقدامهم فِي الضلالة والشرارة، ﴿**حتّى إِذَا جاءوها فُتِحَتْ أبوابها، وقال لَهُم خزنتُها**﴾ توبيخا وإلزاما للحجج: ﴿**ألم يأتكم رسلٌ منكم يَتلون عَلَيْكُم آياتِ رَبّكُم ويُنذِرونكم لقاءَ يومِكم هَذَا**﴾ فِيهِ دَلِيل لأَنَّهُ لاَ تكليف قبل الشرع، من حيث إنـّهم علّلوا توبيخهم بإتيان الرسل، وتبليغ الكتب، ﴿**قَالُوا: بلى ولكن حقّتْ كلمةُ العذابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١)**﴾ كلمة الله بالعذاب علينا، وَهُوَ الحكم عَلَيْهِم بالشقاوة، وأنـّهم من أهل النـّار، ﴿**قيل ادخلوا أبوابَ جَهَنَّم خالدين فِيهَا**﴾ (لَعَلَّهُ) بعدما أقرُّوا عَلَى أنفسهم، ﴿**فبِئسَ مثوَى المتكبِّرينَ(٧٢)**﴾.

﴿**وسيق الذِينَ اتّقَوْا ربّهم إِلَى الجنَّة زُمَرا**﴾ رُكبانا فيما قيل، عَلَى تفاوت مراتبهم فِي الشرف، ﴿**حتّى إِذَا جاءوها وفُتّحت أبوابُها وقال لَهُم**

**خزنتُها: سلامٌ عليكم﴾** لاَ يعتريكم بعدُ مكروهٌ، **﴿طِبتُم﴾** (لَعَلَّهُ) وذلك مِمَّا يُقوِّي حجَّة من قَالَ: إنَّ أهل الأعراف هم أصحاب اليمين، **﴿فادخلوها خالدِينَ(٧٣) وَقَالُوا: الحمد لله الذِي صَدَقَنَا وعدَه وأورَثَنا الأرْضَ نَتَبَوَّأ مِنَ الجَنَّة حيث نشاء، فَنِعمَ أجرُ العامِلِينَ(٧٤).**

[٥١٨] **﴿وترى الملاَئِكَة حافِّين مِن حولِ العرشِ﴾** تعبَّدهم الله بذلك، كما تعبَّد بني آدم يَحفُّون بالبيت، **﴿يسبِّحون بِحمدِ ربِّهم وقُضِيَ بَيْنَهُم﴾** (لَعَلَّهُ) بين أهل الجنَّة والنار **﴿بِالْحقِّ، وقيل: الحمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ(٧٥)﴾.**





# سورة غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ العليمِ(٢)﴾ الحكيم الدالِّ عَلَى القدرة الكاملة والحكمة البالغة. ﴿غافرِ الذنبِ﴾ فضلا، ﴿وقابلِ التَّوبِ﴾ لمن تاب وعاد[1] ﴿شديدُ العقابِ﴾ لمن عصى عدلاً، ﴿ذي الطَّوْلِ﴾ صفات أخر لتحقيق مَا فِيهِ مِنَ الترغيب والترهيب، والحثّ عَلَى مَا هُوَ المقصود مِنْهُ، ﴿لاَ إله إلاَّ هُوَ﴾ فيجب الإقبال الكلّيُّ عَلَى عبادته، ﴿إِلَيْهِ المصيرُ(٣)﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

﴿مَا يُجادل فِي آيات اللهِ﴾ بالإنكار والإبطال، ﴿إلاَّ الذِينَ كَفَرُوا﴾ لَمَّا حقّق أمر التنزيل سجّل بالكفر عَلَى المجادلين مِنْهُ بالطعن وإدحاض الحقّ، لقوله: ﴿وجادَلوا بالباطلِ ليُدحِضوا بِهِ الحقَّ﴾ فأمَّا الجدال فِيهِ لِحلِّ عقده، واستنباط حقائقه، وقطع تشبُّثِ أهل الزيغ بِهِ، وقطع مطاعنهم فِيهِ، فمن أعظم الطاعات، ﴿فلا يَغرُرْكَ تقلُّبهم فِي البلاد(٤)﴾ فإنَّ تَحته حقائقَ وأسرارا، فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم فِي دنياهم، وتقلُّبهم فِي مكاسبهم، فَإِنَّهُمْ مأخوذون عمَّا قريب لكفرهم، أخذ مَن قبلهم، فقال[2]:

---

١- في الأصل: «وعدا»، وهو خطأ.

٢ - الأصوب: «كما قال»، كما أثبته البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٠٤.

﴿**كذَّبت قبلَهم قومُ نوحٍ والأحزابُ مِن بعدِهم**﴾ وَالذِينَ تَحزَّبوا عَلَى الرسل وناصبوهم، ﴿**وهمَّت كُلُّ أُمَّةٍ**﴾ من هؤلاء ﴿**برسولهم ليأخذوه**﴾ إمَّا ظاهرا وإمَّا باطنا، ﴿**وجادَلوا بالباطلِ**﴾ بِما لا حقيقة لَهُ ﴿**ليُدحِضوا بِهِ الحقَّ**﴾ ليزيلوه بِهِ، ﴿**فَأخَذتُهُم**﴾ بالهلاك جزاءً لَهُم، ﴿**فكيف كَانَ عقابِ(٥)**﴾ فَإنَّكُم تَمرُّون عَلَى ديارهم وترون آثارهم. ﴿**وكذلك حقَّت كلمةُ ربِّك**﴾ وعيده، أو قضاؤه بالعذاب ﴿**عَلَى الذِينَ كَفَرُوا أنَّهُمْ أصحاب النار(٦)**﴾.

﴿**الذِينَ يَحمِلون العرشَ ومَن حولَه يُسبِّحون بحمدِ ربِّهم**﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام، ﴿**ويُؤمِنون بِهِ**﴾ إيمانا بالغيب كإيمان[1] المؤمنين، بأنَّه وحده لاشريك لَهُ، وَهُوَ مدح لَهُم، ﴿**ويستغفِرون للذين آمنوا**﴾ إشعارا بأنَّ حملة العرش ومن حوله من المَلاَئِكَة والمؤمنين مِنَ الثقلين فِي معرفته سواء، واستغفارهم: شفاعتهم وحَملهم عَلَى التوبة، وإلهامهم مَا يوجب المغفرة؛ وفيه تنبيه عَلَى أنَّ المشاركة فِي الإيمان توجب النُّصح والشفقة، وإن تَخالفت الأجناس؛ ﴿**رَبَّنَا وَسِعتَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعِلمًا**﴾ أي: وَسِعت رحمتك كُلَّ شيء، وعلمك وسع كُلَّ شيء؛ أي: وسعت رحمته وعلمه كُلَّ شيء، ﴿**فاغفرْ للذين تابوا واتَّبعوا سبيلك وَقِهم عذابَ الجحيم(٧) رَبَّنَا وأدخِلهم جَنَّاتِ عَدْنٍ التِي وَعَدْتَهم ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذُرِّيَّاتهم إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم(٨) وَقِهم**

١- فِي الأصل: «كالإيمان»، وهو خطأ.

﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أي: جزاءها، ﴿ومن تَـقِ السَّيِّئَـات يومئـذٍ فقـد رحمتـه﴾ أي: ومن تَقِهـا فِي الدُّنْـيَا فقـد [٥١٩] رَحِمتـه فِي الآخِـرَة، ﴿وذلـك هُـوَ الفـوز العظيم(٩)﴾ يعني: الرحمة، أو الوقاية أو مجموعهما.

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا يُنادَون﴾ يوم القيامة، فيقال لَهُم: ﴿لَمَقـتُ الله أكـبر من مَقتِكم أنفسكم﴾ أي: لَمَقتُ الله إيَّـاكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمَّارة بالسوء، ﴿إذ تُدعَون إلَى الإيمان فتكفرُونَ(١٠) قَالُوا: رَبـَّنَا أَمَتـَّنا اثنتـين﴾ بأن خلقتنا أمواتا أوَّلاً، ثُمَّ صيَّرتنا أمواتا[1] عند انقضاء آجلنا. فـانظر إلَى مـدَّة لبثهم فِي الموتة الأولى، وهي العدم، وفي الموتة الثانية، وهي بعد المـوت إلَى يـوم قيامة البعث؛ ثُمَّ قَالَ: ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ الدُّنْـيَويَّة والأخرويَّة؛ ثُمَّ انظر أَيْضًـا بين مدَّة أعمارهم فِي الدُّنْـيَا، وبين تَخليدهم فِي الآخِرَة، ﴿فاعترفنـا بذنوبنـا﴾ فإنَّ اقترافهم لها من اغترارهم بالدُّنْـيَا، وإنكارهم للبعـث، ﴿فهـل إلَى خـروج مِن سبيل(١١)﴾؟ طريق فنسلكه، وذلك إنـَّمَا يقولونه من فرط قنوطهم تعلُّلا وتحيُّـرا، ولذلك أجيبوا بقوله:

﴿ذلكم﴾ الذِي أَنتُم فِيهِ، ﴿بأنـَّه﴾ بسبب أنـَّه ﴿إِذَا دُعِـيَ الله وحـده﴾ أي: عُبد الله وحده ﴿كفرتم﴾ بالتوحيد، ﴿وإن يُشرَكْ بِهِ تؤمنوا﴾ بالإشراك؛ ﴿فالحكم لله﴾ المستحقِّ للعبـادة، ﴿العلـيِّ الكبـير(١٢)﴾ مـن أن يُشـرك بـهِ ويُسوَّى بغيره.

﴿هُوَ الذِي يريكم آياتِه﴾ الدالَّة عَلَى التوحيد، وسائر مَـا يجـب أن يُعلـم تكميلا لنفوسكم، ﴿ويُنزِّل لكم مِنَ السَّمَـاء رزقـا﴾ أسباب رزقٍ، كـالمطر

---

١ - في الأصل: «أمواتنا».

(لَعَلَّهُ) سببا لمعاشكم؛ ﴿وَمَا يتذكَّر﴾ بالآيات التِي هِيَ كالمركوزة فِي العقول لظهورها، المغفول عنها للانهماك فِي التقليد واتِّباع الهوى، ﴿إِلاَّ مَن يُنِيبُ(١٣)﴾ يرجع عَن الإنكار بالإقبال عليها والتفكُّر فِيهَا؛ فإنَّ الجازم بشيء لاَ يَنظر فيما يُنافيه، لأَنَّهُ يصير كالأعمى عَنْهُ، لقول النبيء ﷺ: «حُبُّكَ للشيء يُعمِي وَيُصمُّ»[1].

﴿فادعوا الله مُخلِصِين لَهُ الدينَ ولو كَرِهَ الْكَافِرُونَ(١٤)﴾ أي: لاَ يصدَّنَّكم عَن الإخلاص لله كراهيَّة مَن كفر. ﴿رفيعُ الدرجاتِ﴾ رفيع القدر، ليس هناك مسافات، ﴿ذو العرشِ﴾ خبَران آخران للدلالة عَلَى عُلوِّ صمديَّته من حيث المعقول والمحسوس، الدالّ عَلَى تفرُّده فِي الألوهيَّة؛ فإنَّ مَن ارتفعت درجات كماله بحيث لاَ يظهر دونها كمال، وكَانَ العرش الذِي هُوَ أصل العالم الجسمانيِّ فِي قبضة قدرته، لاَ يصحُّ أن يُشرَك بِهِ؛ وقيل: «الدرجات»: مراتب المخلوقات، أو مصاعد الملاَئِكَة عَلَى العرش، أو درجات الثواب، ﴿يلقِي الروحَ مِن أَمْرِه عَلَى مَن يَشَاء من عبادِه﴾ خبر رابع للدلالة عَلَى أنَّ الروحانيَّات أَيْضًا مُسخَّرات لأمره بإظهار[2] آثارها، وَهُوَ الوحي، وتمهيد للنبوَّة بعد تقرير التوحيد. و«الروح»: الوحي، ﴿لِيُنذِرَ يومَ التلاقِ(١٥) يومَ هم بارِزون لاَ يَخفَى عَلَى اللهِ مِنْهُم شيءٌ﴾ من

١ - رواه أبو داود فِي كتاب الأدب، رقم ٤٤٦٥ عن أبي الدرداء، ورواه أحمد فِي مسند الأنصار، رقم ٢٠٧٠٥؛ وَفِي مسند القبائل، رقم ٢٦٢٦٨. وكلُّهم بلفظ: «حبُّكَ الشيءَ». بلا لام الجرِّ. انظر: العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «حبُّك».

٢- فِي الأصل: «ناطها»، ولا مَعْنَى له.

أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم، ﴿**لِمَنِ الـمُلكُ اليومَ؟ للهِ الوَاحِدِ القهَّـارِ(١٦)**﴾ لِمَا دلَّ عليه ظاهر الحال فِيهِ، مـن زوال الأسباب، وارتفـاع الوسـائط؛ وَأَمـَّا حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما.

﴿**اليوم تُجزَى كُلُّ نفسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ كأنـَّه نتيـجة لِمَا سبق، [٥٢٠] وتحقيقه أنَّ النفوس تكتَسب بالعقائد والأعمال هبات توجب لذَّتها وألمها لكـنَّها لاَ تَشعر بها فِي الدُّنْـيَا لعوائق تشغلها؛ فإذا قامت قيامتها زالت العوائق، وأدركت لذَّتها أو ألمها، ﴿**لاَ ظُلمَ اليومَ إنَّ اللهَ سريعُ الحسـابِ(١٧)**﴾ إذ لاَ يشغله شأنٌ عَن شأنٍ، فيصل إِلَـيْهِم مَا يَستحقُّونه سريعا.

﴿**وأنذِرْهم يومَ الآزفة**﴾ أي: القيامة، سُمِّيت بها لأزوفها، أي: قُربهـا، أو انقضاء أجل كلِّ نفس عَلَى حيالها، ﴿**إذ القلوبُ لَـدى الحنـاجر**﴾ فإنـَّها ترتفـع عَـن مكانهـا، وتلتصـق بِحلوقهـم[1] فـلا تعـود فـيروَّحوا، وَلاَ تَخـرج فيستريحوا، ﴿**كاظمين**﴾ عَلَى الغمِّ، ممتلئـين غمـًّا وخوفـا؛ والكظـم: تـردُّد الغيظ والحزن فِي القلب حتَّى يضيق بِـهِ، ﴿**مَا للظـالمين مِن حميـمٍ وَلاَ شـفيعٍ يُطَاعُ(١٨) يعلمُ خائنة الأعين**﴾ قيل: هُوَ إتبـاع النظر عَلَى التعمُّـد، ﴿**وَمَا تُخفِي الصدورُ(١٩)**﴾.

﴿**وَاللهُ يقضِي بِالْحَقِّ**﴾ لأَنـَّهُ المالك الحـاكم عَلَى الإطـلاق، فـلا يقضي بشيء إِلاَّ وَهُوَ حقُّه، ﴿**وَالذِينَ يَدعـون مِن دونـِه لاَ يَقضُـونَ بِشَـيْءٍ**﴾ لأَنَّ الذِي يقضي بالباطل لاَ يقضي بشيء، لأَنـَّهُ ليس عَلَى شيء، وَلاَ فِي شيء مـن

---

١- في الأصل: «بلحلوقهم»، وهو خطأ.

أمر الدين، لأَنَّهُ زاهق ذاهب، إِلاَّ مَا بقي عليه من جزاء عمله، ﴿إِنَّ الله هُوَ السميع البصير(٢٠)﴾.

﴿أَوَلَمْ يسيروا فِي الأَرْض فينظروا كيف كَانَ عاقبة الذِينَ كَانُوا من قبلهم كَانُوا هم أشدَّ مِنْهُم قوَّة﴾ قدرة وتمكُّنا، ﴿وآثارا فِي الأَرْض﴾ مثل القلاع الحصينة، ﴿فأخذهم الله بذنوبهم وَمَا كَانَ لَهُم مِنَ الله من وَاق(٢١)﴾ يمنع العذاب عَنْهُم. ﴿ذَلِكَ﴾ الأخذ ﴿بأنَّهم كَانَت تأتيهم رسلُهم بِالبَيِّنَاتِ فكفروا، فأخَذَهُمُ الله، إِنَّهُ قويٌّ شديدُ العقابِ(٢٢)﴾ وفيه دليل عَلَى أنَّ الأخذ لاَ يكون إِلاَّ لمن مات [كافرا، لأَنَّهُ مات مغضوبا عليه؛ وَأَمَّا المؤمن فلا يسمَّى موته وَلاَ قتله أخذا وَلاَ هلاكا فِي الحقيقة، كما قَالَ: ﴿إِنِّي متوفِّيك ورافعك إِليَّ﴾[1] لأَنَّهُ ينقلب من رحمة الله إِلَى رحمة الله ورضوانه][2].

﴿وَلَقَد أرسلنا موسى بِآيَاتِنا وسلطانٍ مُبِينٍ(٢٣) إِلَى فرعونَ وهامان وقارونَ فَقَالُوا: ساحرٌ كذَّاب(٢٤) فَلَمَّا جاءهم بِالْحَقِّ من عِندِنا قَالُوا: اقتلوا أبناءَ الذِينَ آمنوا معه، واستحيوا نساءهم، وَمَا كيدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضلال(٢٥)﴾ أي: يذهب كيدهم[3] فِي ضياع.

١ - سورة آل عمران: ٥٥.

٢ - ما بين معقوفين كلُّه كان بعد قوله: «﴿وَمَا كيدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضلال(٢٥)﴾ أي: يذهب كيدهم»، ووضعناها فِي ما يوافق سياقها، وَلَعَلَّ الناسخ نقلها من الحاشية ولم يثبتها فِي محلِّها من المتن.

٣ - هنا كانت العبارة التِي سبق أن وضعناها بين معقوفين.

﴿وقال فرعونُ: ذروني أقتلْ موسى﴾ كأنَّ فِي المعنى: كَانُوا يكفُّونهم بِهِ[1] عَن قتله؛ ويخرج [فِي] معنى القتلِ: المشاققةُ لَهُ والمعاداة، ووضع أمره عَن أمرهم، وترفُّع أمرهم عَن أمره، ﴿وليَدْعُ ربَّه إنِّي أخافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أن يبدِّلَ دينكم﴾ بأن يغيِّر مَا أنتم عليه مِنَ العبادة، وَاتِّبَاع الهوى، ﴿أو أن يُظهِرَ فِي الأَرْضِ الفسادَ(٢٦)﴾ مَا يفسد دينكم وملككم مِنَ التحارب والتهارج.

﴿وقال موسى: إنِّي عُذتُ بربِّي وربِّكُم مِّن كُلِّ مُتكبِّر لاَ يُؤْمِنُ بيوم الحسابِ(٢٧)﴾ (لَعَلَّهُ) التجاء إِلَيْهِ فِي عظيم مهمَّاته، ﴿وقال رجل مُؤْمِنٌ من آلِ فرعونَ يكتُم إيمانَه: أتقتُلون رجلاً [٥٢١] أن يقولَ: رَبِّيَ الله، وقد جاءكم بالبَيِّنَاتِ من رَبِّكُم؟ وإن يَكُ كاذبا فعليه كَذِبُه، وإن يَكُ صادقا يُصِبْكم بعضُ الذِي يَعِدُكم إنَّ اللهَ لاَ يهدي من هُوَ مسرفٌ كذَّاب(٢٨) يا قومِ، لكمُ المُلكُ اليومَ ظاهرين فِي الأَرْض، فمن ينصُرُنا من بأسِ الله إن جاءَنا﴾؟ وإنَّما أدرج نفسه فِي الضميرين، لأَنَّهُ كَانَ مِنْهُم فِي القرابة، وليُريهم أنَّه معهم، ومساهمهم فيما ينصح لَهُم، فكَانَ معهم وحدانيًّا فِي السرِّ، خانعيًّا فِي الظاهر.

﴿قَالَ فرعون: مَا أُرِيكم﴾ مَا أشير إليكم ﴿إلاَّ مَا أرى، وَمَا أهديكم إلاَّ سبيلَ الرشاد(٢٩)﴾ طريق الصواب؛ ﴿وقال الذِي آمن: يا قوم إنِّيَ أخاف عَلَيْكُم مثلَ يومِ الأحزابِ(٣٠)﴾ مثل أيَّام الأمم الماضيَّة، يعني: وقائعهم. ﴿مثلَ دأبِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وَالذِينَ مِن بعدهم، وَمَا الله يريدُ ظُلما

---

١ - الصواب: «يكفُّونه عن قتله».

**للعبادِ(٣١)﴾** كأنَّ أخبار الذِينَ ذكرهم مُتحقّقة معهم، فلم يعتبروا بهم. **﴿ويا قوم إنّي أخاف عَلَيْكُم يوم التنادِ(٣٢)﴾** يوم القيامة يُنادي فِيهِ بعضهم بعضا للاستغاثة؛ أو يتصايحون بالويل والثبور؛ وقيل: ينادي المنادي بالشقاء والسعادة، ألاَ إنَّ فلانا سَعِد سعادة لاَ يشقى بعدها أبدا، وينادي بضدِّه. **﴿يوم تُولُّون﴾** (لَعَلَّهُ) عَن الموقف، **﴿مُدبرين﴾** منصرفين عَنْهُ إِلىَ النَّار، أو فارِّين عنها، (لَعَلَّهُ) من حيث ينفعهم؛ أو ينادي أهلُ الجنَّة أهلَ النَّار، وأهلُ النَّار أهلَ الجنَّة، أو يناديهم الله، فيقول: أين شركائي؟ أو ينادون[1] العباد مَن عبدوهم من دون الله **﴿مَا لكم مِنَ الله مِن[2] عاصِمٍ، ومن يُضْلِلِ الله فما لَهُ من هَادِ(٣٣)﴾**.

**﴿وَلَقَد جاءكم يوسفُ من قبلَ بالبَيِّنَاتِ فما زِلتم فِي شكٍّ مِمَّا جاءكم بِهِ، حَتَّى إِذَا هلك قلتم: لن يبعثَ الله مِن بعدِهِ رسولا، كذلك يُضِلُّ الله من هُوَ مُسرفٌ مُرتابٌ(٣٤)﴾** شاكٌّ فيما تشهد بِهِ البَيِّنَات، فغلبه الوهم والانهماك فِي التقليد. **﴿الذِينَ يُجادلون فِي آيات الله﴾** فِي إبطالها ودفعها **﴿بغير سلطان﴾** بغير حجَّة، بَل إمَّا بتقليد أو شبهة داحضة، **﴿أتاهم﴾** (لَعَلَّهُ) ذَلِكَ الجدال، **﴿كَبُرَ مَقتًا عند الله وعند الذِينَ آمنوا﴾** أي: حاق بهم أعظم البغض عند الله وعند المؤمنين حين جادلوا فِي إدحاض آيات الله بغير حقٍّ، **﴿كذلك يَطبَعُ الله عَلَى كُلِّ قلبِ مُتكبِّرٍ جبَّارِ(٣٥)﴾**.

---

١ - الأصوب: «ينادي».

٢ - فِي الأصل: - «من»، وهو سهو.

﴿وقال فرعون: يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحا لَعلّي أبلُغُ الأسبابَ(٣٦)﴾ الطرق، ﴿أسبابَ السَّمَاوَات فأطَّلعَ إِلَى إلهِ موسى وَإنّي لأظنُّه كاذبا؛ وكذلك زُيِّن لفرعونَ سوءُ عَمَلِه وصُدَّ عَن السبيل، وَمَا كيدُ فرعونَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ(٣٧)﴾ خسار.

﴿وقال الذِي آمن: يا قومِ اتَّبعونِ أهدِكم سبيلَ الرشاد(٣٨)﴾ سبيلا لاَ يضلُّ سالكه إِلَى[1] المقصود. ﴿يا قومِ، إنَّمَا هَذِهِ الحياةُ الدُّنيَا متاعٌ﴾ تمتُّع يسير، لسرعة زواله؛ معناه: لن تصل إِلَى سبيل الرشاد وفي قلبك محَبَّة الدنيا، ﴿وإنَّ الآخِرَة هِيَ دار القرار(٣٩)﴾ لدوامها.

﴿مَن عملَ سيِّئة فلا يُجزَى إِلاَّ مثلها﴾ عدلا مِنَ الله، ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى [٥٢٢] وَهُوَ مُؤْمِن فأولئك يدخلون الجنَّة يُرزقون فِيهَا بغير حساب(٤٠)﴾ قيل: بغير تقدير وموازنة بالعمل، بَل أضعافا مضاعفة، فضلا مِنْهُ ورحمة.

﴿ويا قومِ مَا لي أدعوكم إِلَى النجاةِ وتدعونني إِلَى النارِ(٤١)﴾ كرَّر نداءهم إيقاظا لَهُم عن سِنة الغفلة، واهتماما بالمنادى لَهُ، ومبالغةً فِي توبيخهم عَلَى مَا يقابلون بِهِ نصحَه. ﴿تدعونني لأكفرَ بالله وأُشرِكَ بِهِ مَا ليس لِي بِهِ علمٌ﴾ والمُرَاد: نفي المعلوم، والإشعار بأنَّ الألوهيَّة لاَ بدَّ لها من برهان، واعتقادها لاَ يصحُّ إِلاَّ عَن إيقان، ﴿وأنا أدعوكم إِلَى العزيزِ الغفَّار(٤٢)﴾

---

١ - لعلَّ الصواب: «عن» بدل «إلى». وَفِي تفسير البيضاوي: «سبيلا يصلُ سالكُه إِلَى المقصود». ج٤/ ص١٠٩.

المستجمع لصفات الألوهيَّة من كمال العلم والقدرة ونحوهما. ﴿**لاَ جرم**﴾ لاَ رَدَّ لِمَا دعوه إِلَيْهِ؛ و«جَرَمَ» فعل بمعنى: حقَّ، وفاعله ﴿**أنـَّما تَدعونني إِلَيْهِ ليس لَهُ دعوة فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ**﴾ أي: حقَّ عدم دعوة آلهتكم إِلَى عبادتها أصلا، لأَنَّهَا جماد ليس لها مَا يقتضي ألوهيتها، ﴿**وأنَّ مردَّنا إِلَى اللهِ، وأنَّ المسرفين هم أصحاب النار(٤٣) فستذكرون**﴾ عند معاينة الموت أو العذاب حين لاَ ينفعكم الذكر ﴿**مَا أقولُ لكم وأفوِّض أمري إِلَى اللهِ**﴾ (لَعَلَّهُ) وذلك بأنـَّهم توعَّدوه لمخالفته دينَهم، ﴿**إِنَّ الله بصير بالعباد(٤٤)**﴾.

﴿**فوقاه اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَروا**﴾ مَا أرادوا بِهِ مِنَ المكر، أو مِمَّا عصوا الله بِهِ، لأَنَّ وباله عَلَيْهِم دونه، ﴿**وحاقَ بآلِ فرعونَ سوءُ العذابِ(٤٥) النَّارُ يُعرَضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا، ويومَ تقومُ الساعةُ أَدخِلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذابِ(٤٦)**﴾.

﴿**وإذ يَتَحَاجُّون فِي النَّار، فيقول الضعفاءُ للذين استكبروا: إِنـَّا كُنـَّا لكم تَبَعا فهل أَنتم مُغنُون عَنـَّا نصيبًا مِنَ النـَّارِ؟(٤٧) قَالَ الذِينَ استَكبَروا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قد حَكَمَ بين العباد(٤٨) وقال الذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّم: ادعوا رَبَّكُم يُخفِّفْ**[1] **عنـَّا يومـًا**﴾ قدر يوم ﴿**مِن العذاب(٤٩)**﴾ شَيْئًا مِنَ العذاب. ﴿**قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تأتيكم رسُلُكم بِالبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا: بلى؛ قَالُوا فادعوا وَمَا دعاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضلالٍ(٥٠)**﴾ ضياع لاَ يُجاب.

---

١- في الأصل - «يخفّف» وهو سهو.

﴿إنَّا لنَنصُرُ رُسُلَنا وَالذِينَ آمنوا﴾ بالحجَّة والظفر، والدعاء الصالح، ﴿فِي الحياةِ الدُّنيَا، ويومَ يقومُ الأشهادُ(٥١)﴾ أي: فِي الداريـن، وَلاَ ينتقض ذَلِكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِم مِنَ الغلبة امتحانا، إذ العبرة بالعواقب، وغالب الأمر؛ والأشهاد: المَلاَئِكَة والأنبياء والمؤمنون. ﴿يومَ لاَ ينفعُ الظالمين مَعذِرتُهم ولهم اللعنةُ ولهم سوءُ الدارِ(٥٢)﴾.

﴿وَلَقَد آتينا موسى الهدَى وأورثنا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكتابَ(٥٣) هدًى وذكرَى لأُولي الألباب(٥٤) فاصبر إنَّ وعد الله حقٌّ واستغفر لذنبك وسبِّحْ بِحمدِ رَبِّكَ بالعشيِّ والإبكارِ(٥٥)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ يُجادِلون فِي آيات الله بِغير سُلطان أتاهم إنْ فِي صدورهم إلاَّ كِبرٌ﴾ أي: مَا فِيهَا إِلاَّ تكبُّر عَن الحقِّ وتعظُّم عَن التفكُّر والتعليم؛ أو إرداة الرئاسة، (لَعَلَّهُ) وخالية مِنَ الإيمان، والتواضع لأهله، ﴿مَا هم ببالغيه﴾ ببالغي دفع الآيات. [٥٢٣] وقيل عَن ابن عبَّاس قَالَ: «عظمة لم يبلغوها»؛ ﴿فاستعذْ بالله﴾ فالتجئْ إِلَيْهِ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السميع البصير(٥٦)﴾.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أكبرُ مِن خَلقِ الناسِ﴾ فمن قَدَر عَلَى خَلْقِها خلَقَها[1] مَعَ عِظمها أوَّلاً من غير أصل، قَدَر عَلَى خلق الإنسان ثانيا من أصل، وَهُوَ لأَشْكَلُ[2] مَا يجادلون فِيهِ من أمر التوحيد والوعيد، ﴿ولكنَّ أكثرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ(٥٧)﴾ لأَنَّهُم لاَ ينظرون وَلاَ يتأمَّلون لفرط غفلتهم، وَاتِّبَاعهم أهواءهم.

---

١ - لعلَّ الصواب: - «خلقها».

٢ - الصواب ما فِي تفسير البيضاوي: «وهو بيانٌ لأشكَلِ ما يجادلون»، ج٤/١١١.

﴿**وَمَا يستوي الأعمَى والبصيرُ**﴾ الغافل والمستبصر، ﴿**وَالذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات وَلاَ المُسيءُ**﴾ والمحسن والمسيء؛ فينبغي أن يكون لَهُم حال يظهر فِيهَا التفاوت فِي محْيَاهم ومماتهم وبعثهم عند ذوي العقول السليمة، ﴿**قليلا مَا تتذكَّرُونَ(٥٨)**﴾ أنَّهم ليسوا عَلَى منزلة.

﴿**إنَّ الساعة لآتيةٌ لاَ ريبَ فِيهَا**﴾ فِي مَجيئها، لوضوح الدلالة عَلَى جوازها، وإجماع الرسل عَلَى الوعد بوقوعها، ﴿**ولكنَّ أكثرَ الناسِ لاَ يُؤمِنُونَ(٥٩)**﴾[1].

﴿**وقال ربُّكُم: ادْعُونِي**﴾ اعبدوني ﴿**أستجبْ لكم**﴾ أثبْكم[2]، لقوله: ﴿**إنَّ الذِينَ يستكبِرون عَن عبادتي سيَدخُلون جَهَنَّم داخِرِينَ(٦٠)**﴾ صاغرين.

﴿**الله الذِي جَعَلَ لكم اللَّيْلَ لتسكنوا فِيهِ**﴾ لتستريحوا فِيهِ، بأن خلقه باردا مُظلما ليؤدِّي إِلىَ ضعف الحركات، وهدوء الحواس؛ ﴿**وَالنَّهَارَ مُبصِراً**﴾ لتدبُّر المعاش، ﴿**إنَّ الله لذو فضلٍ عَلَى الناس**﴾ لاَ يوزايه فضل، ﴿**ولكنَّ أكثر الناس لاَ يشكرُونَ(٦١)**﴾ لِجهلهم بالمنعِم والنعم، وإغفالهم مواقع النقم.

﴿**ذلكم**﴾ المخصوص بالأفعال الدالَّة للألوهيَّة[3] والربوبيَّة، ﴿**الله رَبُّكُم خالقُ كُلِّ شيء لاَ إله إلاَّ هُوَ**﴾ أخبار مترادفة، ﴿**فأنَّى تؤفكُونَ(٦٢)**﴾؟

---

١ - فِي الأصل الآية غير مكتوبة، وهو سهو.

٢ - فِي الأصْلِ: «أثيبُكم».

٣ - الصواب: «عَلَى الأُلوهِيَّة»، وَفِي تفسير البيضاوي: «المقتضية للألوهيَّة». ج٤/ ص١١٢.

فكيف ومن أيِّ وجه تصرفون عَن عبادتـه إلىَ عبـادة غـيره؟ ﴿**كذلـك يُؤفَـكُ الذِينَ كَانُوا بـِآيَـاتِ الله يَجحدُونَ(٦٣)**﴾ أي: كمـا أفكـوا أفـكَ عَـن الحـقِّ كلُّ من جَحد بـِآيَـاتِ الله و لم يتأمَّلها.

﴿**الله الـذِي جَعَـل لكـم الأَرْضَ قـرارا والسَّمَـاءَ بِنَـاءً**﴾ استدلال ثـان بأفعال أُخر مَخصوصة، ﴿**وصوَّركم فأحسنَ صُوَرَكم**﴾ بأن خلقكم منتصب القامـة، بـادي البشـرة، متناسـب الأعضـاء والتخطيطـات، متهيِّـئا لمزاولـة الصناعات، واكتساب الكمالات، كمـا قَـالَ: ﴿وفضَّلنـاهم عَلَـى كثـير مِمَّـن خلقنا تفضيلا﴾[1]. ﴿**ورزقكم مِنَ الطَّيِّـبَات؛ ذلكم الله رَبُّكُم فـتَبَـارَكَ الله رَبُّ الْعَـالَمِينَ(٦٤)**﴾ فـإنَّ كـلَّ مَـا سـواه مَربـوب، مُفتقـر بـالذات، مُعـرَّض للزوال. ﴿**هُوَ الحيُّ**﴾ المتفرِّد بالحياة الذاتيَّة، ﴿**لاَ إلـه إلاَّ هُـوَ**﴾ إذ لاَ موجـود يُسـاويه، أو يُدانيـه فِي ذاتـه وصفاتـه، ﴿**فـادعوه**﴾ فـاعبدوه ﴿**مُخلِصِـين لَـهُ الدين**﴾ أي: الطاعة مِـنَ الشـرك والريـاء، ﴿**الحمـدُ للهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ(٦٥)**﴾ قائلين لَهُ.

﴿**قل: إنـِّي نُهِيت أن أعبدَ الذِينَ تدعون مِن دونِ الله لَمَّا جاءني البَـيِّـنَاتُ من ربِّي**﴾ مِنَ الحجج والآيات، فإنَّها مُقوِّية لأدلَّة العقل، منبِّـهة عليها، ﴿**وأُمرت أن أُسلم لرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦٦)**﴾ أن أنقاد لَهُ وأخلص لَهُ ديني.

﴿**هُـوَ الـذِي خَلَقَكـم مـِّن تـرابٍ، ثُـمَّ مِن نـُّطفة، ثُـمَّ من علقـةٍ، ثُـمَّ يُخرِجكم طِفلا، ثُمَّ لتبلغوا أشُدَّكم، ثُمَّ لتكونوا شيوخا، ومنكم مـن يُتوفَّـى**

---

١ - سورة الإسراء: ٧٠.

**من قبلُ** [٥٢٤] **ولتبلغوا أجلا مُسمًّى، ولعلَّكم تعقلُونَ(٦٧)﴾** مَا فِي ذَلِـكَ مِنَ الحجج والعبر. **﴿هُوَ الذِي يُحيِي ويُميـِّت، فإذا قضى أمرا﴾** فـإذا أراده، **﴿فَإنـَّمَا يقول لَهُ: كُن، فيكُونَ(٦٨)﴾** فلا يحتاج فِي تكوينه إِلَى عُدَّة وتَجشُّمِ كُلفة، من حيث أنَّه تقتضي قدرةً ذاتيَّة غير متوقِّـفة إِلَى العُدَدِ والموادِّ.

**﴿ألم تـرَ إِلَى الذِيـنَ يُجـادلون فِي آيـات اللهِ أنـَّى يُصرفُـونَ(٦٩)﴾** عنـد التصديق بِهِ، **﴿الذِينَ كذَّبوا بالكتاب﴾** وذلك يقتضي التنزيل والتأويل، **﴿وبما أرسلنا بِهِ رُسلنا﴾** مِنَ السنن والشرائع (لَعَلَّهُ) وسـائر الحجـج، **﴿فسـوف يَعْلَمُونَ(٧٠)﴾** عند الموت وَمَا بعده. **﴿إذ الأغـلالُ فِي أعنـاقهم والسلاسـل يُسحبُونَ(٧١) فِي الحميم﴾** أي: بالسلاسـل يُسـحبون، مُطوَّقـة فِي الأعنـاق، **﴿ثُمَّ فِي النـَّار يُسـجرُونَ(٧٢)﴾** مـن سَـجَرَ التنـُّورَ: إِذَا مـلأه بـالوقود، أو يُربَطون؛ والمراد: تعذيبهم بأنواع مِنَ العذاب، ويُنقلون من بعضها إِلَى بعض.

**﴿ثُمَّ قيل لَهُم: أين مَا كُنتُم تشرِكُونَ(٧٣) مِن دونِ اللهِ؟ قَالُوا: ضَلُّـوا عَنـَّا﴾** غابوا عنـَّا، أو ضاعوا عنـَّا، فلم نجد مِنْهُم مَا كُنـَّا نتـوقَّع مِنْهُم، **﴿بَل لم نكن نَـدعُو مِن قبلُ شَيـْئًا﴾** أي: بَل تَبَيَّنَ لَنَا أنـَّا لم نكن نعبد شَيـْئًا يعتدُّ بِهِ، فإنـَّهم ليسوا شَيْـئًا يُعتدُّ بِهِ، كقولك: حسبته شَيْـئًا فلم يكن، **﴿كذلك﴾** مثل هَذَا الضلال، **﴿يـُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ(٧٤)﴾** حتـَّى لاَ يهتـدوا إِلَى شـيء ينفعهم فِي الآخِرَة.

**﴿ذلكـم﴾** الإضـلال **﴿بِمَـا كُنتـُم تـفرَحون فِي الأَرْض﴾** تَبطـرون وتـتكبـَّرون **﴿بغـير الحـقِّ﴾** وَهُـوَ الشـرك والطغيـان، **﴿وبمـا كُنتـُم**

**تَمرحُونَ(٧٥)﴾** تتوسَّعون فِي الفرح؛ والعدولُ إلَى الخطاب للمبالغة فِي التوبيخ. **﴿ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّم خالدين فِيهَا فبِئْسَ مَثْوَى الـمُتكَبِّرين(٧٦)﴾** عَن الحقِّ جهنَّم. **﴿فاصبر إنَّ وعدَ الله﴾** بهلاك الكفَّار، **﴿حقٌّ﴾** كائن لاَ مَحالة.

**﴿فإمَّا نُرينَّك بعضَ الذِي نَعِدُهم﴾** وَهُوَ القتل والأسر ونحوهما، **﴿أو نتوفينَّك﴾** قبل أن (لَعَلَّهُ) تراه، **﴿فإلينا يُرجَعُونَ(٧٧)﴾** يرجعون يوم القيامة، فنجازيهم بأعمالهم.

**﴿وَلَقَد أرسلنا رسلا مِن قبلِك، مِنهُم مَن قَصصنا عليك﴾** لِحكمة علمناها؛ وكذلك قوله: **﴿ومِنهم من لم نقصُصْ عليك، وَمَا كَانَ لرسول أن يأتي بِآيَةٍ إلاَّ بإذن الله﴾** فإنَّ المعجزات عطايا قسمها بَيْنَهُم عَلَى مَا اقتضته حكمته كسائر القسم، ليس لَهُم اختيار فِي إتيان بعضها، والاستبداد بإتيان المقترح منها، **﴿فإذا جاء أمر الله﴾** بالعذاب فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، **﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾** بإنجاء المُحِقِّ، وتعذيب المُبطِل، **﴿وخَسِرَ هنالك المبطلُونَ(٧٨)﴾** المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور مَا يُغنِيهم عنها.

**﴿الله الذِي جَعَل لكم الأنعامَ لِتركبوا[1] منها، ومنها تأكُلُونَ(٧٩) ولكم فِيهَا منافعُ ولتبلغوا عليها حاجةً فِي صدوركم﴾** بالمسافرة عليها، **﴿وعليها وعلى الفلك تُحمَلُونَ(٨٠) ويُريكم آياته﴾** دلائله الدالَّة عَلَى

١ - فِي الأصل: «لتركبوها»، وهو خطأ.

كمـال قدرتـه ووسـع رحمتـه، ﴿**فـأيَّ آيـات الله**﴾ أيَّ آيـة مـن تِلـك الآيـات ﴿**تُنكِرُونَ(٨١)**﴾؟ فإنَّـها لظهورها لاَ تقبل الإنكار.

﴿**أفلم يسيروا فِي الأَرْض فينظروا كيف كَانَ عاقبة الذِيـنَ [٥٢٥] من قبلهم كَانُوا أكثرَ مِنهُم وأشدَّ قوَّة وآثارًا فِي الأَرْض**﴾ مَا بقي مِنـْهُم وَلاَ[1] مِـنَ القصـور والمصـانع ونحوهمـا، ﴿**فمـا أغنـى عَنـْـهُم مـَّـا كَـانُوا يكسبُونَ(٨٢)**﴾ لمعاشهم ومعـادهم. ﴿**فَلَـمَّا جاءتهم رُسُلُهم بِالبَـيِّنَـاتِ فرحـوا بِمَـا عندهـم مِّنَ العلـم**﴾ واستحقروا علـم الرسـل؛ والمـُرَاد بـالعلم: عقائدهم الزائغة، وشُبَهِهم الداحضة، لقوله: ﴿بَل ادَّارك علمهم فِي الآخِرَة﴾[2] وَهُـوَ قولهـم: لاَ نبعـث وَلاَ نعـذَّب، ﴿وَمَـا أظـنُّ السـاعةَ قائمـةً﴾[3] ونحوهـا، [وسمَّاها][4] علما على زعمهم، تهكُّما بهم. وفرحُهم بِهِ (لَعَلَّهُ) الإصرارُ عليه، والاستخفافُ بِمَا أتى بِهِ، وترك العمل بمقتضاه، وضحكهم مِنْهُ، واستهزاؤهم بِهِ، ويؤيده...[5] وَهُوَ جهل فِي الحقيقة؛ ويدلُّ عَلَى ذَلِكَ قوله: ﴿**وحَـاقَ بهـم مَّا كَانُوا بِهِ يستهزءُونَ(٨٣)**﴾.

---

١ - الصواب: - «لاَ»، كما هو عند البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١١٣.

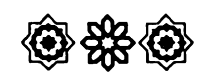
٢ - سورة النمل: ٦٦.

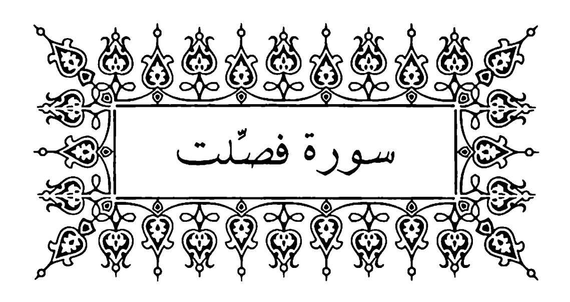
٣ - سورة الكهف: ٣٦.

٤ - إضافة من المصدر نفسه.

٥ - كذا في الأصـل، والصـواب: - «ويؤيـِّده»، وليـس فِي العبـارة سـقطٌ، لأنـَّهُ سـيقول بعـدُ: «ويدلُّ عَلَى ذَلِكَ قوله: ﴿وحاق بهـم...﴾»، ويبـدو أنَّ المؤلـف تـردَّد بـين أن ينقـل عبـارة البيضاوي كمـا هـي وبين أن يضيـف إِلَيـْهَا شَيْئـًا مـن عنـده، والعبـارة عنـد البيضـاوي: «وفَرَحُهم به: ضحكهم منه واستهزاؤهم، ويؤيِّده: ﴿وحاق بهم...﴾». المصدر نفسه.

﴿**فَلَمَّا رأوا بأسنا**﴾ أحوالَ الموت، ﴿**قَالُوا: آمنـَّا بالله وحده وكَفرنا بمَا كُنَّا بِهِ مشركِينَ(٨٤)**﴾ وَهُوَ أهوية أنفسهم. ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانـُهم لَمَّا رأوا بأسَنا**﴾ لأَنَّ ذَلِكَ ليس بإيمان بعدما أتاهم اليقين، ﴿**سُنَّة الله التِي قد خلَت فِي عباده**﴾ أي: سنَّ الله ذَلِكَ سنَّة ماضية فِي العباد فاحذروها، وذلك إِذَا عاينوا عذابَ الله آمنوا، وَلاَ ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب، ﴿**وخسر هنالك الْكَافِرُونَ(٨٥)**﴾ أي: وقت رؤيتهم البأس.





## سورة فصّلت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) تنزيلٌ مِنَ الرَّحمـن الرَّحيم(٢) كِتَـاب﴾ لعلَّ افتتاح هَـذِهِ السُّوَر السَّبع بـ«حم» وتسميتها بِهِ، لكونها مصدَّرة ببيان الكتاب، متشاكلة فِي النظم والمعنى؛ وإضافةُ "التنزيل" إِلَىَ "الرحمـن" للدلالة عَلَى أَنَّهُ مناطُ المصالح الدينيَّة والدنيويَّة، ﴿فُصِّلت آياتُه﴾ مُيِّزت باعتبار اللفظ والمعنى، أو فصلت بين الحَقِّ والباطل، ﴿قرآنا عربيًّا﴾ فِيهِ امتنان بسهولة قراءته وفهمه، ﴿لقومٍ يَعْلَمُونَ(٣)﴾ لأهل العلم والنظر. ﴿بشيرا ونذيرا﴾ للعالمين[1] بِهِ، والمخالفين لَهُ؛ ﴿فأعرَضَ أكثرُهم﴾ عَن تدبُّره وقبوله، ﴿فَهُم لاَ يسمعُونَ(٤)﴾ سماعَ تأمُّل وطاعة.

﴿وَقَالُوا: قُلُوبُنا فِي أكنَّةٍ مِمَّا تدعُونا إِلَيْهِ﴾ أغطية؛ جمع كِنَان، ﴿وفي آذاننا وَقرٌ﴾ صَمَم، وأصله الثِّقل؛ ﴿ومن بَينِنا وبَينِك حجابٌ﴾ خلاف الدين، وحاجز فِي النِّحلة يمنعنا عَن التواصل؛ وهذا تمثيل لِنبو قلوبهم عَن إدراك مَا يدعوهم إِلَيْهِ واعتقادهم ومَجِّ أسماعهم له، وامتناع مواصلتهم، وموافقتهم للرسول، ﴿فاعمل﴾ عَلَى دينك، أو فِي إبطال أمرنا، ﴿إنَّنا عاملُونَ(٥)﴾ عَلَى ديننا أو فِي إبطال أمرك.

---

١ - الصواب: «للعاملين به» كما فِي تفسير البيضاوي: ج٤/ ص١١٤.

﴿قل: إنَّمَا أنا بشَرٌ مثلُكم يُوحَى إلَيَّ أنَّمَا إلَهكم إلَهٌ واحدٌ﴾ لست مَلَكا وَلاَ جنِّيًّا لاَ يمكنكم التَّلقي مِنْهُ، ولا أدعوكم إلَى مَا تَنبُو عَنْهُ العقول والأسماع، وَإِنَّمَا أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة فِي العمل؛ وقد دلَّ عليهما دلائل العقل، وشواهد النقل، ﴿فاستقيموا﴾ فِي أفعالكم، متوجِّهين ﴿إلَيْهِ﴾ أو فاستووا إلَيْهِ بالتوحيد والإخلاص فِي العمل، ﴿واستغفِروه﴾ مِمَّا أنتم عليه، من سوء العقيدة والعمل؛ ثُمَّ [٥٢٦] هدَّدَهم عَلَى ذَلِكَ فقال:

﴿وويلٌ للمشركِينَ(٦)﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم با لله. ﴿الذِينَ لاَ يُؤتُون الزكاةَ﴾ لفرط حبِّهم للمال، وقلَّة إيقانهم بثوابها، وعدم خوفهم من تركها؛ وَقِيلَ: معناه: لاَ يفعلون مَا يُزكِّي أنفسهم، وَهُوَ: الإيمان والطَّاعة، ﴿وَهُم بالآخِرَة هم كَافِرُونَ(٧)﴾ إشعار حالهم بامتناعهم[1] عَن الزكاة، لاستغراقهم فِي حبِّ الدُّنْيَا، وإنكارهم للآخرة. ﴿إنَّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَات لَهُم أجرٌ غيرُ ممْنونٍ(٨)﴾ لاَ يُمَنُّ بِهِ عليهم.

﴿قل: أئنَّكم لَتكفُرون بالذي خلقَ الأَرْضَ فِي يَومَين، وتجعلون لَهُ أندادا؛ ذَلِكَ ربُّ الْعَالَمِينَ(٩)﴾ خالق جميع مَا وُجد مِنَ الممكنَات. ﴿وجعل فِيهَا رواسِيَ مِن فوقِها﴾ مرتفعة عليها، ليظهر للنظَّار مَا فِيهَا من وجوه الاستبصار، وتكون منافعها مُعرَّضة للطلاَّب، ﴿وبارَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرَها، بأن خلق فِيهَا أنواع النبات والحيوان، ﴿وقدَّر فِيهَا أقواتها﴾ أقوات أهلها، بأن عيَّنَ لِكُلِّ نوع مَا يصلحه ويعيش بِهِ، لجميع مَا يحتاج إلَى الغذاء؛

١ - لَعَلَّ الصواب: «إشعارٌ بِأَنَّ امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم...»

قيل: قسَّم فِي الأَرْض أرزاق العباد والبهـائم، ﴿فِي أربعـةِ أيـَّامٍ سـواءً﴾و أي: استوت سواء، بمعنى: استواء ﴿للسائلِينَ(١٠)﴾ (لَعَلَّهُ) من سأل عَنْـهُ، عَن مدَّة خلق الأَرْض وَمَا فِيهَا، أو قدَّر فِيهَا الأقوات للطالبـين.

﴿ثُمَّ استوَى إلىَ السَّمَـاء وهي دُخانٌ؛ فقال لها وللأرضِ: ائتـِيَا﴾ بمَـا خَلقتُ فيكما مِنَ التأثير والتأثُّـر، وإبراز مَا أودعتُكُما مِنَ الأوضـا ع المختلفـة، والكائنـات المتـنوِّعة؛ أو ائتـيَا فِي الوجـود؛ عَلَى أَنَّ الخلـق السـابق بمعنـى: التقدير؛ وقيل: «ائتـيا» يعنى: أَخرِجا مَـا خلقـتُ فيكمـا مِـنَ المنـافع لمصـالح العباد، ﴿طَوْعًا أو كَرْهًا﴾ شئتما ذَلِـكَ أو أبيـتما؛ والمـُرَاد: إظهـار كمـال قدرته، ووجوب وقوع مراده، لاَ إثبات الطوع والكره لهما؛ ﴿قالتا: أتَـيْـنَـا طائـعِينَ(١١)﴾ منقـادين بـالذَّات؛ والأظهـر أَنَّ المـراد: تصويـر تأثـير قدرتـه فيهما، وتأثُّـرهما بالذَّات عنها، وتمثيلهما بأمر المطاع، وإجابة الطائع المطيـع، كقوله: ﴿كن فيكون﴾[1]، وَمَـا قيـل: إنـَّهُ تعـالى خاطبهمـا وأقدرهمـا عَلَـى الجواب، إنـَّمَا يتصوَّر عَلَى الوجه الأَوَّل والأَخِير؛ وَإنـَّمَا قَالَ: «طائعين» عَلَـى المعنى باعتبار كونهما مُخاطبَين، كقوله: ﴿ساجدين﴾.

﴿فقَضاهـُنَّ سـبعَ سمـاوات فِي يومـينِ، وأوحَى فِي كُـلِّ سمـاءٍ أمرَهَـا﴾ شأنها، وَمَا يتأتَّى مِنهَا، بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا؛ وقيل: أوحـى إلَـيْها بأوامره؛ ﴿وزينـَّا السَّمَـاءَ الدُّنْـيَا بمصـابيحَ﴾ فَـإنَّ الكواكـب تُـرى كَأَنـَّهَا تتـلألأ، ﴿وحفظـا﴾ أي: حفظناهـا مِـنَ الآفـات، أو مِـنَ المـُسترقة؛ ﴿ذَلِـكَ تقديرُ العزيز العليم(١٢)﴾ البالغ فِي القدرة والعلم.

---

١ - سورة البقرة: ١١٧، سورة آل عمران: ٤٧...

﴿فإن أعرَضُوا﴾ عَن الإيمان بعد هَذَا البيان، ﴿فَقُل: أنذرْتُكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ(١٣)﴾ وَهُوَ أَخذ كلٍّ نفس واستئصالها عَلَى حدة بِمَا كسبت. ﴿إذ جاءتهم الرُّسُل من بينِ أيديهم ومِن خلفِهم﴾ من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كُلِّ جهة، أو من جهة الزمن الماضي [٥٢٧] بإنذار عَمَّا جرى فِيهِ عَلَى الكفّار؛ ومن جهة المستقبل بالتحذير عَمَّا أُعدَّ لَهُم فِي الآخِرَة، ﴿ألاَّ تعبدوا إلاَّ الله﴾ وترفضوا عبادة الشيطان والهوى والنفس. ﴿قَالُوا: لو شاء رَبُّنَا لأنزَلَ مَلاَئِكَةً﴾ برسالته، ﴿فإنَّا بِمَا أُرسِلتم بِهِ﴾ عَلَى زعمكم، ﴿كَافِرُونَ(١٤)﴾ إذ أَنتُم بشر مثلنا لاَ فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عادٌ فاستكبروا فِي الأَرْض بغير الحَقِّ﴾ فتعظَّموا فِيهَا عَلَى أهلها بغير استحقاق، ﴿وَقَالُوا: مَن أشدُّ مِنَّا قوَّةً﴾؟ اعتزاز بقوَّتهم وشوكتهم؛ ﴿أولم يرَوا أَنَّ الله الذِي خَلَقهُم هُوَ أشدُّ مِنْهُم قوَّةً﴾؟ قدرة؛ فَإِنَّهُ قادر بالذَّات، مقتدر عَلَى مَا لاَ يتناهى، قويٌّ عَلَى مَا [لا][1] يقدر عليه غيره؛ ﴿وكَانُوا بِآيَاتِنا يجحَدُونَ(١٥)﴾ يعرفون أَنَّهَا حقٌّ وينكرونها.

﴿فأرسلنا عَلَيْهِم ريحا صَرْصَرًا﴾ باردة تُهلك بشدَّة بردها، مِنَ الصرِّ: وَهُوَ البرد الذِي يصرُّ، أي: يجمِّع؛ أو شديدة الصوت فِي هبوبها، مِنَ الصَّرير،

---

١ - من إضافتنا ليستقيم المعنى، وَإِلاَّ عُكِسَ المُرَاد، وقد نقلها المُصَنِّف بخطئها من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١١٦. وقد وردت العبارة نفسها صحيحة عند أبي السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٨. وكذا عند الألوسي: روح المعاني، ج٢٤/ ص١١٢.

﴿فِي أيَّام نحساتٍ﴾ مشؤومات ليس فِيهَا من...[1] ؛ ﴿لِنُذِيقهم عـذابَ الخِزيِ فِي الحياةِ الدُّنـْيَا﴾ أضعاف العذاب إِلىَ الخزي، وَهُوَ الدال[2] (لَعَلَّهُ) عَلَى قصد وصفه بِهِ لقوله: ﴿ولعذابُ الآخِرَةِ أخزَى وَهُم لاَ يُنصرُونَ(١٦)﴾.

﴿وَأَمَّا ثمودُ فهدينـاهم﴾ أي: يسَّرنا لَهُـم أسباب الهدَى، وهـي: الكتـب والرُّسُل، وبصائر العقول، وهي مبذولة، وَلاَ يمنع عنهـا إِلاَّ الأسباب التِـي تعمي (لَعَلَّهُ) القلوب، ﴿فاستحبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾ فاختاروا الضلالة عَلَى الهـدى، ﴿فأخذتهم صاعقةُ العذاب الهونِ﴾ صاعقة مِـنَ السَّمَـاء، فـأهلكتهم؛ وإضافتهـا إِلىَ العذاب، ووصفه بالهون للمبالغة، ﴿بِمَا كَـانُوا يكسبُونَ(١٧)﴾ مـن اختيـار الضلالة، ﴿ونـجَّينا الذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يتـَّقُونَ(١٨)﴾.

﴿ويوم يُحشَر أعداءُ ا لله إِلىَ النَّار فَهُم يُوزَعُـونَ(١٩)﴾ يُحبَس أَوَّلُهـم عَلَى آخرهم، لئلاَّ يتـفرَّقوا، وهي عبارة عَن كثرة أهـل النـَّار؛ والـوازع: مـن يدبِّر أمور الجيش، ويردُّ من شذَّ مِنـْهُم.

﴿حَتَّـى إِذَا مَـا جاءوهـا﴾ إِذَا حضروهـا، ﴿شَـهِدَ عَـلَيْـهِـم سمعُهـم وأبصارُهم وجلودُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٠)﴾ بـأن أنطقهـا ا لله، أو يظهـر عليهـا آثـارا تَـدُلُّ عَلَـى مَـا اقـترفت بهـا، فتـنـطق بلسـان الحـال. ﴿وَقَـالُوا

١ - وضع الناسخ إحالة إلى الحاشية، ولكن لم يكتب فيها شيئًا، والعبارة ناقصة كما نرى، و لم نتمكّن من إكمالها مِمَّا بين أيدينا من المصادر.

٢ - الصواب كما فِي تفسير البيضاوي: «أَضَاف "العذاب" إِلىَ "الخزي" ـ وَهُوَ الذلُّ ـــ عَلَى قصد وصفه بِهِ...» تفسير، ج٤/ ص١١٦.



**جلودِهم: لِمَ شَهِدتم علينا﴾**؟ سؤال توبيخ، أو تعجُّب؛ **﴿قَالُوا: أنطَقَنَا ا لله الذِي أنطقَ كُلَّ شيء﴾** أي: مَا نطقنا باختيارنا، بَل أنطقنا ا لله الذِي أنطق كلَّ شيء، **﴿وَهُوَ خلقكم أوَّل مرَّة، وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ(٢١)﴾**.

**﴿وَمَا كُنتُم تَستتِرون أن يَشهَدَ عَلَيْكُم سمعُكم وَلاَ[1] أبصارُكم وَلاَ[2] جلودكم(٢٢)﴾** أي: كُنتُم تَستترون [عن][3] النَّاس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وَمَا ظننتم أَنَّ أعضاءكم تشهد عليكم، فما استترتم عنها؛ وفيه تنبيه عَلَى أَنَّ المؤمن ينبغي أن يتحقّق أَنَّهُ لاَ يمرُّ عليه حال إلاَّ وعليه رقيب، إذ كَانَت أعضاؤه رقباء عليه؛ **﴿ولكن ظننتم أَنَّ ا لله لاَ يعلم كثيرا مِمَّا تَعْمَلُونَ(٢٢)﴾** فلذَلِك اجترأتم عَلَى مَا فعلتم.

**﴿وذَلِكم ظَنُّكم الذِي ظننتُم بِرَبِّكُمْ﴾** ظنُّوا بربِّهم بالإشراك [٥٢٨] والشكِّ، أو ظنُّوا بِهِ المغفرة مَعَ الإصرار؛ **﴿أرداكم﴾** أهلككم، كالذي أردى غيره مِن علاَ جبلٍ، **﴿فأصبحتم مِّنَ الخاسرِينَ(٢٣)﴾** إذ صاروا ما منحوا للاستعداد الدارين[4] سببا لشقاء المنزلين.

**﴿فإن يَصبِروا فالنارُ مَثوًى لَهُم﴾** لاَ خلاص لَهُم مِنْهَا، **﴿وإن يَستعتِبوا﴾** يسألوا العتبى، وهي: الرجوع إِلَى مَا يحبُّون، **﴿فما هم مِنَ**

---

١ - فِي الأصل: - «لا»، وهو سهو.

٢ - فِي الأصل: - «لا»، وهو سهو.

٣ - إضافة من البيضاوي ليستقيم التركيب. ج٤/ ص١١٧.

٤ - الصواب ما نجده عند البيضاوي: «إذ صارَ ما مُنحوا للاستعداد بِهِ فِي الدارين سببا لشقاء المنزلين»، المصدر نفسه.

**المعتَبِينَ(٢٤)﴾** المـُجَابين إِلَـيْهِا؛ وقرئ: «وإن يستعتبوا فما هم مِنَ المعتبين»، أي: إن سئلوا أن يُرضوا ربَّهم، فما هم فاعلون لفوات المكنة[1].

**﴿وقيَّضنا﴾** وقدَّرنا **﴿لَهُم قُرناء﴾** أخدَانا مِنَ الشياطين، **﴿فزيَّنوا لَهُم مَا بين أيديهم﴾** من أمر الدُّنْيَا، وَاتِّبَاع الشهوات (لَعَلَّهُ) حَتَّى آثروه عَلَى الآخِرَة، **﴿وَمَا خلفهم﴾** من أمر الآخِرَة (لَعَلَّهُ) للأماني الكاذبة، والغرور با لله تعالى.

**﴿وحقَّ عَلَيْهِمُ القولُ﴾** أي: كلمة العذاب، **﴿فِي أممٍ﴾** فِي جملة أمم، **﴿قد خلَت من قبلِهم مِنَ الجنِّ والإنس﴾** وقد عملوا مثل أعمالهم؛ وفيه دليل عَلَى أنَّ عمل الجنِّ كعمل الإنس فِي أحوال، وإن باينوهم فِي أحوال، وَإنَّهُم ليسوا بمُعمَّرين **﴿إنَّهُم كَانُوا خاسرِينَ(٢٥)﴾**.

**﴿وقال الذِينَ كَفَرُوا: لاَ تَسمَعوا لهذا القرآن والغَوْا فِيهِ﴾** وعارضوه بالخرافات **﴿لَعَلَّكُم[2] تغلبُونَ(٢٦)﴾** أي: تغلبون فِي المجادلة؛ قَالَ الغزالي: «فكلٌّ من تناظر للغلبة والإقحام، لاَ ليغتنم الحَقَّ إِذَا ظفر بِهِ، فقد شاركهم فِي هَذَا الخلق».

**﴿فَلَنذِيقنَّ الذِينَ كَفَرُوا عذابا شديدا، ولنجزينَّهم أسوأ الذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٧) ذَلِكَ جزاءُ أعداء ا لله النارُ لَهُم فِيهَا دارُ الخُلْدِ جزاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنا يجحدُونَ(٢٨)﴾**.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «الممكنة»، ولا مَعْنَى له.

٢ - في الأصل: «لعلّهم»، وهو خطأ.

﴿وقال الذينَ كفَرُوا: رَبـَّنَا أَرِنـَا اللّذَيْـنِ أضلاّنـا مِـنَ الجـنِّ والإنـس﴾ يعني: شـيطاني النوعـين الحـاملين عَلَـى الضـلال، ﴿نجعَلْهمـا تحـتَ أقدامنـا﴾ ندوسهما انتقامـا مِنهمـا؛ وقيـل: نجعلهمـا فِي الـدرك الأسـفل، ﴿ليكونـا مِـنَ الأسفلِينَ(٢٩)﴾ مكانا أو ذلاًّ.

﴿إنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّـنَـا ا للهُ﴾ اعترافا بربوبيـَّته، وإِقْرَارا بوحدانيـَّته، ﴿ثُـمَّ استقاموا﴾ عَلَـى أمـر ا لله، فعملـوا بطاعتـه، واجتـنبوا معصيـَّته، ﴿تَتَـنَـزَّل عَلَيْهِمُ المـَلاَئِـكَةَ﴾ فيمـا يعنُّ لَهُـم بِمَـا يشـرح صدورهـم، ويدفـع عَـنْـهُم الخوف والحزن؛ أو عند الموت؛ أو القيامـة؛ أو فِي تلـك المواطـن كلّهـا؛ ﴿ألاَّ تخافوا﴾ مَا تُقدِمون عليه، ﴿وَلاَ تحزنوا﴾ مِمَّـا يحـزن مِنـْهُ...[1]؛ ﴿وأبشِـروا بالجنـَّة التِـي كُنتُـم تُوعَدُونَ(٣٠)﴾ فِي الدُّنْـيَا.

﴿نَحْنُ أوليـاؤُكم﴾ أنصـاركم وأوليـاؤكم ﴿فِي الحيـاة الدُّنْـيَا﴾ نلهمكـم الحَقَّ، ونَحملكم عَلَـى الخير، بـدل مَـا كَـانَت الشياطين تـفعل بـالكفرة، ﴿وفي الآخِرَة﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم، ﴿ولكم فِيهَـا﴾ فِي الآخِرَة ﴿مَا تشتهي أنفسكم﴾ مِنَ اللذائذ، ﴿ولكم فِيهَا مَـا تَدَّعُـونَ(٣١)﴾ مَـا تـتمنَّون، مِنَ الدعاء بمعنى: الطلب، ﴿نُزُلا من غَفُور رحيم(٣٢)﴾.

(لَعَلَّهُ) وعن أبي سعيد: «فِي تأويل قوله: ﴿ومن أحسن قولا مِمـَّن دعـا إِلَىَ ا للهِ﴾ قيل: هُوَ المؤذِّن [بـ]ـالدعاء إِلَى الفرائض، ﴿وعَمِـل صالحـا﴾ قيـل:

---

١ - بياض في الأصل قدر كلمتين.

صلّى [٥٢٩] ركعتين قبل الصلاة، ﴿وقال: إنَّنِي مِنَ الـمُسْلِمِينَ(٣٣)﴾ فذَلِك واجب عَلَى كُلِّ أحد أن يَدين لله بالإسلام، وأن يُقرَّ بِهِ، ويعتقده دينا لَهُ، ويبرأ من كُلِّ دين مِمَّا سواه؛ ومثل ذَلِكَ ونظيره قوله: ﴿ومن أحسن دينا مِمَّن أسلَمَ وجهَه لله وَهُوَ محسِنٌ﴾[١]؛ والوجه هاهنا قَالُوا: الديِّن، ﴿وهو محسن﴾: فِي عمله اللازم له فِي الدين؛ ﴿واتَّبَع مِلَّة إبراهيم حنيفا﴾[٢] وَهُوَ الإسلام، ونظائر هَذَا كثير فِي كِتَاب الله، مِنْهُ مَا قاله الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ دينًا فلن يُقبَل مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخاسرين﴾[٣]. والإجماع فِي معنى "الإسلام" أَنَّهُ: الإقْرَار با لله والإيمان بِهِ، والتصديق برسوله المُرسَل إِلىَ أهل زمانه، وبما جاء بِهِ رسوله عَنْهُ إِلىَ كُلِّ أُمَّة مِنَ الأمم، فهذا هُوَ الدين والإسلام المفروض الذِي لم تختلف فِيهِ الشرائع، وكان أصلا للشرائع كلِّها؛ وكذَلِك هُوَ الدين الإسلام [المفروض] عَلَى أُمَّة مَحمَّد ﷺ [هو] الإيمان با لله تعالى ربًّا إلها واحدا، وبمحمَّد نبيًّا ورسولا، وبما جاء بِهِ أَنَّهُ حقٌّ وصدق وعدل؛ وقيل: ﴿ومن أحسن قولا مِمَّن دعا إِلىَ الله﴾ فهو الدعاء إلى الله وإلى دينه، وعَمِل بِمَا يدعو من طاعة الله التِي دعا إِلَيْها، وعمل بها من رسول أو نبيٍّ أو صالح، ﴿وقال: إنَّنِي مِنَ الـمُسْلِمِينَ﴾ أي: كَانَ مسلما؛ وليس قوله: إِنَّهُ مسلم، إِذَا خالف شَيْئًا مِنَ الإسلام بنافع لَهُ، وَلاَ يجوز له أن يكون عند نفسه فِي قوله وعمله ونيَّته

١ - سورة النساء: ١٢٥.

٢ - سورة النساء ١٢٥.

٣ - سورة آل عمران: ٨٥.

إلاَّ مسلمـ[ـًا] لله تعالى، ويتوب إِلىَ ا لله فِي اعتقاده من جميع مَا خالف الإسلام الذِي دان لله بهِ، واعتقده من قول وعمل ونيَّة، فِي جملة قوله وعمله ونيَّته، وينبغي أن يُجدِّد ذَلِكَ كُلَّمَا خطر بباله هَذَا، أَنـَّهُ قد عصى ا لله بِمَا جهله بقول وعمل ونية، ولا يُعذر بجهله، وبموت بمعصيته، فيكون هالكا، وإذا جدَّد التوبة، و لم يقف عَلَى الذنب، وتذكَّره أجزأه ذَلِكَ فِي الجملة مَا لم يكن مُتمسِّكا بالذنب، إن لو ذكره لم يكن تائبا مِنْهُ، وكَانَ عَلَى اعتقاد دينونة فِيهِ؛ ومن ها هنا أعجبني أن لاَ يعتقد مِنَ الأمور دينا عَلَى كُلِّ حال إلاَّ ما لا يشكُّ فِيهِ، وَمَا لم يأت فِيهِ اختلاف يكون فِيهِ ريب، لأَنَّهُ إِذَا اعتقد فِي الجملة لله الدينونة بدينه، كَانَ قد دان بدينه كلِّه، واعتقاده دينا مِمَّا ليس بدين هلكة لاَ يُرجى له مِنْهَا توبة، وَكُلَّمَا تقرَّب إِلىَ ا لله بها ازداد بُعدا مِنْهُ، وَكُلَّمَا خاف لقاءه بالموت كَانَ أشدَّ تمسُّكا بها، حَتَّى يلقاه عَلَى التقرُّب إِلىَ ا لله بمعصيته، وَلاَ يعذره ا لله فِي ذَلِكَ بجهالته، لأَنـَّهُ قد كَانَ يمكنه ويسعه أن لاَ يعتقده دينا بعينه، إِذَا اعتقد الدين فِي الجملة؛ وعليه كُلَّمَا خطر بباله، أن يعتقد أَنـَّهُ ليس مِنَ المشركين فِي الدين، وَأَنـَّهُ بريء مِنَ المشركين، ومن دينهم، وكلِّ شرك فِي الدين بجحود أو [٥٣٠] نفاق» انتهى كلامه.

**﴿وَلاَ تستوي الحسنةُ وَلاَ السيِّئةُ﴾** فِي الجزاء، وحسن العاقبة؛ **﴿ادفع بالتِي هِيَ أحسنُ﴾** ادفع السَّيِّئَة حيث اعترضتك بالتِي هِيَ أحسن مِنْهَا، وهي الحسنة. أمر بالصبر عند الغضب، و بالحلم عند الجهل، و بالعفو عند الإساءة؛ **﴿فإذا الذِي بينَكَ وبينَه عداوةٌ كَأَنـَّهُ وليٌّ حميمٌ(٣٤)﴾** أي: إِذَا فعلت ذَلِكَ صار عدوُّك المشاقُّ، مثل الوليِّ الشقيق. **﴿وَمَا يُلقَّاها﴾** وَمَا

يلقّى هَذِهِ السَّجية، وهي: مقابلة الإساءة بالإحسان، ﴿إلاَّ الذِينَ صبروا﴾ فَإنَّهَا تحبس النفس عَن الانتقام؛ ﴿وَمَا يُلقَّاها﴾ أي: وَمَا يلقّى هَذِهِ الخصلة الجميلة، ﴿إلاَّ ذو حظٍّ عظيم(٣٥)﴾ مِنَ الخير، وكمال النفس.

﴿وَإِمـَّا يَنزَغنـَّك مِنَ الشيطان نـَزغٌ﴾ نخس تشبه وسوسته[١]، ﴿فاستعذْ بالله﴾ من شرِّه وَلاَ تتَّبعه، ﴿إِنـَّهُ هُوَ السميع﴾ لاستعاذتك، ﴿العليم(٣٦)﴾ بنيتك، أو بصلاحك.

﴿ومن آياته اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقمرُ، لاَ تسجدوا للشَّمسِ وَلاَ للقمرِ، واسجُدوا لله الذِي خَلَقَهُنَّ إن كُنتُم إيَّاه تعبُدُونَ(٣٧)﴾ فَإِنَّ السجود أخصُّ العبادات؛ ﴿فإن استكبروا﴾ عَن الامتثال، ﴿فالذين عندَ ربـِّك﴾ مِنَ المَلاَئِكَة ﴿يُسبـِّحُون لَـهُ باللَّيْلِ وَالنـَّهَارِ وَهُم لاَ يسأمُونَ(٣٨)﴾ أي: لاَ يَملُّون.

﴿ومن آياته أنـَّكَ تَرَى الأَرْضَ خاشِعةً﴾ يابسةً متطامنه[٢]؛ مستعارٌ مِنَ الخشوع؛ ﴿فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتـزَّت وربَـت﴾ تزخرفت، وانتفخت

١ - الصواب ما ذكره البيضاويُّ: «نخسٌ شبـَّه بـه وسوسته، لأَنـَّهَا تدفع الإِنسَان إِلَىٰ ما لا ينبغي». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١١٨.

٢ - فِي الأَصْلِ: «متظامئنه»، وَلَعَلَّهُ يقصد: «متظامئة»، من الظمأ، وَهُوَ العطش. وما أثبتناه فمن البيضاوي. و«الطِّمْنُ بالفتح: الساكن، كالمطمئنّ، ج: طُمون». الفيروزآبادي: القاموس، ص١٠٩٣، مَادَّة: «طمن». ويؤيـِّده قَوله تَعَالَىٰ - وما فسَّر القرآن مثل القرآن - : ﴿وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربَت وأنبتت من كُلِّ زوج بهيج﴾ (الحج: ٥).

بالنبات؛ ﴿إِنَّ الذِي أحياها﴾ بعد موتها ﴿لَمُحيِي الموتَى﴾ فَإِنَّهُ لاَ فرق بين إحيائها بعد موتها، وبين إحياء الموتى، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيء قدير(٣٩)﴾.

﴿إِنَّ الذِينَ يُلحِدون﴾ يميلون عَن الاستقامة ﴿فِي آياتنا﴾ بالطعن، والتحريف، والتأويل الباطل، والإلغاء فِيهَا، ﴿لاَ يَخفَوْنَ علينا﴾ فنجازيهم عَلَى إلحادهم؛ ﴿أفمن يُلقَى فِي النار خيرٌ أم مَّن يأتي آمنا يومَ القيامة﴾؟ من جميع مَا يُخاف من أمر القيامة، لأَنَّ خوفهم قد انقضى فِي الدُّنْيَا، ﴿اعملوا مَا شِئتم﴾ تهديد شديد، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بصير(٤٠)﴾ وعيد بالمجازاة.

﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا بالذِّكرِ لَمَّا جاءهم﴾ قيل: بدل من قوله: ﴿إِنَّ الذِينَ يُلحِدون فِي آياتنا﴾؛ والذكر: التنزيل وتأويله، ﴿وَإِنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ(٤١)﴾ عَلَى الله، كثير النفع عديم النظير، لاَ يتأتَّى إبطاله وتحريفه، ﴿لاَ يأتيه الباطلُ مِن بين يدَيه وَلاَ مِن خَلْفه﴾ لاَ يتطرَّق إِلَيْهِ الباطل من جهة مِنَ الجهات، أو مِمَّا فِيهِ مِنَ الأخبار والأمور الآتية، ﴿تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ(٤٢)﴾ يحمده كُلُّ خلق بِمَا أظهر عليه من نعم.

﴿مَا يُقالُ لك﴾ أي: مَا يقول لك كُفَّار قومك، ﴿إِلاَّ مَا قد قيل للرسل من قبلك﴾ مثل مَا قَالَ لَهُم كُفَّار قومهم، أو يقول الله لك إِلاَّ مثل مَا قَالَ لَهُم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لذو مغفرةٍ﴾ لأنبيائه، ﴿وذو عقاب أليم(٤٣)﴾ لأعدائهم.

﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميًّا﴾ قيل: جوابٌ لقولهم: هلاَّ نزل القرآن بلغة العجم، والضمير للذِّكر، ﴿لقالوا: لولا فُصِّلت آياتُه﴾[٥٣١] بُيِّنت بلسان نفقهه؛ ﴿أأعجميٌّ وعربيٌّ﴾؟ [أَ]كلامٌ أعجميٌّ ومُخاطَب عربيٌّ، إنكار مقرِّر للتخصيص؛ والأعجميُّ يقال للذي لاَ يُفهم كلامه؛ وقيل: يجوز أن يكون

المراد: هلاّ فُصِّلت آياته، فجعل بعضها أعجمياًّ لإفهام العجم، وبعضها عربياًّ لإفهام العرب، والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه[1] المحذور، أو الدلالة على أنَّهُم لا ينفكُّون[2] عن التعنُّت فِي الآيات كيف جاءت، ﴿**قل: هُوَ للذين آمَنُوا هدى**﴾ إِلَى الحَقِّ، ﴿**وشفاء**﴾ مِنَ الشكِّ والشبهة؛ ﴿**وَالذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذانهم وقرٌ وَهُوَ عَلَيْهِم عَمًى**﴾ عَموا عَن القرآن، وصمُّوا عَنْهُ، فلا ينتفعون بِهِ، و ذَلِكَ لتصاممهم عَن سماعه عَمَّا يريهم مِنَ الآيات، ﴿**أولَئِكَ يُنادَون من مكانٍ بعيدٍ(٤٤)**﴾ أي: مِنْهُم، هُوَ تمثيل لَهُم فِي عدم قبولهم واستماعهم لَهُ، بمَن يُصيَّحُ بِهِ من مسافة بعيدة.

﴿**وَلَقَد آتينا موسى الكتابَ فاختُلف فِيهِ**﴾ بالتصديق والتكذيب، كما اختُلف فِي القرآن، ﴿**ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ من ربِّك**﴾ تقريرُ الآجال، ﴿**لَقُضِي بَيْنَهُم**﴾ باستئصال المُكذِّبين، ﴿**وَإنَّهُم**﴾ وإنَّ اليهود وَالذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴿**لفي شكٍّ مِنْهُ**﴾ مِنَ التَّوْرَاة، أو القرآن ﴿**مريبٍ(٤٥)**﴾ مُوجبٍ للاضطراب[3].

﴿**من عمل صالحا فلنفسه**﴾ نَفعُه، ﴿**ومن أساء فعليها**﴾ ضَرُّه، ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظلاَّمٍ للعبيد(٤٦) إِلَيْهِ يُردُّ عِلمُ الساعة**﴾ لأَنَّهُ لاَ يعلمه غيره؛

---

١ - فِي الأَصْلِ: «بالزاتة»، ولا معنى له، والصواب ما أُثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١١٩.

٢ - فِي الأَصْلِ: «أَنَّهُ لا يتفكرن»، ولا مَعْنَى له. ونجد أَنَّ العبارة عند البيضاوي ـ وَهُوَ المعتمد الأساسيُّ للمصنِّف فِي هَذَا الجزء ـ وردت هكذا: «أو الدلالة على أَنَّهُم لا يتفكَّرون عن التعنُّت فِي الآيات كيف جاءت»، وَفِي العبارة خلل كَذَلِكَ. وَأَمَّا الصواب الذي أثبتناه فمن الألوسي: روح المعاني، ج٢٤/ ص١٣٠. انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١١٩.

٣ - فِي الأصل، «موجب الاضطرار»، ولا مَعْنَى له، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي.

﴿وَمَا تخرج من ثمرات من أكمامها﴾ من أوعيتها؛ ﴿وَمَا تحمِل من أنثى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعلمه﴾.

﴿ويوم يناديهم: أين شركائي﴾؟ الذِينَ تزعمون فِي الدُّنْيَا أَنـَّهَا آلهة؛ ﴿قَالُوا: آذنـَّاك﴾ أعْلَمناك ﴿مَا مِنـَّا من شهيد(٤٧)﴾ من أحد يشهد لَهُم بالشركة، أو تبرَّأنا مِنْهُم لَمَّا تحققَّت الحقيقة. فيكون السؤال عَنْهُم للتوبيخ. ﴿وضلَّ عَنْهُم مـَّا كَانُوا يَدْعُون﴾ يعبدون ﴿من قَبلُ﴾ لاَ ينفعهم، أو لاَ يرَونه، ﴿وظنُّوا﴾ وأيقنوا ﴿مَا لَهُم من مـَّحيصٍ(٤٨)﴾ مَهرب.

﴿لاَ يسأم الإنسان﴾ لاَ يَملُّ ﴿من دعاء الخير﴾ من طلب السَّعة والنعمة، ﴿وإن مسَّه الشرُّ﴾ الضيق، ﴿فَيَئُوسٌ قَنوطٌ(٤٩)﴾ من فضل ا لله ورحمته؛ وهذا صفة الكافر، لقوله: ﴿إِنـَّهُ لاَ يَيْأَس من رَّوْحِ ا لله إلاَّ القومُ الْكَافِرُونَ﴾[1]. ﴿ولئن أذقناه رحمةً مِّنَّا من بعدِ ضَرَّاء مَسَّته﴾ بتفريجها عَنْهُ، ﴿ليقولَنَّ: هَذَا لِي﴾ حَتَّى أستحِقُّه لِمَا لي مِنَ الفضل والعمل، ﴿وَمَا أظُنُّ الساعةَ قائمةً؛ ولئن رُّجعتُ إِلَىَ رَبِّي إِنَّ لي عنده لَلْحسنَى﴾ تفسير آخر بقول هَذَا الكافر: لستُ عَلَى يقين مِنَ البعث، فإن كَانَ الأمر عَلَى ذَلِكَ، ورُددت إِلَىَ رَبِّي إِنَّ لِي عنده للحسنى، أي: الجنَّة، كما أعطاني فِي الدُّنْيَا يعطيني فِي الآخِرَة؛ أي: ولئن قامت عَلَى التوهُّم، كَانَ لِي عند ا لله الحالة الحسنى من الكرامة؛ وذَلِك لاعتقاده أَنَّ مَا أصابه من نعم الدُّنْيَا، فَلاِستحقاق لاَ ينفكُّ عَنْهُ؛ ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الذِينَ كَفَرُوا﴾ فلنُخبِرنـَّهم ﴿بِمَا عملوا﴾ بحقيقة أعمالهم، ولنبصِّرنـَّهم عكس مَا اعتقدوا فِيهَا؛ ﴿ولنذيقنـَّهم من عذابٍ غليظٍ(٥٠)﴾ لاَ يمكنهم الفرار مِنْهُ.

---

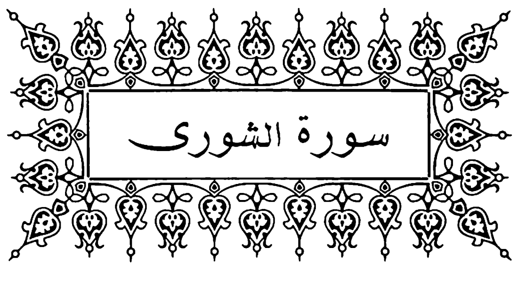
١ - سورة يوسف: ٨٧.

[٥٣٢] ﴿وإذا أنعمنا عَلَى الإنسانِ أعرَضَ﴾ عَن الشكر، ﴿ونأى بجانِبِه﴾ وانحرف عَنْهُ، أو ذهب بنفسه، وتباعد عَنْهُ بكلّيّته تكبُّرا؛ والجانب: مجازٌ عَن النفس؛ ﴿وإذا مسَّه الشرُّ فذو دعاءٍ عريضٍ(٥١)﴾ كبير، مستعار مِمَّا لَهُ عرْض مُتَّسع، للإشعار بكثرته واستمراره، وَهُوَ أبلغ مِنَ الطول.

﴿قُل: أرأيتم﴾ أخبروني ﴿إن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِن عندِ الله ثُمَّ كفرتم بهِ﴾ من غير نظر وَاتِّبَاع دليل، ﴿مَن أضَلُّ مِمَّن هُوَ فِي شقاق بعيد(٥٢)﴾؟ أي: من أضلَّ منكم.

﴿سنُرِيهم آياتنا فِي الآفاق﴾ (لَعَلَّهُ) يعني مَا أخبرهم النبيء ﷺ بهِ مِنَ الحوادث الآتية، وآثار النوازل الماضية، وَمَا يسَّر الله لَهُ، ولخلفائه مِنَ الفتوح، والظهور عَلَى ممالك الشرق والغرب، عَلَى وجه خارق للعادة؛ ﴿وفي أنفسِهم﴾ مَا ظهر فيما بين أهل مكَّة، وَمَا حلَّ بهم، أو مَا فِي الأبدان من عجائب الصنع، الدالَّة عَلَى كمال القدرة، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ﴾ الضمير للقرآن، أو الرسول أو التوحيد أو الله؛ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بربِّك﴾ أي: أو لم يكف ربُّك؟ كَأَنَّهُ قيل: أو لم يحصل الكفاية من غير زيادة؟ ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شيء شهيد(٥٣)﴾ المعنى: أو لم يكفك أَنَّهُ تعالى عَلَى كُلِّ شيء شهيد مُحقِّق لَهُ؟ فيحقِّق أمرك بإظهار الآيات الموعودة، كما حقَّق سائر الأشياء؛ أو مُطَّلِع فيعلم حالك وحالهم؛ أو أوَلَم يكف الإنسان رادعا عَن المعاصي أَنَّهُ تعالى مُطَّلع عَلَى كُلِّ شيء، لاَ تخفى عليه خافية.

﴿ألا إِنَّهُم فِي مريةٍ﴾ شكٌّ ﴿من لقاء ربِّهم﴾ بالبعث والجزاء، ﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شيءٍ مُحيطٌ(٥٤)﴾ عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها، مقتدر عليها، لا يفوته شيء مِنْهَا.



# سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) عسق(٢) كذَلِك يُوحي إليك وإلى الذينَ من قبلك الله العزيزُ الحكيمُ(٣)﴾ أي: مثل مَا في هَذِهِ السورة مِنَ المعاني، أو إيحائها، أوحى الله إليك، وإلى الرُّسُل من قبلك؛ ﴿لَهُ مَا في السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض وَهُوَ العليُّ العظيم(٤)﴾.

﴿تكاد السَّمَاوَات يتفَطَّرْنَ﴾ يتشقّقن من عظمة الله؛ وقيل: من ادِّعاء الولد، وفي موضع: تكاد كُلُّ وَاحِدَة أن تتفطّر من فوق التِي تليها، من قول المشركين: «اتَّخذَ الله ولدا»، غضبا عَلَى قائلها ومعتقِدِها، ﴿من فوقِهِنَّ، والمـَلاَئِكَة يُسَبِّحون بِحمد ربِّهم ويستغفرون لمن فِي الأَرْض﴾ قيل: بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم مِنَ الشفاعة والإلهام، وإعداد الأسباب المقرِّبة إِلىَ الطاعة، ﴿أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الغَفُورُ الرحيمُ(٥)﴾ إذ مَا من مخلوق إلاَّ وَهُوَ ذو حظٍّ من رحمته.

﴿وَالذِينَ اتَّخذُوا مِن دونِه أولياءَ﴾ شركاء وأندادا، ﴿الله حفيظٌ عليهم﴾ رقيب عَلَى أحوالهم وأعمالهم، فيجازيهم بها، ﴿وَمَا أنت﴾ يا محمَّد ﴿عليهم بوكيل(٦)﴾ بِموكَّل بهم، أو بموكول إليك أمرهم. ﴿وكذَلِك

**أوحينا إليك قُرآنًا عربيًّا لتُنذِرَ أمَّ القُرَى** أهلَ أمِّ القرى، وهي مكّة **﴿ومَن حولَها، وتُنذر يومَ الجمع﴾** يوم القيامة بجمع الخلائق فيه، **﴿لاَ ريبَ فِيهِ، فريقٌ فِي الجَنَّة وفريقٌ فِي السَّعير(٧) ولو شاء ا لله لجعلهم** [٥٣٣] **أُمَّةً وَاحِدَة﴾** كلّهم عَلَى مِلّة وَاحِدَة، **﴿ولكن يُدخِل من يَشَاء فِي رحمته﴾** بالهداية، والحمل عَلَى الطاعة، **﴿والظالمون مَا لَهُم مِّن وليٍّ وَلاَ نصيرٍ(٨)﴾** ينصرهم للدخول فِي طاعته ورحمته، لأَنَّهُم فِي حالِ (لَعَلَّهُ) الخذلان.

**﴿أم اتَّخذوا من دونه أولياء فا لله هُوَ الوليُّ﴾** أي: إن أرادوا أولياء بحقٍّ، فا لله الوليُّ بِالْحَقِّ، لاَ مَا اتَّخذوه من دونه، **﴿وَهُوَ يُحيِي الموتَى، وَهُوَ عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ(٩)﴾** لكونه حقيقا بالوَلاية. **﴿وَمَا اختلفتم فِيهِ من شيءٍ﴾** من أمر من أمور الدين والدُّنيَا، **﴿فَحُكْمُهُ إِلَى ا لله﴾** مُفوَّض إِلَيْهِ، يميِّز المحِقَّ عَن المبطل، أو مَا اختلفتم فِيهِ من تأوُّل متشابهٍ، فارجعوا إِلَى المحكم من كِتَاب ا لله، **﴿ذَلِكم ا لله ربِّي[1] عليه توكّلت﴾** فِي مجامع الأمور، **﴿وَإِلَيْهِ أُنيبُ(١٠)﴾** أرجع فِي المعضلات.

**﴿فاطرُ السَّمَاوَات والأَرْض، جَعَل لكم مِّن أنفسِكم أزواجا، ومن الأنعام أزواجا﴾** أي: وخلق للأنعام من جنسها أزواجا؛ أو خلق لكم مِنَ الأنعام أصنافًا؛ أو ذكورًا وإناثا، **﴿يَذرَؤُكم﴾** يُكثِّركم، مِنَ الذّر وَهُوَ: البثّ، وفي معناه: الذّر والذّرء، **﴿فِيهِ﴾** فِي هَذَا التدبير، وَهُوَ جَعْل الناس والأنعام أزواجا يكون بَيْنَهُم توالد، فَإِنَّهُ كالمنبع للبثّ والتكثير، **﴿ليس كَمِثْلِه شيءٌ﴾** إذ ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه، **﴿وَهُوَ السميع البصير(١١)﴾**.

---

١ - في الأصل: - «ربّي»، وهو سهو.

﴿**لَهُ مقاليدُ السَّمَاوَاتِ والأَرْض**﴾ خزائنها، ﴿**يَبسُطُ الرزقَ لمن يَشَاء ويَقْدِرُ**﴾ يُوسِّع ويُضيِّق عَلَى وِفق مشيئته، ﴿**إِنَّهُ بِكُلِّ شيء عليمٌ(١٢)**﴾ فيفعله عَلَى مَا ينبغي. ﴿**شَرَعَ لكم مِّنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نوحًا، والذي أوحينا إليك، وَمَا وصَّينا بِهِ إبراهيمَ وموسى وعيسى**﴾ أي: شرع لكم مِنَ الدِّين، دين نوح ومحمَّد، ومن بينهما وقبلهما وبعدهما من أرباب الشرائع، وَهُوَ دين الإسلام، وَهُوَ الأصل المشترك فيما بينهم المفسَّر بقوله: ﴿**أَنْ أقيموا الدِّينَ**﴾ وَهُوَ الإيمان بِمَا يجب تصديقه، والطاعة فِي أحكام الله، ﴿**وَلاَ تتفرَّقوا فِيهِ**﴾ وَلاَ تختلفوا فِي هَذَا الأصل؛ أَمَّا فروع الشرائع فمختلفة، كما قَالَ: ﴿لِكُلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومِنْهَاجا﴾[1].

﴿**كَبُر عَلَى المشركين**﴾ عَظُم عَلَيْهِم ﴿**مَا تدعوهم إِلَيْهِ**﴾ مِنَ التوحيد، ﴿**الله يَجتبي إِلَيْهِ من يَشَاء ويهدي إِلَيْهِ**﴾ بالإرشاد والتوفيق ﴿**من يُنيب(١٣)**﴾ يُقبل إِلَيْهِ.

﴿**وَمَا تفرَّقوا**﴾ يعني [الأمم][2] السالفة، ﴿**إِلاَّ من بعد مَا جاءهم العلم**﴾ أسباب العلم مِنَ الرُّسُل والكتب وغيرهما، فلم يلتفتوا إِلَيْها ﴿**بَغْيًا بَيْنَهُم**﴾ عداوة أو طلبا للدنيا؛ ﴿**ولولا كلمةٌ سبقَت من رَّبِّكَ إِلىَ أجلٍ مُسمًّى**﴾ هُوَ القيامة، أو آخر أعمارهم المقدَّرة، ﴿**لقُضِيَ بَيْنَهُم**﴾ باستئصال المبطلين.

١ - سورة المائدة: ٤٨.

٢ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٢٢.

﴿وإنَّ الذينَ أورِثوا الكتابَ من بعدهم﴾ يعني أهل الكتاب الذينَ كَانُوا في عهد الرسول، أو المشركين الذينَ أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب، ﴿لَفي شكٍّ منهُ﴾ من كتابهم لاَ يعلمونه كما هُوَ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حقَّ الإيمان، أو مِنَ القرآن ﴿مريبٍ(١٤)﴾ مُقلِق، أو يدخل في الريبة.

[٥٣٤] ﴿فلذَلِك﴾ فلأجل ذَلِكَ التفرُّق، أو الكتاب أو العلم الذِي أوتيته ﴿فَادْعُ﴾ عَلَى الاتِّفَاق عَلَى الملَّة الحنيفيَّة، أو الاتِّباع لِمَا أوتيت، ﴿واستَقِمْ كما أُمِرتَ وَلاَ تتَّبع أهواءهم﴾ الباطلة، ﴿وقُل: آمنتُ بمَا أنزل ا لله من كِتَابٍ﴾ يعني جميع الكتب المنزَّلة، لاَ كالكفرة الذِينَ آمَنُوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿وأُمرتُ لأَعدِلَ بينكم﴾ في تبليغ الشرائع والحكومة، وَالأَوَّل إشارة إِلَى كمال القوَّة النظريَّة، وهذا إشارة إِلَى كمال القوَّة العمليَّة، ﴿ا لله رَبُّنَا وربُّكم﴾ خالقُ الكُلِّ، أو متولِّي أمره، ﴿لَنَا أعمالُنا ولكم أعمالُكم﴾ فكلٌّ مِنَّا مُجازَى بعمله، ﴿لاَ حجَّة بيننا وبينكم﴾ لاَ حِجاج، بمعنى: لاَ خُصومة إذ الحَقُّ قد ظهر، و لم يبق للمحاجَّة[1] مجال، ﴿ا لله يجمَع بينَنا﴾ يوم القيامة، فيميِّز بين المحقِّ والمبطل، ﴿وَإِلَيْهِ المصير(١٥)﴾ مرجع الكُلِّ.

﴿وَالذِينَ يُحاجُّون فِي ا لله﴾ في دينه، ﴿مِن بعدِ مَا استُجيب لَهُ﴾ من بعد مَا استجاب لَهُ الناسُ ودخلوا فِيهِ، ﴿حجَّتُهم داحضةٌ عند ربِّهم﴾ زائلة باطلة، ﴿وعليهم غضبٌ﴾ بمعاندتهم، ﴿ولهم عذابٌ شديد(١٦)﴾ عَلَى كفرهم.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «للحاجة»، وَلَعلَّهُ يقصد: «للُّجاجة». «واللَّجاج واللَّجاجة: الخصومة». ر: الفيروزآبادي: القاموس، ص١٨٦، مَادَّة: «لجج»، وَأَمَّا ما أثبتناه فمن البيضاوي: المصدر نفسه.

﴿الله الذِي أنزل الكتابَ بِالْحقِّ﴾ مُلتبسا بِهِ بعيدا عِنَ الباطل، أو بِمَا يحقُّ إنزاله مِنَ العقائد والأحكام، ﴿والميزانَ﴾ والشرع الذِي يوازن بِهِ الحقوق، ويحكم بين الناس، ﴿وَمَا يُدرِيك لَعَلَّ الساعةَ قريبٌ(١٧)﴾ إتيانها، فاتَّبع الكتاب، واعمل بالشرع، وواظب عَلَى العدل، ﴿يستعجلُ بها الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بها، وَالذِينَ آمَنُوا مُشفِقُون مِنْهَا[1]، ويعلمون أنـَّهَا الحَقُّ﴾ أي: الكائن لاَ محالة.

﴿أَلاَ إِنَّ الذِينَ يُمارُون فِي الساعة﴾ يجادلُون فِيهَا، مِنَ المِرية، ﴿لَفي ضلالٍ بعيد(١٨)﴾ عَن الحَقِّ، فَإِنَّ البعث أشبه الغائبات إِلَى المحسوسات، فمن لم يهتد لتجوُّزها، فهو أبعد مِنَ الاهتداء إِلَى مَا وراءه. ﴿الله لطيفٌ بعباده﴾ يُسدي إِلَيْهِم بصنوف مِنَ البرِّ لاَ تَبلغها الأفهام، ﴿يَرزُقُ من يَشَاء﴾ أي: يرزقه كما[2] يَشَاء، فيخصُّ كُلاًّ من عباده بنوع مِنَ البرِّ، عَلَى مَا اقتضته حكمته، ﴿وَهُوَ القويُّ العزيز(١٩)﴾ الباهر القدرةِ، الممتنع عَن الغلبة عَمَّا يريده.

﴿من كَانَ يريد حرث الآخِرَة﴾ ثوابها؛ شبـّه بالزرع من حيث إنـَّهُ فائدة تحصل بعمل الدُّنـْيَا، ولذَلِك قيل: «الدُّنْيَا مزرعة الآخِرَة»؛ الحرث في الأصل[3]: إلقاء البذر فِي الأَرْض، ويُقال للزرع الحاصل مِنـْهُ، ﴿نـَزِدْ لَـهُ فِي حرثه﴾ نعطيه بالوَاحِد عشرًا إِلَى سبعمائة فما فوقها؛ ﴿ومن كَانَ يُريد حرثَ

---

١ - فِي الأصل: - ﴿يستعجلُ بها الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بها، وَالذِينَ آمَنُوا مُشفقُون مِنْهَا﴾، وهو سهو.

٢ - فِي الأَصْلِ: «لـما»، ولا معنى له، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٢٣.

٣ - فِي الأصل: «والأصل»، وهو خطأ.

**الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾** شَيْئًا مِنهَا عَلَى مَا قسمنا لَهُ، **﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ من نَّصِيبٍ(٢٠)﴾** لأَنَّ تحصيل المرادين لاَ يجتمعان.

**﴿أم لَهُم شركاءُ﴾** بَل لَهُم شركاء، والهمزة للتقرير والتقريع؛ وشركاؤهم: شياطينهم، **﴿شَرَعُوا﴾** بالتزيين **﴿لَهُم مِّنَ الدين مَا لم يأذَنْ بِهِ الله﴾**؟ كالشرك وإنكار البعث، والعمل للدنيا؛ وقيل: شركاؤهم أوثانهم، وإضافتها إِلَيْهِم، لأَنـَّهُم مُتـَّخذوها شُركاء، وإسناد الشرع إِلَيْها، لأَنـَّهَا سبب ضلالتهم، وافتتانهم بِمَا تديَّنوا بِهِ؛ **﴿ولولا كلمةُ الفَصْل﴾** [٥٣٥] أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء، ولِوعدٍ بِأَنَّ الفصل يكون يوم القيامة، **﴿لقُضي﴾** الأمر **﴿بَيْنَهُم﴾** بين الْكَافِرِينَ والمؤمنين، أو المشركين وشركائهم، **﴿وإنَّ الظالمين لَهُم عذابٌ أليم(٢١)﴾**.

**﴿ترى الظالمين﴾** فِي القيامة **﴿مُشفِقِين﴾** خائفين **﴿مِمَّا كسبوا﴾** مِنَ السَّيِّئَات، **﴿وَهُوَ واقعٌ بهم﴾** أي: وباله لاحقٌ بهم أشفقوا أو لم يُشفقوا؛ **﴿وَالذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات فِي روضاتِ الجنَّات﴾** فِي أطيب بِقاعها، **﴿لَهُم مَّا يَشَاءون عند ربِّهم﴾** أي: مَا يشتهونه ثابت لَهُم عند ربِّهم، **﴿ذَلِكَ هُوَ[1] الفضل الكبير(٢٢)﴾** الذِي يصغر دونه مَا لغيرهم فِي الدُّنْيَا؛ **﴿ذَلِكَ الذِي﴾** أي: الذِي ذكره من نعيم الجَنَّة، **﴿يُبَشِّرُ الله عباده الذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات﴾** ذَلِكَ الثواب الذِي يبشِّرهم الله بِهِ فِي محيَاهم، وعند مماتهم وبعثهم.

---

١ - في الأصل: - «هو»، وهو سهو.

﴿**قل لاَّ أسألكم عليه**﴾ على ما أتعاطاه من التبليغ ﴿**أجرًا**﴾ نفعا دُنيَوِيًّا ﴿**إلاَّ المودَّةَ فِي القربَى**﴾ أي: التقرُّب إلىَ ا لله؛ وقيل: ﴿في القربى﴾: أن يتقرَّبوا إلىَ ا لله عَلَى العمل بطاعته، ﴿**ومن يقترفْ حسنةً**﴾ ومن يكتسب طاعة، ﴿**نَزِدْ لَهُ فِيهَا**﴾ فِي الحسنة ﴿**حُسنًا**﴾ بمضاعفة الثواب، ﴿**إِنَّ ا لله غَفُورٌ**﴾ لمن تاب، ﴿**شكورٌ(٢٣)**﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب، والتفضُّل عليه بالزيادة.

﴿**أم يَقولون**﴾ بَل يقولون: ﴿**افترَى عَلَى ا لله كَذِبا**﴾ افترى محمَّد بدعوى النبوَّة، أو القرآن؛ ﴿**فإن يَشَإِ ا للهُ يَختِمْ عَلَى قلبِك**﴾ استبعاد للافتراء عَن مثله، بالإشعار عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يجترئ عليه من كَانَ مختوما عَلَى قلبه، جاهلا بِرَبِّهِ، فَأَمَّا من كَانَ ذا بصيرة ومعرفة فلا؛ وَكَأَنَّهُ قَالَ: إن يَشَأ ا لله خذلانك لتجترئ بالافتراء عليه؛ وقيل: ﴿يختمْ عَلَى قلبك﴾ يمسك القرآن والوحي عَنْهُ[1]، أو يربط (لَعَلَّهُ) عليك بالصبر فلا يشُقَّ عليك أذاهم، ﴿**ويَمحُ ا للهُ الباطلَ ويُحقُّ الحَقَّ بكلماته، إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصدورِ(٢٤)**﴾ استئناف لنفي الافتراء عَمَّا يقوله، بِأَنَّهُ لو كَانَ مفترًى لَمَحقَهُ، إذ من صفته تعالى يمحو الباطل ويثبِّت الحَقَّ؛ أو لوعيده بمحق باطلهم وتثبيت حقِّه بالقرآن.

﴿**وَهُوَ الذِي يَقبَل التوبةَ عَن عباده**﴾ بالتجاوز عَمَّا تابوا عَنْهُ والقبول، قيل: التوبةُ الانتقالُ عَن الأحوال المذمومة إلىَ الأحوال المحمودة، ﴿**ويعفو عَن السَّيِّئَات**﴾ لمن تاب مِنهَا، أو عَن الصغائر لمن اجتنب الكبائر، ﴿**ويعلم مَا تفعلُونَ(٢٥)**﴾ فيُجازي ويتجاوز عَن اتقانٍ وحكمةٍ.

١ - الصواب: «عنك»، لأنَّ السياق كلّه جاء بصيغة المخاطَب.

﴿**ويستجيبُ الذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات**﴾ أي: يستجيب ا لله لَهُم؛ والمراد: إجابة الدعاء، والإثابة عَلَى الطاعة، فَإِنَّهَا دعاء، ﴿**ويزيدهم مِّن فضله**﴾ عَلَى مَا سألوا واستحقُّوا؛ ﴿**والْكَافِرُونَ لَهُم عذاب شديدٌ(٢٦)**﴾ فِي الدارين، بدلَ مَا للمؤمنين مِنَ الثواب والتفضُّل (لَعَلَّهُ) فيهما.

﴿**ولو بَسَطَ ا للهُ الرزقَ لعباده**﴾ يحتمل هَذَا لعباده المؤمنين، كما روي: *«إِنَّ ا لله يَزْوِي*[1] *عَن عبده المؤمن [٥٣٦] الدُّنْيا، كما يَزْوِي الوالد الشفيق عَن ابنه المساوئ»*[2]، ﴿**لَبَغوا فِي الأَرْض**﴾ بالتكبُّر، أو أفسدوا فِيهَا بطرا، أو لبغى بعضهم عَلَى بعض استيلاء واستعلاء؛ قيل: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة، (لَعَلَّهُ) ومركبا بعد مركب؛ ﴿**ولكن يُنزِّل بِقَدَرٍ**﴾ بتقدير ﴿**مَا يَشَاء**﴾ (لَعَلَّهُ) نظرا مِنْهُ لعباده كما اقتضت مشيئته، ﴿**إِنَّهُ بعباده خبير بصير(٢٧)**﴾ يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم، فيُقدِّر لَهُم مَا يناسب شأنهم.

﴿**وَهُوَ الذِي يُنزِّل الغيث من بعد مَا قَنطوا وينشُر رحمَتَه**﴾ فِي كُلِّ شيء مِنَ السهل والجبل والنبات والحيوان، ﴿**وَهُوَ الوليُّ**﴾ الذِي يَتَولَّى أمر خلقه، من إيجاد وإمداد، ﴿**الحميد(٢٨)**﴾ المُستحقٌّ للحمد عَلَى ذَلِكَ.

﴿**ومن آياته خَلْق السَّمَاوَات والأَرْض**﴾ فَإِنَّهَا بذاتها وصفاتها، تَدُلُّ عَلَى وجود صانع قادر حكيم، ﴿**وَمَا بثَّ**[3] **فيهما من دَابَّة**﴾ من حيٍّ، ﴿**وَهُوَ عَلَى جَمعِهم إِذَا يَشَاء قديرٌ(٢٩)**﴾.

---

١ - فِي اللسان: «زَوَى الشَّيْءَ يزْوِيه زَيًّا وزُوِيًّا فانزوى: نحَّاه فتنحَّى» ثُمَّ قال: «وزَوَى ا للهُ عَنِّي الشرَّ: أي صرفه، وزَوَيْتُ الشَّيْءَ عن فلان: أي نحَّيته». ابن منظور: لسان العرب، ج٣/ ص٦٦-٦٧، مَادَّة «زوي».

٢ - لم نعثر عَلَيْهِ فِي الربيع ولا فِي الكتب التسعة ولا فِي الجامع الصغير وزياداته.

٣ - في الأصل: «يثُّ»، وهو خطأ.

﴿**وَمَا أصابكم من مُّصيبةٍ**﴾ كانت دنيويَّة أو دينيَّة، لأنَّها كأنَّها مخصوصة بالعاصين، ﴿**فَبِما كسبت أيديكم**﴾ بسبب معاصيكم ﴿**ويعفُو عَن كثيرٍ(٣٠)**﴾ مِنَ الذنوب وَلاَ يعاقب عليها؛ وقيل: الآية مخصوصة بالمجرمين، فَإِنَّ مَا أصاب غيرهم فلأسباب أخر، مِنهَا: تعريضه للأجر العظيم، والصبر عليه، ويدلُّك عَلَى ذَلِكَ قوله: ﴿**وَمَا أَنتُم بِمعجزين فِي الأَرْضِ**﴾ فائتين مَا قضى عَلَيْكُم مِنَ المصائب، ﴿**وَمَا لكم مِّن دونِ ا لله من وليٍّ**﴾ يحرسكم عَنْهُ، ﴿**وَلاَ نصير(٣١)**﴾ يدفعه عنكم.

﴿**ومن آياته الجوارِ**﴾ السفن الجارية ﴿**فِي البحر كالأعلام(٣٢)**﴾ كالجبال؛ ﴿**إن يَّشَأْ يُسْكِنِ الريحَ فيَظلَلْن رواكدَ عَلَى ظهره**﴾ فيبقين ثوابت عَلَى ظهر البحر، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صبَّار شكور(٣٣)**﴾ لِكُلِّ من كَانَ هِمَّته النظر فِي آيات ا لله. ﴿**أو يُوبِقهنَّ**﴾ أو يهلكهنَّ ﴿**بِمَا كسبوا ويعفو عَن كثير(٣٤)**﴾.

﴿**ويعلمُ الذِينَ يجادلون فِي آياتنا مَا لَهُم من مَّحيصٍ(٣٥)**﴾ مَحيد مِنَ العذاب. ﴿**فما أُوتيتم مِّن شيءٍ فمتَاعُ الحياة الدُّنْيَا**﴾ تُمتَّعون بِهِ مدَّة حياتكم، ﴿**وَمَا عند ا لله**﴾ من ثواب الآخِرَة ﴿**خيرٌ وأبقى للذين آمَنُوا وعَلَى ربِّهم يتوكَّلُونَ(٣٦)**﴾ بخلوص نفعه ودوامه.

﴿**الذِينَ يجتنِبون كبائر الإثمِ والفواحشَ، وإذا مَا غضبوا هم يَغفِرونَ(٣٧)**﴾ فلا ينتصرون لأنفسهم، بَل يُحمِّلون أنفسهم الصبر عَن ذَلِكَ لله تعالى. ﴿**وَالذِينَ استجابوا لِربِّهم**﴾ أجابوا إِلَىَ مَا دعاهم إِلَيْهِ للقيام

بأمر دينه، ﴿وأقاموا الصلاةَ وأمرُهُم شورَى بَيْنَـهُم﴾ لاَ يتـفرَّدون برأيهـم حَتَّى يشاوروا ويجتمعوا عليه، وذَلِك من فـرط تدبـُّرهم، وطلبهـم للسلامة، والخوف مِنَ العطب، وتيقـُّظهم لعواقب الأمـور، ﴿وممَّا رزقنـاهم ينفِقُونَ(٣٨)﴾ فِي سبيل الخير، وذَلِك يقتضي فِي بذل المال والنفس.

﴿وَالذِينَ إِذَا أصابهم البغي هم يَنتصرُونَ(٣٩)﴾ عَلَى مَا أباحه ا لله لَهُم [٥٣٧] كراهة التذلُّل مَعَ القدرة عَلَى إعزاز الدين لله وأهله. ﴿وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مِّثلُها، فمن عفا وأصلح فأجرُه عَلَى ا لله﴾ عِدَةٌ مبهمة تَدُلُّ عَلَى عظم الموعود، ﴿إِنَّهُ لاَ يحِبُّ الظالِمِينَ(٤٠)﴾ المبتدئين بالسيِّئة، والمتجاوزين فِي الانتقام. ﴿ولَمَن انتصرَ بعد ظلمِه﴾ بعدما ظُلِم ﴿فأولئك مَا عَلَيْهِم من سبيلٍ(٤١)﴾ بالمعاتبة والمعاقبة. ﴿إِنَّمَا السبيلُ عَلَى الذِينَ يظلمون الناسَ﴾ يبتدئونهم بالإضرار، ويطلبون مَا لاَ يستحقُّون تجبُّرا عليهم، ﴿ويَبغُون فِي الأَرْض بغير الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُم عذابٌ أليم(٤٢)﴾ عَلَى ظلمهم وبغيهم. ﴿ولَمَن صبَر﴾ عَلَى الأذى، ﴿وغَفَر﴾ وعفى عَن الانتصار، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ(٤٣)﴾ إِنَّ ذَلِكَ من ثمرة العزم ونتائجه، والرغبةُ فِي الثواب هُوَ من عزم الأمور.

﴿ومن يُضلِلِ ا لله فما لَهُ من وليٍّ من بعدِه﴾ من ناصر يتولاَّه من بعد خذلان ا لله إِيَّاهُ؛ ﴿وترى الظالمين لَمَّا رأوا العذابَ﴾ حين يرونه فتراهم عَلَى حال ضرير، وذَلِك عند الموت، أو يوم القيامة، أو فِي الحالين، ﴿يقولون: هل إِلَى مَردٍّ من سبيل(٤٤)﴾؟ إِلَى الدُّنْيَا. ﴿وتَرَاهُم يُعرَضون عليها﴾ عَلَى

النار ﴿**خاشعين**﴾ متذلّلين، متقاصرينَ (لَعَلَّهُ) بِمَا يلحقهم ﴿**من الذُّل ينظرون من طَرْف خَفِيٍّ**﴾ أي: يبتدئ نظرهم إِلىَ النار من تحريكٍ لأجفانهم، ضعيف كالمصبور ينظر إِلىَ السيف.

﴿**وقال الذِينَ آمَنُوا: إِنَّ الخاسرين الذِينَ خَسِروا أنفسَهم وأهليهم**﴾ لأَنَّ أنفسهم وأهليهم لم يريدوا بها وجه ا لله فيؤجرون ﴿**يومَ القيامة ألاَ إِنَّ الظالمين فِي عذابٍ مُقيم(٤٥)**﴾ فِي الدُّنْيَا والآخِرَة، كما أَنَّ المؤمنين فِي نعيم مُقيمٍ فيهما، ﴿**وَمَا كَانَ لَهُم مِّن أولياء يَنصُرُونهم مِّن دونِ ا لله؛ ومن يضْلِلِ ا للهُ فما لَهُ من سبيل(٤٦)**﴾ إِلىَ الهدى والنجاة.

﴿**استجيبوا لربِّكم**﴾ إذ دعاكم لحياتكم الأبديَّة، ﴿**من قبلِ أن يأتي يومٌ لاَ مردَّ لَهُ مِنَ ا لله**﴾ وَهُوَ عند انقضاء آجالكم لاَ يمكن ردُّه، ﴿**مَا لكم مِّن مَّلجأ يومئذٍ وَمَا لكم من نَّكِير(٤٧)**﴾ إنكار لِمَا اقترفتموه، لأَنَّهُ مُدوَّن فِي صحائف أعمالكم، تشهد عَلَيْكُم بِهِ ألسنتكم وجوارحكم. ﴿**فإن أعرَضوا فما أرسلناك عَلَيْهِم حفيظا**﴾ رقيبا، ﴿**إِنْ عليك إِلاَّ البلاغُ**﴾.

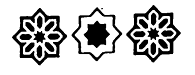
﴿**وَإِنَّا إِذَا أذقنا الإنسانَ مِنَّا رحمةً فَرِحَ بها، وإن تصبْهم سَيِّئَةٌ بِمَا قدَّمت أيديهم فَإِنَّ الإنسانَ كَفورٌ(٤٨)**﴾ بليغ الكفران، ينسى النعمة رأسا، ويذكر البلية ويُعظِّمها و لم يتأمَّل سببها.

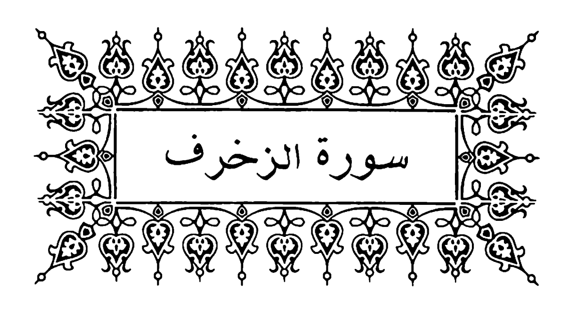
﴿**لله ملك السَّمَاوَات والأَرْضِ**﴾ فله أن يقسم النعمة والبليَّة كيف شاء، ﴿**يخلق مَا يَشَاء**﴾ من غير لزوم، ﴿**يهَبُ لمن يَشَاء إناثا ويهَبُ لمن يَشَاء الذكورَ(٤٩) أو يزوِّجهم ذكرانا وإناثا**﴾ يجمع لَهُ بينهما، فيولد لَهُ

الذكور والإناث، ﴿**ويجعل من يَشَاء عقيما، إِنَّهُ عليم قدير(٥٠)**﴾ فيفعل مَا يفعل بحكمة واختيار.

﴿**وَمَا كَانَ لبشرٍ**﴾ وَمَا صحَّ لَهُ ﴿**أن يكلِّمه ا لله إلاَّ وحيًا**﴾ كلاما خفيًّا يُدرَك بسرعة، لأَنَّهُ تمثيل ليس فِي ذاته مُركَّبا من حروف مُقطَّعة، ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ قيل: المراد بِهِ: الإلهام، والوحي المُنزَّل بِهِ الملَك إِلىَ الرُّسُل، ﴿**أو يرسلَ رسولا فَيُوحيَ بإذنه مَا يَشَاء**﴾ قيل: الرسول [٥٣٨] هُوَ الملَك المُوحِي إِلىَ الرسول، ﴿**إِنَّهُ عليٌّ**﴾ عَن صفات المخلوقين، ﴿**حكيم(٥١)**﴾ يفعل مَا تقتضيه حكمته.

﴿**وكذَلِك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾ يعني: مَا أوحي إِلَيْهِ، وسمَّاه روحا لأَنَّ القلوب تحيى بِهِ، ﴿**مَا كُنتَ تدري مَا الكتابُ وَلاَ الإيمان**﴾ قبل الوحي؛ وفيه دليل عَلَى أَنَّ حجَّة المسموعات لاَ تقوم إِلاَّ بعد البيان بالسمع، ﴿**ولكن جعلناه نورا**﴾ الكتاب الموحَى إليك ﴿**نَهدي بِهِ مَن نَّشَاءُ من عبادنا**﴾ بالتأمُّل والنظر فِيهِ، والإيمان بِهِ، ﴿**وإنَّك لَتهدي إِلىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيم(٥٢)**﴾ هُوَ الحَقُّ. ﴿**صِرَاطِ ا لله الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض**﴾ خلقا وملكا؛ ﴿**أَلاَ إِلىَ ا لله تَصِير الأمورُ(٥٣)**﴾ بارتفاع الوسائط؛ وفيه وعد للمؤمنين ووعيد لمن عداهم.





# سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿حم(١) والكتاب الْمُبين(٢) إنَّا جعلناه قرآنا عربيًّا﴾** أقسم بالقرآن عَلَى أَنَّهُ جُعِل قرآنا عربيًّا، وَهُوَ مِنَ البدائع لتناسب القسم والمُقسَم عليه؛ وَلَعَلَّ الإقسام بالأشياء استشهاد بِمَا فِيهَا مِنَ الدلالة عَلَى المُقسَم عليه، والقرآن من حيث إنَّهُ مُعجز، مبيِّن طُرُق الهدى وَمَا يُحتاج إِلَيْهِ فِي الديانة، **﴿لَعَلَّكُم تعقلُونَ(٣)﴾** لكي تفهموا معانيه.

**﴿وَإنَّهُ فِي أُمِّ الكتاب﴾** قيل: هُوَ اللوح المحفوظ، فَإِنَّهُ أصل الكتب السَّمَاوِيَّة، **﴿لدَيْنا﴾** محفوظا عندنا، **﴿لَعَلِيٌّ﴾** رفيع الشأن فِي الكتب، لكونه معجزا، **﴿حكيمٌ(٤)﴾** ذو حكمة بالغة، يخبر عَن منزلته وشرفه؛ إن كذَّبتم بِهِ أَيُّهَا الناس فَإِنَّهُ عندنا لَعليٌّ رفيع شريف. **﴿أفنَضْرِب عنكم الذكرَ صفحا﴾**؟ أفنَذُودُه ونبعده عنكم؟ مجاز من قولهم[1] ضرب الغرائب عَن الحوض، أي: نهملكم فنضرب عنكم الذكر؛ وصفحا: مصدر، فَإِنَّ تنحية الذكر عَنْهُم إعراض؛ والمراد: إنكار أن يكون عَلَى خلاف مَا ذكر من إنزال

١ - في الأصل: «قلولهم»، وهو خطأ.

الكتب عَلَى لغتهم ليفهموه، ﴿أن كُنتُم قوما مسرفِينَ(٥)﴾ أي: لأن كُنتُم، وهي فِي الحقيقة علّة مقتضية لترك الإعراض؛ وقد كَانُوا مسرفين عَلَى القطع، متجاوزين حدود ا لله، أن لو أُهمِلوا و لم يُنزَّل عَلَيْهِمُ الذكر؛ ويحتمل ذَلِكَ فِي المسرفين، أي: من أسرف فنضرب عَنْهُ الذكر، أي: عَن فهمه، كما قَالَ: ﴿وجعلنا عَلَى قلوبهم أكِنَّة أن يفقهوه وفِي آذانهم وَقْرًا﴾[1].

﴿وكم أرسلنا من نبيٍّ فِي الأَوَّلِينَ(٦) وَمَا يأتيهم من نبيٍّ إلاَّ كَانُوا بِهِ يستهزِءُونَ(٧)﴾ تسلية لرسول ا لله ﷺ عَن استهزاء قومه، لأَنَّهُ مَا [مِن] رسول وَلاَ نبيٌّ يَسْلَم من استهزاء قومه. ﴿فأهلكنا أشدَّ مِنهُم بطشا﴾ أي: أقوى من قومك، يعني: الأَوَّلين الذِينَ أُهلِكوا، ﴿ومضى مَثَلُ الأَوَّلِينَ(٨)﴾ وسلَف فِي القرآن قِصَّتهم العجيبة؛ وفيه وعدٌ للرسول، ووعيد لَهُم بمثل مَا جرى عَلَى الأَوَّلين.

﴿ولئن سألتهم: مَّنْ خَلَق السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ؟ لَيقُولُنَّ: خَلقهنَّ العزيزُ العليمُ(٩)﴾ إِقْرَارا مِنْهُم بذَلِك. ﴿الذِي جعل لكم الأَرْض مَهْدا﴾ فتستقرُّون فِيهَا، ﴿وجعل لكم فِيهَا سُبُلاً﴾ تسلكونها، ﴿لَعَلَّكُم [٥٣٩] تهتدُونَ(١٠)﴾ أي: لكي تهتدوا إِلَى مقاصدكم، أو إِلَى حكمة الصانع بالنظر فِي ذَلِكَ. ﴿والذي نزَّل مِنَ السَّمَاء ماءً بِقَدَر﴾ بمقدار، عَلَى مَا تقتضيه حكمته، ﴿فأنشرنا بِهِ بلدة مَّيْتًا كذَلِك﴾ مثل ذَلِكَ الإنشار ﴿تُخرجُونَ(١١)﴾ تُنشَرون من قبوركم.

---

[1] - سورة الأنعام: ٢٥. وسورة الإسراء: ٤٦.

﴿**والذي خَلَق الأزواجَ كلَّها**﴾ أصناف المخلوقات، ﴿**وجَعَل لكم**﴾ (لَعَلَّهُ) من أصنافها، ﴿**من الفُلْك والأنعامِ مَا تَركَبُونَ(١٢) لِتستَوُوا عَلَى ظهوره، ثُمَّ تَذْكُروا نعمةَ رَبِّكُم إِذَا استويتم عليه**﴾ تذكرونها بقلوبكم، معترفين بها، حامدين عليها، ﴿**وتقولوا: سبحانَ الذِي سَخَّر لَنَا هَذَا**﴾ وينبغي أن يذكر نعمة الله فِي كُلِّ شيء أنعم بِهِ عليه، ويقول هكذا، ﴿**وَمَا كُنَّا لَهُ مقْرِنِينَ(١٣)**﴾ مطيقين؛ من أقرن الشَّيْء: إِذَا أطاقه، وحقيقةُ "أقرنه": وجده قرينه وَمَا يقرن بِهِ، لأَنَّ القويَّ لاَ يُقرن بالضعيف[1]، ﴿**وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقلبُونَ(١٤)**﴾ أي: راجعون؛ واتِّصاله بذَلِك، لأَنَّ الركوب للنقل، والنقلة العظمى هُوَ الانقلاب إِلَى الله تعالى، أو لأَنَّهُ مخطر، فينبغي للراكب أن لاَ يغفل عَنْهُ، ويستعدَّ للقاء الله.

﴿**وجعلوا لَهُ من عباده**﴾ أي: من خلقه ﴿**جزءا**﴾ أي: شركاء، أي: جعلوا لَهُ بعد الاعتراف؛ ﴿**إِنَّ الإنسان لكفور مُبِينٌ(١٥)**﴾ ظاهر الكفران،

---

١ - فِي اللسان: «وأقرَنَ له وَعَلَيْهِ: أطاق وقَوِيَ عَلَيْهِ واعتلى... قال: واشتقاقه من قولك: أنا لفلان مُقرِن، أي مطيق، وأقرنتُ فلانًا أي صرتُ له قِرنا... قال ابن هانئ: المـُقرِن: المطيق، والمـُقرِن: الضعيف». وَفِي الكشَّاف: «وحقيقةُ "أقرنه": وجده قرينتَه وَمَا يقرن بِهِ، لأَنَّ الصعب لاَ يكون قرينة للضعيف». و لم تَتَّضِح لنا هَذِهِ العبارة لتفسير الآيَة، وقد تناقلها بَعض المـُفَسِّرين بحرفيَّتها، مثل البيضاوي، أبي السعود، الألوسي. انظر: الزمخشري: الكشَّاف، ١٨٩/٤. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٢٧. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٤١. الألوسي: روح المعاني، ج٢٤/ ص٦٩. وانظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٥/ ص٧٦، مَادَّة «قرن».

ومن ذَلِكَ نسبة الولد إِلَىَ ا لله، لأَنَّهَا من فرط الجهل بِهِ، والتحقير لشأنه. ﴿أم اتَّخَذَ مِمَّا يَخلُق بناتٍ وأصفاكم﴾ أخلصكم ﴿بالبنِينَ(١٦)﴾ معنى الهمزة: للإنكار والتعجُّب من شأنهم.

﴿وإذا بُشِّر أحدهم بِمَا ضَرَبَ للرحمنِ مَثَلاً﴾ بالجنس الذِي جعله مثلا، إذ الولد لاَ [بُدَّ] أن يُماثل الوالد، ﴿ظلَّ وَجهُهُ مُسوَدًّا﴾ لِمَا يعتريه مِنَ الكآبة، ﴿وَهُوَ كظيم(١٧)﴾ مملوء قلبه مِنَ الكدر؛ وفي ذَلِكَ دلالات عَلَى فساد مَا قالوه. ﴿أَوَمَن ينشأ فِي الحِليَة﴾ أي: أو جعلوا لَهُ، أي: اتَّخَذوا من يتربَّى فِي الحِليَة، أي: الزينة، يعني: البنات، ﴿وَهُوَ فِي الخِصام﴾ فِي المجادلة ﴿غيرُ مُبينٍ(١٨)﴾ أي: إِذَا احتاج إِلَى مخاصمة الرجال كَانَ غير مُبين، ليس عنده بيان، وَلاَ يأتي ببرهان يحجُّ بِهِ من خاصمه، وذَلِك لضعف عقول النساء؛ قيل: قَلَّ مَا تتكلَّم المرأة بِالحُجَّةِ لها إِلاَّ تكلَّمت بِالحُجَّةِ عليها.

﴿وجعلوا الملاَئِكَةَ الذِينَ هم عبادُ الرحمن إناثا﴾ كفر آخر تضمَّنته مقالتهم، وَهُوَ جعلُهم أكملَ العباد وأكرمَهم عَلَى ا لله، أنقصَهم رأيا، وأخسَّهم صنفا، ﴿أَشهِدوا خَلْقَهم﴾ أَحَضَروا خلق إناثهم فشاهدوهم إناثا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعلم بالمشاهدة، وَهُوَ تجهيل وتهكُّم بهم، ﴿ستُكتَب شهادتهم﴾ التِي شهدوا بها عَلَى الملاَئِكَة، ﴿وَيُسأَلُونَ(١٩)﴾ عنها يوم القيامة، وَهُوَ وعيد.

﴿وَقَالُوا: لو شاء الرحمنُ مَا عبدناهم﴾ زعموا أَنَّ عبادتهم بمشِيئَة ا لله كما قَالُوا[1] إخوانهم المجبرة؛ ثُمَّ كذَّبهم ا لله تعالى بقوله: ﴿مَا لَهُم بذَلِك من عِلمٍ إن

---

١ - عَلَى لغة "أكلوني البراغيث" وهي ضعيفة، والأصوب: «كما قال».

**هُم إِلاَّ يَخرصُونَ(٢٠)﴾** يَكذبـون. ﴿**أم آتينـاهم كِتَابـًا مـن قَبْلِـه**﴾ مـن قبـلِ القرآن، أو ادِّعائِهم ينطق عَلَى صِحَّة مَا قَالُوا، ﴿**فَهُم بِـهِ مُستمسِكُونَ(٢١) بَـل قَالُوا**﴾ بَل لا حجَّة لَهُم إِلاَّ قولهم: ﴿**إِنَّا وجدنا آباءنـا عَلَى أُمـَّة** [٥٤٠] **وَإِنـَّا عَلَى آثارِهِم مُّهتَدُونَ(٢٢)**﴾ أي: لاَ حجَّة لَهُم عَقلِيـَّة وَلاَ نَقلِيـَّة، وَإِنـَّمَا جنحوا فِيهِ إِلىَ تـقليد آبائهم الجهلة؛ والأُمَّة: الطائفـة التِـي تـؤمُّ، وذَلِـك لِحُـبِّهم الإلـف والعادة، وحبِّ استصحابهما وكراهية فراقهما.

﴿**وكذَلِك مَا أرسلنا مِن قَبلِـك فِي قريـةٍ مـن نـَّذيرٍ إِلاَّ قـَالَ مُترفُوهـا**﴾ الذِينَ أترفتهم النعمة، أي: بطرتهم فآثروا الترفُّهَ عَلَى طلـبِ الحـُجَّة، وعـافوا مشاقَّ التكليف، وكلُّ فريق يـُقلِّد أسلافه فيما تهوى نفسه، إلاَّ الذِينَ آمَنُـوا. ﴿**إِنَّا وجدنا آباءنا عَلَـى أُمَّـةٍ وَإِنـَّا عَلَـى آثـارِهِم مُّـقـتَدُونَ(٢٣)**﴾ تسـلية لرسول الله ﷺ، ودلالة عَلَى أَنَّ التقليد فِي نحو ذَلِكَ ضلال قديم.

﴿**قَالَ: أوَلَو جِئـتُكم بأَهدَى مِمَّا وجَدتم عليه آباءَكم**﴾؟ أي: أتـتـَّبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؟ ﴿**قَالُوا: إِنَّا بِمَا أُرسِلتم بِـهِ كَـافِرُونَ(٢٤)**﴾ أي: وإن كَـانَ أهـدَى، إقناطـا للتدبـُّر [وَ]مِـنْ أن ينظـروا ويتفكَّروا فِيهِ. ﴿**فانـتـقَمْنا مِنْهُم**﴾ بالاستئصال، ﴿**فانظر كيف كَـانَ عاقبـة المكذِّبِينَ(٢٥)**﴾.

﴿**وإِذ قَالَ إبراهيمُ**﴾ واذكر وقت قوله هَذَا، لـيَرَوا كيـف تـبرَّأ عَـن التقليـد، وتمسَّك بالدليل؛ أو لِيقلِّدوه إن لم يكن لَهُم بدٌّ مِنَ التقليد، لأَنـَّهُ مشـروع تقليـده وأمثالِه، ﴿**لأبيه وقومه: إِنـَّنِي بَراءٌ**﴾ أي: بريء ﴿**مِمَّا تعبدُونَ(٢٦)**﴾ بريء من

عبادتكم ومعبودكم. ﴿**إِلاَّ الَّذِي فطَرَنِي**﴾ أي: إِنَّنِي بَرَاء من آلهة تعبدونها غير الذِي فطرني، ﴿**فَإِنَّهُ سَيهدِينِ(٢٧)**﴾ سيثبِّتني عَلَى الهداية، أو سيهديني إِلَى مَا وراء مَا هداني. ﴿**وجعلها**﴾ وجعل إبراهيمُ أو الله كَلمةَ التوحيد ﴿**كلمةً باقيةً فِي عَقِبهِ**﴾ فِي ذُرِّيَّته، فيكون فِيهِم أبدا من يوحِّد الله، ويدعو إِلَى توحيده، ﴿**لَعَلَّهُم يرجعُونَ(٢٨)**﴾ يرجع من أشرك بدعاء من وحَّد.

﴿**بَل متَّعتُ هؤلاءِ وآباءهم**﴾ بالمَدِّ فِي العمر والنعمة، فاغتَرُّوا بذَلِك وانهمَكوا فِي الشهوات ﴿**حَتَّى جاءهُم الحَقُّ**﴾ دعوة التوحيد أو القرآن، ﴿**ورسولٌ مُبينٌ(٢٩)**﴾ ظاهر الرسالة بِمَا لَهُ مِنَ المعجزات، أو مبيِّن للتوحيد بالحُجج والآيات. ﴿**وَلَمَّا جاءهم الحَقُّ قَالُوا: هَذَا سحرٌ**﴾ كذب مختلق، ﴿**وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ(٣٠)**﴾ مكذِّبون.

﴿**وَقَالُوا لولا نُزِّل هَذَا القرآنُ عَلَى رجلٍ مِنَ القريتينِ**﴾ من إحدى القريتين ﴿**عظيم(٣١)**﴾ بالجاه والمال أو الجسم، فَإِنَّ الرسالة مَنصب عظيم لاَ يليق إِلاَّ لعظيم، و لم يعلموا أَنَّهَا رتبة روحانيَّة تستدعي عظم النفس بالتحلِّي بالفضائل، والتخلِّي عَن الرذائل، لاَ بالزخارف الدنيويَّة، وذَلِك من عِظم مَا بهم مِنَ الكبر والحسد.

﴿**أَهُم يقْسِمون رحْمَةَ ربِّك**﴾؟ إنكارٌ فِيهِ تجهيل وتعجُّب من حكمهم ومقالهم، والمراد بالرحمة: النبوَّة، ﴿**نَحْنُ قسَمنَا بَيْنَهُم معِيشتهم فِي الحياةِ الدُّنْيَا**﴾ وَهُم عاجزون عَن تدبيرها وَهُوَ أمر دنيا، فمن أين لَهُم أن يُدَبِّروا أمر النبوَّة التِي هِيَ أعلَى المراتب؟ ﴿**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات**﴾

[٥٤١] ورفعنا[1] بَيْنَهُم التفاوت فِي الرزق وغيره، ﴿**ليتَّخذ بعضُهم بعضا سُخْرِيًّا**﴾ يستعمل بعضهم بعضا فِي حوائجهم، فيحصل بَيْنَهُم تآلف وتضامٌّ، ينتظم بذَلِك نظام العالم لاَ لِكمالٍ فِي الموسَّع عليه، وَلاَ لنقص فِي الْمُقتَر عليه، ثُمَّ لاَ اعتراض لَهُم علينا، فكيف يكون فيما هُوَ أعلى مِنْهُ؟! ﴿**ورحمةُ ربك**﴾ يعني: النبوَّةَ والعلمَ وجزاءَهما ﴿**خيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ(٣٢)**﴾ من حطام الدُّنْيَا.

﴿**ولولا أن يكونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ لولا أن يرغبوا فِي الكفر إِذَا رأو الكفَّار فِي سعة وتنعُّم لحبِّهم الدُّنْيَا، فيجتمعوا عليه، ﴿**لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيُوتِهم سُقُفًا من فضَّة ومعَارِجَ**﴾ (لَعَلَّهُ) مَراقي ومصاعد ﴿**عليها يَظهَرُونَ(٣٣) ولبيوتهم أبوابا وسُرُرًا عليها يتَّكِئُونَ(٣٤) وزخرفا**﴾ وزينة، ﴿**وإن كُلُّ ذَلِكَ**﴾ ويقتضي ذَلِكَ مَا يعمل ويؤجر بالفضَّة أو الذهب وغيرهما، من جميع الزيون[2]، مَا خرج عَن حدِّ الحاجة، ﴿**لَمَّا متاعُ الحياة الدُّنْيَا، والآخِرَةُ عند رَبِّكَ للمتَّقِينَ(٣٥)**﴾ مِنَ الكفر والمعاصي، وفيه دلالة عَلَى أَنَّ العظيم هُوَ العظيم فِي الآخِرَة لاَ فِي الدُّنْيَا.

---

١ - الصواب ما ذكره البيضاوي: «وأوقعنا». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٣٠.

٢ - يبدو لي ـ وَا لله أعلم ـ أَنَّهُ عَلَى وزن «الدُّيُون»، ومفرده «الدَّيْن». فيكون «الزيون» جمع «الزَّيْن» وَهُوَ خلاف الشَّين، إلاَّ أَنَّ مصادر اللغة لم تذكر لنا هَذَا الجمع، إذ قال فِي القاموس: «والزَّين ضِدُّ الشَّين، ج: أَزْيَان». أو لَعَلَّ الْمُصَنِّف يقصد «الزُّونَة»، قال فِي اللسان: «والزينة والزُّونة: اسم جامع لِمَا تزيِّن به». ابن منظور: لسان العرب، ج٣/ ص٧٣، مَادَّة «زين». الفيروزآبادي: القاموس، ص١٠٨٥، مَادَّة: «زين».

﴿ومن يَعشُ عَن ذِكر الرحمن﴾ يتعامى ويعرضْ عَنْهُ، لفرط اشتغاله بالمحسوسات، وانهماكه فِي الشهوات، ﴿نُقَيِّضْ لَهُ﴾ نضمَّ إليه ﴿شيطانا﴾ يوسوسه ويغويه دائما، ﴿فهو لَهُ قرين(٣٦)﴾ لاَ يُفارقه، ومن تفسير آخر: ﴿ومن يَعشُ﴾: يتعامَ[1] (لَعَلَّهُ) بالهوى ﴿عَن ذكر الرحمن﴾ عَمَّا أمر بِهِ ونهى عَنْهُ، ولو فِي حرف واحد، ﴿نُقيِّضْ﴾ نجعل (لَعَلَّهُ) له شيطانا يُزيِّن لَهُ مَا تعامى عَنْهُ، لأَنَّ الحبَّ للشيء (لَعَلَّهُ) يُعمي ويُصمُّ؛ ﴿وَإِنَّهُم لَيَصُدُّونهم عَن السَّبيل﴾ عَن الطريق الذِي من حقّه أن يُسبَل ﴿ويحسبون أَنَّهُم مُهتدُونَ(٣٧)﴾.

﴿حَتَّى إِذَا جاءَنَا﴾ هُوَ وقرينه، ﴿قَالَ: يا ليت بيني وبينك بُعدَ المشرقين﴾ بُعد المشرق مِنَ المغرب فيما قيل، ﴿فبِئْسَ القرينُ(٣٨) ولن ينفعكم اليومَ﴾ أي: مَا أَنتم عليه مِنَ التمنّي، ﴿إِذ ظلمتُم﴾ أنفسكم فِي الدُّنْيَا، ﴿أَنَّكُم فِي العذاب مُشترِكُونَ(٣٩)﴾ لأَنَّ حقَّكم أن تشتركوا وشياطينكم فِي العذاب كما كُنتُم مشتركين فِي سببه.

﴿أفأنت تُسمِعُ الصمَّ أو تَهدي العُميَ﴾ إنكارُ تعجُّب من أن يكون هُوَ الذِي يقدر عَلَى هدايتهم بعد انهماكهم فِي الكفر، واستغراقهم فِي الضلال، صار عَشَاهم عمًى ومقرونا بالصمم. كَانَ رسول الله ﷺ يُتعِب نفسه فِي دعاء قومه، وَهُم لاَ يزدادون إِلاَّ بُعدا، ﴿ومن كَانَ فِي ضلالٍ مُبينٍ(٤٠)﴾.

﴿فَإِمَّا نَذهبنَّ بكَ﴾ أي: فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم، ﴿فإنَّا مِنْهُم مُنتقِمُونَ(٤١)﴾ لَهُم عذاب[2] فِي الدُّنْيَا والآخِرَة. ﴿أو نُرينَّك

---

١ - فِي الأَصْلِ: «يتعامى»، وَهُوَ خطأ من الناسخ.

٢ - الأصوب: «﴿منقمون﴾ بعذابٍ...» كما عند البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٣١.

﴿الذِي وعدناهم﴾ أو إن أردنا أن نُرِيك مَا وعدناهم مِنَ العذاب، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُقتدِرُونَ(٤٢)﴾ لاَ يفوتونا.

﴿فاستمسك بالذي أُوحِيَ إليك﴾ مِنَ الآيات والشرائع، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم(٤٣)﴾ وطوبى لمن شهد لَهُ ربُّه بذَلِك، ومن أَرَادَ أن يشهد لَهُ كما شَهد لَهُ [٥٤٢] فيسلك طريقته ويمتثل[1] أمره. ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَذِكرٌ لك﴾ لَشرف لك ﴿ولقومِك﴾ أي: هُوَ ذكر لأمر دينكم ودنياكم، فلا تميلوا إِلَى غيره، واثبتوا عليه، ﴿وسوف تُسأَلونَ(٤٤)﴾ فِي القيامة عَن القيام بحقِّه، وأداء شكره.

﴿واسأَلْ مَن أرسلنا مِن[2] قبلِك مِن رُّسُلنا﴾ أي: تَفحَّص عَن نبئهم مِنَ الكتاب، ﴿أَجعَلْنَا من دونِ الرحمنِ آلهةً يُعبَدُونَ(٤٥)﴾؟ هل حكمنا بعبادة الأوثان؟ وهل جاءت فِي مِلَّة من مِلَلهم، أو فِي خبر من أخبارهم الصحيحة الصادقة؟؛ والمراد بِهِ: الاستشهاد بإجماع الأنبياء وتابعيهم عَلَى التوحيد، دون عبادة الأوثان والأهوية والأنفس والشياطين.

﴿وَلَقَد أرسلنا موسى بِآيَاتِنا إِلَى فرعون ومَلَئِه فقال: إِنِّي رسولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٦)﴾ يريد باقتصاصه تسلية الرسول ﷺ، ومناقضة قولهم: ﴿لولا نُزِّل هَذَا القرآن عَلَى رجلٍ مِنَ القريتين عظيمٍ﴾ والاستشهاد بدعوة موسى إِلَى التوحيد؛ ﴿فَلَمَّا جاءهم بِآيَاتِنا إِذَا هم مِّنهَا يضحَكُونَ(٤٧)﴾ استهزاء من

---

١ - لَعَلَّ الصواب: «فليسلكْ طريقته، وليمتثلْ أمره».

٢ - فِي الأصل: - «من»، وهو سهو.

حيث إِنَّهُم أعرضوا و لم يتأمَّلوا فِيهَا. ﴿وَمَا نُريهم مِّن آية إلاَّ هِيَ أكبرُ مِن أُختها﴾ أي: وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز، يحسب الناظر فِيهَا أَنَّهَا أكبر مِمَّا يقاس إِلَيْهِا مِنَ الآيات، وقيل: إلاَّ وهي مختصَّة بنوع مِنَ الإعجاز، مفضَّلة عَلَى غيرها بذَلِك الاعتبار، ﴿وأخذناهم بالعذاب لَعَلَّهُم يَرجعُونَ(٤٨)﴾.

﴿وَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الساحر﴾ نادَوه بذَلِك فِي تلك الحال، لشدَّة شكيمتهم وفرط حماقتهم؛ وقيل: الساحر معهم: العالِمُ الكامل الحاذق، ﴿ادعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عندك﴾ بعهده عندك النبوَّة، أو من أن يستجيب دعوتك، ﴿إِنَّنَا لَمُهتدُونَ(٤٩) فَلَمَّا كشفنا عَنْهُم العذاب إِذَا هم يَنكثُونَ(٥٠)﴾ ينقضون عهدهم.

﴿ونادى فرعونُ فِي قومه﴾ فِي مجمعهم ﴿قَالَ: يا قومِ أليسَ لي مُلكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجري مِن تَحتِي﴾ من تحت قصري، أو أمري، أو بين يديَّ فِي جنَّاتي، ﴿أفلا تبصرُونَ(٥١)﴾ ذَلِكَ؟ ﴿أم أنا خيرٌ﴾ مَعَ هَذِهِ المملكة والسلطنة، ﴿مِن هَذَا الذِي هُوَ مَهينٌ﴾ ضعيف حقير لاَ يستعدُّ للرئاسة؛ مِنَ المهانة: وهي القِلَّة، ﴿ولاَ يكاد يُبينُ(٥٢)﴾ الكلامَ لِمَا بِهِ مِنَ اللكنة، فكيف يصلح للرسالة؟ ﴿فلولا أُلقِيَ عليه أسورة مِن ذَهَبٍ﴾ أي: فهلاَّ أُلقِي عليه مقاليد الملك إن كَانَ صادقا؛ إذ كَانُوا إِذَا قدَّموا رجلا سَوَّرُوه وطوَّقوه بِطَوق من ذهب، ﴿أو جاء معه المَلاَئِكَة مُقتَرنِينَ(٥٣)﴾ مقرونين متتابعين، يتابع بعضهم بعضا يشهدون لَهُ بصدقه، ويعينونه عَلَى أمره. ﴿فاستخفَّ قومَه﴾ فطلب مِنْهُم الخِفَّة فِي مطاوعته، ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم بِهِ، ﴿إِنَّهُم كَانُوا قوما فاسقِينَ(٥٤)﴾ فلذَلِك أطاعوه.

﴿فَلَمَّا آسفونا﴾ أغضبونا بالإفراط فِي العناد والعصيان، منقول من أَسِف: إِذَا اشتدَّ غضبه، ﴿انتقمنا مِنْهُم فأغرقناهم أجمعِينَ(٥٥) فجعلناهم سَلَفا﴾ قدوةً لمن بعدهم مِنَ الكُفَّار، يقتدون بهم فِي الاستحقاق مثل أعقابهم[1]؛ وقيل: فجعلناهم مُتقدِّمين يتَّعظ بهم الآخِرون، ﴿ومَثلا [٥٤٣] للآخِرينَ(٥٦)﴾ عبرة وعِظَةً، ﴿ومثلا للآخرين﴾ أي: عِظَة لَهُم، أو قِصَّة عجيبة تسير مسير الأمثال لَهُم، فيقال: مثلكم مثل قوم فرعون.

﴿وَلَمَّا ضُرِب ابنُ مَرْيَم مَثَلا إِذَا قومُك مِنْهُ يصُدُّونَ(٥٧) وَقَالُوا أآلهتُنا خيرٌ أم هُوَ مَا ضَرَبُوه لك إلاَّ جدلاً﴾ مَا ضربوا هَذَا المثل إلاَّ لأجل الجدل، أو الخصومة بالباطل، لاَ لتمييز الحَقِّ مِنَ الباطل، ﴿بَل هم قوم خَصِمُونَ(٥٨)﴾ شِدادُ الخصومة، حِراصٌ عَلَى اللجاج والمحاجَّة. ﴿إِن هُوَ إِلاَّ عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه﴾ آية وعبرة لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، أمرا عجيبا (لَعَلَّهُ) يعرفون بِهِ قدره كالمثل السائر ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩)﴾ وَهُوَ الجواب المزيح لتلك الشبهة.

﴿ولو نشاء لَجعلنا منكم﴾ لولَّدنا منكم يا رجال، كما ولَّدنا عيسى من غير أب، أو لجعلنا بَدَلكم ﴿مَلاَئِكَةً فِي الأَرْض يَخلفُونَ(٦٠)﴾ يخلفونكم فِي الأَرْض؛ والمعنى: أَنَّ حال عيسى ـ وإن كَانَت عجيبة ـ فَإِنَّهُ تعالى قادر عَلَى مَا هُوَ أعجب من ذَلِكَ.

﴿وَإِنَّهُ لَعِلمٌ للساعة﴾ قيل: الضمير للقرآن فَإِنَّ فِيهِ الإعلام بإتيان الساعة، والدلالة عليها، ﴿فلا تَمترُنَّ بها﴾ فلا تشُكُّوا فِيهَا، ﴿واتَّبعون﴾

---

١ - الصواب ما ذكره البيضاوي: «في استحقاقِ مثلِ عِقابهم». تفسير، ج٤/ ص١٣٢.

واتَّبعوا هُدايَ وشرعي؛ وقيل: [هو] قول الرسول أُمِرَ أن يقوله، ﴿هَذَا﴾ الذِي أدعوا إِلَيْهِ، ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(٦١)﴾ لاَ يَضِلُّ سالكه، لاستقامته عَلَى المقصود، ﴿وَلاَ يَصدَّنَّكم﴾ لاَ يَصرفنَّكم ﴿الشيطان﴾ عَن سلوك دين ا لله، ﴿إِنَّهُ لكم عدوٌّ مُبينٌ(٦٢)﴾ بَيِّن العداوة لكم.

﴿وَلَمَّا جاء عيسى بِالبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الدَّالَّة الواضحة، ﴿قَالَ: قد جئتُكم بالحكمة﴾ بالشرائع، ﴿ولأُبيِّن لكم بعضَ الذِي تختلفون فِيهِ﴾ وَهُوَ مَا يكون من أمر الدين، ﴿فاتَّقُوا ا لله وأطيعونِ(٦٣) إِنَّ ا لله هُوَ رَبِّي وربُّكُم فاعبدوه﴾ بيانٌ لِمَا أمرهم بالطاعة فِيهِ، وَهُوَ اعتقاد التوحيد، والتعبُّد بالشرائع، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(٦٤)﴾.

﴿فاختَلَفَ الأحزابُ﴾ الفرق المتحزِّبة ﴿من بَيْنِهِم، فويلٌ للذين ظَلموا من عذابِ يومٍ أليم(٦٥) هل ينظرون إِلاَّ الساعةَ﴾ الموت، أو القيامة؛ والمعنى: هل ينظرون إِلاَّ قيام الساعة الصغرى، أو الكبرى ﴿أن تأتيهم بغتةً﴾ فجأة، ﴿وَهُم لاَ يشعرُونَ(٦٦)﴾ لاَ يَعْلَمُونَ بإتيانها حينما تأتيهم، ولو حلَّ بهم مرض فَإِنَّهُمْ يحسبونه كالمرض السابق لَهُم، وذَلِك لطول أملهم، وفرط غفلتهم وحبِّهم للدنيا.

﴿الأخلاَّءُ﴾ الأصدقاء ﴿يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ﴾ أي: يتعَادَون يومئذ لانقطاع العلائق بَيْنَهُم، ﴿إِلاَّ المتَّقِينَ(٦٧)﴾ فَإِنَّ خُلَّتهم لَمَّا كَانَت فِي ا لله تبقى نافعة أبد الآباد.

﴿يا عبادِ لاَ خوفٌ عَلَيْكُم اليومَ وَلاَ أَنتُم تَحزَنُونَ(٦٨)﴾ حكاية لِمَا ينادى بِهِ المتَّقون المتحابُّون فِي ا لله. ﴿الذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنا﴾ بِحُجَجِنا من

حيث جاءتهم، ﴿وكَانُوا مُسْلِمِينَ(٦٩) ادخُلوا الجَنـَّة أَنتُم وأزواجكم﴾ نساؤكم المؤمنات، ﴿تـُحْبَرُونَ(٧٠)﴾ تُسرُّون سرورا يظهر حباره ـ أي: أثره ـ عَلَى وجوهكم. ﴿يُطاف عَلَيْهِم بصِحافٍ مِّن ذَهَبٍ وأكوابٍ، وفيها مَا تشتهيهِ الأنفسُ وتَلَذُّ الأعينُ﴾ بمشاهدته، ﴿وأنتم فِيهَا خالدُونَ(٧١)﴾ فَإِنَّ النعم وإن حلت موجبة للتحسُّر [٥٤٤] إِذَا زالت، وَلاَ تتمُّ نعمة إِلاَّ بدوامها. ﴿وتلك الجَنَّة التِي أُورِثتُمُوهَا﴾ شبَّه جزاء العمل بالميراث، لأَنَّهُ يخلفه عليه المعمول لَه[1]، ﴿بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٧٢) لكم فِيهَا فاكهة كثيرة﴾ من حيث لاَ تُحصَى، ﴿مِنهَا تأكلُونَ(٧٣)﴾.

﴿إِنَّ المجرمين﴾ الكاملين فِي الإجرام ﴿فِي عذابِ جَهَنَّمَ خالدُونَ(٧٤)﴾ ﴿لاَ يُفتَّر عَنْهُم﴾ لاَ يُخفَّف عَنْهُم؛ مِن فتَرَت الحُمَّى عَنْهُ: إِذَا سكنت قليلا، ﴿وَهُم فِيهِ مُبلِسُونَ(٧٥)﴾ آيسون مِنَ النجاة. ﴿وَمَا ظلمناهم﴾ وما عاملناهم معاملة ظلم، ﴿ولكن كَانُوا هُمُ الظالِمِينَ(٧٦)﴾.

﴿ونادَوْا: يا مالكُ، ليقضِ علينا ربُّك﴾! والمعنى: سلْ رَبَّكَ أن يقضي علينا؛ من قَضى عليه: إِذَا أماته، وَهُوَ لاَ ينافي إبلاسهم، فَإِنَّهُ تَمَنٍّ[2] للموت

---

١ - العبارة غير واضحة، وَفِي تفسير البيضاويِّ: «لأَنَّهُ يخلفه عَلَيْهِ العامل». وتوضيحها عند الألوسيِّ: «وقد شبَّه ما استحقُّوه بأعمالهم الحسنة من الجَنَّة ونعيمها الباقي لهم بما يخلّفه المرء لوارثه من الأملاك والأرزاق». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٣٢. الألوسي: روح المعاني، ج٢٥/ ص١٠١.

٢ - فِي الأَصْلِ: «تمنّي»، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٣٤.

من فرط الشِّدَّة، ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ(٧٧)﴾ لاَ خلاص لكم بموت وَلاَ غيره، ﴿لَقَد جئناكم بِالْحَقِّ﴾ بالإرسال والإنذار، ﴿ولكنَّ أكثرَكم لِلْحَقِّ كارِهُونَ(٧٨)﴾ لِمَا فِي اتِّبَاعه من إتعاب النفس، وآداب الجوارح.

﴿أم أبرَموا أمرًا﴾ فِي الحَقِّ وردِّه و لم يقتصر عَلَى كراهته، ﴿فَإِنَّا مُبرِمُونَ(٧٩)﴾ أمرا فِي مجازاتهم، إن كادوا شرًّا كِدنَاهم شرًّا. ﴿أم يَحسَبُون أنَّا لاَ نسمعُ سِرَّهم ونجواهم، بَلَى، وَرُسُلُنا لديهم يَكتبُونَ(٨٠)﴾.

﴿قل: إن كَانَ للرحمن ولدٌ فأنا أَوَّل العابدِينَ(٨١)﴾ معناه: إن كَانَ لَهُ ولد فِي زعمكم، فأنا أَوَّل العابدين لله، الموحِّدين لَهُ. ﴿سبحانَ رَبِّ السَّمَاوَات والأَرْض رَبِّ العرش عَمَّا يَصفُونَ(٨٢)﴾ عَن كونه ذا ولد.

﴿فذرهم يخوضوا﴾ فِي باطلهم، ﴿ويلعبوا﴾ فِي دنياهم، ﴿حَتَّى يُلاقوا يومَهم الذِي يُوعدُونَ(٨٣)﴾ وَهُوَ يوم تُقبض فِيهِ أرواحهم. ﴿وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاء إلهٌ وفي الأَرْض إلهٌ﴾ مُستحقٌّ بأن يُعبد فيهما؛ والدليل عَلَى أَنَّ كونه فِي السَّمَاء بمعنى الألوهيَّة دون الاستقرار...[1] وفيه نفي الآلهة السَّمَاوِيَّة والأَرْضية، واختصاصه باستحقاق الإِلَهِيَّة، ﴿وَهُوَ الحكيم العليم(٨٤)﴾.

١ - فِي العبارة سقط واضح. إذ أين هو خبر المبتدإ فِي قوله: «والدليل عَلَى أَنَّ كونه فِي السماء...» إلخ. ولتوضيح مقصِد المُصَنِّف نورد عبارة الزمخشريِّ: «﴿في السماء﴾ صلة "الذي". و"إلَـهٌ" خبر مبتدإ محذوف، عَلَى أَنَّ الجملة بيان للصلة، وَأَنَّ كونه فِي السماء عَلَى سبيل الإلهيَّة وَالرُّبُوبيَّة لا عَلَى مَعْنَى الاستقرار». الزمخشري: الكشَّاف، ٤/٢١١.

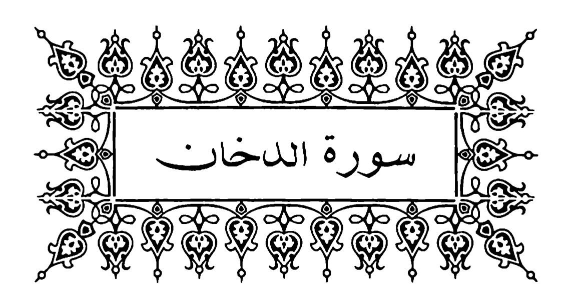
**﴿وتبارك الذِي لَهُ مُلكُ السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما، وعنده علم الساعة، وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ(٨٥)﴾** للجزاء. **﴿وَلاَ يَملِك الذِينَ يَدعون من دونه الشفاعةَ﴾** كما زعموا أَنَّهُم شفعاؤهم عند ا لله، **﴿إِلاَّ من شهد بِالْحَقِّ وَهُم يَعْلَمُونَ(٨٦)﴾** مَا شهدوا بِهِ يقينا، كما شهدوا أَنَّهُ لاَ يعترِيهم شكٌّ فيما شهدوا بِهِ، وهؤلاء خلاف الـمُقلِّدين.

**﴿ولئن سألتهم: مَّنْ خَلَقَهم﴾**؟ سألت العابدين أو المعبودين، **﴿لَيقُولُنَّ: ا لله﴾** لِتعذُّر المكابرة من بيان ظهوره، **﴿فأنَّى يُؤفَكُونَ(٨٧)﴾** يُصرفون عَن عبادته إِلَى عبادة غيره؛ وهذه غلطة عظيمة من حيث إِنَّهُم عبدوا غير خالقهم، وَهُم مُقرُّون بِهِ أَنَّهُ[1] خالقهم.

**﴿وقيله﴾** وقول الرسول شاكيا لِربِّه: **﴿يا رَبِّ إِنَّ هؤلاء قوم لاَ يُؤْمِنُونَ(٨٨)﴾**. فأجابه ا لله وقال لَهُ: **﴿فاصفحْ عَنْهُم﴾** وَلاَ تُمارِهم، وَلاَ تُجادلهم، وصاحبهم فِي الدُّنْيَا معروفا، بدليل قوله: **﴿وقلْ: سلامٌ﴾** تَسلم مِنْهُم، مَعَ سلامة دينك، **﴿فسوفَ يَعْلَمُونَ(٨٩)﴾** تسلية للرسول، وتهديد لَهُم.

---

١ - فِي الأصل: «أَنَّهُم»، وهو خطأ.



# سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) والكتاب [٥٤٥] الْمُبِينِ(٢) إِنَّا أنزلناه فِي ليلة مُباركةٍ﴾ قيل: فِي ليلة القدر؛ وبركتُها لذَلِك، فَإِنَّ نزول القرآن سبب المنافع الدِّينِيَّة والدُّنْيَوِيَّة، أو لِمَا فِيهَا من نزول المَلاَئِكَة والرحمة وإجابة الدعوة، وقسم النعمة، وفصل الأقضية، ولتضاعف فضلها عَلَى سائر الليالي، لقوله: ﴿خير من ألف شهرٍ﴾[1] ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ(٣) فِيهَا يُفرَق كُلُّ أمرٍ حكيم(٤)﴾ فَإِنَّ كونها مفرق الأمور المحكمة، أو الملبَّسة بالحكمة، تستدعي أن ينزَّل فِيهَا القرآن الذِي هُوَ من عظائمها. ﴿أمرًا من عندنا﴾ أي: أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا عَلَى مقتضى حكمتنا، وَهُوَ مزيد تفخيم الأمر، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرسِلِينَ(٥)﴾.

﴿رحمةً من ربِّك﴾ أي: أنزلنا القرآن ــ لأَنَّ إنزاله من حكمتنا ــ رحمةً للعباد، ﴿إِنَّهُ هُوَ السميع العليم(٦)﴾ يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم. ﴿رَبِّ السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما إن كُنتُم مُوقِنِينَ(٧)﴾ أي: إن كُنتُم من أهل

---

١ - سورة القدر: ٣.

الإيقان فِي العلوم. ﴿لاَ إله إلاّ هُوَ﴾ إذ لاَ خالق سواه، وَلاَ يستحقُّ العبادة سواه، ﴿يحيي ويُميت﴾ كما تشاهدون ﴿رَبُّكُم وربُّ آبائكم الأَوَّلِينَ(٨)﴾.

﴿بَل هم فِي شكٍّ يلعبُونَ(٩)﴾ لأَنَّ الشكَّ فِي الأُلُوهِيَّة يقتضي اللعب، ومع التصديق فليس لَهُ مجال. ﴿فارتَقِبْ﴾ فانتظر لَهُم ﴿يوم تأتي السَّمَاء بِدخانٍ مُّبِينٍ(١٠)﴾ فِيهِ كرب عظيم، فإنَّ المكروب يرى عَلَى بصره كالدخان من ضعف بصره. ﴿يَغْشَى الناسَ هَذَا﴾ يحيط بهم، ويُغطِّيهم ﴿عذاب أليم(١١)﴾[1] يحتمل فِي أحوال الموت، يحيط بِهِ هَذَا العذاب.

﴿رَبَّنَا اكشفْ عَنَّا العذاب إِنَّا مؤمِنُونَ(١٢) أَنَّى لَهُمُ الذكرَى﴾ من أينَ لَهُمُ التذكرة، وكيف يتذكَّرون وَهُم بهذه الحال، كقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جاءهم الموتُ، قَالَ: رَبِّ ارجعون﴾[2] ﴿وقد جاءهم رسول مُّبِينٌ(١٣) ثُمَّ تولَّوا عَنْهُ وَقَالُوا مُعلَّم مَجنُونَ(١٤)﴾.

﴿إِنَّا كاشِفوا[3] العذابِ قليلا﴾ أي: زمانا قليلا، ﴿إِنَّكُم عائدُونَ(١٥)﴾ وذَلِكَ بالتقدير أن لو كشف عَنْهُم العذاب قليلا لعادوا لِمَا نُهوا عَنْهُ. ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة، ﴿إِنَّا مُنتقِمُونَ(١٦)﴾ من كُلِّ ظالم.

---

١ - من الأحسن أن يؤخّر اسم الإشارة إِلَى هَذَا المقطع الأخير من الآية ولا يفصل بين اسم الإشارة والمشار إِلَيْهِ.

٢ - سورة المؤمنون: ٩٩.

٣ - فِي الأصل: «كاشف»، وهو خطأ.

﴿وَلَقَد فتـنـَّا قبلَهم قومَ فرعونَ﴾ امتحنـَّاهم بإرسال موسى الطَّيِّلاً، أو متَّعناهم فِي الفتـنة، بإمهال وتوسيع الرزق، ﴿وجاءهم رسولٌ كريـم(١٧)﴾ لفضله، وفضـل مَـا أتـاهم بـهِ. ﴿أن أَدُّوا إلـيَّ عِبـادَ ا للهِ﴾ بـأن أدُّوهـم إِلَـيَّ وأرسلوهم معي، أو بأن أَدُّوا إِلَيَّ حقَّ ا للهِ مِنَ الإيمان وقبـول الدعـوة، ﴿إِنـِّي لكـم رسـولٌ أمِـينٌ(١٨)﴾ غـير متـَّهم، لدلالـة المعجـزات عَلَـى صدقـه، أو لائـتمان ا للهِ إِيـَّاهُ عَلَى وحيه. ﴿وأن لاَ تعلوا عَلَى ا للهِ﴾ وَلاَ تـتـكبَّـروا عليـه بالاستهانة بوحيه ورسوله، ﴿إِنِّي آتيكم بسـلطانٍ مُبـينٍ(١٩) وَإِنـِّي عُـذتُ بربِّي وربـِّكم﴾ التجـأت إِلَـيْـهِ وتوكَّـلت عليـه، ﴿أن ترجُمُـونِ(٢٠)﴾ أن تـؤذوني ضربا أو شتما، أو أن تقتلوني. ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزِلون(٢١)﴾ فكونوا بمعزل منـِّي، لاَ عليَّ وَلاَ لي، وَلاَ تـتـعرَّضوا عَليَّ بِشَرٍّ، فَإِنـَّهُ ليس جزاء من دعاكم لِمَا فِيهِ فلاحكم.

﴿فدعا ربـَّه﴾ بعدما [٥٤٦] كذَّبوه، ﴿أَنَّ هؤلاء قومٌ مجـرِمُونَ(٢٢)﴾ وَهُوَ تعريض بالدعاء عليهم بذكر مَا استوجبوه بِهِ. ﴿فَأَسرِ بعبادي ليلاً إِنـَّكُم مُـتَّـبَـعُونَ(٢٣)﴾ يتبعكم فرعـون وجنـوده إِذَا علمـوا بخروجكـم. ﴿واتـرك البحرَ رَهوًا﴾ مفتوحا، ذا فجوة، أو ساكنا، ﴿إِنـَّهُم جُندٌ مُغرقُونَ(٢٤)﴾.

﴿كم تَرَكوا﴾ كثيرا تركوا ﴿من جَنـَّات وعيُـونَ(٢٥) وزُرُوعٍ ومقـامٍ كريمٍ(٢٦)﴾ محافل حسنة، ومنازل مزيـَّنة ﴿ونَعمَةٍ كَانُوا فِيهَا فاكهِينَ(٢٧) كذَلِكَ[1] وأورثناها قوما آخرِينَ(٢٨)﴾ ليسوا مِنـْهُم فِي شيء.

---

١ - في الأصل: - ﴿ونَعمَةٍ كَانُوا فِيهَا فاكهِينَ(٢٧) كذَلِكَ﴾، وهو سهو.

﴿فما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْض﴾ مجاز عَن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم؛ كقولهم: بكت عَلَيْهِمُ السَّمَاء، وكسفت بمهلكه الشمس فِي نقيض ذَلِكَ؛ ومِنْهُ مَا روي فِي الأخبار: «إنَّ المؤمن ليبكي عليه مُصلاَّه، وموضع عبادته، ومَصعدَ عمله، ومهبط رزقه»[1]؛ وقيل تقديره: فما بكت عَلَيْهِم أهل السَّمَاء والأَرْض، ﴿وَمَا كَانُوا منظَرِينَ(٢٩)﴾ مُمهلين إِلَى وقت آخر لتوبة ولا غيرها.

﴿وَلَقَد نجَّينا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ العذاب المُهِينِ(٣٠)﴾ من استعباد قومه، وقتله أبناءهم. ﴿مِن فرعونَ إنَّهُ كَانَ عاليا مِنَ المسرِفِينَ(٣١)﴾ فِي العُتوِّ والشرارة. ﴿وَلَقَد اخترناهم﴾ أي: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿عَلَى عِلمٍ﴾ عالمين بأَنَّهُم أَحقَّاء بذَلِك، ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٢)﴾ عَلَى عالمي زمانهم. ﴿وآتيناهم مِّنَ الآياتِ﴾ كفَلْق البحر ونحوه، ﴿مَا فِيهِ بلاءٌ مُبِينٌ(٣٣)﴾ نعمة جليلة، أو اختبار ظاهر.

﴿إِنَّ هؤلاء﴾ كُفَّار قوم محمَّد ﷺ، لأَنَّ الكلام فِيهِم، وقصَّة فرعون وقومه[2] مسوقة للدلالة عَلَى أَنَّهُم مِثلهم فِي الإصرار عَلَى الضلالة، والإنذار عَن

---

١ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من مصادر التخريج، وقد أشار إِلَيْهِ الزمخشريُّ وأسنده إِلَى ابن عبَّاس. وعزاه الألوسيُّ إِلَى ابن المنذر عن عليٍّ كرَّم الله وجهه. وأخرج البغويُّ فِي تفسيره بسنده عن أنس بن مالك رواية عن بكاء مَصعَدِ عَمَلِ المؤمن ومَهبِطِ رزقه. البغوي، أبو محمَّد الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوي الشافعي: تفسير البغوي، المسمَّى: معالم التنزيل، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ج٤/ ص١٥٢. الزمخشري: الكشَّاف، ٢١٩/٤. الألوسي: روح المعاني، ج٢٥/ ص١٢٥.

٢ - فِي الأصل: «ومومه»، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٣٧.

مثل مَا حلَّ بهم، ﴿لَيقولُونَ(٣٤) إن هِيَ إلاَّ موتـتُنا الأولى﴾ مَا العاقبـة ونهاية الأمر إلاَّ الموتة الأولى، المزيلة للحياة الدُّنْيَـوِيَّة، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ(٣٥) فـأتوا بآبائنـا﴾ خطـاب لمـن وعدهـم بالنشـور مِـنَ الرسـول والمؤمنـين، ﴿إن كُنتـُم صادقِينَ(٣٦) أهُم خيْرٌ﴾ فِي القوة والمـنَعَة ﴿أم قـوم تُـبَّع﴾؟ أي: ليسـوا خيرا مِنـهُم، ﴿وَالذِينَ مِن قبلهم أهلكناهم إنَّـهُم كَانُوا مُجرمِينَ(٣٧)﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بينهما لاعبِينَ(٣٨) مَا خلقناهمـا إلاَّ بالْحَقِّ﴾ إلاَّ بسبب الحَقِّ الذِي اقتضاه الدليل مِنَ الإيمان، والطاعة والبعث والجزاء، ﴿ولكنَّ أكثرهم لاَ يَعْلَمُونَ(٣٩)﴾ لقلَّة نظرهم.

﴿إنَّ يوم الفصل﴾ فصل الحَقِّ مِنَ الباطل، ﴿ميقاتـُهم﴾ وقـت موعدهـم ﴿أجمعِينَ(٤٠) يوم لاَ يُغني مولىً﴾ (لَعَلَّهُ) أي: قريب عَـن قريـب، مـن قرابـة وَلاَ غيرها، ﴿عَن مـولىً شيْـئًا﴾ مِـنَ الإغنـاء، ﴿وَلاَ هـم يُنصَرُونَ(٤١)﴾ الضمير لـ«مَولى» الأوَّل باعتبار المعنى. ﴿إلاَّ من رحـم ا لله﴾ بـالعفو عَـنْـهُ، وقبول الشفاعة فِيهِ، ﴿إنَّـهُ هُوَ العزيز الرحيم(٤٢)﴾.

﴿إنَّ شجرةَ الزقُّوم(٤٣) طعام الأثيم(٤٤)﴾ كثـيرِ الآثـام. (لَعَلَّهُ) يُـروي عَن النبيء ﷺ قَالَ: «يَـا أَيـُّهَا النَّـاسُ اتَّقُـوا ا لله حـقَّ تُقاتِـه، فلـو أَنَّ قطـرة مِـنَ الزقُّوم عَلَى الأَرْض لأمرت (لَعَلَّهُ) عدَّ معيشتهم»[كذا][1]. ﴿كالـمُهلِ﴾ وَهُوَ مَا

---

١ - أخرجه البغويُّ بسنده عن ابن عَبَّـاس، بلفـظ: «لأَمَـرَّتْ عَلَـى أَهْـلِ الدُّنْيَـا مَعِيشَـتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامَهُ وَلَيْـسَ لَهُـمْ طَعَامٌ غَيْرُهُ». ورواه الترمذيُّ في كتاب صفة جهنَّم: ٢٥١٠ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ ا للهِ صَلَّـى ا للهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـرَأَ هَـذِهِ الآيَـةَ: =

يمهل فِي النار حتَّى يذوب؛ وقيل: دُردِيٌّ[1] الزيت؛ (لَعَلَّهُ) وذَلِكَ زيادة عذاب فوق عذابه، ﴿يَغلِي فِي البطُونَ(٤٥) كَغلي [٥٤٧] الحميم(٤٦)﴾.

﴿خُذُوهُ﴾ عَلَى إرادة القول للزبانيَّة، ﴿فاعتلوه﴾ فجرُّوه؛ العَتْلُ: أخذٌ بمجامع الشَّيْء، وجرُّه بقهر، ﴿إِلَى سواء الجحيم(٤٧)﴾ وسطه. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فوقَ رأسِهِ من عذابِ الحميم(٤٨)﴾ كَانَ فِي وسط الجحيم، ثُمَّ يقال لَهُ زيادة عذاب عَن الجوانب[2]. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيزُ الكريم(٤٩)﴾ أي: قولوا لَهُ ذَلِكَ تقريعا عَلَى مَا كَانَ يزعمه، (لَعَلَّهُ) وفيه بيان أَنَّهُ مِنَ الرؤساء، ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمتَرُونَ(٥٠)﴾ تشكُّون وتمتارون فِيهِ.

﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مُقامٍ﴾ فِي موضع إقامة ﴿أمِينٍ(٥١)﴾ يأمن صاحبه مِنَ الانتقال والآفة. ﴿فِي جَنَّات وعيُونٍ(٥٢)، يلبسون مِن سُندسٍ وإستبرقٍ﴾ قيل: السندس مَا رقَّ مِنَ الحرير؛ والإستبرقُ: مَا غَلُظ مِنْهُ؛ أو

---

﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ونحوه في سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، رقم ٤٣١٦. أحمد: مسند بني هاشم، رقم ٢٥٩٩، ٢٩٧٠، كلُّهم عن ابن عبَّاس. البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص١٥٤. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «الزقوم».

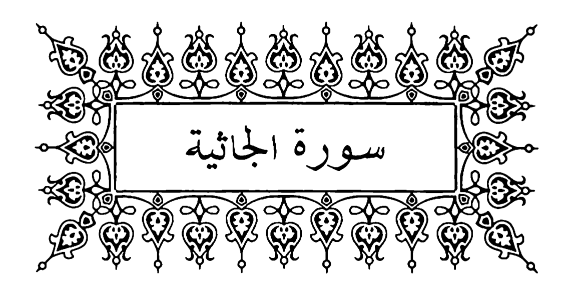
١ - «درديُّ الزيت: مَا يبقى أسفلَه». الفيروزآبادي: القاموس، ص٤٢٥، مَادَّة: «درد».

٢ - فِي الأَصْلِ: «ثُمَّ يقال لَهُ: كَانَ فِي وسط الجحيم زيادة عذاب عَن الجوانب». وفيها خلط واضح.

مشتقٌّ مِـنَ البراقـة؛ ﴿**متـقابـلِينَ(٥٣)**﴾ فِي مجالسـهـم. ﴿**كذَلِـك وزوَّجنـاهم بحُورٍ عِينٍ(٥٤)**﴾ الحوراء: البيضاء، والعيناء: عظيمة العينين. ﴿**يَدْعُون فِيهَـا بِكُـلِّ فاكهـةٍ**﴾ يطلبـون ويَـأْمـُرُون بإحضـار مَـا يشـتهون مِـنَ الفواكـه، وَلاَ يتخصَّـص شـيء مِنهَـا بمكَـانٍ وَلاَ زمـان، ﴿**آمنِـينَ(٥٥)**﴾ مِـنَ الضـرر. ﴿**لاَ يذوقـون فِيهَـا المـوتَ**﴾ لأَنَّ المـوت ينقلهـم عَـن حـالهم، ﴿**إلاَّ الموتَـةَ الأولى؛ ووقاهم عذابَ الجحيم(٥٦)**﴾.

﴿**فضلا من رَبِّـكَ ذَلِكَ هُوَ الفوز العظيم(٥٧)**﴾ لأَنـَّهُ فـوز بالمطـالب، وخـلاص عَـن المكـاره. ﴿**فَإنـَّمَا يسَّـرناه بلِسَـانك**﴾ حيـث أنزلنـاه بلغتـك، ﴿**لَعَلَّهُم يـتـذكَّرُونَ(٥٨)**﴾ لَعَلَّهُم يعلمونه فيـتـذكَّرون بـه. ﴿**فـارتقبْ**﴾ مَـا يحلُّ بهم ﴿**إنـَّهُم مُّرتـقِبُونَ(٥٩)**﴾ مـنـتـظرون.






بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) تنزيل الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم(٢) إنَّ فِي السَّمَاوَات والأَرْضِ لآياتٍ للمؤمنِينَ(٣) وفي خَلقِكم وَمَا يَبثُّ من دَابَّة آياتٌ لقوم يُوقِنُونَ(٤) واختلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا أنزل الله مِنَ السَّمَاء من رزقٍ﴾ من مطر، وسمَّاه رزقا لأَنَّهُ سببه؛ كما تُسمَّى الطاعة نعمة، لأَنَّهَا تُؤدِّي فاعلها إِلَى النعمة الأبديَّة، وكما سَمَّى مَا يُؤكَل من أموال اليتامى ظلما نارا، لأَنَّهُ يُؤدِّي إِلَيْهِا؛ ﴿فأحيا بِهِ الأَرْض بعدَ موتها، وتصريفِ الرياحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها ﴿آياتٌ لقوم يعقلُونَ(٥)﴾.

﴿تلك آياتُ الله﴾ تلك الآيات: دلائله، ﴿نتلوها عليك بِالْحَقِّ، فبأيِّ حديثٍ بعدَ اللهِ﴾ بعد حديث الله وكلامِه، ﴿وآياتِهِ يُؤْمِنُونَ(٦)﴾؟ بعد آيات الله.

﴿ويلٌ لِكُلِّ أفَّاكٍ﴾ كذَّاب ﴿أثيمٍ(٧)﴾ كثير الآثام، ﴿يَسمَعُ آياتِ الله تُتلَى عليه﴾ بإلهام أو سماع، ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يُقيم عَلَى كفره ﴿مستكبرا﴾ عَن الإيمان بالآيات، ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي: كأنَّه لم يسمعها، أي: يصير مثل غير السامع؛ ﴿فبشِّره بعذاب أليمٍ(٨)﴾ فِي الدارين.

﴿وإذا علم من آياتنا شَيْئًا﴾ وإذا بلغه شيء وعلمه أنَّهُ من آياتنا ﴿اتَّخَذَها هُزوًا﴾ أي: إِذَا عَلِم حجَّة مِنَ الحَقِّ بادر إِلىَ الاستهزاء بها، لأَنَّهُ لم يقبلها و لم يعمل بها، وردَّها بالتكذيب، ﴿أُولَئِكَ لَهُم عذابٌ مُّهِينٌ(٩)﴾ يُهينهم فِي الدُّنْيَا [والآخرة][1]. ﴿من ورائهم جَهَنَّمُ﴾ من قدَّامهم، لأَنَّهُم متوجِّهون إِلَيْهِا؛ أو من خلفهم، لأَنَّهُ بعد آجالهم؛ ﴿وَلاَ يُغنِي عَنْهُم [٥٤٨] مَا كسبوا شَيْئًا وَلاَ مَا اتَّخَذُوا من دون ا لله أولياءَ﴾ أي: الأصنام، ﴿ولهم عذاب عظيم(١٠) هَذَا هُدًى وَالذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ربِّهم لَهُم عذابٌ من رجز أليمٌ(١١)﴾ الرِّجْزُ: أشدُّ العذاب.

﴿ا لله الذِي سَخَّر لكم البحرَ لتجريَ الفُلْك فِيهِ بأمره﴾ بتسخيره، ﴿ولتبتغوا من فضله وَلَعَلَّكم تشكرُونَ(١٢) وسخَّر لكم مَّا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض جميعا﴾ بأن خلقها نافعة لكم إِذَا أطعتموه بها وشكرتموها، وإن كفرتموها فعليكم وبالها. قَالَ أبو العَبَّاس المرسي: «يقول: الأكوان كلُّها عبيد مسخَّرة، وأنت عند الحضرة»[كذا] . وفي بعض الآثار المرويَّة عَن ا لله: «ابن آدم خلقتُ الأشياء كلَّها من أجلك، وخَلَقتُك من أجلي، فلا تشتغل بِمَا هُوَ لك عمَّن أنت لَهُ»[2]؛ فالخلق كلُّهم مسخَّرون فِي حقِّ المطيع، لأَنَّهُ ينتفع بجميع مَا خلق ا لله فِي السَّمَاء والأَرْض؛ والمؤمن لم يُسخَّر لشيء مِنَ المخلوقات وإن صدر مِنْهُ نفع لبعض المخلوقات، لأنَّ أجره عَلَى ا لله؛ ومعنى التسخير: يُكلَّف عملاً

١ - من إضافتنا، إذ لا مَعْنَى لتخصيص العذاب بالحياة الدنيا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ السياق.

٢- لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر التفسير والحديث.

بلا جزاء[1] ﴿مِنْهُ إنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لقوم يَتفكَّرون(١٣)﴾ فيمَا تفكَّروا فِيهِ مِنَ المخلوقات، فيعلمون أَنَّهُ مُسخَّر للمتعبِّدين، وَأَنَّهُ ليس خلقا عبثا.

﴿قل للذين آمَنُوا: يَغْفِروا للذين لاَ يَرجُون أيَّام ا لله﴾ لاَ يتوقَّعون الحقائق، ﴿لِيجزيَ قوما بِمَا كَانُوا يَكسبُونَ(١٤) من عملَ صالحا فلِنفسه، ومَن أساءَ فعليها﴾ إذ لها ثواب العمل، وعليها عقابه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرجعُونَ(١٥)﴾ للجزاء.

﴿وَلَقَد آتينا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكتابَ والحكمَ﴾ العمل بمقتضاه، ﴿والنبوَّةَ﴾ إذ كثر فِيهِم الأنبياء يُعلِّمونهم أمر دينهم، ﴿ورزقناهم مِنَ الطَّيِّبَات، وفضَّلناهم عَلَى الْعَالَمِينَ(١٦)﴾ وذَلِك بسبب اجتهادهم. ﴿وآتيناهم بَيِّنَاتٍ مِنَ الأمر﴾ أَدِلَّة فِي أمر الدين والدُّنْيَا، وذَلِك بسبب تلخيصهم[2] للأمور الحَقِّيَّة مِنَ الأمور الوهميَّة. ﴿فما اختلفوا إلاَّ مِن بعدِ مَا جاءهم العلمُ﴾ بحقيقة الحال ﴿بغيا بَيْنَهُم﴾ حسدا، وطلبا للترَّيس ﴿إنَّ رَبَّكَ يقضي بَيْنَهُم يومَ القيامة فيما كَانُوا فِيهِ يختلفُونَ(١٧)﴾.

﴿ثُمَّ جعلناكَ عَلَى شريعةٍ﴾ طريقة، ﴿مِنَ الأمر﴾ أمر الدين، ﴿فاتَّبعها﴾ فاتَّبع شريعتك الثابتة الحجج، ﴿وَلاَ تتَّبع أهواءَ الذِينَ لاَ

---

١ - فِي العبارة خلل، وَلَعَلَّ صوابها: «تكليف عملٍ بلا جزاء». وقال فِي القاموس: «وسخَّره تسخيرا: ذلَّله، وكلَّفه عملا بلا أجرة». الفيروزآبادي: القاموس، ص٣٦٦، مَادَّة: «سخر».

٢ - ويعني به أيضًا: «تخليصهم»، قال فِي القاموس: «التَّلخيص: التبيين والشرح والتخليص». الفيروزآبادى: القاموس، ص٥٦٦، مَادَّة: «لخص».

**يَعْلَمُونَ(١٨)﴾** أَرَادَ الـجُهَّال التَّابعين شهواتهم. **﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنوا عنك مِنَ ا لله شَيْئًا﴾** إن اتَّبعتهم، ووجب عليك الخسران، فلا يدفعوا عنك شَيْئًا، **﴿وإنَّ الظالمين بَعضهم أولياءُ بعضٍ﴾** إذ الجنسية علَّة الانضمام[1] والائتلاف بَيْنَهُم، فلا توالوهم باتِّباع أهوائهم، **﴿وا لله ولِيُّ المُتَّقِينَ(١٩)﴾** فَوالِه بالتُّقى وَاتِّبَاع الشريعة.

**﴿هَذَا﴾** أي: القرآن وَاتِّبَاع الشريعة، **﴿بصائرُ للناس﴾** تِبيانٌ يبصِّرُهم وجهَ الصلاح، ويوصلهم نيل الفلاح، **﴿وهدًى﴾** مِنَ الضلال، **﴿ورحمةٌ﴾** من حيث توصلهم إِلىَ دار النعمة، **﴿لقومٍ يوقِنُونَ(٢٠)﴾** يطلبون اليقِينَ (لَعَلَّهُ) بالدليل.

**﴿أم حسبَ الذِينَ اجترحُوا السَّيِّئَاتِ﴾** أي: اكتسبوها، **﴿أن نجعلهم﴾** أي: نُصَيِّرهم **﴿كالذين آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات، سواء مَحيَاهم** [٥٤٩] **ومَماتُهم﴾** المعنى: إنكار أن تكون حياتهم ومماتهم سواء، **﴿ساء مَا يَحكمُونَ(٢١)﴾** ساء حكمهم هَذَا، أو بِئسَ شَيْئًا حكموا بِهِ ذَلِكَ.

**﴿وخلقَ ا لله السَّمَاوَات والأَرْض بِالْحقِّ﴾** كأنَّه دليل عَلَى الحكم السابق من حيث أنَّ خلق ذَلِك مُقتضًى للعدل، يَستدعي انتصارَ المظلومِ مِنَ الظالِمِ، والتفاوت بين المسيء والمحسن فِي الدارين، **﴿ولتُجزَى كُلُّ نفس بِمَا كسبت وَهُم لاَ يُظلمُونَ(٢٢)﴾** بنقص ثوابٍ، وتضعيف عذاب.

**﴿أفرَأيتَ من اتَّخَذَ إلهه هواهُ﴾** ترك متابعة الهدى إِلىَ متابعة الهوى، فكَانَ يعبده لأَنَّهُ أطاعه؛ لأَنَّ الكافر إِذَا اتَّخَذَ دينه مَا يهواه، فلا يهوى شَيْئًا إِلاَّ رَكِبه،

---

١ - فِي الأَصْلِ: «الانضام»، وَهُوَ خطأ.

لأَنَّهُ لاَ يؤمن با لله وَلاَ يخافه، وَلاَ يُحرِّم مَا حرَّم ا لله؛ وقيل: اتَّخذَ مَعبودَه هـواهُ، فيعبد مَا تهواه نفسه؛ وقيل: سُمِّي الهوى، لأَنَّهُ يُهوي بصاحبه إِلَى النار، **﴿وأضلَّه ا لله﴾** وخذله **﴿عَلَى عِلمٍ﴾** عالما بضلاله وفساد جوهر نفسه الروحانيَّة؛ ومعنى الضلال هاهنـا: مـن طريـق الهـلاك[1]، **﴿وختـمَ عَلَـى سمعـه وقلبـه﴾** فـلا يـُبالي بالمواعظ، وَلاَ يتفكَّر فِي الآيات، **﴿وجعل عَلَى بصره غِشـاوة﴾** فـلا ينظـر بعـين الاستبصار والاعتبار، **﴿فمن يَهديه مِن بَعدِ ا لله﴾** من بعد إضلالـه، وهـو سـبب تركه اختيار الهدى، **﴿أفلا تـذَكَّرُونَ(٢٣)﴾**؟ فتتَّعظون.

**﴿وَقَالُوا: مَا هِيَ﴾** مَا الحياة أو الحال، **﴿إِلاَّ حياتـنا الدُّنـيَا﴾** [الـتِي][2] نَحْنُ فِيهَا **﴿نموت﴾** أي: نكون أمواتا نُطَفا وَمَا قبلهـا، **﴿ونحيَـا﴾** بعـد ذَلِـكَ بمواقعة الآباء لاَ غير، **﴿وَمَا يُهلكنا إِلاَّ الدهـرُ﴾** إلاَّ الزمـان، وَهُـوَ فِي الأصـل مدَّة بقاء العالم؛ مِن دَهَرَه: إِذَا غلبه؛ **﴿وَمَا لَهُم بذَلِك من علم﴾** يعـنِي: نسـبة الحوادث إِلَى حركات الأفلاك، **﴿إِن هُم إلاَّ يظُنـُّونَ(٢٤)﴾** إذ لاَ دليل لَهُـم عليه، وَإِنـَّمَا قالوه بناء عَلَى التعليل والإنكار لِمَا يحسبونه.

**﴿وإذا تُتلى عَلَيْهِـم آياتـُنا بَيِّـنَاتٍ﴾** واضحـات الدلالـة، عَلَى مَـا يخـالف معتقدهـم، أو مبيـِّنات لَـهُ، **﴿مَـا كَـانَ حُجَّـتَهم﴾** مَـا كَـانَ لهـم متشبـِّـث[3] يُعارضونهـا بـهِ، **﴿إلاَّ أن قَـالُوا: ائتـوا بآبائنـا إن كُنتـُـم صادقِينَ(٢٥)﴾** وَإِنـَّمَا سمـَّاه حجَّة عَلَى حسبانهم، ومَساق أمرهم.

---

١ - فِي العبارة خلل، وَلَعَلَّ بها سقطا، أو صوابها: «سلوك طريق الهلاك»، أو نحو ذَلِكَ.

٢ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٤٠.

٣ - فِي الإصل: «ما كان متسنت يعارضونها»، ولا مَعْنَى له، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٤١.

﴿قل: الله يُحيِيكم ثُمَّ يُمِيتكم﴾ عَلَى مَا دلَّت عليه الحُجج؛ ﴿ثُمَّ يَجمعكم إِلَى يومِ القيامة لاَ ريبَ فِيهِ﴾ فإنَّ مَن قدر عَلَى الابتداء قدر عَلَى الإعادة؛ والحكمة اقتضت الإعادة للجزاء، لاَ عَلَى مَا تهواه أنفسهم، ﴿ولكنَّ أكثرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ(٢٦)﴾ لقلَّة تفكُّرهم، وقصور نظرهم عَلَى الأمور الظاهرة دون الحقائق.

﴿و لله مُلكُ السَّمَاوَات والأَرْض﴾ تعميم القدرة بعد تخصيصها، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يَخسَر المُبطِلُونَ(٢٧) وترى كُلَّ أُمَّةٍ جاثيةٍ﴾ قيل: مجتمعة مِنَ الجُثْوَة: وهي الجماعة[1]، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدعى إِلَى كتابها﴾ صحيفة أعمالهم، ﴿اليومَ تُجزَون مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٢٨)﴾. ﴿هَذَا كتابُنا ينطقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ يشهد عَلَيْكُم بِمَا عملتم بلا زيادة وَلاَ نقصان؛ ﴿إِنَّا كُنَّا نَستَنسِخ﴾ نستكتب المَلاَئِكَة ﴿مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٢٩)﴾ أعمالكم.

﴿فأمَّا الذِينَ [٥٥٠] آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات فيُدخِلُهم ربُّهم فِي رحمته﴾ التِي من جملتها الجَنَّة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الفوزُ الْمُبِينُ(٣٠)﴾ الظاهرُ لخلوصه عن الشوائب.

﴿وَأَمَّا الذِينَ كَفَرُوا أفلم تكُن آياتي تُتْلَى عَلَيْكُم فاستَكبرتم﴾ عَن الإيمان، ﴿وكنتم قوما مُجرِمِينَ(٣١)﴾ قوما عادتهم الإجرام. ﴿وإذا قيلَ: إنَّ وعدَ الله حقٌّ﴾ كائن، ﴿والساعةُ لاَ ريبَ فِيهَا، قلتم: مَا ندري مَا

١ - انظر: الفيروزآبادي: القاموس، ص١١٤٢، مَادَّة: «جثو».

**الساعة﴾** أيُّ شيءٍ الساعة؟ استغرابا لها، وذَلِك بلسان المقال، أو لسان الحال، **﴿إن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيقنِينَ(٣٢)﴾** لإمكانه. **﴿وبدا لَهُم﴾** ظهر لَهُم **﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلوا﴾** عَلَى مَا كَانت عليه، بأن عرفوا قبحها وعاينوا عاقبتها، **﴿وحاق بهم مَّا كَانُوا بِهِ يَستهزِءُونَ(٣٣)﴾** وَهُوَ الجزاء، أحاط بهم.

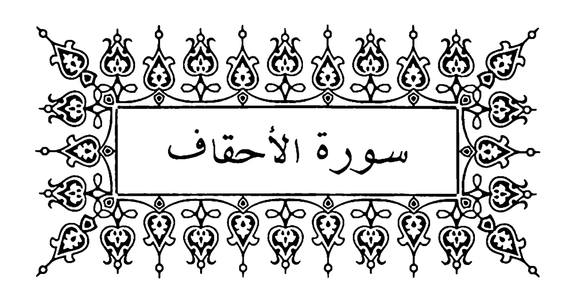
**﴿وقيل: اليومَ ننسَاكم﴾** فنترككم فِي العذاب ترك المنسيِّ، **﴿كما نسيتم لقاءَ يومكم هَذَا﴾** كما تركتم العمل لَهُ، **﴿ومأواكم النارُ وَمَا لكم مِّن نَّاصرِينَ(٣٤)﴾** يُخلِّصونكم مِنْهَا. **﴿ذَلِكم بأنَّكم اتَّخَذتُم آياتِ الله هُزُوًا﴾** استهزأتم بها ولم تبالوا بها، **﴿وغرَّتكم الحياةُ الدُّنْيَا﴾** بظاهرها المزخرف، فظننتم أن لاَ حياة سواها، **﴿فاليومَ لاَ يُخرجون مِنْهَا، وَلاَ هم يُستعتَبُونَ(٣٥)﴾** يُسترضون.

**﴿فلِلَّهِ الحمدُ ربِّ السَّمَاوَات وربِّ الأَرْضِ ربِّ الْعَالَمِينَ(٣٦)﴾** إذ الكلُّ نعمةٌ مِنْهُ، الدالُّ[1] عَلَى كمال قدرته. **﴿وَلَهُ الكبرياءُ﴾** العظمة[2] **﴿فِي السَّمَاوَات والأَرْضِ﴾** إذ ظهرَ فِيهَا آثارها، **﴿وَهُوَ العزيزُ﴾** الذِي لاَ يُغلب، **﴿الحكيمُ(٣٧)﴾** فيما قدَّر وقضى، فاحمدوه وكبِّروه وأطيعوه.

۞۞۞

١ - الصواب ما فِي البيضاويِّ: «دالٌّ»، خبر ثانٍ لـ«الكلُّ». المصدر نفسه.

٢ - فِي الأصل: «العظمعة»، وهو خطأ.



# سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم(١) تنزيلُ الكتاب مِنَ ا لله العزيز الحكيم(٢) مَا خلقنا السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما إلاَّ بِالْحَقِّ﴾ إلاَّ خلقا مُلتَبسا بِالْحَقِّ، وَهُوَ مَا تقتضيه الحكمة، وَهُوَ دلالة عَلَى وجود الصانع الحكيم، والبعث للجزاء، ﴿وأجلٍ مُسمًّى﴾ وبتقدير أجل مُسمًّى ينتهي إِلَيْهِ الكلُّ، وَهُوَ يوم القيامة؛ أو كُلَّ واحد وآخرَ مدَّة بقائه المقدور لَهُ؛ ﴿وَالذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِروا مُعرِضُونَ(٣)﴾ لاَ يتفكَّرون فِيهِ وَلاَ يستعدُّون لحلوله.

﴿قل: أرأيتُم مَّا تَدْعُون من دون ا لله، أروني ماذا خَلَقوا مِنَ الأَرْض، أم لَهُم شرك فِي السَّمَاوَات﴾ أي: أخبروني عَن حال آلهتكم بعد التَّأمُّل فِيهَا، هل يحتمل أن يكون لها فِي نفسها مدخل فِي خلق شيء من أجزاء العالم فتستحقُّ بِهِ العبادة؟ وتخصيص الشرك بالسماوات احتراز عَمَّا يُتوهَّم أنَّ للوسائط شِركة فِي إيجاد الحوادث السفليَّة، ﴿ائتوني بكتابٍ مِن قَبلِ هَذَا﴾ مِن قَبل القرآن، فَإِنَّهُ ناطق بالتوحيد، ﴿أو أَثَارةٍ من عِلم﴾ أو بقيَّة من علم، (لَعَلَّهُ) بقيت عَلَيْكُم من علوم الأَوَّلين، هل فِيهَا مَا يدلُّ عَلَى جواز عبادة

الأصنام، أو الأمر[1] بها؟ ﴿إن كُنتُم صادقِينَ(٤)﴾ فِي دعواكم، وقرئ: «إِثارة» بالكسر، أي: مناظرة، فإنَّ المناظرة تثير المعاني.

﴿ومَن أضَلُّ مِمَّن يدعو مِن دُونِ الله من لاَ يَستجيبُ لَهُ﴾ إنكار أن يكون أحدٌ أضلَّ مِنَ المشركين حيث تركوا عبادة السميع [٥٥١] المجيب، القادر الخبير، إلَى عبادة من لاَ يستجيب لَهُم، و لم يسمع دعاءهم، فضلا أن يعلم سرائرهم، ويراعي مصالحهم، ﴿إلَى يوم القيامة﴾ مَا دامت الدُّنْيَا (لَعَلَّهُ) وبعد فنائها[2] أحرى أن لاَ يستجيب لَهُ، بَل يكونون لَهُم أعداء، كما قَالَ فِي الآية الآتية؛ وذَلِك يقتضي كُلَّ مَا أشغله وأغفله وأنساه وتعامى بِهِ، من مال وأهل وصنم وهوى ونفس وشيطان، ﴿وَهُم﴾ (لَعَلَّهُ) يعني الأوثان ﴿عَن دعائهم غافلُونَ(٥)﴾ لأَنَّهُم إمَّا جمادات، وَإمَّا عباد مُسخَّرون مُشتغلون بأحوالهم، لاَ يسمعون وَلاَ يفهمون. ﴿وإذا حُشِرَ الناسُ كَانُوا لَهُم أعداءً﴾ يضرُّونهم وَلاَ يَنفعونهم، ﴿وكَانُوا بعبادتهم كَافِرِينَ(٦)﴾ مُكذِّبين بلسان الحال أو المقال.

﴿وإذا تُتلى عَلَيْهِم آياتنا بيِّنات﴾ واضحات للمستبصرين، ﴿قَالَ الذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءهم: هَذَا سِحرٌ مُبِينٌ(٧)﴾ وَهُوَ بمعنى التكذيب لَهُ. ﴿أم يقولون: افتراه، قل: إن افتريته فلا تملكون لي مِنَ الله شَيْئًا﴾ أي: إن عاجلني بالعقوبة، فلا تقدرون عَلَى دفع شيء مِنْهَا، فكيف أجترئ عليه،

---

١ - فِي الأَصْلِ: «أو للأمر»، ولا مَعْنَى للام الجرِّ. والصواب من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٤٢.

٢ - في الأصل: «فاءيها... بَل يكونوا»، وفي العبارة خطآن.

وأُعرِّض نفسي للعقاب من غير توقُّع نفع، وَلاَ دفع ضرٌّ مـن قِبلكـم؟!، **﴿هُـوَ أعلمُ بِمَا تُـفيضون﴾** تخوضون **﴿فِيهِ﴾** تـندفعون فِيهِ مِنَ القدح فِي آياتـه، **﴿كفى بِـهِ شـهيدا بـيني وبـينكم﴾** يشـهدُ لِي بـالبلاغ، وعليكـم بـالكذب والإنكار، **﴿وَهُوَ الغفُور الرحيم(٨)﴾**.

**﴿قُل: مَا كنـت بِدعًـا مِّنَ الرُّسُلِ﴾** بديعا مِنـْهُم، أدعوكـم إِلَى مَـا لاَ يَدعون إِلَـيْه؛ أو لست أَوَّل مُرسل فتنكروا نُبوَّتي، **﴿وَمَا أدري مَـا يُـفعل بي وَلاَ بكم﴾** فِي الدارين عَلَى التفصيـل، إذ لاَ علـم لي بـالغيب، **﴿إن أتـبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إليَّ﴾** لاَ أتجاوزه، وَهُوَ جواب عَن اقتراحهم، [و]الإخبار عمَّـا لم يوحَ إِلَـيْـهِ مِنَ الغيوب، **﴿وَمَا أنا إلاَّ نذيرٌ﴾** عَن[1] عقابِ ا لله **﴿مُبينٌ(٩)﴾**.

**﴿قل: أرأيتم إن كَانَ مِنْ عندِ ا لله﴾** أي: القرآن، **﴿وكفرتم بِهِ، وشـهدَ شاهدٌ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** قيل: الشاهدُ هُوَ عبد ا لله بن سلاَّم، أو موسـى ﷺ وشهادته مَا فِي التَّوْرَاة من بعثة الرسول ﷺ **﴿عَلَى مِثلِه﴾** مثل: القرآن، وَهُوَ مَا فِي التَّوْرَاة مِنَ المعاني المصدِّقة للقرآن المطابقة لَهُ؛ أو مثل ذَلِـكَ لكونـه مـن عند ا لله؛ **﴿فـآمنَ﴾** أي: الشاهد، **﴿واسـتكبرتُم﴾** عَـن الإيمـان، **﴿إنَّ ا للهَ لاَ يَهدي القومَ الظالِمِينَ(١٠)﴾**.

**﴿وقال الذِينَ كَفرُوا للذين آمَنُوا: لو كَانَ خيرًا﴾** أي: الإيمان وَمَا أتـى بِهِ، **﴿مَا سبقونا إِلَـيْـهِ﴾** أي: كذبٌ سابق (لَعَلَّهُ) يلقيـه الآخرُ عَـن الأَوَّل[2]،

---

١ - الصواب: «من». كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٤٣.

٢ - لم يَتَّضِح لنا مَعْنَى هَذِهِ العبارة، و لم نجد فيما بين أيدينا من المصادر تفسيرا للآية يشبه =

﴿وإذْ لم يهتدوا بِهِ﴾ أي: إِلَىٰ العمل بمقتضاه، كما اهتدى بِهِ أهل الإيمان، ﴿فسيقولون: هَذَا إفكٌ قديم(١١) ومِن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كِتَاب موسى إماما ورحمةً﴾ (لَعَلَّهُ) واجب أن يُؤتَمَّ بِهِ، لأَنَّهُ يهدي إِلَىٰ خير الدارين، ﴿وهذا كِتَابٌ مُصدِّق لسانا[1]﴾ لكتاب موسى، أو لِمَا بين يديه، ﴿عربيًّا﴾ إشعار بالدلالة عَلَى أن يكون مُصدِّقا للتوراة، كما دلَّ عَلَى أَنَّهُ حقٌّ دلَّ عَلَى أَنَّهُ وحيٌ وتوفيق مِنَ الله، ﴿لِيُنذرَ الذِينَ ظلموا وبُشرى [٥٥٢] للمحسنِينَ(١٢)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا﴾ جمعوا بين التوحيد الذِي هُوَ خلاصة العلم، والاستقامة فِي الأمور التِي هِيَ مُنتهى العمل، و«ثُمَّ» للدلالة عَلَى تأخُّر رُتبة العمل، وتوقُّف اعتباره عَلَى التوحيد، ﴿فلا خوفٌ عليهم﴾

---

=

هَذَا، وَإِنَّمَا مدار تفسيرها ما أوضحه الألوسي حين قال: «أي: قالوا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقنا إِلَيْهِ أولئك الذين بلغنا إيمانهم... وقالوا ذَلِكَ لَمَّا رأوا أَنَّ أكثر المؤمنين كانوا فقراء ضعفاء كعمَّار وصهيب وبلال، وكانوا يزعمون أَنَّ الخير الدينيَّ يتبع الخير الدنيويَّ، وَأَنَّهُ لا يتأهَّل لِلأَوَّل إِلاَّ من كان له القدح المعلَّى من الثاني». الألوسي: روح المعاني، ج٢٦/ ص١٤. وانظر نحو ذَلِكَ فِي: الزمخشري: الكشَّاف، ٢٣٨/٤. البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص١٦٦. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص ١٤٣. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٨١.

١ - الصواب أن تتأخَّر لفظة «لسانا»، إِلَىٰ المقطع اللاحق، لِئَلاَّ يفصل بين الصفة والموصوف، وليكون التفسير أوفق كما يلي: «﴿وهذا كِتَابٌ مُصدِّق﴾ لكتاب موسى...»، كما فِي البيضاوي: المصدر نفسه.

عَن[1] لحوق مكروه، ﴿وَلاَ هم يحزنُونَ(١٣)﴾ عَن فوات محبوب. ﴿أُولَـئِكَ أصحابُ الجنـَّةِ خالدين فِيهَا جزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٤)﴾ مِـن اكتسـاب الفضائل العلميـَّة والعمليـَّة.

﴿ووصَّينا الإنسانَ بوالديه إحسانـًا، حملته أمُّه كَرها ووضعَـتْهُ كرهًـا﴾ أي: بمشقَّة، ﴿وحَملُه وفِصالُه ثلاثون شهرا﴾ كُلُّ ذَلِكَ بيان لِمكابدة الأُمِّ فِي تربية الولد، مُبالغة فِي التوصِيـَة بها، ﴿حَتَّى إِذَا بلغَ أشُدَّه﴾ اكتهل واسـتكمل قوَّته وعقله، ﴿وبلـغ أربعـين سـنةً قَـالَ: ربِّ أوزعـني﴾ ألهمـني ﴿أن أشـكرَ نعمتَـك التِـي أنعمـتَ علـيَّ وعَلَـى والـدَيَّ﴾ نعمـة الإيجـاد والإسـلام، وإمدادهما، ﴿وأن أعملَ صالحا تَرضاه، وأصلحْ لي فِي ذرِّيـتِي﴾ واجعـل لي الصلاح ساريًا فِي ذرِّيتِي، راسخا فِيهِم، (لَعَلَّهُ) بـأن تجعلَهـم مؤمنـين صـالحين، ﴿إنـِّي تُبـتُ إليـك﴾ مِمَّـا لاَ ترضـاه أو يشـغلُ عنـك، ﴿وإنـِّي مِـنَ الـمُسْلِمِينَ(١٥)﴾ المنقادين لأمرك، المذعنين لطاعتك، المخلصين لدينك.

﴿أُولَـئِكَ الذِيـنَ نـتقَـبَّل عَـنْـهُم أحسـنَ مَـا عملـوا﴾ مِـنَ الفرائــض والوسائل، ﴿ونـتجاوز عَـن سيـِّئاتهم﴾ عَـن صغـائر، ذنوبهـم مَـا اجتـنـبوا الكبائر، ﴿فِي أصحاب الجنـَّة﴾ كائنين فِي عددِهــم، ﴿وَعْـدَ الصِّدْقِ الـذِي كَانُوا يوعَدُونَ(١٦)﴾ أي: فِي الدُّنْـيَا.

﴿والذي قَالَ لوالديه: أُفٍّ لكما أتَـعِدَانِنِيَّ أن أُخْرَجَ﴾ أن أُبعث، ﴿وقد خَلَتِ القرونُ مِن قبلِي﴾ فلم يرجع مِنْـهُم أحد، ﴿وهمـا يسـتغيـثَانِ الله﴾

---

١ - الصواب: «من»، كما فِي البيضاوي: المصدر نفسه.

يقولان: الغياث با لله منك؛ أو يسألانه أن يُغيثه بالتوفيق للإيمان: ﴿**ويلَكَ آمِنْ**﴾ أي: يقولان لَهُ: «ويلك»، وَهُوَ الدعاء بالثبور بالحثّ عَلَى مَا يخاف عَلَى تركه، ﴿**إنَّ وعدَ ا لله حقٌّ، فيقول: مَا هَذَا إلاَّ أساطيرُ الأوَّلينَ(١٧)**﴾ أباطيل الأوَّلين التِي كتبوها.

﴿**أولَئِكَ الذِينَ حقَّ عَلَيْهِمُ القولُ**﴾ بأنَّهم أهل النار ﴿**فِي أُممٍ قد خلَت مِن قبلهم**﴾ كقوله فِي أصحاب الجنَّة، ﴿**من الجنِّ والإنس**﴾ بيان للأمم، وأنَّ الجنَّ يموتون مثلنا ويحيون، بدليل قوله: ﴿قد خلت﴾، ﴿**إنَّهم كَانُوا خاسرِينَ(١٨) ولكلٍّ**﴾ مِنَ الفريقين ﴿**درجاتٌ مِمَّا عملوا**﴾ مراتبٌ من جزاء مَا عملوا مِنَ الخير والشرِّ، ﴿**وليُوفِّيهم أعمالهم**﴾ جزاءها، ﴿**وَهُم لاَ يُظلمُونَ(١٩)**﴾ بنقصِ ثواب، وزيادة عقاب.

﴿**ويوم يُعرَض الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّار**﴾ يُعذَّبون بها، ويُقال لَهُم عَلَى معنى التوبيخ: ﴿**أَذْهَبْتم طيِّباتكم**﴾ لذَّاتكم، بالشهوات المحظورة ﴿**فِي حياتكم الدُّنْيَا، واستمتَعْتُم بها**﴾ مِمَّا هُيِّئ لكم منهَا، بقول: ﴿أذهبتم طَيِّبَاتكم﴾ يعنِي: اللذَّات، وتمتَّعتم بها فِي غير أوانها، يقول: استعجلتم ذَلِكَ؛ ﴿**فاليوم تُجزَون عذاب الهُون**﴾ الهَوَان، ﴿**بِمَا كُنتُم تستكبرون فِي الأَرْض بغيرِ الحَقِّ، وبما كُنتُم تَفسُقُونَ(٢٠)**﴾ بسبب الاستكبار بالباطل، والفسوق عَن طاعة ا لله.

﴿**واذْكُرْ أخا عادٍ**﴾ [٥٥٣] يعنِي: هودا، ﴿**إذْ أنذَرَ قومه بالأحقاف**﴾ (لَعَلَّهُ) منازلهم بالأحقاف إذ [هي] بين عُمان ومهرة؛ والأحقاف: الرمال

العظام؛ ﴿وقد خَلَت النُّذُرُ من بين يديه ومن خلفه: ألاّ تعبدوا إلاّ ا لله، إنِّي أخاف عَلَيْكُم عذاب يوم عظيم(٢١)﴾ هائل. ﴿قَالُوا: أجئتنا لتأفِكَنا﴾ لتصرفنا بإفكك ﴿عَن آلهتنا﴾؟ عَن اتِّبَاع مَا نهواه بغير الحَقِّ، لتَعُمَّ كُلَّ معبود من دون ا لله؛ ﴿فأتنا بِمَا تَعدُنا﴾ مِنَ العذاب عَلَى المعاصي، ﴿إن كنتَ مِنَ الصادقِينَ(٢٢)﴾ فِي (لَعَلَّهُ) وعدك.

﴿قَالَ: إنَّمَا العلم عند ا لله﴾ لاَ علم لِي بوقت عذابكم، وَإنَّمَا علمه عند ا لله، فيأتيكم بِهِ فِي وقته المقدَّر لَهُ، ﴿وأُبَلِّغكُم مَّا أُرسِلتُ بِهِ﴾ وَمَا عَلَى الرسول إلاَّ البلاغ، ﴿ولكنِّي أراكم قوما تَجهلُونَ(٢٣)﴾ لاَ تَعْلَمُونَ أنَّ الرُّسُل بُعثوا مبلِّغين منذرين، لاَ معذِّبين مقترحين.

﴿فَلَمَّا رَأوه عَارِضا﴾ سحابا عرض فِي أفق السَّمَاء، ﴿مُستقبلَ أوديِتهم﴾ متوجِّهَ أوديتهم؛ ﴿قَالُوا: هَذَا عارضٌ مُّمطِرنا﴾ قيل: ﴿بَل هُوَ مَا استعجلتم بِهِ﴾ مِنَ العذاب، ﴿ريح فِيهَا عذابٌ أليم(٢٤) تُدمِّر﴾ (لَعَلَّهُ) تُهلك ﴿كلَّ شيء﴾ (لَعَلَّهُ) أتَت عليه ﴿بأمر ربِّها﴾ لاَ تتجاوز غير أمره، أي: لاَ تهلك شَيْئًا لم تُؤمَر بإهلاكه، وَلاَ تُبقي شَيْئًا أُمِرت بإهلاكه، ﴿فأصبحُوا لاَ يُرى إلاَّ مساكنهم كذَلِك نجزِي القومَ المجرمِينَ(٢٥)﴾.

﴿وَلَقَد مكَّنَّاهم فيما إن مكَّنَّاكم فِيهِ﴾ (لَعَلَّهُ) جعلنا لَهُم عقولا لاَ يُميِّزون[1] بها بين الحَقِّ والباطل، كما قَالَ: ﴿وجعلنا لَهُم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾

١ - في الأصل: «يميزوا»، وهو خطأ.

ليعرفوا تلك النعمة، وليستدلُّوا بها عَلَى مانِحها، ويُواضبوا عَلَى شكرها؛ ﴿فما أغنى عَنْهُم سَمعُهم وَلاَ أبصارُهم وَلاَ أفئدتهم مِّنْ شيءٍ﴾ مِنَ الإغناء فِي الدارين، لأَنَّهُم لم يريدوا بذَلِك وجه ا لله، بَل كَانَت سبب عذابهم، كما قَالَ: ﴿لم يَزده ماله وولده إلاَّ خسارا﴾[1]. ﴿إذ كَانُوا يَجحدون بآيَاتِ ا لله وحاق بهم مَّا كَانُوا بِهِ يستهزِءُونَ(٢٦)﴾ إذ كلُّ جاحد لشيء تارك لَهُ، غير عامل بِهِ، فهو مستهزئ بِهِ فِي المعنى، وإن لم ينطق بلسانه.

﴿وَلَقَد أهلكنا مَا حَولكُم مِّنَ القُرَى﴾ (لَعَلَّهُ) عبرة لمن رآهم أو سمع بهم، ﴿وصرَّفنا الآيات﴾ بتكريرها، ﴿لَعَلَّهُم يرجعُونَ(٢٧)﴾ عَن كفرهم. ﴿فلولا نصرَهم الذِينَ اتَّخَذُوا مِن دون ا للهِ قُربَانا آلهَةً﴾ فهلاَّ مَنعَهم مِنَ الهلاك آلهتهم الذِينَ يتقرَّبون بهم إِلَىَ ا لله، حيث قَالُوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند ا لله بَل ضلُّوا عَنْهُم﴾ غابوا عَن بصرهم وبصيرتهم، ﴿وذَلِك إفكهم﴾ وذَلِك الاتِّخاذ الذِي صرفهم عَن الحَقِّ، ﴿وَمَا كَانُوا يفترُونَ(٢٨)﴾ (لَعَلَّهُ) مِنَ القول والعمل.

﴿وإذ صَرَفنا إليك نفرا مِّنَ الجنِّ﴾ نُقباء مِنْهُم، ﴿يستمعون القرآنَ؛ فَلَمَّا حضروه، قَالُوا: أنصتوا﴾ قَالَ بعضهم لبعض: اسكتوا[2] لنسمعه؛ ومعنى الإنصات: الإقبال إِلَيْهِ بالقلوب الفارغة مِنَ العلل، لتنكشف لها حقيقته؛ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ أي: كَمُل، و(لَعَلَّهُ) استمعوه من أَوَّلهُ إِلَى آخره،

---

١ - سورة نوح: ٢١.

٢ - في الأصل: «استكوا»، وهو خطأ.

لتقوم الحُجَّة عَلَيْهِم وعَلَى قومهم، لأنَّهُم متعبّدون بما فِيهِ؛ وَلَعَلَّ الجنَّ يتلقَّفون العلم مِنَ الإنس بهذا الدليل؛ وجاز مِنْهُم أن يستمعوا التأويل [٥٥٤] والسنَّة، كما استمعوا مِنْهُ التنزيل، لأَنَّ التنزيل لاَ يُغنيهم عَن السنَّة، وإذا جاز أن يسمعوا التأويل مِنَ الرسول، جاز أن يستمعوه مِنَ العلماء المحقّين، ﴿وَلَّوا إِلَى قومهم منذِرِينَ(٢٩)﴾.

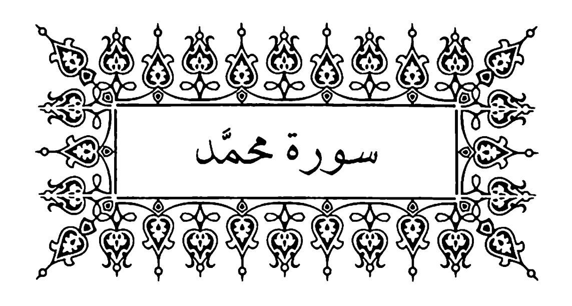
﴿قَالُوا: يا قومنا إِنَّا سمعنا كِتَابًا أُنزِل من بعد موسى، مصدِّقا لِمَا بين يَديه، يهدي إِلَى الحَقِّ وإلى طريقٍ مُسْتَقِيم(٣٠)﴾ (لَعَلَّهُ) قيل: كَانَ دينهم اليهوديَّة، لأَنَّهُم ذكروا موسى و لم يذكروا عيسى. ﴿يا قومَنا، أَجيبوا دَاعيَ ا لله، وآمَنُوا بِهِ يَغْفِرْ لكم من ذنوبكم ويُجِرْكم من عذاب أليم(٣١) ومن لاَ يُجِبْ داعيَ ا لله فليس بِمعجزٍ فِي الأَرْضِ﴾ إذ لاَ يُنجي مِنْهُ مَهْرَب، ﴿وليس لَهُ من دونه أولياءَ، أُولَئِكَ فِي ضلال مُبِينٍ(٣٢)﴾ حيث أَعرضُوا عَن إجابة مَن هَذَا شأنه.

﴿أَولَم يروا أنَّ ا لله الذِي خلقَ السَّمَاوَات والأَرْض ولم يَعيَ بِخلقهنَّ﴾ ولم يتعب و لم يعجز؛ والمعنى: أنَّ قدرتَه واجبة، لاَ تنقص وَلاَ تنقطع بالإيجاد، ﴿بقَادرٍ عَلَى أن يُحيِيَ الموتى؟ بلى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيء قدير(٣٣)﴾.

﴿ويوم يُعرَض الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النار، أليس هَذَا بالْحَقِّ﴾؟ والإشارة إِلَى العذاب، ﴿قَالُوا: بلى وربِّنَا؛ قَالَ: فذوقوا العذاب بِمَا كُنتم تكفرُونَ(٣٤)﴾ بكفركم فِي الدُّنْيَا.

﴿**فاصبر كما صبرَ أولو العزمِ مِنَ الرُّسُل**﴾ أولوا الثَّبات والجدِّ مِنْهُم، وأولوا العزم: أصحاب الشرائع، اجتهدوا فِي تأسيسها وتقريرها، وصبروا عَلَى تحمُّل مشاقِّها ومعاداة الطاعنين فِيهَا؛ ومشاهِرُهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ﴿**وَلاَ تستعجلْ لَّهُم**﴾ لكفَّار قريش، وغيرهم من أهل عصره، فَإِنَّهُ نازل بهم فِي وقته لاَ محالة، ﴿**كأنَّهم يومَ يرون مَا يُوعدون**﴾ مِنَ العذاب، ﴿**لم يلبثوا**﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿**إلاَّ ساعةً مِن نهارٍ**﴾ استقصَروا مدَّة لَبثِهم فِي الدُّنْيَا حَتَّى يحسبونها ساعة، ﴿**بلاغٌ**﴾ هَذَا الذِي وُعظتم بِهِ، أو هَذِهِ السورة بلاغ، أي: كفاية أو تبليغ مِنَ الرسول، ﴿**فهل يُهلَك إلاَّ القوم الفاسقُونَ(٣٥)**﴾؟ الخارجون عَن الطاعة.






بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سبيل ا لله أضلَّ أعمالهم(١) وَالذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات وآمَنُوا بِمَا نُزِّل عَلَى محَمَّدٍ﴾ يعني: لم يخالفوه فِي شيء ﴿وَهُوَ الحَقُّ من ربِّهم؛ كفَّر عَنْهُم سَيِّئَاتهم وأصلحَ بالَهم(٢)﴾ حالهم فِي الدين والدُّنْيَا، بالتوفيق والتأييد. ﴿ذَلِكَ بأنَّ الذِينَ كَفَرُوا اتَّبعوا الباطلَ وأنَّ الذِينَ آمَنُوا اتَّبعوا الحَقَّ من ربِّهم﴾ بسبب اتِّبَاع هؤلاء الباطل، وَاتِّبَاع هؤلاء الحَقَّ، ﴿كذَلِك يضربُ ا لله للناس﴾ يُبَيِّنُ لَهُم ﴿أمثالهم(٣)﴾ أحوال الفريقين، أو جعل اتِّبَاع الباطل مثلا لعمل الكُفَّار، وَاتِّبَاع الحَقِّ مثلا للمؤمنين.

﴿فإذا لقِيتمُ الذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي المحاربة ﴿فضَرْبَ الرِّقَاب حَتَّى إِذَا أثخنتُمُوهُم﴾ أكثرتم قتلهم، وأغلظتموه؛ مِنَ التخين: وَهُوَ الغليظ[1]، ﴿فشُدُّوا الوثاقَ﴾ فَأْسِروهم واحفظوهم، ﴿فإمَّا مَنًّا بَعْدُ [٥٥٥] وَإمَّا فِداء﴾ أي: فإمَّا تمنُّون مَنًّا، أو تفدون فداء، ﴿حَتَّى تَضَعَ الحربُ أوزارَها﴾ آلاتها وأثقالها التِي لاَ تقوم إلاَّ بها، كالسلاح والكراع، أي:

١ - فِي الأَصْل: «الغلظ».

تـنـقضيَ[1] الحرب، ولم يبق إلاَّ مسلم أو مسالم؛ والمعنى: حَتَّـى (لَعَلَّـهُ) يـترك أهل الحرب شركهم ومعاصيهم، كقوله: ﴿وقاتلوهم حَتَّى لاَ تكون فتنـةٌ﴾[2] ظاهرةٌ بـين ظُهراني أهـل الإسـلام، فـإنَّ البـاطن لم يضـرَّ، إذ لم يُتعبَّـدوا بـهِ، ﴿ذَلِكَ ولـو يَشَـاء الله لانتـصَر مِنـْهُم﴾ لانـتـقمَ مِنـْهُم بالاستـئصال، ﴿ولكـن لِيـبلُوَ بعضَكـم ببعـض﴾ ولكـن أمركـم بالقتـال لِيُبلِـي المؤمنـين بالْكَافِرِينَ، بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم؛ والْكَافِرِينَ بالمؤمنين، بأن يعاجلهم عَلَى أيديهم ببعض عذابهم، كي يرتدع بعضهم عَن الكفر.

﴿وَالذِينَ قُتلوا فِي سـبيل الله﴾ أي: جـاهدوا، ﴿فلـن يضـلَّ أعمـالهم(٤)﴾ فلن يُضيـِّعها. ﴿سـيهديهم﴾ إلىَ الثـواب؛ أو سيثبـِّـت مداومتهـم، ﴿ويـُصلح بالَهم(٥)﴾ حالَهم فِي الدارين. ﴿ويُدخلهم الجَـنَّة عرَّفها لَهُـم(٦)﴾ قيـل: عرَّفهـا لَهُم فِي الدُّنـْيَا حَتَّى اشتاقوا إِلَـيْها، فعملـوا بِمَـا استحقُّوها بـهِ؛ وقيـل: بيـَّن لَهُـم مساكنهم حَتَّى يهتدوا لها، حَتَّى أَنَّهُ اهتدى[3] إِلىَ منزله ودرجته وزوجته وخدمه.

﴿يَـا أَيـُّهَا الذِيـنَ آمَنـوا إن تَنـصُروا الله﴾ أي: دينـه، ﴿ينصُرْكـم﴾ بالتوفيق، ﴿ويثبـِّت أقدامَكم(٧)﴾ بالقيام بحقوق الإسلام. ﴿وَالذِينَ كَفَـرُوا فَتَعْسًا لَهُم﴾ دعاءٌ عَلَيْـهِـم بالهلاك، ﴿وأضلَّ أعمالهم(٨)﴾ الضَّال: مَـا لاَ

١ - فِي الأَصْلِ: «تنقض»، ولا مَعْنَى له.

٢ - سورة البقرة: ١٩٣. الأنفال: ٣٩.

٣ - فِي العبارة خلل، وفِي تفسير البيضاوي: «أو بيَّنها لهـم بحيث يعلم كلُّ واحد منزلـه ويهتدي إِلَيْهِ». ج٤/ ص١٤٧.

يُنتَـفع بِهِ؛ ﴿ذَلِكَ بأنَّـهم كَرِهوا مَا أنزل ا للهُ﴾ القرآن، لِمَا فِيهِ مِنَ التوحيد والتكاليف المخالفة لِمَا ألفوه واشتهته أنفسهم، ومن لم يعمل بمقتضاه كَـانَ فِي المعنى كارها لَهُ مستهزئًـا بِهِ، ﴿فأحبط أعمالهم(٩)﴾.

﴿أفلم يسيروا فِي الأَرْض[1] فينظروا كيف كَـانَ عاقبةُ الذِيـنَ مِـن قبلهم﴾ من آبائهم وإخوانهم وأزواجهم وجيرانهم، وَالذِينَ يسمعون بهم مـن كُلٍّ من عصـى ا لله وأهلكهـم، ﴿دمَّـرَ ا للهُ عليهم﴾ استأصل عَـلَـيْـهِـم مَـا خُصُّوا بِهِ من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ﴿وللكَـافِرِينَ أمثالها(١٠)﴾ أمثالُ تلك العاقبة. ﴿ذَلِكَ بأنَّ ا للهَ مولى الذِيـنَ آمَنُـوا﴾ نـاصرهم عَلَى أعدائهـم، ﴿وأنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مولىَ لَهُم(١١)﴾ فيدفع العذابَ عَـنْـهُم.

﴿إنَّ ا للهَ يدخلُ الذِينَ آمَنُوا وعملوا الصَّالِحَات جَنـَّات تجري من تحتـها الأنهارُ، وَالذِينَ كَفَرُوا يتمتَّعون﴾ بمتاع الحياة الدُّنْـيَا، ﴿ويـأكلون كما تـأكلُ الأنعامُ﴾ حَرِصين غـافلين عَـن العاقبـة، (لَعَلَّـهُ) هِمَّـة ليس لَهُـم[2] إلاَّ بطونهـم وفروجهم وشهواتهم وأهويتهم ﴿والنارُ مثوى لَهُم(١٢)﴾ منزل ومقام.

﴿وكأيِّن من قرية هِيَ أشدُّ قُوَّةً مِن قريتك التِي أَخرجَتك، أهلكنـاهم فلا ناصر لَهُم(١٣) أفمن كَانَ عَلَى بيِّـنة من ربِّـه﴾ حجَّـة مـن عنـده وَهُـوَ القـرآن، أو مَـا يعـمُّ مِنَ الحجـج العقليـَّة، ﴿كمـن زُيِّـن لَـهُ سـوءُ عملـه﴾ كالمعاصي الجليـَّة والخفيـَّة، (لَعَلَّهُ) وليس لها برهان من ربِّـه إلاَّ اتِّـبَاع الهـوى، ﴿واتَّـبعوا أهواءهم(١٤)﴾ لاَ تردعُهم حجَّة حقٍّ عَن اتِّـبَاع الهوى.

---

١ - فِي الأصل: - «الأرض»، وهو سهو.

٢ - الصواب: «ليست لهم هِمَّةٌ إِلاَّ بطونهم...».

[٥٥٦] ﴿مثلُ الجنَّة التِي وُعدَ المتَّقون﴾ أي: فيما قصصنا عليك من صفتها العجيبة، ﴿فِيهَا أنهارٌ من ماء غير آسن﴾ غير متغيِّر طعمه وريحه، ﴿وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمُه، وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين﴾ لذيذة لاَ تكون فِيهَا كراهة، ﴿وأنهار من عسلٍ مصفًّى﴾ لم يخالطه شمع وقاذورات النحل؛ وفي ذَلِكَ مثلٌ لِمَا يقوم مقام الأشربة[1] فِي الجنَّة بأنواع مَا يستلذُّ بها فِي الدُّنْيَا، بالتجريد عَمَّا ينقصها وينغِّصها، والوصف بمَا يوجب عذوبتها واستمرارها، ﴿ولهم فِيهَا من كلِّ الثمرات﴾ (لَعَلَّهُ) مِمَّا تشتهيه أنفُسهم، ﴿ومغفرةٌ من ربِّهم﴾ (لَعَلَّهُ) والستر لذنوبهم، من أجلِّ النِّعم، حيث لم يُؤاخذوا بها كمثل الكُفَّار، كما أنَّ إحباط أعمال الكُفَّار من أشدِّ التحسُّر حيث [لم] يثابوا بها كما أثيب المؤمنُونَ (لَعَلَّهُ) بأعمالهم، فصارت ثوب[2] المؤمنين نعمة لَهُم بها فِي الجنَّة، وصارت (لَعَلَّهُ) أعمالُ الخير للكَافِرِينَ عذابا لَهُم فِي النار، كما قَالَ: ﴿...أعمالهم حسرات عليهم﴾[3]. ﴿كمَن هُوَ خالدٌ فِي النار﴾ يعني: المُتَّقِينَ أهل الجنَّة كمن خالد فِي النار، ﴿وسُقوا ماءً حميمًا﴾ مكَانَ الأشربة المستلذَّة، ﴿فقَطَّع أمعاءَهم(١٥)﴾ من فرط الحرارة.

﴿ومِنْهُم من يستمعُ إليك، حَتَّى إِذَا خرجوا من عندك﴾ يعني: المنافقين كَانُوا يحضرون مجلس الرسول ﷺ ويسمعون كلامه، فإذا خرجوا ﴿قَالُوا

---

١ - فِي الأصل: «للأشربة»، وهو خطأ.

٢ - وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية ولم يكتب فيها شَيْئًا، وَفِي العبارة خلل واضح، صوابها: «فصارت ثوابا للمؤمنين، ونعمة لهم بها فِي الجَنَّة...».

٣ - سورة البقرة: ١٦٧؛ وتمامها: ﴿كَذَلِكَ يريهم الله أعمالَهم حسراتٍ عَلَيْهِم، وما هم بخارجين من النار﴾.

**للذين أُوتوا العلمَ﴾** أي: لعلماء الصحابة: **﴿ماذا قَالَ آنفا﴾**؟ ماالذي قَالَ الساعة؟ استهزاءً، **﴿أولَـئِكَ الذِيـنَ**[1] **طَبـع ا لله عَلَـى قلوبهـم واتـَّبعوا أهواءَهم(١٦)﴾** فلذَلِك استهزؤوا وتهاونوا بكلامه. **﴿وَالذِينَ اهتَدوا زادهُم هدًى﴾** أي: زادهم ا لله بـالتوفيق والإلهـام، **﴿وآتـاهم تقواهـم(١٧)﴾** بيـَّن لَهُم مَا يتـَّقون، أو أعانهم عَلَى تقواهم، وأعطاهم جزاءهم.

**﴿فهل ينظرون إلاَّ الساعةَ﴾** وهي الساعة التِي تفنى فِيهَا آجـالهم، **﴿أن تأتيهم بغتة﴾** لأنـَّهُم يظُنـُّون أنـَّهُمْ بعدُ يعيشون، وأنَّ المـوت بعيـد، فأنـاختهم رواحلـه، **﴿فقـد جـاء أشـراطها، فأنـَّى﴾** فكيـف **﴿لَهُـم إِذَا جـاءتهم ذِكراهم(١٨)﴾** أي: فلا يـنفع التذكـُّر حين يُعـاين مَلاَئِـكَة المـوت لقبض روحه، أو عاقبة ذكراهم، حيث لم ينتـفعوا بها.

**﴿فاعلم أنـَّهُ لاَ إلـه إلاَّ ا لله واستغفر لذنبـك﴾** أي: إِذَا علمـت سعادة المؤمنين وشقاوة الْكَافِرِينَ، فاثبت عَلَى مَا [أنتَ] عليه مِنَ العلـم بالوحدانيـَّة، وتكميـل النفس بـإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمهـا، بالاسـتغفار لدينـك **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾** بذنوبهم بالدعـاء لَهُـم، وَهُـوَ معنـى شفاعته لَهُـم؛ **﴿وا لله يعلـمُ مُـتـقَلَّـبكم﴾** فِي الدُّنـْيَا، فإنـَّها مراحـل لا بـدَّ مـن قطعهـا، **﴿ومثواكم(١٩)﴾** فِي العقبى، فإنـَّها دار إقامتكم فاتـَّقُـوه، وأعدُّوا لمعادكم.

**﴿ويقولُ الذِينَ آمَنُوا﴾** حِرصا مِنـْهُم عَلَى العلم: **﴿لولا نُزِّلت سورةٌ﴾** أي: هلاَّ أنزلت سورة [٥٥٧] فِي أمر القتـال، أو غـيره مـن علـوم الديانـات؛

---

١ - في الأصل: - «الذين»، وهو سهو.

﴿**فإذا أُنزِلت سورةٌ مُحكَمةٌ**﴾ مُثبَتة لاَ تشابه فِيهَا، ﴿**وذُكر فِيهَا القتالُ، رأيت الذِينَ فِي قلوبهم مرضٌ**﴾ نفاق، ﴿**ينظرون إليك نظرَ المغشيِّ عليه مِنَ الموت**﴾ كما ينظر الشاخص بصره عند (لَعَلَّهُ) الموت جبنا ومخافة، ﴿**فأولى**﴾ فويل ﴿**لَهُم(٢٠) طاعةٌ وقولٌ معروفٌ**﴾ أي: طاعة وقول معروف خير لَهُم، ﴿**فإذا عزمَ الأمر**﴾ أي: جدَّ، ﴿**فلو صَدَقوا ا لله**﴾ أي: قولهم فيما زعموا مِنَ الحرص عَلَى الجهاد، أو الإيمان بالعمل، ﴿**لكَانَ خيرا لَهُم(٢١)**﴾.

﴿**فهل عسيتُم إن تولَّيتم**﴾ أمور الناس وتأمَّرتم عليهم، أو تولَّيتم عَن الإسلام، ﴿**أن تُفسدوا فِي الأَرْض وتُقطِّعوا أرحامَكم(٢٢)**﴾ المعنى: أَنَّهُمْ ـ لضعفهم فِي الدين وحرصهم عَلَى الدُّنْيَا ـ أحِقَّاء بأن يَتوقَّع ذَلِكَ مِنْهُم مَن عَرَفَ حالهم، ويقول لَهُم: «عسيتم». ﴿**أولَئِكَ الذِينَ لعنهم ا لله**﴾ لإفسادهم وقطعهم الرحم، ﴿**فأصمَّهم**﴾ عَن استماع الحَقِّ ﴿**وأعمى أبصارَهم(٢٣)**﴾ فلا يهتدون سبيله.

﴿**أفلا يتدبَّرون القرآنَ**﴾؟ يستصفحونه[1] وَمَا فِيهِ مِنَ المواعظ والزواجر، حَتَّى لاَ يجسروا عَلَى المعاصي، ﴿**أم عَلَى قلوبٍ أقفالها(٢٤)**﴾؟ لاَ يصل إِلَيْهِا ذكر، وَلاَ ينكشف لها أمر، وأقفالها هاهنا: أهويتها، وهي كالمقفولة عليها، لاَ تعي خيرا، وَلاَ يخرج مِنْهَا خبث.

﴿**إنَّ الذِينَ ارتدُّوا عَلَى أدبارِهم من بعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهدى**﴾ الدلائل الواضحة، (لَعَلَّهُ) شبَّههم كمثل الذِي صعد عقبة، حَتَّى كاد أن يقتحمها

١ - الأصوب: «يتصفَّحونه»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٤٩.

(لَعَلَّهُ) ثُمَّ ولَّى عَلَى دبره هاويا؛ ﴿**الشيطانُ سوَّل لَهُـم**﴾ سهَّل لَهُـم اقـتراف الكبائر؛ وقيل: حملهم عَلَى الشهوات؛ مِـنَ السُّؤل: وَهُـوَ التمنِّـي، ﴿**وأملَـى لَهُم(٢٥)**﴾ ومدَّ لَهُم فِي الآمال. ﴿**ذَلِكَ بأنَّـهم قَالُوا للذين كَرِهوا مَا نـزَّل ا للهُ: سَنُطيعكم فِي بعـض الأمـر**﴾ فِي بعـض أموركـم، ﴿**وا لله يعلـم إسرارَهم(٢٦)**﴾ ومِنْهَا قولهم هَذَا الذِي أفشاه عليهم.

﴿**فكيف إِذَا توفَّـتهم المَلاَئِـكَةُ**﴾؟ فكيـف يكـون حـالهم وألَمُهـم إذ لاَ يجدون عَنْـهُ مصرفـا، ﴿**يضربـون وجوهَهـم وأدبـارَهَم(٢٧) ذَلِـكَ بأنَّـهم اتَّبعوا مَا أسخطَ ا للهَ**﴾ مِنَ الشهوات والمعـاصي، ﴿**وكَرِهُـوا رضوانَـه**﴾ مَـا يرضاه مِنَ الإيمان، واستحبُّوا غضبه عَلَى رضاه، ﴿**فـأحبط أعمـالَهم(٢٨)**﴾ لذَلِك. ﴿**أم حسبَ الذِينَ فِي قلوبهم مَّرَضٌ**﴾ وَهُوَ الأضغان الكامنة فِيهَا عَلَى أهل الإسلام، لقوله: ﴿**أن لـن يُخـرجَ ا للهُ أَضغـانَهم(٢٩)**﴾ أن لاَ يُـبرز ا لله لرسوله والمؤمنين أحقادهم.

﴿**ولـو نشـاءُ لأرينـاكهم**﴾ لعرَّفنـاك بهـم بـالدلائل، فتعرفهـم بأعيـانهم، ﴿**فلعرفتـهُم بِسِيماهم**﴾ بعلاماتهم التِـي نَسمُهم بها، من أقوالهـم وأعمـالهم، أو تعرفهم بأسمائهم كما قَالَ: ﴿**ولتعرفنـَّهم فِي لَحنِ القـول**﴾ لحن القـول: أسلوبه وإمالته، من جهة التعريض، ومِنْهُ قيـل للمخطـئ: لاحـنٌ، لأنـَّهُ يعـدل بالكلام عَن الصواب، ﴿**وا لله يعلم أعمالكم(٣٠)**﴾ فيجازيكم عَلَى حسـب قصدكم إذ الأعمال بالنيات.

﴿**ولنبلونـَّكم**﴾ بالتكاليف الشاقَّة [٥٥٨] ﴿**حَتَّى نعلمَ المجاهدين منكـم**

**والصـابرين﴾** عَلَى مشاقـِّها، **﴿ونبلوَ أخبـاركم(٣١)﴾** مَـا نخبر بِـهِ عــن أعمالكم، فـنُظهر حسنها وقبحها، أو إخبارهم عَن إيمانهم وموالاتهم المؤمنـين فِي صدقها و كذبها.

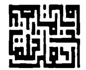
**﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا وصدُّوا عَن سبيلِ ا للهِ وشاقُّوا الرسولَ﴾** فيما أمر بِهِ أو نهى عَـنْـهُ، فكرهوا أمره ونهيه و لم يعملوا بمقتضاه، **﴿من بعـدِ مَـا تـبَيَّـنَ لَهُـمُ الهـدَى، لـن يضـرُّوا ا للهَ شَيْـــئًا﴾** بكفرهــم وصدِّهــم، **﴿وسـيُحبِط أعمالهم(٣٢)﴾** ثواب حسنات أعمالهم.

**﴿يَـا أَيـُّهَا الذِيـنَ آمَنُـوا أطِيعـوا ا للهَ وأطيعـوا الرسـولَ وَلاَ تُبطِلـوا أعمالكم(٣٣)﴾** بِمَا أبطل بِهِ هؤلاء؛ وفيه أبينُ الدليل عَلَـى إحبـاط الأعمـال بالكبيرة الوَاحِدَة. **﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا وصدُّوا عَن سبيلِ ا للهِ، ثُمَّ مـاتوا وَهُـم كُفَّار فلن يَغْفِرِ ا للهُ لَهُم(٣٤)﴾** عـامٌّ فِي كُـلِّ مـن مـات مُرتكِبـا لكبـيرة، أو مُصرًّا عَلَى صغيرة.

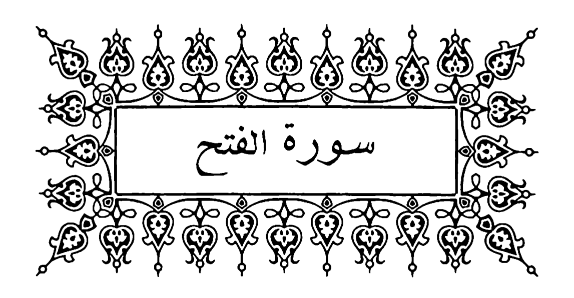
**﴿فلا تَهِنُوا﴾** فلا تَضعُفُوا **﴿وتدعوا إِلَى السَّـلم﴾** وَلاَ تدعـوا إِلَى الصلـح خوفا وتذلُّلا، **﴿وأنتم الأَعلَوْنَ﴾** الأغلبون، **﴿وا للهُ معكم﴾** ناصرُكم، **﴿ولن يَتِـرَكم أعمالكم(٣٥)﴾** ولن يضيِّعكم أعمالكم.

**﴿إنـَّمَا الحياةُ الدُّنـْيَا لعبٌ ولهوٌ﴾** لاَ ثبات لها إلاَّ الجزاء للأعمال؛ **﴿وإن تـؤمنوا وتتـَّقوا يُؤتِكـم أجوركـم﴾** ثـواب إيمـانكم، **﴿وَلاَ يسـألكُم أموالكم(٣٦) إن يسألكموها فـيُحفِكم﴾** فيجهدكم **﴿تبخلوا﴾** فلا تعطـوا، **﴿ويخرج أضغانكم(٣٧)﴾** الأضغان الكامنة فِي القلوب.

﴿**ها أَنتُم هؤلاء**﴾ أي: أَنـتُم يا مخاطبون، ﴿**تُدعَـوْنَ لتُنـفِـقُوا فِي سـبيلِ الله**﴾ وَهُوَ[1] يَعُمُّ بذل المال والـمُهج فِي سبيل الله، ﴿**فمنكـم مَـن يـَبخَلُ**﴾ ناسٌ يبخلون، ﴿**ومن يـبخلْ فَإنـَّمَا يبخلُ عَن نفسه**﴾ فإنَّ ضُرَّ الإنفاق وضُرَّ البخل عائدان إِلَـيْـهِ، ﴿**والله الغـنيُّ وأنتـم الفقـراء**﴾ فيمـا يَـأْمـُرُكم بـهِ هـو لافتـقاركم، فإن امتـثلتم فلكم، وإن امتنعتم فعليكم، ﴿**وإن تـتولَّوا يستبدلْ قومـا غـيرَكم ثُـمَّ لاَ يكونـوا أمثـالكم(٣٨)**﴾ فِي الصفـة، فَإِنـَّهُمْ إِذَا كَـانُوا أمثالكم (لَعَلَّهُ) لكَانَ ذَلِكَ منافيًا للحكمة.



١ - فِي الأَصْلِ: «وهم»، وَهُوَ خطأ.



# سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فتحنا لك فتحًا مُبينًا(١) لِيَغْفِرَ لكَ اللهُ﴾ علّه للفتح مِن حيث إِنَّهُ سبب عَن جهاد الكُفَّار، والسعي فِي إعلاء الدين، وإزاحة الشرك، وتكميل النفوس الناقصة، ﴿مَا تَقَدَّم من ذنبك وَمَا تأخّر، ويُتِمَّ نعمتَه عليك﴾ لأَنَّ النعمةَ لاَ تَتِمُّ إِلاّ بغفران الذنوب، ﴿ويهديَك صراطا مستقيما(٢)﴾ ليبلّغك إِلىَ محلٍّ إتمام النعمة. ﴿وينصرَك اللهُ نصرا عزيزا(٣)﴾ نصرا معضودا بِالعِزِّ والنفع.

﴿هُوَ الذِي أنزل السكينةَ﴾ الثبات والاطمئنانيَّة ﴿فِي قلوبِ المؤمنين﴾ حَتّى يثبتوا، حيث تَقلق نفوس من عداهم، ﴿ليزدادُوا إيمانًا﴾ بالثبات عند القتال، والمجاهدة للأعداء الظاهرة والباطنة، ﴿مَعَ إيمانهم﴾ الدَّاعي لَهُم بالثبات عَن مزلّة الأقدام.

﴿و لله جنودُ السَّمَاوَات [٥٥٩] والأَرْض﴾ يُدَبِّر أمرها، فيسلّط بعضها عَلَى بعض عَلَى حسب القوَّة والضعف، فيضعف هَذَا ويقوى هَذَا، وعَلَى العكس، يكون عَلَى مَا تقتضيه حكمته، ﴿وكَانَ اللهُ عليما﴾ بالمصالح، ﴿حكيما(٤)﴾ فيما يُقدِّر ويُدَبِّر.

﴿لِيُدخلَ المؤمنين والمؤمنات جَنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فِيهَا﴾ علّة بِمَا بعده دَلَّ عليه قوله: ﴿و لله جنودُ السَّمَوَاتِ والأَرْض﴾ من معنى التدبير، ليثبِّت المؤمنين ويعذِّب الْكَافِرِينَ، ﴿ويكفِّر عَنْهُم سَيِّئَاتهم﴾ أي: الصغائر باجتنابهم الكبائر، ﴿وكَانَ ذَلِكَ عند ا لله فوزا عظيما(٥)﴾ لأَنَّهُ أنفع من كُلِّ شيء.

﴿ويعذِّبَ المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الظانِّين با لله ظَنَّ السَّوْء﴾ وَهُوَ وصفهم لَهُ بِمَا لاَ تليق بِهِ حكمته، ﴿عليهم دائرةُ السَّوْء﴾ دائرة مَا يصفونه بِهِ مِمَّا لاَ يجوز عليه، ﴿وغَضِبَ ا لله عَلَيْهِم ولَعَنَهم وأعدَّ لَهُم جهنَّم﴾ عطف لِمَا استحقُّوه فِي الآخِرَة، عَلَى مَا استوجبوه فِي الدُّنْيَا، ﴿وساءت﴾ جَهَنَّم ﴿مصيرا(٦) و لله جنودُ السَّمَاوَات والأَرْض وكَانَ ا لله عزيزا حكيما(٧)﴾.

﴿إِنَّا أرسلنَاك شاهدا﴾ عَلَى أمَّتك، ﴿ومُبشِّرا﴾ لمن أطاع مِنْهُم، ﴿ونذيرا(٨)﴾ لمن تولَّى واستكبر، وكذَلِك أرسل كُلَّ محقٍّ شاهدا عَلَى أهل زمانه. ﴿لتؤمنوا با لله ورسوله﴾ قيل: للأمَّة، ﴿وتعزِّروه﴾ وتُقوُّوا[1] دينه وتنصروهُ، والتوقير: التبجيل[2] ﴿وتُوقروه﴾ وتعظِّموه، ﴿وتُسبِّحوه﴾ وتنزِّهوه، أو تصلُّوا لَهُ ﴿بكرةً وأصيلاً(٩)﴾ بكرة وعشيًّا؛ أو دائما.

﴿إِنَّ الذِينَ يُبايعونك إِنَّمَا يُبايعون ا لله﴾ لأَنَّهُ المقصود بالبيعة، ﴿يدُ ا لله فوق أيديهم﴾ أي: قدرته فوق قدرتهم، ﴿فمن نكَثَ﴾ نقض البيعة،

---

١ - فِي الأصل: «وتقووه ا»، وعند البيضاوي: «وتقوُّوه بتقوية دينه». تفسير، ج٤/ ص١٥٢.

٢ - ورد تفسير الآية قبل سردها، وَهَذَا خلل.

وهذا يقتضي فعل جميع المعاصي بعد التوبة، ﴿فَإِنَّمَا ينكُث عَلَى نفسه﴾ فلا يعود ضُرُّ نكثه إِلاَّ عليه، ﴿ومن أوفَى بِمَا عاهدَ عليه ا لله فسيؤتيه أجرا عظيما(١٠)﴾ فِي الجَنَّة.

﴿سيقولُ لك المخلَّفون مِنَ الأعراب﴾ الذِينَ تخلَّفوا واعتلُّوا بالشغل بأموالهم وأهليهم، وَإِنَّمَا خلَّفهم الخذلان وضعف العقيدة، وكأنَّهم اختاروا اللذَّة الحَقِيرة الفانية عَلَى مَا وعدهم بِهِ ا لله، واستعظموا فِي أنفسهم تعبُّده، ﴿شغلتنا أموالُنا وأهلُونا﴾ إذ لم يكن لنا مَن يقوم بأشغالها[1]، ﴿فَاستَغفِر لَنَا﴾ مِنَ ا لله عَلَى التخلُّف؛ ﴿يقولون بألسنتهم مَّا ليس فِي قلُوبهم﴾ تكذيب لَهُم فِي الاعتذار والاستغفار؛ ﴿قل: فمن يملك لكم مِّنَ ا لله شَيْـئًا﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه، ﴿إن أَرَادَ بكم ضرًّا﴾؟ مَا يضرُّكم فِي الدين والدُّنْيَا، ﴿أو أَرَادَ بكم نفعا﴾ مَا يضادُّ ذَلِكَ، ﴿بَل كَانَ ا لله بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرا(١١)﴾ فيعلمُ تخلُّفكم وصدقكم واعتذاركم.

﴿بَل ظننتُم أن لن ينقلِب الرسولُ والمؤمنونَ إِلَى أهليهم أبدا، وزُيِّن ذَلِكَ فِي قلوبكم﴾ فتمكَّن فِيهَا، ﴿وظننتم ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظنَّ المذكور، ﴿وكنتم قوما بُورًا(١٢)﴾ هالكين عند ا لله، لفساد عقيدتكم، وسوء نيَّتكم؛ والمراد: التسجيل عليه[2] بالسوء [٥٦٠]، وَهُوَ سائر مَا يظنُّون با لله ورسوله مِنَ الأمور الزائغة[3] (لَعَلَّهُ) وذَلِك نتيجة ضعف الإيمان، وأنَّ إيمانهم

١ - يمكن أن نقرأ: «بأشغالهم»، فَفِي الأصل: «بأشغالهلم».

٢ - الصواب: «عَلَيْهِم»، وقد يكون الضمير راجعا عَلَى الظنّ.

٣ - فِي الأصل تكرار هَذِهِ العبارة: «﴿وكنتم قوما بورا(١٢)﴾ هالكين عند ا لله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم»، وقد سبق ذكرها.

ليس بإيمان نافع عَلَـى الحَقيقـة، لقولـه: ﴿**ومـن لم يُؤْمِـنُ بـا لله ورسـوله فَإِنـَّا أعتدنا للكَافِرِينَ سعيرا(١٣)**﴾.

﴿**و لله ملكُ السَّمَاوَات والأَرْض**﴾ يُدَبِّر كيف يَشَـاء، ﴿**يَغْفِـر لمـن يَشَـاء ويعذِّبُ من يَشَـاء**﴾ إذ لاَ وجوب عليه، ﴿**وكَانَ ا لله غَفُورا رحيما(١٤)**﴾.

﴿**سيقولُ المخلَّفون**﴾ يعني المذكورين: ﴿**إِذَا انطلقتم إِلَىَ مغـانِمَ لتأخذوهـا: ذَرُونا نتَّبعكم**﴾ قيـل: يـذرون أن يغـيِّروا مواعيـد ا لله[١]، ﴿**يريـدون أن يُبدِّلـوا كـلامَ ا لله**﴾ يريـدون مشـاركتهم فِي الحطـام الدنيـويِّ دون المجـاهدة، فـأبى ا لله عَلَيْـهِـم ذَلِكَ بقوله: ﴿**قل لـَّن تتـَّبعونا، كذَلِكـم[٢] قَـالَ ا لله مـن قبـلُ فسيقولون: بَل تَحسُدُونَنَا**﴾ أن نشارككم فِي الغنائم، ﴿**بَل كَانُوا لاَ يفقهون إلاَّ قليلا(١٥)**﴾ إلاَّ فَهمًا قليلا، وَهُوَ فطنـتهم لأمور الدُّنْـيَا، وَلاَ يفقهون من أمور دينهم شَيْـئًا، كقوله: ﴿لاَ يذكرون ا لله إِلاَّ قليلا﴾[٣].

﴿**قـل لِّلمُخَلَّفـين مِنَ الأعـراب: ستُدعَوْن إِلَىَ قـوم أُولي بـأس شـديد تُقاتلونهم، أو يُسلمون**﴾ أي: يكون أحد الأمرين، إمـَّا المقاتلـة، أو الإسـلام لاَ غير؛ ومعنى يُسلمون: ينقادون، ﴿**فإن تُطيعـوا يُؤتِكـم ا لله أجـرا حسـنًا**﴾

---

١ - فِي العبارة خلل، صوابها: «قيل: يريدون أن يغيـِّروا مواعيـد ا لله»، لهـذا فـالواجب أن تـتأخَّر العبارة هكذا: «ذَرُونا نـتَّبعكم يريدون أن يُبدِّلوا كـلامَ ا لله﴾ قيـل: يريـدون أن يغيـِّروا مواعيد ا لله، ويريدون مشاركتهم فِي الحطام...»إلخ.

٢ - فِي الأَصْلِ: «كَذَلِكَ».

٣ - سورة النساء: ١٤٢.

هُوَ الغنيمة فِي الدُّنْيَا، والجنَّة فِي الآخِرَة، ﴿وإن تتولَّوا كما تولَّيتم من قبلُ يُعذِّبْكم عذابا أليما(١٦)﴾ فِي الدُّنْيَا بالخزي وفوات الغنائم، وفِي الآخِرَة بعذاب النار.

﴿ليس عَلَى الأعمى حرجٌ، وَلاَ عَلَى الأعرج حرجٌ، وَلاَ عَلَى المريض حرجٌ، ومن يُطِع ا لله ورسوله يدخلْه جَنَّات تجري مِن تحتها الأنهار، ومن يتولَّ يعذِّبه عذابا أليما(١٧)﴾.

﴿لَقَد رضيَ ا لله عَن المؤمِنين إذ يُبايعونك تحت الشجرةِ فعلمَ مَا فِي قلوبهم﴾ (لَعَلَّهُ) مِنَ الصدق والوفاءِ ﴿فأنزلَ السكينةَ عليهم﴾ الاطمئنانيَّة وسكون النفس، ﴿وأثابهم فتحا قريبا(١٨) ومغانمَ كثيرةً يأخذونها، وكَانَ ا لله عزيزا حكيما(١٩) وعدكم ا لله مغانمَ كثيرة تأخذونها[1] فعجَّل لكم هَذِهِ﴾ (لَعَلَّهُ) أي: النصرة فِي هَذِهِ الوقعة، لقوله: ﴿وكفَّ أيديَ الناسِ عنكم، ولتكونَ آيةً للمؤمِنين﴾ أمارة يعرفون بها أَنَّهَا مِنَ ا لله بمكان، ﴿ويهديَكُم صراطا مستقيما(٢٠) وأُخْرَى﴾ أي: وقعة أُخْرَى ﴿لم تقدروا عليها قد أحاطَ ا لله بها، وكَانَ ا لله عَلَى كُلِّ شيء قديرا(٢١)﴾ لأَنَّ قدرته ذاتية، لا تختصُّ بشيء دون شيء، ﴿ولو قاتلكم الذِينَ كَفَرُوا لولَّوا الأدبار ثُمَّ لاَ يجدون وليًّا وَلاَ نصيرا(٢٢)؛ سنَّةَ ا لله التِي قد خلت مِن قبل ولن تجدَ لسُنَّة ا لله تبديلا(٢٣)﴾.

﴿وَهُوَ الذِي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عَنْهُم بِبطنِ مكَّة مِن بعد أن

---

١ - فِي الأصل: - ﴿وكَانَ ا لله عزيزا حكيما وعدكم ا لله مغانم كثيرة تأخذونها﴾، وهو سهو.

**أظفركم عَلَيْهِم وكَانَ ا لله بِمَا تَعْمَلُونَ بصيرا(٢٤) هُمُ الذِينَ كَفَرُوا وصدُّوكم عَنِ المسجد الحرام والهَدْيَ معكوفا** أي: [٥٦١] وصدُّوا الهدْيَ، وهي البُدن، «معكوفا» أي: محبوسا **﴿أن يبلُغ محِلَّه، ولولا رجال مؤمِنون ونساء مؤمِنات﴾** (لَعَلَّهُ) فِيهِم **﴿لم تعلموهم﴾** بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم، **﴿أن تطئوهم﴾** أن توقِعوا بهم وتبتدئوهم، **﴿فتصيبكم مِّنْهُم﴾** مِن جهتهم **﴿مَعرَّة﴾** مكروه، كوجوب الديَّة والكفَّارة، والتأسُّف عَلَيْهِم **﴿بغير عِلم﴾** غير عالمين بهم؛ والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمِنين بين أظهر الْكَافِرِينَ جاهلين بهم، فتصيبكم بإهلاكهم مكروه، إنَّمَا كفَّ أيديكم عَنْهُم **﴿ليُدخِل ا لله فِي رحمته﴾** علَّه لِمَا دَلَّ عَليه كفُّ الأيدي مِن أهل مكَّة، **﴿مَن يَشَاء، لو تزيَّلوا﴾** لتفرَّقوا[1]، وتميَّز بعضهم مِن بعض، **﴿لعذَّبنا الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عذابا أليما(٢٥)﴾** أي: لولا مَا ذكرنا مِنَ المؤمِنين والمؤمِنات فِيهِم، لَمَا كفَّ أيديكم عَنْهُم، ولعذَّبهم بمثلكم إيَّاهم.

**﴿إذ جَعَلَ الذِينَ كَفَرُوا فِي قلُوبهم الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾** التِي تمنع إذعان الحَقِّ، **﴿فأنزل ا لله سكينتَه عَلَى رسوله وعَلَى المؤمِنين﴾** أنزل عَلَيْهِمُ الوقارَ والثبات (لَعَلَّهُ) عَن الحميَّة الجَاهِلِيَّة، **﴿وألزمَهم كلمةَ التقوى﴾** كلمة الشهادة، قولا وعملا ونيَّة، **﴿وكَانُوا أحقَّ بها﴾** مِن غيرهم، **﴿وأهلها﴾** والمستأهل لها، **﴿وكَانَ ا لله بِكُلِّ شيء عليما(٢٦)﴾** فيعلم كلاًّ مِنَ الخلق لِمَا هُوَ أهله وييسِّره لَهُ.

**﴿لَقَد صدقَ ا للهُ رسولَه الرؤيا بالْحَقِّ﴾** مُلتبسا بهِ، فإنَّ مَا رآه كائن لاَ محالة فِي وقته المقدَّر لَهُ، **﴿لتدخلُنَّ المسجدَ الحرام إن شَاءَ ا للهُ آمِنِين، مُحلِّقين**

---

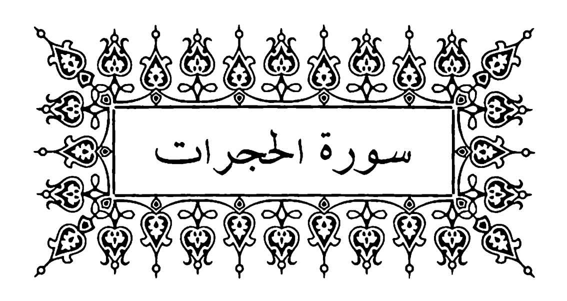
١ - الصواب: «لو تفرَّقوا»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٥٤.

**رءوسكم ومقصّرين﴾** أي: محلّقا بعضُكم، ومقصِّرا آخرون، **﴿لاَ تخافون﴾** بعد ذَلِكَ، **﴿فَعلِم مَا لم تعلموا﴾** مِنَ الحكمة فِي تأخير ذَلِكَ، **﴿فجعل مِن دون ذَلِكَ﴾** مِن دخولكم المسجد، أو فتح مكّة **﴿فتحا قريبا(٢٧)﴾**.

**﴿هُوَ الذِي أرسلَ رسولَه بالهُدَى ودينِ الحَقِّ لِيُظهِرَه عَلَى الدِّين كلِّه﴾** فلم يبق مِن أديان الضلال شيء بين ظهراني الـمُسْلِمِينَ ظاهرا، **﴿وكفى با لله شهيدا(٢٨) مُحَمَّدٌ رسولُ ا للهِ، وَالذِينَ معه أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّار رحماءُ بَيْنَهُم﴾** المعنى: أنَّهُمْ يغلظون عَلَى مَن خالف دينهم، ويتراحمون فيما بَيْنَهُم، **﴿تراهُم رُكَّعا سُجَّدا﴾** ترى أحوالهم الركوع والسجود والانقياد، إشارة إِلَى الوصف المذكور، **﴿يبتغون فضلا مِنَ ا لله ورضوانا﴾** الثواب والرضَى، **﴿سيمَاهم فِي وجوههم مِن أثرِ السجود﴾** أي: علامتهم ظاهرة مِن آثار السجود والإذعان، دون الاستكبار.

**﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إِلَى الوصف المذكور، **﴿مَثَلُهم فِي التَّوْرَاة﴾** صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فِيهَا، **﴿ومَثَلُهم فِي الإِنجيل﴾** ذَلِكَ مثلهم فِي الكتابين **﴿كزَرْعٍ أخرج شَطأه﴾** فِراخه، **﴿فآزَرَه﴾** فقوَّاه؛ المؤازرة بمعنى: المعاونة، **﴿فاستغلَظَ فاستوَى عَلَى سُوقِه﴾** فاستقام عَلَى قصبه، **﴿يعجِبُ الزُّرَّاعَ﴾** بكثافته وقوَّته وغلظه وحسن منظره؛ وَهُوَ مثلٌ ضربه ا لله لأصحابه، قلُّوا فِي بدء الإسلام، ثُمَّ كثروا واستحكموا، فترقَّى أمرهم بحيث أعجب الناس؛ **﴿لِيَغيظَ بهم [٥٦٢] الكُفَّار﴾** فلم يستطيعوا عَلَى كسر شوكتهم، فبقي الغيظُ مكمنا فِي القلوب. **﴿وعدَ ا لله الذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَات مِنْهُم مَّغفِرَةً وأجرًا عظيما(٢٩)﴾** فإنَّ الكُفَّار لَمَّا سمعوه غاظهم ذَلِكَ.





# سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تُقدِّموا﴾ أي: لاَ تقدِّموا أمرا؛ والمقصود نفي التقديم رأسا، ﴿بين يَدَيِ اللهِ ورسولِهِ﴾ أي: لاَ تقطعوا أمرا قبل أن يحكما بِهِ، ﴿واتَّقُوا الله﴾ فِي التقديم، أو مخالفة الحكم، ﴿إنَّ الله سميعٌ﴾ لأقوالكم، ﴿عليمٌ(١)﴾ بأفعالكم.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَرفعوا أصواتكم فوقَ صوتِ النبيِّ﴾ إِذَا كلَّمتموه فلا تُجاوزوا أصواتكم عَن صوته، ﴿وَلاَ تجهرُوا لَهُ بالقول كَجَهْرِ بعضِكم لبعض﴾ وَلاَ تبلغوا بِهِ الجهر الدائر بينكم، بَل اجعلوا أصواتكم أخفض مِن صوته؛ وقيل معناه: وَلاَ تخاطبوه باسمه وكُنيَته كما يُخاطِب بعضكم، وخاطبوه بالنبيِّ والرسول، ﴿أن تَحبَطَ أعمالكم، وأنتم لاَ تَشعرُونَ(٢)﴾ أنَّهَا مُحبطة.

﴿إنَّ الذِينَ يَغُضُّون أصواتَهم﴾ يُخضعونها ﴿عندَ رسولِ الله﴾ مراعاة للأدب، أو مخافة عَن مخالفة النهي؛ قيل: كَانَ أبو بكر وعمر بعد ذَلِكَ يُسرَّانه،

حَتَّى يَستفهِمَهما[1]، ﴿أُولَـئِكَ الذِينَ امتحنَ ا للهُ قلوبَهم للتقوى﴾ والأصل: ضرب ا لله قلوبهم بأنواع المِحن، والتكاليف الشاقّة لأجل التقوى، فإنّها لاَ تظهر إلاّ بالاصطبار عليها؛ أو: أخلَصَها للتقوى، مِن "امتحنَ الذهبَ": إذَا أذابه وميَّز إبريزه من خبثه؛ وقيل: امتحانه لها: نزع ا لله مِنْهَا حُبَّ الشهوات، ﴿لَهُم مغفرة﴾ لذنوبهم، ﴿وأجر عظيم(٣)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ يُنادُونك من وراءِ الحُجُرات أكثرهم لاَ يعقلُونَ(٤)﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب، ومراعاة الخشية، ﴿ولو أنَّهم صبروا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِم لكانَ خيرًا لَهُم، وَا للهُ غَفُور رحيمٌ(٥)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إن جاءَكُم فاسقٌ بنبإٍ فتبيَّنوا﴾ فتعرَّفوا وتفحَّصوا، ﴿أن تصيبوا﴾ كراهةَ إصابتكم، ﴿قومًا بجَهالة﴾ جاهلين حالهم، ﴿فتصبِحوا عَلَى مَا فعلتم نادمِينَ(٦) واعلموا أنَّ فيكُم رسولَ ا للهِ﴾ فاتَّقُوا ا لله أن تقولوا باطلا وتكذِّبوه فتفتضحوا، ﴿لو يُطيعُكم فِي كثيرٍ مِنَ الأمر لَعَنِتُّم﴾ والمعنى: إنَّ فيكم رسول ا لله عَلَى حال يجب تغييرها، وهي أَنَّكُم تريدون أن يتَّبع رأيكم فِي الحوادث، ولو فعل ذَلِكَ لَعنتُّم، أي: لوقَعتُم فِي الجهد[2]، مِنَ العَنَت، ﴿ولكنَّ ا للهَ﴾ بكرمه وفضله ﴿حبَّبَ إليكم الإيمانَ وزيَّنه فِي قلُوبِكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعِصيان﴾ (لَعَلَّهُ) عَن أن تعنتوا، لا بقوَّتكم وحيلتكم واختياركم؛

---

١ - فِي الأَصْلِ: «يستفهمها».

٢ - فِي الأَصْل: «الجهل»، ولا مَعْنَى له فِي هَـذَا السياق. والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٥٧.

المعنى: ولو خـلّيتم (لَعَلَّهُ) واختياركم لأئمتم، ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشدُونَ(٧)**﴾ أي: هُمُ الذِينَ أصابوا الطريقَ السَّويَّ، والكفر: تغطية النعم بالمعاصي؛ والفسوق: الخروج عَن القصد؛ والعصيان: الامتناع عَن الانقياد؛ ﴿**فضلا مِنَ ا للهِ ونعمةً**﴾ والرشد: فضل ا لله وإنعامه[1]، ﴿**وا لله عليمٌ**﴾ [٥٦٣] بأحوالِ المؤمنين، وَمَا بَيْنَهُم مِنَ التفاضل، ﴿**حكيم(٨)**﴾ حين تَفضَّل عَلَيْهِم بالتوفيق.

﴿**وإن طائفتان مِنَ المؤمنين اقتَتَلوا فأصلِحُوا بينهُما**﴾ مِنْهُما أو مِن أحدهما مَا وقع مِنَ الفساد بالنصح والدعاء إلَى حكم ا لله، ﴿**فإن بَغت إحداهما**﴾ تعدَّت ﴿**عَلَى الأخرى، فقاتِلوا التِي تبغِي حَتّى تَفيءَ إلَى أمر ا للهِ**﴾ ترجع إلَى مَا حكم عليها، وَإنَّمَا أُطلِق الفيء عَلَى الظلِّ لرجوعه بعد نسخ الشمس، والغنيمة لرجوعها مِنَ الكُفَّار إلَى المُسْلِمِينَ؛ ﴿**فإن فاءَت، فأصلِحوا بينهُما بالعدل**﴾ بفصل مَا بينهما عَلَى مَا حكم ا لله؛ وتقييد الإصلاح بالعدل هاهنا، لأنَّهُ مظنَّة الحيف، مِن حيث أنَّهُ بعد التقاتل، ﴿**وأقسِطوا**﴾ واعدلوا فِي كُلِّ الأمور، ﴿**إنَّ ا لله يُحبُّ المُقسِطِينَ(٩)**﴾ يَحمَدُ فِعلَهم بحسن الجزاء.

﴿**إنَّمَا المؤمنون**﴾ حقًّا ﴿**إخوةٌ**﴾ من حيث أنَّهُمْ منتسبون إلَى أصل واحد، وَهُوَ الإيمان الموجب للحياة الأبديَّة، ﴿**فأَصلِحوا بين أخوَيْكم**﴾ لتكونوا عَلَى حقيقة الإيمان، غير فارقين عَنْهُ، ﴿**واتَّقُوا ا لله**﴾ فِي مخالفة حكمه، والإهمال فِيهِ، ﴿**لَعَلَّكُم ترحَمُونَ(١٠)**﴾ عَلَى تقواكم.

---

١ - في الأصل: «وانعمامه»، وهو خطأ.

**﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ يَسخرْ قومٌ مـن قـومٍ عَسَـى أن يكونـوا خـيرا مِنْهُم، وَلاَ نساءٌ من نِّسَاءٍ عَسَى أن يكنَّ خيرًا مِنهُنَّ﴾** أي: لاَ يسخرْ بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكون الـمَسخُورُ مِنْهُ خيرا عنـد ا لله مِـنَ الساخر، أي: لاَ يستهزِئْ، فينبغي أن لاَ يستهزِئَ أحدٌ بِمَا يراه رثٌّ الحـال أو ذا عاهة، أو بِمَا يراه يعمل من طاعة ا لله فيسخر مِنْـهُ، فلعلَّـه أنقـى عنـد ا لله وأخلص ضميرا مِمَّن هُوَ عَلَى صفته، فيكون قد حقَر من وقَّره ا لله[1]، **﴿وَلاَ تلمِزوا أنفسَكم﴾** أي: لاَ يَعب بعضكم بعضا، فإنَّ المؤمنين كنفس وَاحِـدَة، أي: حصَّنوا أنفسهم بالانتـهاء عَن غيـِّها؛ وقيـل: اللمـز: الطعـن والعيـب فِي المشـهد، والهمـز: فِي المغيـب؛ وقيـل: إنَّ اللمـز مَـا يكـون باللســان والعـين والإشـارة، والهمـز: لاَ يكـون إلاَّ باللســان، **﴿وَلاَ تنـابزوا بالألقــاب﴾** وَلاَ يدْعُ[2] بعضكم بعضا بلقب السوء؛ **﴿بِئْـسَ الاسـمُ الفسـوقُ بعـد الإيمـان﴾** أي: بِئـسَ الذِّكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروهم بالفسق، بعد دخولهم الإيمـان واسـتهزائهم بِـهِ؛ **﴿ومـن لم يَتُـب﴾** عَمــَّا نُهـي عَنْــهُ **﴿فـأولئك هُــمُ**

١ - وردت العبارة فِي الأصـل هكـذا: «**﴿عَسَـى أن يكـنَّ خـيرًا مِنهُـنَّ﴾** أي: لاَ يسـخر، فينبغي أن لاَ يستهزئ أحد بِمَا يراه رثٌّ الحال أو ذا عاهة؛ أو بِمَا يراه يعمل من طاعة ا لله فيسخر مِنْهُ، فلعلَّه أنقى عند ا لله وأخلص ضميرا مِمَّن هُوَ عَلَى صفته، فيكون قد حقَر من وقَّره ا لله، بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، إذ قد يكـون الـمَسخُورُ مِنـْهُ خيرا عند ا لله مِنَ الساخر، أي: لاَ يستهزئ»، وصحَّحناها حسب المعنـى، وَهَـذَا مـن أعجب ما وقع فيه الناسخ من أخطاء، إذ يقدِّم عبـارة كاملـة عَلَـى أخـرى، فلعلَّـه قـد نقلها من الحاشية و لم يثبتها فِي محلِّها.

٢ - فِي الأصْلِ: «يدعوا»، وَهُوَ خطأ.

**الظَالِمُونَ(١١)﴾** بوضع العصيان موضع الطاعة، وتعريض النفس للعذاب وتنقيلها مِنَ الرحمة إِلَيْهِ.

**﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اجتَنِبُوا كثيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾** كونوا مِنْهُ عَلَى جانب، وإبهامُ "الكثير" ليُحتاط فِي كلّ ظنٍّ ويتأمَّل، حَتَّى يعلم أَنَّهُ مِن أيِّ القبيل، فإنَّ مِنَ الظنِّ مَا يجب اتِّبَاعه: كالظنِّ حيث لاَ قاطع فِيهِ مِنَ العيان[1]، وحسن الظنِّ با لله؛ وَمَا يَحْرُمُ: كالظنِّ فِي الإلهيَّات والنبوَّات؛ وحيث يخالفه قاطع، وظنُّ السوء بالمؤمنين. وفي ذَلِكَ قيل عَن النبيء الطَّيِّلاً: *«إِنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث»*[2]؛ وَمَا يباح [٥٦٤] كالظنِّ فِي الأمور المعاشيَّة، **﴿إِنَّ بعض الظنِّ إثمٌ﴾** الإثم: الذنب يستحقُّ العقوبة عليه، ويَكسر الأعمال.

**﴿وَلاَ تَجَسَّسوا﴾** وَلاَ تبحثوا عَن عورات الـمُسْلِمِينَ؛ وفي الحديث: *«لا تتبَّعوا عن عورات المسلمين، فإنَّ من يتَّبع عوراتهم يتَّبع ا لله عورته حَتَّى*

---

١ - فِي تفسير البيضاويِّ: «كالظنِّ حيث لاَ قاطع فِيهِ مِنَ العَمَلِيَّات»، وَهُوَ أوفق للسياق، لأَنَّهُ يقابل ما بعده: الظن فِي الإلهيَّات والنبوَّات. انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٥٩.

٢ - فِي الأَصْلِ: «كذب الحديث»، وَهُوَ خطأ.

والحديث رواه البخاري: كتاب النكاح، ٤٧٤٧، عَنِ الأَعْرَجِ قَالَ قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ يَأْثُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، وَلاَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ». وفي كتاب الأدب، ٥٦٠٤، ٥٦٠٦، وكتاب الفرائض، البر والصلة والآداب. ورواه الترمذي: كتاب البر والصلة، رقم ,١٩١١ أبو داود: كتاب الأدب، ,٤٢٧١ أحمد: باقي مسند المكثرين، بعدة طرق. مالك: الموطَّأ، كتاب الجامع. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أكذب الحديث».

*يفضحه ولو في جـوف بيتـه»*[1]، ﴿وَلاَ يغتَب بـَّعضُكم بعضـا﴾ وَلاَ يذكـر بعضكم بعضا بسوء، وإن كَانَ فِيهِ فقد اغتبته، وإن لم يكن فِيـهِ فقـد بَهتَّـه[2]، **﴿أيحبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيه مَـيِّتًا﴾**؟ تمثيـلٌ لِمَـا ينالُـه المُـغـتاب مـن عِرض المغتاب عَلَى أفظع وجه. وعن قتـادة: «كمـا تكـره إن وجـدتَ جيفـةً مُدوَّدَة أن تأكل مِنْهَا، كذَلِك فاكرهْ لحم أخيـك وَهُـوَ حـيٌّ». وَلَـمَّا قرَّرهـم سبحانه بـأنَّ أحـدا مِنـْهُـم لاَ يحِبُّ أكـل جيفـة أخيـه، عَقَّـب ذَلِـكَ بقولـه: **﴿فكرهتموه﴾** أي: فتحقَّقت بوجوب الإقْرَار عَلَيْكُـم كراهتكـم لَـهُ ونفـور طباعكم مِنـْهُ، فاكرهوا[3] مَـا هُـوَ نظيره مِـنَ الغيبـة، **﴿واتَّـقُـوا اللهَ إنَّ اللهَ**

---

١ - رواه الترمذي: كتاب البر والصلة. ١٩٥٥، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِـدَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُـفْضِ الإِيمَـانُ إِلَـى قَلْبِهِ! لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُـعَيِّـرُوهُمْ، وَلاَ تَـتَّـبِعُوا عَوْرَاتِهِـمْ، فَإِنَّهُ مَـنْ تَـتَبَّـعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَـتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَـتَـبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْـهُ وَلَـوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»... قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِـنْ حَدِيـثِ الْحُسَيْنِ بْـنِ وَاقِدٍ. وَرَوَى إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّمَرْقَنْدِيُّ عَنْ حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ نَحْوَهُ وَرُوِي عَنْ أَبِـي بَـرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ هَـذَا. ورواه أبـو داود في كتـاب الأدب، رقـم ٤٢٣٦، ونحوه عند ابن ماجه: كتاب الحدود، رقم ٢٥٣٦. وأحمد: مسند البصريِّين، ١٨٩٤٠، ١٨٩٦٣؛ باقي مسند الأنصار، ٢١٣٦٨.

٢ - روى مسـلم وأبـو داود والـترمذيُّ وأحمـد عـن أبـي هريـرة أَنَّ رَسُـول اللهِ ﷺ قـال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُـولُ فَقَـدِ اغْـتَبْـتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». برنامج سلسلة كنوز السـنَّة: الجامع الصغير وزياداته.

٣ - فِي الأَصْلِ: «ناكرهوا»، وَهُوَ تحريف من الناسخ.

**توّاب رحيم(١٢)﴾** لمن ألقى مَا نهى ا لله عَنْهُ، وتاب مِمَّا فرط مِنْهُ، والمبالغة فِي "التَّوَّاب" لأَنَّهُ يبلغ[1] فِي قبول التوبة، إذ يجعل صاحبها كمن لاَ ذنب لَهُ، أو لكثرة المتُوب عَلَيْهِم؛ أو لكثرة ذنوبهم.

**﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَر وأنثى﴾** من آدم وحوَّاء، أو خلقنا كُلَّ وَاحِدٍ منكم من أبٍ وأمٍّ، فالكلُّ سواء فِي ذَلِكَ، فلا وجه للتفاخر فِي النسب؛ ويجوز أن يكون تقريرا للأخوَّة المانعة عَن الاغتياب. قَالَ الغزاليُّ فِي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خلقناكم مِّن ذكر وأنثى﴾: «أي: تفاوتٌ فِي أنسابكم، لاجتماعكم عَلَى أصل واحد، ثُمَّ ذكر فائدة النسب فقال: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لِتَعَارفوا﴾، ثُمَّ بيَّن أنَّ الشرف بالتقوى لاَ بالنسب فقال: ﴿إِنَّ أكرمَكُم عند ا لله أَتقَاكم﴾ وَلَمَّا قيل لرسول ا لله ﷺ: مَن أكرم الناس؟ مَن أكيس الناس؟ لم يقل: من ينتمي إِلَى نسبي، ولكن قَالَ: *"أكثرُهم للموت ذكرا، أو أشدُّهم لَهُ استعدادا"* [2]».

**﴿وجعلناكم شعوبا وقبائلَ﴾** الشعب: الجمع العظيم، المنسوبون إِلَى أصل واحد، وَهُوَ يَجمع القبائل، والقبيلة تَجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون،

---

١ - الصواب ما ذكره البيضاويُّ: «لأَنَّهُ بليغ فِي قبول التوبة»، تفسير، ج٤/ ص١٥٩.

٢ - رواه ابن ماجه: كتاب الزهد، ٤٢٤٩، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ ا للهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ ا للهِ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ». العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أكيس».

والبَطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقُصي بطن، وهاشم فخذ، وعبَّاس فصيلة؛ وقيل: الشعوب بطون[1] العجم، والقبائل بطون العرب، ﴿لِتَعارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم بعضا، لاَ للتفاخر بالآباء والقبائل، وتدَّعوا التفاوت والتفاضل؛ ثُمَّ بيَّن سبحانه الخصلة التِي بها يَكتسب الإنسانُ الكرم والشرف عند الله فقال: **﴿إِنَّ أكرمَكم عند الله أتقَاكم﴾** فإنَّ التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص، فمن أَرَادَ شرفا فليلتمس مِنْهَا كما قَالَ الْعَلِيْلا [٥٦٥] فيما يُروى عَنْهُ: *«من سرَّه أن يكون أكرم الناس فليتَّق الله»*[2]. *«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الناس رجلان: مُؤْمِن تقيٌّ كريم عَلَى الله، وفاجر شقيٌّ هيِّنٌ عَلَى الله»*[3]؛ قيل فِي هَذِهِ الآية: «أكرم

---

١ - فِي الأَصْلِ: «بطن»، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٥٩.

٢ - لم نعثر عَلَيْهِ بهذا اللفظ. وقد ورد عند البخاري حديث فِي معناه: كتاب أحاديث الأنبياء، ٣١٠٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»...الحديث. وفي الكتاب نحوه، برقم ٣١٢٣، ٣١٣١؛ كتاب المناقب، ٣٢٣١؛ كتاب تفسير القرآن، ٤٣٢١. مسلم: كتاب الفضائل، ٤٣٨٣. أحمد: باقي مسند المكثرين، ٩٢٠١. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أكرم الناس».

٣ - روى الترمذيُّ في كتاب تفسير القرآن، رقم ٣١٩٣ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ

الكرم التقوى»؛ وقيل: قَالَ رسول ا لله: «*الحسب: المال، والكرم: التقوى*»[1].

﴿**إنَّ ا لله عليم**﴾ بِكُم ﴿**خبيرٌ(١٣)**﴾.

﴿**قالتِ الأعرابُ: آمَنَّا قل: لم تُؤمنوا**﴾ إذ الإيمان: تصديق مَعَ ثقة واطمئنانيَّة قلب، و لم يحصل لكم؛ وقيل عَن الزهريِّ أَنَّهُ قَالَ: «إنَّ الإسلام كلمة، والإيمان عمل»، ﴿**ولكن قولوا: أسلَمنَا**﴾ فإنَّ الإسلام الدخولُ فِي السلم، والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إِلَى قوله: ﴿**ولَمَّا يَدخُلِ الإيمانُ فِي قلوبكم، وإن تطيعوا ا لله ورسوله**﴾ وضَع قوله: ﴿**لم تُؤمنوا**﴾ موضع كذبتهم، بدلالة قوله فِي صفة المخلصين: ﴿**أولئك هُمُ الصادقون**﴾ تعريضا بأنَّ هؤلاء هُمُ الكاذبون؛ ﴿ولكن قولوا: أسلمنا﴾ و لم يقل: أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى، كما كَانَ قولهم: «آمنَّا» تفسيرًا[2]؛ ﴿**لاَ يَلِتْكم من أعمالكم**﴾ لاَ يُنقِصكم من أجورها

---

جَعْفَرٍ يُضَعَّفُ، ضَعَّفَهُ يَحيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَعَبْدُ ا للهِ بْنُ جَعْفَرٍ هُوَ وَالِدُ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ. قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ. وروي نحوه فِي كتاب المناقب، رقم ٣٨٩٠، ٣٨٩١. وأخرجه كَذَلِكَ أبو داود فِي كتاب الأدب، رقم ٤٤٥٢. أحمد فِي باقي مسند المكثرين، ٨٣٨١، ١٠٣٦٣. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «هين عَلَى ا لله».

١ - رواه الترمذيُّ: كتاب تفسير القرآن، رقم ٣١٩٤، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ سَلاَّمِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ. ورواه ابن ماجه فِي كتاب الزهد، رقم ٤٢٠٩. أحمد: مسند البصريِّين، رقم ١٩٢٤٣. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «الكرم التقوى».

٢ - فِي الأَصْلِ: «تفسير»، وَهُوَ خطأ.

﴿شَيْـئًا﴾ مِن لاَت لـيْـتًـا: إذَا نقص، كقوله: ﴿وَمَا أَلَتْـنَاهُم مِّن عَمَلِهِم مـن شيءٍ﴾[1] ومعناهما واحد، ﴿إنَّ ا للهَ غَـفُور﴾ لمن فـرط مِنْـهُ مـا نهـى عَنْـهُ وتاب، ﴿رحيمٌ(١٤)﴾ بالتفضُّل عَـلَيْـهِـم. ثُمَّ بيـَّن حقيقةَ الإيمان، فقال:

﴿إنَّمَا المؤمنـون الذِينَ آمَنُوا بـا للهِ ورسـوله، ثُـمَّ لم يرتـابوا﴾ لم يشـكُّوا فِي وحدانيَّة ا للهِ والإرسال، وَلاَ فيما جاءوا بعد ثلج صدورهم بالإيمان، بأن يعـترضهم الشيطان، أو بعـض المضلِّين فيُشـكِّكهم، ويقـذف فِي قلوبهـم مَـا يـثلم اليقـين، ﴿وجـاهَدُوا﴾ العـدوُّ المحـارب، والشيطان، والنفـس الأمَّـارة بالسـوء، ﴿بـأموالهم وأنفسهم فِي سبيل ا للهِ﴾ والمجاهدة: بهما تصلح للعبادات الماليَّة والبدنيـَّة بأسـرها، ﴿أولَئِكَ هُمُ الصادقُونَ(١٥)﴾ الذِينَ صدقوا فِي ادِّعاء الإيمان.

﴿قل: أتـُعلِّمون ا للهَ بدِينِكم﴾؟ أتخبرونه بِهِ، بقولكم[2]: «آمنـَّا» ﴿وا للهُ يعلم مَا فِي السَّمَاوَات وَمَـا فِي الأَرْض، وَا للهُ بِكُـلِّ شـيء عليـم(١٦)﴾ لاَ تخفى عليه خافية، وَهُوَ تجهيل لَهُم وتوبيخ؛ والمعنى: أَنـَّهُ عـالم بذَلِـك ومحيـط بضمائركم، فلا يحتاج إِلَى إخباركم بِهِ، لأَنـَّهُ يعلم جميع المعلومات لِذاتِه، فـلا يحتاج إِلَى علم يعلم بِهِ وَلاَ إِلَى من يعلِّمه.

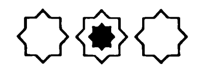
﴿يمنـُّون عليك أن أسلموا﴾ يعدُّون إسلامهم عليك مِنـَّة، وهي: النعمة، ﴿قل: لاَ تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم﴾ أي: بإسلامكم، ﴿بَل ا للهُ يَمُنُّ عَلَيْكُـم أن هَداكم للإيمان﴾ عَلَى مَا زعمتم أنَّ الهداية لاَ تستلزم الاهتـداء، ﴿إن كُنـتُـم

١ - سورة الطور: ٢١.

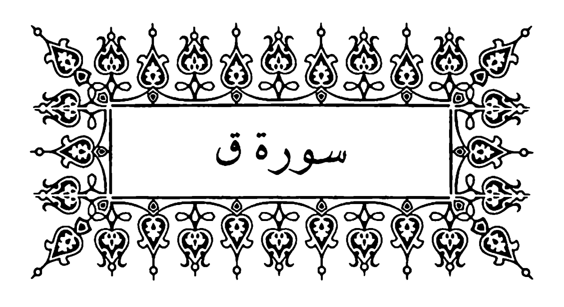
٢ - فِي الأَصْلِ: «بقوله»، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٠.

**صادقِينَ(١٧)﴾** فِي ادِّعاء الإيمـان، أي: فلِلّهِ المِنـَّة عليكم؛ وفِي سياق الآية لطف، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمَّا سَمُّوا مَا صدر عَنْـهُم إيمانا ومثوبة، فنفى أَنَّهُ إيمان وسمَّاه إسلاما؛ قَالَ: ﴿يمنُّون عليك﴾ بِمَا هو فِي [٥٦٦] الحقيقة إسلام، وليس بجدير أن يمنُّوا [به] عليك، بَل لو صحَّ ادِّعاؤهم للإيمان، فلِلّهِ المنـَّة عَلَيْهِم بالهداية لَهُ[1] لاَ لَهُم.

﴿**إنَّ ا لله يعلمُ غيبَ السَّمَاوَات والأَرْض**﴾ مَا غاب فيهما، ﴿**وا لله بصيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨)**﴾ فِي سِرِّكم وعلانيَّتكم، فكيف يَخفى عليه مَا فِي ضمائركم!.



١ - الصواب: - «له»، لأَنَّهُ تكرار.



# سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**ق والقرآنِ المجيدِ(١)**﴾ الكلام فِيهِ كما مَرَّ فِي ﴿صَ والقرآن ذي الذكر﴾[1]. والمجيد: ذو المجد والشرف عَلَى سائر الكتب، أو لأنَّهُ كلام المجيد، أو لأنَّ من عَلم معانيه، وامتثل أحكامه مُجِّد، ﴿**بَل عجبُوا أن جاءهم مُنذِرٌ مِنهُم**﴾ إنكار لتعجُّبهم مِمَّا ليس بعَجَب، وَهُوَ أن ينذرهم أحد مِن أحسنهم، ﴿**فقال الكَافِرُونَ: هَذَا شيءٌ عجيبٌ(٢)**﴾ حكاية لتعجُّبهم؛ و«هذا» إشارة إِلَى اختيار الله محمَّدًا للرسالة، وإضمار ذكرهم، ثُمَّ إظهاره للإشعار بتعنُّتهم لهذا[2] المقال، ثُمَّ التسجيل عَلَى كفرهم بذَلِك، ﴿**أَئِذَا مِتْنا وكُنا تُرابا ذَلِكَ رَجعٌ بعيد(٣)**﴾ عَن الوهم أو العادة أو الإمكان؛ ﴿**قد عَلِمنا مَا تَنقُصُ الأَرْض مِنْهُم**﴾ مَا يؤكل من أجساد موتاهم؛ وَهُوَ ردٌّ لاستبعادهم بإزاحة مَا هُوَ الأصل فِيهِ، ﴿**وعندنا كِتَاب حفيظ(٤)**﴾ حافظ لتفاصيل الأنبياء كلِّها، أو محفوظ عَن التغيير.

---

١ - سورة ص: ١. انظر: ص ٣٥ من هَذَا الجزء.

٢ - الصواب: «بهذا»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦١.

﴿**بَل كذَّبوا بِالْحَقِّ**﴾ بِحُجَجه لَمَّا قامت عَلَيْهِم ﴿**لَمَّا جاءهم فَهُم فِي أمرٍ مَرِيجٍ(٥)**﴾ مضطرب، كالحمار فِي الطاحونة، وذَلِك قولهم تارة: إنَّهُ شاعر، وتارة: إنَّهُ كاهن، وتارة: إنَّهُ ساحر. ﴿**أفلم ينظروا**﴾ حين كَفَرُوا بالبعث، ﴿**إِلَى السَّمَاء فوقهم**﴾ إِلَى آثار قدرة الله فِي خلق العالم، ﴿**كيف بنَيَناها وزيَّنَّاها**﴾ بالكواكب، ﴿**وَمَا لها من فُروج(٦)**﴾ نتوق[1] بأنَّ خُلْقتها ملساء متلاصقة.

﴿**والأَرْضَ مددناها**﴾ بسطناها، ﴿**وألقينا فِيهَا رواسيَ وأنبتنا فِيهَا من كُلِّ زوجٍ**﴾ من كُلِّ صنف، ﴿**بهيج(٧)**﴾ حسن. ﴿**تبصرةً وذكرى لِكُلِّ عبدٍ مُنِيبٍ(٨)**﴾ راجع إِلَى ربِّه، متفكِّر فِي بدائع صنعه.

﴿**ونزَّلنا مِنَ السَّمَاء ماءً مباركا**﴾ كثير المنافع (لَعَلَّهُ) لأَنَّ بِهِ حياة كُلِّ شيء، ﴿**فأنبَتْنا بِهِ جَنَّات**﴾ أشجارا وأثمارا، ﴿**وحبَّ الحصيد(٩)**﴾ وحبَّ الزرع الذي من شأنه أن يُحصَد ويُدَّخر. ﴿**والنخلَ باسقات لها طَلعٌ نضِيدٌ(١٠)**﴾ طِوالا، أو حوامل؛ من أبسقت الشاة: إِذَا حملت، وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها. ﴿**رزقًا للعبَاد**﴾ علّه لـ«أنبتنا»

---

١ - قال فِي القاموس: «نَتَقَه: زعزعه ونقضه» (الفيروزآبادي: القاموس، ص٨٣٢، مَادَّة: «نتق»). ويصحُّ أن يكون هَذَا تفسيرًا للآية. إِلاَّ أَنَّنَا نجد فِي الأصل الذي نقل منه المُصَنِّف هَذِهِ العبارة: «﴿**وَمَا لها من فُروج**﴾ فُتوق، بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق»، والتصحيف واضح بين العبارتين، وقد يكون من ناسخنا، أو من نسخة البيضاوي التي اعتمد عَلَيْهَا المُصَنِّف. انظر: البيضاوي: المصدر نفسه.

﴿**وأحيَينَا بهِ**﴾ بذَلِك الماء ﴿**بلدةً مَيْتا**﴾ أرضا جدبة لاَ نماء فِيهَا، ﴿**كذَلِك الخروج(١١)**﴾ كما حَييت هَذِهِ البلدة، يكون خروجكم أحياء بعد موتكم.

﴿**كذَّبت قبلهم قَومُ نوح، وأصحاب الرَّسِّ، وثمودُ(١٢) وعادٌ، وفرعونُ، وإخوانُ لوط(١٣) وأصحابُ الأيكة، وقومُ تُبَّع، كلٌّ كذَّب الرُّسُل فحقَّ وعيدِ(١٤)**﴾ فوجب وحلَّ عليه، وَهُوَ تسلية لرسول الله وتهديد لَهُم.

﴿**أفعَيينا بالخلقِ الأوَّل**﴾ أفعجزنا بالإبداء حَتَّى نعجزَ عَن الإعادة؛ [٥٦٧] مِن "عَيِيَ بالأمر": إِذَا لم يهتد لوجه عمله، ﴿**بَل هُم فِي لَبْسٍ مِنْ خلقٍ جديدٍ(١٥)**﴾ أي: هم لاَ ينكرون قدرتنا عَلَى الخَلق الأوَّل، بَل هم فِي خلط وشبهة من خلق مستأنف لِمَا فِيهِ من مخالفة العادة؛ وتنكيرُ الخلق الجديد[1] لتعظيم شأنه، والإشعار بأنَّه عَلَى وجه غير متعارف وَلاَ معتاد.

﴿**وَلَقَد خلَقنا الإنسانَ ونعلمُ مَا تُوسوِس بِهِ نفسُه**﴾ مَا تُحدِّث بِهِ نفسه، وَهُوَ مَا يخطر بالبال؛ والوسوسة: الصوت الخفيُّ، ومِنْهُ وسواسُ الحليُّ، ﴿**ونحنُ أقربُ إِلَيْهِ مِن حَبلِ الوريد(١٦)**﴾ أي: ونحن أعلم بحاله مِمَّن كَانَ أقرب إِلَيْهِ من حبل الوريد، تجوُّز بقرب الذات لقرب العلم، لأَنَّهُ موجبه؛ وحبل الوريد مثلٌ فِي القرب، قَالَ: والموت أدنى مِنَ الوريد، والحبل: العِرق، وإضافته للبيان، والوريدان: العرقان المكتنفان بصفحتي العنق، فِي مقدَّمها مُتَّصلان بالوتين، يردان مِنَ الرأس إِلَيْهِ؛ وقيل: سُمِّي وريدا، لأَنَّ الرُّوح ترده.

١ - فِي الأَصْلِ: «الجديه»، ولا مَعْنَى له.

﴿إذ يَتلقَّى المـُتلقِّيان﴾ مقدَّر بـ«اذْكُرْ»، أو متعلّق بـ«أَقْـرَبُ»، أي: هُـوَ أعلم بِحاله من كُلِّ قريب حَتَّى يتلقَّى، أي: يتلقَّن الحفيظان مَا يتلفَّظ بِهِ؛ وفيه إيذان بأنَّه غنيٌّ عَن استحفاظ الملَكين، فَإِنَّهُ أعلم مِنْـهُما؛ أو مُطَّلـع عَلَـى مَـا يخفى عليهما، لكنَّه لحكمة اقتضته، وهي مَا فِيهِ من تشديد يثبِّط العبـد عَـن المعصية، وتأكيد فِي اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء، وإلزام الحُـجَّة يـوم يقـوم الأشهاد، ﴿عَن اليمين وعـن الشـمال قَعيـد(١٧)﴾ أي: عَـن اليمـين قعيـد، وعن الشمال قعيد؛ أي: مقاعد. ﴿مَا يَلفِظ مِن قولٍ﴾ مَـا يرمـي بـهِ مِـن فِيـهِ ﴿إلاَّ لديه رقيبٌ﴾ مَلَك يَرقُب عمله. قَالَ أبـو سـعيد: «معـي أَنـَّهُ فِي قولـه: ﴿رقيبٌ عتيدٌ﴾ شهيدٌ حفيظٌ»، ﴿عتيدٌ(١٨)﴾ حاضر، و(لَعَلَّهُ) يكتـب عليـه مَا فِيهِ ثواب أو عقاب.

﴿وجاءت سَكرةُ الموتِ بِالْحَقِّ﴾ لَمَّا ذكـر استبعادهم البعـث للجـزاء، وأزاح ذَلِكَ بتحقيق قدرته وعِلمه، أعلمهم بأنَّـهم يلاقون ذَلِكَ عَن قريب عند الموت وقيام الساعة، ونبـَّه عَلَى اقترابه بأن عبَّر عَـنْـهُ بلفـظ المـاضي؛ وسـكرة الموت: شدَّته الذاهبة بالعقل؛ والمعنى: وأحْضَرَتْ سكرةُ المـوتِ حقيقـةَ الأمـر الموعود، أو الحَقَّ الذِي ينبغي أن يكون مِنَ الموت أو الجزاء، فإنَّ الإنسان خلق لَهُ؛ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت، ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيـد(١٩)﴾ تميـل وتـفرُّ عَـنْـهُ، والخطاب للإنسان.

﴿ونُفخَ فِي الصُّور﴾ يعني: نفخة البعث ﴿ذَلِكَ يومُ الوعيد(٢٠)﴾ أي: وقـت ذَلِـكَ يـوم تحقُّـق الوعيـد؛ ﴿وجـاءت كـلُّ نفـسٍ معهَـا سـائقٌ وشهيدٌ(٢١)﴾ قيل: مَلَكَانَ أحدهما يسوقه والآخـر يشـهد بعملـه؛ أو مَلَـك

جامع للوصفين؛ وقيل: السائق: كاتب السَّيِّئات، والشهيد: كاتب الحسنات؛ وقيل: السائق: قرينه، والشهيد: جوارحه وأعماله، ﴿لَقَد كُنتَ فِي غفلةٍ مِن هَذَا﴾ عَلَى إضمار [٥٦٨] القول؛ والخطاب لِكُلِّ نفس، إذ مَا من أحد إلاَّ وَلَهُ أشغال مَا تُبعِده عَن الآخِرَة؛ أو للكافر، أي: لَقَد كنت فِي غفلة من هَذَا اليوم فِي الدُّنْيَا، وجعلتَ الغفلة كأنَّها غطاءٌ لك، وغشاوةٌ لعينيك، فكشفنا عنك الغطاء، وزالت عنك الغفلة.

﴿فكشَفنَا عَنك غِطَاءَك﴾ الغطاء: الحاجب عَن التبصرة لأمور المعاد، وَهُوَ الغفلة والانهماك فِي المحسوسات والإلف بها، وقصور النظرعليها؛ ﴿فبصَرُك اليومَ حديدٌ(٢٢)﴾ نافذ لزوال المانع للإبصار؛ وقيل: البصر هاهنا العلم؛ يقول: كنت تكذِّب، فأنت اليوم عالم بالأمر نافذ البصر فِيهِ، وَهُوَ مثل قوله: ﴿أَسمِعْ بِهم وأَبصِرْ يومَ يأتُوننا﴾[1] أي: مَا أسمعهم وأبصرهم يومئذ؛ يقول: هم سمعاء وبصراء، لأَنَّ الشكَّ قد زال عَنْهُم، ومثله ﴿ثُمَّ لتَرَوُنَّها عينَ اليقين﴾[2]؛ وقيل: الخطاب للنبيِّ؛ والمعنى: كنت فِي غفلة من أمر الديانة، فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن، فبصرُك اليومَ حديد، ترى مَا لاَ يرون، وتعلم مالا يَعْلَمُونَ، وذَلِك أنَّ الله يذكِّره نعمته.

﴿وقالَ قرِينُه:﴾ قَالَ: الملَك الموكل عليه، ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عتيدٌ(٢٣)﴾ هَذَا مَا هُوَ مكتوب عندي حاضرا لديَّ؛ أو الشيطان الذِي قُيِّض لَهُ: هَذَا مَا عندي وفي مَلكَتِي عتيد لجهنَّم، هيَّأته لها بإغوائي وإضلالي.

---

١ - سورة مريم: ٣٨.

٢ - سورة التكاثر: ٧.

﴿أَلقِيا فِي جَهَنَّمَ كلَّ كفَّار﴾ خطابٌ مِنَ ا للهِ للسائق والشهيد أو للملكين من خزَنة النار، ﴿عنيدٍ(٢٤)﴾ معاند لِلْحَقِّ. ﴿منّاع للخير﴾ كثير المنع للمال عَن حقوقه المفروضة؛ وقيل: المراد بالخير: الإسلام، ﴿معتدٍ مريبٍ(٢٥)﴾ شاكٌّ فِي ا للهِ وَفِي دينه. ﴿الذِي جعل مَعَ ا للهِ إلها آخرَ﴾ وَهُوَ يتناول جميع معاصي ا لله تعالى، وكلُّ من شكَّ فِي ا لله وارتاب فِي ربوبيَّته يجعل معه إلها آخر، لأَنَّهُ يجعل إلهه هواه، وَلاَ بدَّ للإنسان أن يعبد ا لله، أو يعبد هوى نفسه، ﴿فألقِياهُ فِي العذابِ الشَّديدِ(٢٦)﴾ أي: الشيطان المقيَّض لَهُ.

﴿قَالَ قرينُه: رَبَّنَا مَا أطغيتُه﴾ كأنَّ الكافر قَالَ: هُوَ أطغاني، فقَالَ قرينه: رَبَّنَا مَا أطغيته، ﴿ولكن كَانَ فِي ضلالٍ بعيد(٢٧)﴾ فأعنته عليه، فإِنَّ إغواء الشيطان إِنَّمَا يؤثّر فيمن كَانَ مختلَّ الرأي، مائلا إِلَى الفجور، كما قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لي عَلَيْكُم مِّن سلطانٍ إِلاَّ أن دَعَوْتُكم فاستجبتم لي﴾[1]. ﴿قَالَ:﴾ أي: ا لله ﴿لاَ تختَصِموا لَدَيَّ﴾ أي: فِي موقف الحساب، فَإِنَّهُ لاَ فائدة فِيهِ، ﴿وقد قدَّمتُ إليكم بالوعيد(٢٨)﴾ عَلَى الطغيان فِي كتُبِي، وعَلَى ألسنة رُسُلي، فلم تبق لكم حجَّة.

﴿مَا يُبدَّل القولُ لديَّ﴾ أي: بوقوع الخُلف فِيهِ، فلا تطمعوا أن أُبدِّل وعيدي، ﴿وَمَا أنا بظَلاَّمٍ للعَبيد(٢٩)﴾ بِأَن أُعذِّبَ من ليس لي تعذيبه. ﴿يومَ نقولُ لجهنَّمَ: هل امتلأتِ؟ وتقولُ: هل مِن مَزيد(٣٠)﴾؟ وسؤال جَهَنَّم وجوابها من باب التخييل الذِي يُقصد به تصوير المعنى فِي القلب.

---

١ - سورة إبراهيم: ٢٢.

**﴿وأُزلِفَت الجنَّةُ للمتَّقين﴾** قُرِّبت لَهُم حَتَّى يَروْها قبل الدخول، **﴿غيرَ بعيد(٣١)﴾** مكانا غير بعيد، **﴿هَـذَا مَا تُوعَـدُون لِكُـلِّ أوَّابٍ﴾** رَجَّـاع إلَى [٥٦٩] الله، **﴿حفيظ(٣٢)﴾** حافظ لحدوده. **﴿مَن خَشِيَ الرَّحمن بالغيبِ﴾** أي: خشية ملتبسة بالغيب، حيث خشي عقابه وَهُوَ غائب، لأَنَّهُ توقَّع وقوعه بتصديقه لخالقه، **﴿وجاء بِقلبٍ منيـبٍ(٣٣) ادخُلُوهـا بسـلام﴾** سـالمين مـن كُلِّ آفة وفناء، **﴿ذَلِـكَ يـومُ الخلـود(٣٤) لَهُـم مَّـا يَشَـاءون فِيهَـا، ولدينـا مَزيدٌ(٣٥)﴾** وَهُوَ مَا لاَ يخطر ببالهم، مِمَّا لاَ عَين رأت، وَلاَ أذن سمعـت، وَلاَ خطر عَلَى قلب بشر.

**﴿وكَمَ أهلَكنا قَبلهم﴾** قبل قومك، **﴿مِن قَرنٍ هم أشدُّ مِنـهُم بطشًـا﴾** قُوَّةً **﴿فـنـقَّـبوا فِي البـلادِ﴾** فخرقـوا فِي البـلاد، وتصرَّفـوا فِيهَـا، أو جـالوا فِي الأَرْض كُلَّ مجال حذر الموت؛ وأصل التـنـقيب: البحـث عَـن الشـيء، **﴿هـل مِن مَّحِيصٍ(٣٦)﴾**؟ أي: لَهُم مِنَ الله، أو مِنَ الموت.

**﴿إنَّ فِي ذَلِكَ﴾** فيما ذُكر فِي هَذِهِ السـورة **﴿لَذِكْرَى﴾** لتَذكرةٌ، **﴿لمـن كَانَ لَهُ قلبٌ﴾** أي: قلب وَاعٍ يتفكَّر فِي حقائقه؛ والمعنى: جعل من لم يتذكَّـر بالقرآن، مفلسا مِنَ القلب معدما مِنْهُ، **﴿أو ألقَى السَّمعَ﴾** وأصغى لاستماعه **﴿وَهُوَ شهيد(٣٧)﴾** حاضر بذهنه غير ساهٍ وَلاَ غافل لتفهُّم معانيه، أو شاهد بصدقه، فيتَّعظ بظواهره، وينزجر بزواجره.

**﴿وَلَقَد خلقنَا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بـينهما فِي ستَّة أَيَّام وَمَـا مسَّـنا مِن لُغُوب(٣٨)﴾** مِن تعب وإعياء. **﴿فاصبر عَلَى مَا يقولون﴾** مِـنَ البـاطل،

﴿**وسَبِّحْ بحمدِ ربِّك**﴾ ونزِّهه عَن العجز عَمَّا يمكن، والوصف بِمَا يوجب التشبيه، حامدا لَهُ عَلَى مَا أنعم عليك من إصابة الحَقِّ وغيرها، ﴿**قَبلَ طلوعِ الشَّمس وقَبل الغُروب(٣٩) ومِنَ اللَّيْلِ فسَبِّحْه وأدبار السُّجودِ(٤٠)**﴾ أعقاب الصلوات.

﴿**واستَمِعْ**﴾ لِمَا أخبرك بِهِ من أحوال القيامة، ﴿**يومَ يُنادي المنادِي**﴾ قيل: إسرافيل عليه السلام يقول: «يا أَيَّتُهَا العظام البالية، والأوصال المتقطِّعة، واللحوم المتمزِّقة، والشعور المتفرِّقة، إِنَّ الله تعالى يَأْمُرُكُنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء»، ﴿**مِن مكانٍ قريبٍ(٤١)**﴾ بحيث يصل نداؤه إِلَى الكلِّ عَلَى سواء، ﴿**يومَ يَسمعُون الصيحةَ بِالْحقِّ**﴾ وهي النفخة الأَخِيرة، نفخة البعث، ﴿**ذَلِكَ يوم الخروج(٤٢)**﴾ مِنَ القبور.

﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحيي ونُمَيت**﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿**وإلينا المصير(٤٣)**﴾ للجزاء فِي الآخِرَة. ﴿**يومَ تشقَّقُ الأَرْض عَنْهُم سِراعا**﴾ مسرعين، أو مأمورة بسرعة، ﴿**ذَلِكَ حَشرٌ**﴾ بعث وجمع ﴿**علينا يسير(٤٤)**﴾ هيِّن.

﴿**نَحْنُ أعلمُ بِمَا يقولون**﴾ تسلية لرسول الله، وتهديد لَهُم، ﴿**وَمَا أنت عَلَيْهِم بِجبَّار**﴾ بمتسلِّط تقسرهم عَلَى الإيمان، أو تفعل لَهُم مَا تريد، وَإِنَّمَا أنت داعٍ ومذكِّر ومحذِّر[1]، ﴿**فذكِّر بالقرآن من يَخافُ وعِيدِ(٤٥)**﴾ فَإِنَّهُ لا ينتفع بِهِ غيره.

❁❁❁

١ - فِي الأَصْلِ: «ومذكِّرًا ومحذِّرا»، وَهُوَ خطأ إذ لا موجب لنصبهما.



# سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذاريات ذَروا(١)﴾ قيل: الرياح تذرُّ[1] التراب وغيره؛ أو النساء الولَّد، فإنَّهنَّ يذرِين الأولاد؛ أو الأسباب التِي تذري الخلائق مِنَ المَلاَئِكَة وغيرهم. ﴿فالحاملاتِ وِقرًا(٢)﴾ فالسحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء الحوامل، أو أسباب الأشياء، فإنَّها حوامل للأشياء. ﴿فالجاريات يُسرًا(٣)﴾ فالسفن الجارية فِي البحر سَهلا؛ أو الرياح الجارية [٥٧٠] فِي مَهابِّها؛ أو الكواكب التِي تجري فِي منازلها؛ أو الأسباب تجري إِلىَ مُسبَّباتها. ﴿فالمقسِّمات أمرا(٤)﴾ المَلاَئِكَة التِي تقسِّم الأمور مِنَ الأمطار والأرزاق وغيرها؛ أو مَا يعمُّهم وغيرها من أسباب القسمة؛ أو الرياح يقسِّمن الأمطار بتصريف السحاب؛ فإن حملت عَلَى ذوات مختلفة، فالفاء لترتيب الأقسام بها[2]، باعتبار مَا بينهما مِنَ التفاوت فِي الدلالة عَلَى

---

١ - فِي البيضاوي: «تذرو»، و«ذرَّ»، و«ذَرًا» معناهما متقارب. قال فِي القاموس فِي مَادَّة "ذرر": «الذَّرُّ: ...تفريق الحبِّ والملح ونحوه»، وَفِي مَادَّة: "ذرو": «ذَرَت الريح الشَّيْءَ ذَرْوًا وأذرته وذرَّته: أطارته وأذهبته». ر: الفيروزآبادي: القاموس، ص٣٥٦، ١١٥٦. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٥.

٢ - فِي الأصل: «فالفاء الترتب لإقسام»، وفيها خطآن، والصواب ما أثبتناه من =

كمال القدرة؛ وَإلاَّ فالفاء لترتُّب الأفعال، إذ الريح (لَعَلَّهُ) مثلا تَـذرو الأبخرة إِلَىَ الجوّ[1] حتَّى تنعقد سحابا، فيحمله فتجريه باسطة لَهُ إِلَىَ حيث أُمرت بِهِ فتقسِّم المطر.

﴿إِنَّمَا تُوعَدون لَصادقٌ(٥) وإنَّ الدِّينَ لَوَاقعٌ(٦)﴾ كما أنَّه اسْتَدَلَّ باقتداره عَلَى هَذِهِ الأشياء العجيبة، المخالفة لمقتضى الطبيعة، دَلَّ عَلَى اقتداره عَلَى البعث الموعود؛ والدينُ: الجزاء؛ والواقعُ: الحاصل بالحقيقة. ﴿والسَّمَاءِ ذاتِ الحُبُك(٧)﴾ قيل: ذات الطرائق؛ والمراد: إمَّا الطريق المحسوسة التِي هِيَ مسير الكواكب، أو المعقولة التِي يسلكها النظَّار، ويُتوصَّل بها إِلَى المعارف؛ أو النجوم فإنَّها لها طرائق؛ أو بيان لقبول الأعمال الصالحة، فإنَّها يفتح لها أبواب السَّمَاء.

﴿إنَّكُم لَفِي قول مختَلِف(٨)﴾ فِي الرسول؛ وَهُوَ قولهم تارة: «إِنَّهُ شاعر»، وتارة: «إِنَّهُ ساحر»؛ أو فِي الدين، فإنَّه أَعَمُّ مِنَ الأوَّل، والاختلاف فِيهِ أعظم الاختلاف. ﴿يُؤفَك عَنْهُ مَن أُفِكَ(٩)﴾ يُصرف عَنْهُ من صُرف فِي علم الله وقضائه حتَّى يُكذِّبه. ﴿قُتِل الخرَّاصُونَ(١٠)﴾ الكذَّابون من أصحاب القول المختلف؛ وأصله الدعاء بالقتل، أُجرِيَ مَجرى الهلاك. ﴿الذِينَ هم فِي غمرة﴾ فِي جهل يَغمرهم، ﴿ساهُونَ(١١)﴾ غافلون عمَّا أمروا بِهِ. ﴿يَسأَلون أيَّان يوم الدِّينِ(١٢)﴾؟ أي: يقولون: متى يوم الجزاء؟ أي: وقوعه. ﴿يومَ هم عَلَى النار

---

البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٥.

١ - فِي الأصْلِ: «إلى الحق»، ولا مَعْنَى له.

**يُفتَنُونَ(١٣)﴾** يحرقون **﴿ذوقوا فتنتكم﴾** أي: مَقولاً لَهم هَذَا القول، **﴿هَذَا الذِي كُنتُم بِهِ تَستعجلُونَ(١٤)﴾** هَذَا العذاب الذِي كنتم به تستعجلون.

**﴿إنَّ المُتَّقِينَ﴾** الخرس[1] الذِينَ لاَ ينطقون، وَلاَ يَعْمَلُونَ إلاَّ بِعلم، **﴿فِي جَنَّات وعيُونَ(١٥) آخذين مَا آتاهم ربُّهم﴾** قابلين بمَا أعطاهم، راضين به؛ ومعناه: أَنَّ كلَّ مَا أتاهم عَلَى اختلاف درجاتهم، وعلوِّ مراتبهم، كلٌّ مِنْهُم راض عَن ربِّه لتمام النعمة للجميع؛ **﴿إنَّهُمْ كَانُوا قبل ذَلِكَ مُحسنِينَ(١٦)﴾** فِي العمل. **﴿كَانُوا قليلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهجعُونَ(١٧)﴾** تفسير لإحسانهم؛ وَ«مَا» مزيدة؛ أي: يَهجعون فِي طائفة مِنَ اللَّيْل، أو يهجعون هجوعاً قليلاً؛ أو مصدريَّة، أو موصولة، أي: فِي قليل مِنَ اللَّيْل هجوعهم، أو مَا يهجعون فِيهِ؛ وَلاَ يجوز أن تكون نافِية، لأَنَّ مَا بعدها لاَ يعمل فيما قبلها. وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم: ذِكْرُ القليلِ، واللَّيْلِ (الذِي هُوَ وقت البيات)، والهجوعِ [٥٧١] (الذِي هُوَ الفرار مِنَ النوم)، وزيادةُ «مَا».

**﴿وبالأسحارِ هم يستغفرُونَ(١٨)﴾** أي: أنَّهم مَعَ قلَّة هجوعهم، وكثرة تهجُّدهم، إذا أسحروا أخذوا فِي الاستغفار، كأنَّهم أسلفوا فِي ليلهم الجرائم؛ وفي بناء الفعل عَلَى الضمير، إشعار بأنَّهم أحقَّاء بذلك، لِوُفُور

---

١ - فِي الأَصْلِ: «الخرص»، بالصاد، وَهُوَ خطأ. وهَذَا التفسير لا يحتمله المـَعْنَى اللغويُّ للتقوى، وَإِنَّمَا استنتجه المُصَنِّف بمقابلته مع: «الخرَّاصين» المذكورين آنفا. ويحتمل أَنَّهُ ـ باعتبار السياق اللاحق ـ يقصد المعنى اللغويَّ لخرس، قال فِي القاموس: «ورجل خَرِسٌ، ككَتِف: لا ينام بالليل»، وَلَكِن يعكِّر عَلَيْهِ قوله بعده: «لا ينطقون». انظر: الفيروزآبادي: القاموس، ص٤٨٦، مَادَّة: «خرس».

عِلمِهم با لله وخشيتهم، فيخافون ردًّا لأعمالهم؛ أو يصلُّون. ﴿**وفي أموالهم حقٌّ**﴾ نصيب يستوجبونه عَلَى أنفسهم تقرُّبا إِلَىَ ا لله، وإشفاقا عَلَى الناس، ﴿**للسَّائل والمحروم(١٩)**﴾ وَهُوَ الذِي يُظنُّ غنيًّا فيحرم الصدقة؛ وقيل: السائل الذِي يسأل، والمحروم: المتعفِّف عَن السؤال؛ أو الذِي لاَ يكسب.

﴿**وفي الأَرْض آيات**﴾ أي: دلالات دالَّة عَلَى الصانع، وكمال قدرته، وبدائع حكمته، بِمَا فيهما مِنَ السهل والجبل، والبَرِّ والبحر، وأنواع النبات والأشجار بالثمار المختلفة ألوانها، وطعومها وروائحها، الموافقة لحوائج ساكنيها، ومنافعهم ومصالحهم، وَمَا أنبت فِي أقطارها من أنواع الحيوان المختلفة الصور والأشكال وغير ذَلِكَ، ﴿**للمُوقنِينَ(٢٠)**﴾ الموحِّدين الناظرين المتأمِّلين ببصائرهم، حتَّى أيقنوا حقَّ اليقين.

﴿**وفي أنفسكم أفلا تُبصِرُونَ(٢١)**﴾ في مبتدإ أحوالها، وبنقلها من حال إِلَىَ حال، وَمَا ركّب فِي ظواهرها وبواطنها من عجائب الفطر، وبدائع الحكم، مَا تَحار فِيهِ العقول، وحسبك بالقلوب وَمَا ركّز فِيهَا من لطائف المعاني، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وبالصور والطبائع والألوان، واختلافها فِي كلِّ إنسان، وبالأسماع والأبصار وسائر الجوارح، وَمَا رتّب فِيهَا من فنون الحكمة:

**[و]فِي كلِّ شيء لَـهُ آيـة تدلُّ عـلَى أنـّه واحـد**

﴿**وفي السَّمَاء رِزقكم**﴾ وَهُوَ المطر، لأَنـَّهُ سبب الأقوات، ﴿**وَمَا تُوعَدُونَ(٢٢)**﴾ الجنَّة؛ أو أَرَادَ: إنَّ ما ترزَقونه فِي الدُّنْيَا، وَمَا تُوعدونه فِي العقبى، كلّه مقدَّر مكتوب فِي السَّمَاء. ﴿**فَوَربِّ السَّمَاء والأَرْض إِنـَّهُ لَحقٌّ**

**مثلَ مَا أَنَّكُم تَنطِقُونَ(٢٣)﴾** أي: حقٌّ مثل نطقكم؛ والمعنى: أنـَّه فِي صدقه وتَحققه كالذي تعرفه ضرورة.

**﴿هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيم المكرَمِينَ(٢٤)﴾**؟ قيل: سمـَّاهم «مُكرَمين» لأنـَّهُم كَانُوا مَلاَئِكَة كِرَاما عند ا لله؛ وقد قَالَ ا لله فِي صفتهم: ﴿بَل عباد مكرمون﴾[1] وفيه[2] تفخيمٌ لشأن الحديث، وتنبيهٌ عَلَى أنـَّه أوحي إِلَيْه، **﴿إذ دخلوا عليه، فَقَالُوا: سلاما﴾** أي: نُسلِّم عَلَيْكُم سلاما، **﴿قَالَ: سلام﴾** أي: عَلَيْكُم سلام، **﴿قومٌ منكَرُونَ(٢٥)﴾** أي: أَنتُم قوم غُرباء لاَ نعرفكم، وإنـَّما أنكرهم لأَنَّهُ ظنَّ أنـَّهم بنو آدم و لم يعرفهم.

**﴿فَرَاغَ إِلَى أهله﴾** فذهب إِلَيهِم فِي خفية من ضيفه؛ فإنَّ من أدب المضيِّف أن يُبادره بالقِرَى حَذرًا من أن يكفـَّه الضيف، **﴿فجاء بِعِجْلٍ سمِينٍ(٢٦)﴾** قيل: لأَنَّهُ كَانَ عامَّة ماله البقر. **﴿فقرَّبَهُ إِلَيْهِم﴾** بِأن وضعه بين أيديهم، **﴿قَالَ: أَلاَ تأكلُونَ(٢٧)﴾**؟ أي: مِنْهُ؛ والحثُّ عَلَى الأكل عَلَى طريقة [الأدب]؛ أو قاله أوَّل مَا وضعه؛ وللإنكار إن قاله حيث مَا رأى إعراضهم[3]. **﴿فأوجَسَ مِنْهُم خيفةً﴾** فأضمر مِنْهُم [خوفا][4] لَمـَّا رأى

---

١ - سورة الأنبياء: ٢٦.

٢ - فِي الأَصْلِ: «وفي تفخيم لسان»، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٦.

٣ - العبارة غامضة ولتوضيحها نورد نصَّ البيضاويِّ: «والهمزة فيه للعرضِ والحثِّ عَلَى الأكل عَلَى طريقة الأدب إن قاله أوَّل مَا وضعه؛ وللإنكار إن قاله حينمَا رأى إعراضهم». انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٧.

٤ - إضافة من البيضاويِّ ليستقيم المَعْنَى. المصدر نفسه.

إعراضهم عَن طعامه، لظنِّه أنَّهم [٥٧٢] جاؤوه بشرٌ؛ وقيل: وقع فِي نفسه أنَّهم مَلاَئِكَة أُرسِلوا للعذابِ[1]، ﴿قَالُوا: لاَ تخفْ﴾ إنَّا رُسُل ا لله، ﴿وبشَّروه بغلامٍ﴾ وَهُوَ إسحاق؛ ﴿عليمٍ(٢٨)﴾.

﴿فأقبلتِ امرأتُه فِي صَرَّةٍ﴾ فِي صيحة، ﴿فصكَّت وَجهَهَا﴾ فَلَطمت بأطراف الأصابع جَبهَتَها، فعل المتعجِّب؛ وقيل: وجدت حرارة[2] دم الحيض، فلَطمت وجهها مِنَ الحياء، ﴿وقالت: عجوزٌ عقيمٌ(٢٩)﴾ أي: أنا عجوز عاقر، فكيف أَلِد؟!. ﴿قَالُوا: كذلكِ﴾ مثل ذلك الذِي بشَّرناه، ﴿قَالَ: ربُّكِ﴾ وإنَّما نخبرك بِهِ عَنْهُ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الحكيم العليمُ(٣٠)﴾ فيكون قوله حقًّا، وفعله مُحكمًا.

﴿قَالَ: فما خَطْبُكم أَيُّهَا المرسَلُونَ(٣١)﴾؟ فَلَمَّا علم أنَّهم مَلاَئِكَة، وأنَّهُم لاَ ينزلون مجتمعين إِلاَّ لأمر عظيم، سأل عَنْهُ. ﴿قَالُوا: إِنَّا أُرسِلنا إِلَى قومٍ مُجرِمِينَ(٣٢)﴾ يعنون: قوم لوط. ﴿لِنُرسِلَ عَلَيْهِم حجارةً من طِينٍ(٣٣)﴾ يريد السِّجِّيل، فإنَّه طين متحجِّر. ﴿مُسوَّمةً﴾ مرسلة، مِن "أسمت الماشية"؛ أو مَعَلَّمة، مِنَ السومة: وهي العلامة، أي: معلَّمة عَلَى كلِّ حجر منها اسم من يهلك بِهِ؛ ولعلَّها أن يكون كُلُّ حجر عَلَى قدر ذنب من يهلك بها ويعذَّب، وَا للهُ أعلم بتأويل كتابه؛ ﴿عند رَبِّكَ للمسرفِينَ(٣٤)﴾ المجاوزين الحدَّ فِي الفجور. ﴿فأخرَجْنا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ المؤمنِينَ(٣٥) فما

---

[1] - فِي الأَصْلِ: «أرسلوا العذاب»، وَهُوَ خطأ.

[2] - فِي الأَصْل: «جواره»، ولا مَعْنَى له، وصحَّحناه من المصدر نفسه.

**وَجَدْنا فِيهَا غيرَ بيتٍ مِّنَ الـمُسْلِمِينَ(٣٦) وتركنا فِيهَا آيـةً للذيـن يَخَـافون العذابَ الأليمَ(٣٧)﴾** فإنَّـهم المعتبرون بها.

﴿**وفي موسى إذ أرسلناه إلَى فرعونَ بِسُلطانٍ مُبِـينٍ(٣٨) فتـولَّى بركنِه**﴾ فأعرض عَن الإيمان بِهِ، كقوله: ﴿ونـأى بجانبه﴾[1]؛ أو فتولَّى بِمَا كَانَ يتقوَّى بِهِ من جنوده، ﴿**وقال: ساحرٌ أو مجنُونٌ(٣٩)**﴾ كأنَّه جعل مَا ظهر عليه مِنَ الخوارق، منسوبا إلَى الجنِّ. ﴿**فأخذنـاه وجنـودَه فنبذنـاهم فِي اليمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ(٤٠)**﴾ آتٍ بِمَا يُلاَم عليه مِنَ الكفر والعناد.

﴿**وفي عادٍ إذ أرسلنا عَلَيْهِمُ الريحَ العقيمَ(٤١)**﴾ سمَّاها عقيما، لأَنَّهَا أهلكتهم وقطعت دابرهم؛ أو لأَنَّهَا لم تتضمَّن منفعة. ﴿**مَا تَـذرُ مـن شـيء أتَت عليه**﴾ مرَّت عليه، ﴿**إلاَّ جعلته كالرميمِ(٤٢)**﴾ كالرماد، مِنَ الرمِّ.

﴿**وفي ثمودَ إذْ قيـل لَهُـم: تَمتـَّعوا حَتَّى حِـينٍ(٤٣)**﴾ يفسِّره قوله: ﴿تمتَّعوا فِي داركم ثلاثة أيَّام﴾[2]. ﴿**فَعَتَوْا عَن أمر ربِّهم**﴾ فاستكبروا عن امتثاله، ﴿**فأخذتهم الصاعقةُ**﴾ أي: العذاب، ﴿**وَهُم ينظُرُونَ(٤٤)**﴾ إلَيْها. ﴿**فما استطاعوا من قِيامٍ**﴾ كقوله: ﴿فأصبحوا فِي دارهم جاثمين﴾[3]؛ وقيل: هُوَ من قولهم: "ما يقوم بِهِ" إِذَا عجز عَن دفعه، ﴿**وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ(٤٥)**﴾ مُمتنعين مِنْهُ.

---

١ - سورة الإسراء: ٨٣؛ وسورة فصلت: ٥١.

٢ - سورة هود: ٦٥.

٣ - سورة الأعراف: ٧٨، ٩١. سورة العنكبوت: ٣٧.

**﴿وقومَ نوحٍ﴾** أي: وأهلكنا قوم نوح **﴿مِن قبلُ﴾** هؤلاء، **﴿إنَّهُمْ كَانُوا قوما فاسقِينَ(٤٦)﴾** خارجين عَن الاستقامة بالكفر.

**﴿والسَّمَاءَ بنيناها بأيدٍ﴾** بقوَّة، **﴿وَإنَّا لَمُوسِعُونَ(٤٧)﴾** لقادرون، مِنَ الوسع بمعنى: الطاقة. **﴿والأَرْضَ فَرَشناها﴾** مددناها ليستقرُّوا عليها، **﴿فَنِعْمَ الماهِدُونَ(٤٨) ومن كُلِّ شيءٍ﴾** مِنَ الأجناس **﴿خلقْنا زوجينِ﴾** نوعين، **﴿لَعَلَّكُم تذكَّرُونَ(٤٩)﴾** فتعلموا أنَّ التعدُّد من خواصِّ الممكنات؛ فإنَّ الواجب بالذات لاَ يقبل التعدُّد والانقسام.

**﴿فَفِرُّوا إِلَى ا للهِ﴾** من عقابِهِ بالإيمان والتوحيد، وملازمة الطاعة، **﴿إنِّي لكم مِّنْهُ﴾** أي: من عذابه الـمُعَدِّ لِمَن أشرك وعصى، **﴿نذيرٌ مُّبِينٌ(٥٠) وَلاَ تجعلوا مَعَ ا للهِ إلهًا آخر إنِّي لكم مِّنْهُ نذير مُّبِينٌ(٥١)﴾**[1].

**﴿كذلك﴾** أي: الأمر مثل ذَلِكَ؛ والإشارة إِلَى تكذيبهم الرسول، وتسميتهم إيَّاه ساحرًا أو مَجنونًا، وقوله: **﴿مَا أتى الذِينَ مِن قبلِهم من رسولٍ [٥٧٣] إلاَّ قَالُوا: ساحرٌ أو مجنونٌ(٥٢) أتَواصَوْا بهِ﴾** أي: كأنَّ الأوَّلين والآخرين أوصى بعضهم بعضا بهذا[2] القول، حتَّى قالوه جميعًا، **﴿بَل هم قوم طاغُونَ(٥٣)﴾** إضراب عَن أنَّ التواصي جامعهم لتباعد

---

١ - في الأصل: - ﴿وَلاَ تجعلوا مَعَ ا للهِ إلها آخر إنِّي لكم مِّنْهُ نذيرٌ مُّبِينٌ﴾، وهو سهو، وقد أوردها الناسخ بعد سِتَّة أسطر، بعد قوله: «وتشابه قلوبهم». و لم نجد لها محلاً هناك فحذفناها، ونقلناها إِلَى موضعها هنا.

٢ - في الأصل: «بهذه»، وهو خطأ.

أيَّامهم إِلَى أنَّ الجامع بَيْنَهُم لهذا القولِ مشاركتُهم فِي الطغيان الحاصل[1] عليه، وتشابه قلوبهم.

﴿فتولَّ عَنْهُم﴾ فأعرض عَن مجادلتهم بعدما كرَّرت عَلَيْهِمُ الآيات فأبوا إِلاَّ الإصرار والإعراض، ﴿فما أنت بِمَلُومٍ(٥٤)﴾ عَلَى الإعراض بعدما بذلت جهدك فِي البلاغ. ﴿وذَكِّر﴾ من ترجو مِنْهُ القبول، ﴿فإنَّ الذِّكرَى تنفع المؤمنِينَ(٥٥)﴾ لاَ غيرهم.

﴿وَمَا خَلقتُ الجنَّ والإنسَ إِلاَّ لِيعبدُونِ(٥٦)﴾ إِلاَّ لأجل العبادة، والمعنى فِي ذَلِكَ أنَّه ليَأْمُرَهم بعبادته وطاعته، ولم يخلقهم ليعصوه، وَلاَ ليعبدوا غيره، جلَّ الله وعزَّ عَن ذَلِكَ، وخلق لَهُمُ القوَّة للطاعة لاَ للمعصية، كما خلقهم للطاعة لا للمعصية، عَلَى معنى الأمر والنهي. ﴿مَا أريد مِنْهُم مِّن رِزقٍ﴾ أي: لاَ أستعين بهم فِي تحصيل أرزاقهم ومعايشهم، بل أتفضَّل عَلَيْهِم برزقهم وبما يصلحهم.

﴿وَمَا أريد أن يُطعِمونِ(٥٧)﴾ أي: وَمَا أريد أن يُطعموا أحدا من خلقي وَلاَ أنفسهم؛ وإِنَّمَا أُسند إِلَى نفسه، لأنَّ الخلق كلَّه عياله[2]؛ ومن

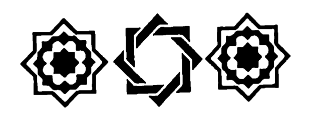
---

١ - فِي البيضاوي: «الحامل عَلَيْهِ». انظر: ج٤/ ص١٦٨.

٢ - روى أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجه والبزَّار عن أنس، والطبرانيُّ فِي الكبير عن ابن مسعود قوله ﷺ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ». انظر: برنامج سلسلة كنوز السنَّة: الجامع الصغير وزياداته.

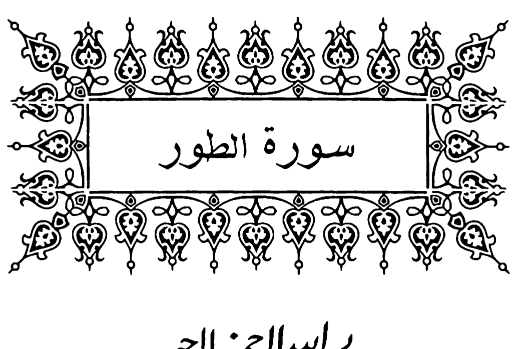
أطعم عيال أحدٍ فكأنَّما أطعمه[1]؛ وفيه تنبيه عَلَى أنَّهم لم يخلقوا لكسب الأرزاق، وإنَّما خُلِقوا للعبادة؛ والأرزاق متكفَّل بها وحده، بدليل قوله: ﴿إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ لعباده وللخلائق كلِّهم، فلا يحتاج إِلَى مُعين، ﴿ذو القوَّة المتِينُ(٥٨)﴾ الشديد القوَّة البليغ الاقتدار عَلَى كلِّ شيء.

﴿فإنَّ للذين ظَلَموا﴾ (لَعَلَّهُ) اتَّخذوا أنفسهم للأرزاق دون العبادة ﴿ذَنوبا﴾ أي: للذين ظلموا أنفسهم نصيبًا مِنَ العذاب، ﴿مثل ذَنوب أصحابهم﴾ مثل نصيب نظرائهم مِنَ الأمم السالفة؛ وَهُوَ مأخوذ من مُقاسمة السَّقَّاء الماء بالدلاء، فإنَّ الذَّنوب: هُوَ الدلو العظيم المملوء، ﴿فلا يَستعجلونِ(٥٩)﴾ جواب لقولهم: ﴿متى هَذَا الوعد إن كُنتُم صادقين﴾[2] ﴿فويلٌ للذين كَفَرُوا من يومهم الذِي يُوعَدُونَ(٦٠)﴾ من يوم القيامة.



١ - وروى مسلم عن أبي هريرة قوله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ...يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟...» الحديث. انظر: برنامج سلسلة كنوز السنَّة: الجامع الصغير وزياداته.

٢ - سورة يونس: ٤٨؛ الأنبياء: ٣٨...



# سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والطورِ(١) وكتابٍ مسطورٍ(٢) فِي رَقٍّ منشورٍ(٣)﴾ الرَقُّ مَا يكتب فِيهِ، المنشور: المبسوط؛ وقيل: هُوَ ديوان الحفظة[1] لقوله: ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يومَ القيامةِ كِتَابًا يَلقاه[2] منشورًا﴾[3]. ﴿والبيتِ المعمورِ(٤)﴾ قيل: هُوَ الكعبة، وعِمَارتها بالحُجَّاج والمجاورين؛ أو الضُّرَاح[4]، قيل: هُوَ فِي السَّمَاء، وعمرانه كثرة غاشيته من المَلاَئِكَة؛ أو قلب المؤمن، وعمارته بالمعرفة والإخلاص. ﴿والسقفِ المرفوعِ(٥)﴾ قيل: هُوَ السَّمَاء، ﴿والبحرِ المسجورِ(٦)﴾.

﴿إنَّ عذاب رَبِّكَ لَوَاقِعٌ(٧) مَا لَهُ من دافِعٍ(٨)﴾ يدفعه؛ ووجه دلالة هَذِهِ الأمور المقسَم بها عَلَى ذَلِكَ، أنَّها أمور تدلُّ عَلَى كمال قدرة الله وحكمته،

---

١ - فِي الأَصْلِ: «الحِفظِ»، وصحَّحناه من البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص ٢٣٦.

٢ - في الأصل: - «يلقاه»، وهو سهو.

٣ - سورة الإسراء: ١٣.

٤ - فِي القاموس: «الضُّراح، كغُراب: البيت المعمور فِي السماء الرابعة». الفيروزآبادي: القاموس، ص٢١٠، مَادَّة: «ضرح».

[٥٧٤] وصدق أخباره، وضبط أعمال العباد للمجازاة. ﴿**يوم تمورُ السَّمَاء مَوْرا(٩)**﴾ قيل: تضطرب، والمور: تردُّد في المجيء والذهاب؛ وقيل: تُحَرَّك. ﴿**وتسير الجبال سيرا(١٠)**﴾ أي: تسير عَن وجه الأَرْض، فتصير هباءً.

﴿**فويل يومئذٍ للمكذِّبينَ(١١)**﴾ أي: إِذَا وقع ذَلِكَ فويلٌ لَهُم، ﴿**الذِينَ هم فِي خَوضٍ يَلعبُونَ(١٢)**﴾ أي: فِي الخوض فِي الباطل. ﴿**يوم يُدَعُّون إِلىَ نار جَهَنَّم دَعًّا(١٣)**﴾ يدفعون إِلَيْهِا بعنف؛ قيل: تُغلُّ أيديهم إِلىَ أعناقهم، وتجمع نواصيهم إِلىَ أقدامهم، فيُدفعون إِلىَ النار. ﴿**هَذِهِ النار التِي كُنتُم بها تكذِّبُونَ(١٤)**﴾ أي: يقال لَهُم ذَلِكَ.

﴿**أَفَسِحرٌ هَذَا**﴾؟ أي: كُنتُم تقولون للوحي: هَذَا سحر؛ ﴿**أم أَنتُم لاَ تُبصرُونَ(١٥)**﴾؟ هَذَا أَيْضًا كما كنتم لا تبصرون فِي الدُّنْيَا مَا يدلُّ عليه، وَهُوَ تقريع وتهكُّم، أم سُدَّت[1] أبصاركم كما سُدَّت فِي الدُّنْيَا عَلَى زعمكم حين قلتم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرت أبصارنا﴾[2]. ﴿**اِصْلَوْهَا**﴾ قاسوا شدَّتها، ﴿إِنَّمَا تُجزَوْنَ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ﴾ وَلاَ راحة، صبرتم أم جزعتم، ﴿**فاصبروا أو لاَ تصبروا**﴾ أي: ادخلوها فِي أيِّ شئتم مِنَ الصبر وعدمه، فإنَّه لاَ محيص لكم عنها، (لَعَلَّهُ) وَلاَ راحة، صبرتم أم جزعتم، ﴿**سواء عليكم**﴾ أي: الأمر مِنَ الصبر وعدمه، لاَ نفع فِي أحدهما، ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(١٦)**﴾.

---

١ - فِي الأَصلِ: «سد».

٢ - سورة الحجر: ١٥.

﴿إنَّ المُـتَّقِينَ فِي جَنَّات ونعيم(١٧) فاكهين﴾ ناعمين متلذِّذين، ﴿بمَا آتاهم ربُّهم ووقاهم ربُّهم عذابَ الجحيم(١٨) كلوا واشربوا هنيئا﴾ وَهُوَ الذِي لاَ تنغيص فِيهِ، مأمون العاقبة مِنَ التخمة والسقم والمنَّة، ﴿بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(١٩)﴾ بسببه أو بدله.

﴿مُتَّكئين عَلَى سُرُرٍ مصفوفةٍ، وزَوَّجناهم بِحُورٍ عِينٍ(٢٠) وَالذِينَ آمنوا واتَّبعتْهم ذرِّيَّتَهم[1] بإيمان أَلحقنا بهم ذرِّيَّتَهم وَمَا أَلَتْنَاهم﴾ وَمَا نقَّصناهم ﴿من عملهم مِّن شيء، كُلُّ أمرئ بِمَا كَسَبَ رهِينٌ(٢١)﴾ بعمله السيِّء، مرهون عند الله بِهِ، فإن خلَّص نفسه مِنْهُ بالتوبة، وإصلاح مَا أفسد، وأدَّى مَا تعلَّق عليه بِهِ من حقوق الله، وحقوق خلقه نجا، وَإِلاَّ أغلق [كَذَا] الرهن بِمَا فِيهِ، وهلكَتْ مَعَ الهالكين.

﴿وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ مِّمَّا يشتهُونَ(٢٢)﴾ من أجناس اللحوم ﴿يتنازعون فِيهَا﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم، ﴿كأسا﴾ خمرًا سمَّاها باسم محلِّها. ﴿لاَ لغوٌ فِيهَا وَلاَ تأثيمٌ(٢٣)﴾ أي: لاَ يتكلَّمون بلغو الحديث فِي أثناء شربها، وَلاَ يفعلون مَا يؤثم بِهِ فاعله، كما هُوَ عادة الشاربين فِي الدُّنْيَا.

﴿ويطوف عليهم﴾ بالكأس ﴿غلمان لَهُم﴾ أي: مماليك مخصوصون بهم، ﴿كَأَنَّهُم لؤلؤ مكنُونٌ(٢٤)﴾ مصون في الصدف من بياضهم

---

١ - فِي الأَصْلِ: ﴿وأتبعناهم ذرِّيَّاتهم بإيمان أَلحقنا بهم ذرِّيَّاتهم﴾، وهي قراءة أبي عمرو. انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٦٩. الألوسي: روح المعاني، ج٢٧/ ص٢٣.

وصفائهم. وعنه الطَّيِّلاً: «*والذي نفسي بيده إنَّ فضل المخدوم عَلَى الخادم كفضل القمر ليلة البدر عَلَى سائر الكواكب*»[1]. قيل: مَا من أحد من أهل الجنَّة إلاَّ يسعى عليه ألف غلام، وكلُّ غلام عَلَى عمل غير مَا عليه صاحبه.

﴿**وأقبَلَ بعضهم عَلَى بعض** [٥٧٥] **يتساءلُونَ(٢٥)**﴾ يسأل بعضهم بعضا عَن أحواله وأعماله عَلَى معنى التفكُّه، يتذاكرون مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ التعب والخوف فِي الدُّنْيَا. ﴿**قَالُوا إنَّا كُنَّا قبلُ فِي أهلنا مشفِقِينَ(٢٦)**﴾ خائفين من عصيان الله وجلين مِنَ العاقبة. ﴿**فمنَّ الله علينا**﴾ بالرحمة والتوفيق، ﴿**ووقانا عذابَ السَّموم(٢٧)**﴾ عذاب النار النافذة فِي المسامِّ (لَعَلَّهُ) وَهُوَ اسم من أسماء جهنَّم. ﴿**إنَّا كُنَّا من قبلُ ندعوه**﴾ نعبده، أو نسأله الوقاية، ﴿**إنَّهُ هُوَ البَرُّ**﴾ (لَعَلَّهُ) المحسن، ﴿**الرحيم(٢٨)**﴾ الكثير الرحمة.

﴿**فَذَكِّرْ**﴾ فاثبت عَلَى التذكير، وَلاَ تكترث بقولهم، ﴿**فما أنت بنعمة ربِّك**﴾ بحمد الله وإنعامه، ﴿**بكاهنٍ وَلاَ مجنونٍ(٢٩)**﴾ كما يقولون. ﴿**أم يقولون شاعر نتربَّص بِهِ ريبَ الْمَنُونِ(٣٠)**﴾ مَا تقلق النفوس بِهِ من

---

١ - أورده البغويُّ فِي تفسيره، قال: «وعن قتادة قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْخَادِمُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟ قَالَ: فَضْلُ الْمَخْدُومِ عَلَى الْخَادِمِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ» و لم يعزه إلَى أحد. وأورده الزمخشريُّ كما أورده المُصَنِّف هنا، أي بزيادة: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»، وقال مصحِّحه: «أخرجه عبد الرزَّاق... وأخرجه الثعلبيُّ من رواية الحسن مرسلاً». انظر: البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص٢٤٠. الزمخشري: الكشَّاف، ج٤/ ص٣٢٧.

حوادث الدهر؛ وقيل: المنون الموت. ﴿**قل تربَّصوا فَإِنـِّي معكم مِّنَ المتربِّصِينَ(٣١)**﴾ أتربَّص هلاككم كما تتربَّصون هلاكي.

﴿**أم تأمرهم أحلامهم**﴾ عقولهم ﴿**بهذا**﴾؟ بهذا[1] التناقض فِي القول؛ فإنَّ الكاهن يكون ذا فطنة ودقَّة نظر، والمجنون مغطًّى عقله، والشاعر يكون ذا كلام موزون متَّسق[2] مُخيَّل، وَلاَ يتأتَّى ذَلِكَ مِنَ المجنون؛ وأمر الأحلام مجاز أدائها الوهم[3]، ﴿**أم هم قوم طاغُونَ(٣٢)**﴾؟ مُجاوزون الحدَّ فِي العناد؛ وقرئ: «بَل هم». ﴿**أم يقولون: تَقَوَّله**﴾؟ اختلقه من تلقاء نفسه، ﴿**بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ(٣٣)**﴾ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم. ﴿**فليأتوا بحديثٍ مِّثْلِه إن كَانُوا صادقِينَ(٣٤)**﴾ كما يقولون: إنَّه تقوَّله، لأَنَّهُ إِذَا قدر هُوَ أن يتقوَّله قدروا هم عَلَى مثله، لأَنَّهُم مثله فِي الخلقة أو الفصاحة.

﴿**أم خُلِقُوا من غير شيء**﴾؟ أم أُحدِثوا أو قُدِّروا من غير مُحدِث، أو مُقدِّر، فلذلك لاَ يعبدونه؛ أو من أجل لاَ شيء من عبادة وجزاء عليها، ﴿**أم**

---

١ - فِي الأَصْلِ: «لهذا».

٢ - فِي الأَصْلِ: «مستق»، وَهُوَ تصحيف.

٣ - الصواب: «إِلَيْهِ»، كما فِي سائر التفاسير، ولتوضيح العبارة نورد ما قاله الألوسيُّ: «وأمرُ الأحلام بذَلِكَ مجازٌ عن التأدية إِلَيْهِ بعلاقة السببيَّة كما قيل، وَقِيلَ: جُعلت الأحلام آمرةً عَلَى الاستعارة المكنيَّة، فتُشبَّهُ الأحلام بسلطان مطاع تشبيها مضمرا فِي النفس، وتُثبت له الأمر عَلَى طريق التخييل». الألوسي: روح المعاني، ج٢٧/ ص٣٧. وانظر نحو ذَلِكَ فِي: الزمخشري: الكشَّاف، ج٤/ ص٣٢٩. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٧٠. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص١٥٠.

**هُمُ الخالقُونَ(٣٥)﴾**؟ يُـؤَيِّـد الأوَّل، فإنَّ معناه: أم خَلَقوا أنفسـهم؛ ولذلـك عقَّبه بقولـه: **﴿أم خلقـوا السَّـمَاوَات والأَرْضَ؟ بَـل لاَّ يوقــنُونَ(٣٦)﴾** إِذَا سئلوا: من خلقكم؟ ومن خلق السَّمَاوَات والأَرْض؟ قَالُوا: ا للهُ؛ إذ لـو أيقنـوا ذَلِكَ لَمَا أعرضوا عَن عبادته.

**﴿أم عندهم خزائن رَبِّك﴾** خزائن رزقه حتَّى يرزقوا النبوَّة من شـاءوا؛ أو خزائن علمه حتَّى يختاروا لها، **﴿أم هُمُ الـمُسيطرُونَ(٣٧)﴾** الغالبون عَلَى الإنشاء يدبِّرونها[1] كيف شاؤوا. قَالَ عطاء: «أرباب قـاهرون، فـلا يكونـوا تحت أمر ونهي، يفعلون مَا شاؤوا»[2]. **﴿أم لَهُم سُلَّمٌ﴾** مرتقى إِلَى السَّمَــاء، **﴿يستمعون فِيهِ﴾** صـاعدين فِيـهِ إِلَى المَلاَئِـكَة، وَمَـا يُوحَـى إِلَـيْهِم مـن علـم الغيب، حتَّى يعلموا مَا هُوَ كائن. **﴿فليأتِ مُستَمِعُهم بسلطانٍ مُبِينٍ(٣٨)﴾** بحجَّة واضحة تُصدِّق استماعه.

**﴿أم لَهُ البناتُ ولكمُ البنُونَ(٣٩)﴾**؟ فِيهِ تسـفيه لهـم، وإشـعار بـأَنَّ مـن هَذَا رأيه لاَ يعدُّ مِنَ العقلاء، فضلا أن يترقَّى بروحه إِلَى عالم الملكوت؛ فيطَّلع عَلَى الغيوب. **﴿أم تسألهم أجرا﴾** عَلَى تبليغ الرسالة، **﴿فَهُم من مَّغـرم﴾** مِنَ التزام غرم **﴿مُثـقَلُونَ(٤٠)﴾** يحملـون الثقـل؛ فلذلـك زهـدوا[3] فِي [٥٧٦] اتِّـبَاعك. **﴿أم عندهم الغيبُ﴾** اللوح المحفوظ المثبـت فِيـهِ المغيـبات، **﴿فَهُـم يَكتُبُونَ(٤١)﴾** مِنْـهُ.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «يدبروا لها»، وصحَّحناها من البيضاوي: المصدر نفسه.

٢ - البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص٢٣٩.

٣ - فِي الأَصْلِ: «اهدوا»، ولا مَعْنَى له، وصحَّحناه من البيضاوي: المصدر نفسه.

﴿أم يريدون كيدا﴾ فِي هدم الدين، ﴿فالذين كَفَرُوا هُمُ الْمَكيدُونَ(٤٢)﴾ هُمُ الذِينَ يحيق بهم الكيد، ويعود عَلَيْهِم وبال كيدهم؛ والمغلوب فِي الكيد: من كايدته فكدته. ﴿أم لَهُم إلهٌ غيرُ ا للهِ﴾ يُغِيثهم، ويَحرسهم من عذابه، ﴿سبحان ا لله عَمَّا يُشركُونَ(٤٣)﴾ تنزيه لَهُ عَن إشراكهم، أو شركه مَا يشركونه بِهِ.

﴿وإن يَّرَوْا كِسْفًا﴾ قطعة ﴿مِنَ السَّمَاء ساقطا، يقولوا﴾ مِن فرط طغيانهم وعنادهم: ﴿سحابٌ مَركُومٌ(٤٤)﴾ تراكم بعضه عَلَى بعض، وَهُوَ قولهم: ﴿فأسقِطْ علينا كسفا مِنَ السَّمَاء﴾[1]. ﴿فذرهم حَتَّى يلاقوا يومَهم الذِي فِيهِ يَصعقُونَ(٤٥)﴾ وَهُوَ عند خروج أرواحهم مِنَ الدُّنْيَا. ﴿يوم لاَ يُغنِي عَنهُم كيدُهم شَيْئًا﴾ أيَّ شيء مِنَ الإغناء فِي ردِّ العذاب، ﴿وَلاَ هم يُنصَرُونَ(٤٦)﴾ يُمنَعون من عذاب ا لله.

﴿وإنَّ للذين ظلموا عذابا دون ذَلِكَ﴾ أي: دون عذاب الموت وَمَا بعده؛ وَهُوَ تعذيبهم فِي الدُّنْيَا بكدِّهم لها، وجمعهم لحطامهم[2]، وَمَا يعصون ا لله بِهِ، (لَعَلَّهُ) لأَنـَّهُم عبَّاد إبليس من غير جلب نفع وَلاَ دفع ضرٍّ، ينالون مِنْهُ بعكوفهم عَلَى عبادته جميعَ مَا يصيبهم مِنَ المصايب فِي الأنفس والمال والأقارب، وكلَّ شيء يتألـَّمون بِهِ وَلاَ يُؤجَرون عليه؛ فهو عذاب مُعجَّل لَهُم كما قَالَ: ﴿ولنذيقنـَّهم مِّنَ العذابِ الأدنَى دونَ العذابِ الأكبر﴾[3]، وقال:

---

١ - سورة الشعراء: ١٨٧.

٢ - الصواب: «لحطامها»، وَلَكِنَّ الناسخ شطَّب عَلَى الصحيح وأثبت الخطأ: «لحطامهم».

٣ - سورة السجدة: ٢١.

﴿فلاَ تُعجبْك أموالهم وَلاَ أولادهم...﴾[1] الآية، وَأَمـَّا المؤمـن ـ وإن أصابـه مكـروه فِي الدُّنْـيَا ـ فذلـك لاَ يُسـمَّى عذابـا، لأَنـَّهُ مُثـاب عليـه، ولأنـَّه لم يرتكب ذنبا فَيستحقَّ بهِ العقوبة، ولأنـَّه عـابد لله ينـال بذلـك خـير الداريـن، ويُكفـي شـرَّهما. ﴿ولكـنَّ أكـثرهم لاَ يَعْلَمُـونَ(٤٧)﴾ أنـَّهـم معذَّبـون، ويحسبون أنـَّهم والمؤمنون فِي الآلام بمثابة وَاحِدَة؛ كَلاَّ بـل لاَ يكونـون سـواء، كما قَالَ: ﴿أم حسب الذِينَ اجـترحوا السَّيِّئـَات أن نجعلهـم كـالذين آمنـوا وعملوا الصالحات، سواء مَحيَاهم ومماتُهم؟! ساء مَا يحكمون﴾[2].

﴿واصـبر لِحُكـمِ ربـِّك﴾ بإمهـالهم، وإتعـابك فِي عنـائهم، ﴿فإنـَّك بأعيننا﴾ فِي حفظنا بحيث نراك. ﴿وسبِّح بِحمـد رَبـِّكَ حين تَقُـوم(٤٨)﴾ [مِن] أيِّ مكَانٍ قمتَ، أو مـن منامك؛ [أو] مَـا دُمـت يقظانـا إِلَىَ أن يغلبـك النوم، وهكذا (لَعَلَّهُ) المؤمن؛ أو إِلَىَ الصلاة[3]. ﴿ومن اللَّيْـلِ فسـبِّحْه﴾ فـإنَّ العبادة فيه أشقُّ عَلَى النفس، وأبعد عَن الرياء، ولذلك أفرده بالذكر، ﴿وإدبار النجوم(٤٩)﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر اللَّيْـــل، وبـالفتح قـرئ، أي: فِي أعقابها إِذَا غربت أو خفيت.

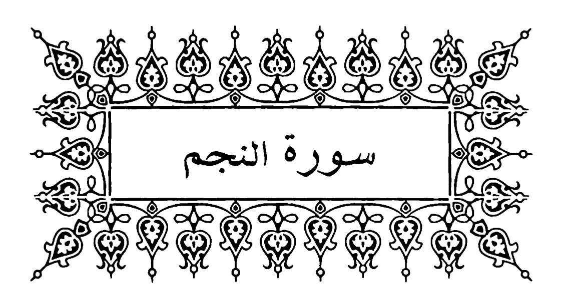
❁❁❁

---

١ - سورة التوبة: ٨٥؛ ومحلُّ الشاهد فِي تمامهـا: ﴿إِنـَّمَا يريـد ا لله ليعذِّبهـم بهـا فِي الحيـاة الدنيا وتَزهَقَ أنفسُهم وهم كافرون﴾.

٢ - سورة الجاثية: ٢١.

٣ - كتبت فِي الحاشية هَذِهِ العبارة وَلَكِن بدون إحالة إليها من المتن: «كما رفعه أبو سعيد: أنَّ هَذِهِ الآية بيان لغرض التوجيه».



# سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنجمِ إِذَا هوى(١)﴾ أقسم بجنس النجم أو الثريَّا؛ فإنَّه أغلب فِيهِ إِذَا غرب، أو انتثر يوم القيامة؛ أو أنقص، أو طلع، (لَعَلَّهُ) أو النجم من نجوم القرآن، وقد نزل مُنجَّما، ﴿إِذَا هوى﴾ إِذَا نزل. ﴿مَا ضَلَّ صاحبُكم﴾ مَا عدل محمَّد ﷺ عَن الطريق المُسْتَقِيم، ﴿وَمَا غوَى(٢)﴾ وَمَا اعتقد [٥٧٧] باطلاً؛ والمراد: نفي مَا ينسبون إِلَيْهِ. ﴿وَمَا ينطِقُ عَن الهوى(٣)﴾ وَمَا يصدر نطقه بالقرآن عَن الهوى.

﴿إِن هُوَ﴾ ما القرآن، أو الذِي ينطق بِهِ، ﴿إِلاَّ وحيٌ يُوحَى(٤)﴾ يوحيه الله إِلَيْهِ. ﴿علَّمه شديدُ القوى(٥)﴾ مَلَك شديد قواه، وَهُوَ جبريل. ﴿ذو مِرَّة﴾ قويٌّ، ﴿فاستوى(٦)﴾ استولى بقوَّته عَلَى مَا جعل لَهُ مِنَ الأمر. ﴿وَهُوَ بالأُفُقِ الأعلى(٧)﴾ أفق السَّمَاء؛ والضمير لجبريل.

﴿ثُمَّ دنا﴾ مِنَ النبيِّ ﴿فتدلَّى(٨)﴾ قيل: تدلَّى مِنَ الأفق الأعلى، فَدَنا من الرسول. ﴿فكان﴾ جبريل، كقولك: [هو] منِّي مَعقد الإزار؛ أو المسافة بينهما، ﴿قاب قوسين﴾ مِقدارهما، والقاب والقيب، والقاد والقيد، والقاس والقيس:

المقدار، وأصله: فكَان مقدارُ مسافةِ قُربِه مثلَ قابَ قوسين، ﴿أو أدنى(٩)﴾ أو أقرب؛ وذلك تحقيق استماعه لِمَا يوحى إِلَيْهِ بنفي البعد الملبس.

﴿فأوحَى﴾ جبريل، ﴿إلَى عبده﴾ عبد الله ﴿مَا أوحَى(١٠)﴾ جبريل؛ وفيه تفخيم الموحَى بِهِ، أو الله إِلَيْهِ؛ وقيل: الضمائر كلُّها لله تعالى، وَهُوَ شديد القوى، كما فِي قوله: ﴿هُوَ الرزَّاق ذو القوَّة المتينُ﴾[1]؛ ودُنوُّه مِنْهُ: ترفُّع مكانته، وتدلِّيه: جذبه بشراشره إِلَى جنَّات القدس. ﴿مَا كَذَبَ الفؤاد مَا رأى(١١)﴾ مَا رأى ببصره من أحوال جبريل، وَمَا أوحي إِلَيْهِ بِهِ، أو مَا رآه بقلبه مِنَ الوحي والإلهام. ﴿أفتمارونه عَلَى مَا يَرَى(١٢)﴾؟ أفتجادلونه عليه، مِنَ المراء: وَهُوَ المجادلة؛ واشتقاقه مِن "مَرَى الناقةَ"[2]، كَأَنَّ كلاًّ[3] مِنَ المتجادلين يَمْرِي مَا عند صاحبه.

﴿وَلَقَد رآه نَزلَةً أُخرَى(١٣)﴾ مرَّة أُخرَى "فَعْلَة" مِنَ النزول، أقيمت مقام المرَّة، ونُصِبَتْ نصبَها إشعارًا بِأَنَّ الرؤية فِي هَذِهِ المرَّة كَانَت أَيْضًا بنزول ودنوٍّ، ﴿عند سِدرةِ المنتهَى(١٤)﴾ التِي ينتهي إِلَيْهَا علم الخلائق وأعمالهم، أو ما ينزل من فوقها، وَمَا يصعد من تَحتها، ولعلّها شُبِّهت بالسدرة ـ وهي شجرة النبق ـ لأَنَّهُمْ يجتمعون فِي ظلِّها؛ والمنتهى: موضع

---

١ - سورة الذاريات: ٥٨.

٢ - «مَرَى الناقةَ يَمْرِيها مسَحَ ضرعَها، فأمْرَت هي: درَّ لبنُها، وهي المُرية بالضمِّ والكسر». الفيروزآبادي: القاموس، ص١٢٠٠، مَادَّة: «مري».

٣ - فِي الأَصل: «من كل»، ولا مَعْنَى له، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٧٢.

الانتهاء، لم يجاوزها أحد، وإِلَيْهِا ينتـــهي علم المَلاَئِـكَة وغيرهم، وَلاَ يعلم أحد مَا وراءها؛ وقيل: تـنـتـهي إِلَيْهِا أرواح الشهداء؛ ويحتمل مَا رآه فِي هَـٰذِهِ النزلة بأحوال[1] القيامـة. ﴿**عندهـا جـنّة المأوى(١٥)**﴾ الجـنّة التِـي يـأوي إِلَيْهِا المتّقون، أو أرواح الشـهداء. ﴿**إذ يَغشَى السـدرةَ مَا يَغشَى(١٦)**﴾ تعظيم وتـنكير لِمَا يغشاها، بحيـث لاَ يكتـنـهها[2] نعـت، وَلاَ يحصيهـا عـدد؛ وقيل: يغشاها الجمُّ الغفير مِنَ المَلاَئِـكَة، يعبدون ا لله عندها.

﴿**مَا زاغَ البصـر**﴾ مَـا مـال بصـر رسـول ا لله ﷺ عَمــَّا رآه، ﴿**وَمَـا طَغَى(١٧)**﴾ وَمَا تجاوزه، بل أثبته إثباتا صحيحًا متيقّنا؛ أو مَا عدل عَن رؤية العجائب التِـي أُمر برؤيتها وَمَا جاوزها. ﴿**لَقَـد رأى**﴾ وَا للهِ لَقَـد رأى ﴿**من آيات ربّـه الكبرى(١٨)**﴾ أي: وا لله لقـد رأى الكـبرى مـن آياتـه وعجائبـه الملكيَّة والملكوتيَّة ليلة المعراج.

﴿**أفرأيتم اللاّتَ والعُزّى(١٩) ومَناةَ الثالثة [٥٧٨] الأخرى(٢٠)**﴾ هِيَ أصنام كَانَت لَهُم. ﴿**أَلَكُمُ الذّكَرُ وَلَـهُ الأنـثى(٢١)**﴾ إنكـار لقولهـم: المَلاَئِـكَة بنـات ا لله. ﴿**تلك إِذًا قسـمةٌ ضِيزَى(٢٢)**﴾ جـائرة، حيـث جعلتـم لَـهُ مَـا تـستنكفون [منه]، وهي "فعلى" مِنَ الضـيز: وهـو الجـور. ﴿**إن هِـيَ إلاّ أسماء**﴾ الضمير للأصنام، أي: مَا هِـيَ باعتبـار الألوهيـَّة إلاّ أسمـاء (لَعَلّـهُ) وأمثـال وصـور تطلقونها عليها، لأنَّكم تـقولون: إنـَّها آلهة، وليس فِيهَا شيء من معنى الألوهيـَّة؛

١ - الصواب: «من أحوال».

٢ - فِي الأَصْلِ: «يكتـنها» وَهُوَ خطأ.

أو للصفة التِي تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء؛ أو للأسماء المذكورة، فإنَّها كَانُوا يطلقون اللاَّت عليها، باعتبار استحقاقها للعكوف عَلَى عبادتها؛ والعزَّى لعزَّتها؛ ومناة: لاعتقادهم أنَّها تستحقُّ أن يتقرَّب إِلَيْهَا بالقرابين، ﴿سمَّيتموها أنتم وآباؤكم﴾ بهواكم، ﴿مَا أنزل الله بها من سلطان﴾ برهان تتعلَّقون بِهِ. ﴿إن يتَّبعون إلاَّ الظنَّ﴾ إلاَّ التوهُّم أنَّ ما هم عليه حقٌّ، تقليدًا وتوهُّمًا باطلاً، ﴿وَمَا تهوَى الأنفسُ﴾ وَمَا تشتهيه الأنفس؛ ﴿وَلَقَد جاءهم مِّن رَّبِّهِمُ الهُدَى(٢٣)﴾ حُجَجُه وبراهينه.

﴿أم للإنسان مَا تمنَّى(٢٤)﴾ أي: ليس [له] مَا يتمنَّاه؛ والمراد: نفي طمعهم فِي شفاعة الآلهة؛ وقولهم: ﴿ولئن رُّجِعتُ إِلَى رَبِّي إنَّ لي عنده لَلحُسنَى﴾[1]. ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ والأولى(٢٥)﴾ يعطي منهما مَا يَشَاء لمن يريد، وليس لأحد أن يتحكَّم فِي شيء منهما. ﴿وكم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَات لاَ تُغنِي شفاعتُهم شَيْئًا﴾ وكثير مِنَ المَلاَئِكَة لاَ تغني شفاعتهم شَيْئًا ولا تنفع، ﴿إِلاَّ من بَعدِ أن يأذنَ الله﴾ فِي الشفاعة، ﴿لمن يَشَاء﴾ مِنَ الناس أن يشفع لَهُ ﴿ويرضَى(٢٦)﴾ ويراه أهلا لذلك؛ فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم؟!.

﴿إِنَّ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَة لَيُسَمُّونَ المَلاَئِكَة﴾ أي: كلَّ وَاحِد مِنْهُم، ﴿تسمية الأنثى(٢٧)﴾ بأن سمَّوْه بنتًا[2]. ﴿وَمَا لَهُم بِهِ من علم﴾ أي: مِمَّا

١ - سورة فصِّلت: ٥٠.

٢ - فِي الأَصْلِ: «نبيًّا»، وَهُوَ تصحيف.

يقولون، ﴿إن يتَّبعون إلاَّ الظنَّ وإنَّ الظنَّ لاَ يغني مِنَ الحَقِّ شَيْئًا(٢٨)﴾ فإنَّ الحقَّ الذِي هُوَ حقيقة الشيء لاَ يدرك إلاَّ بالعلم؛ والظنُّ لاَ اعتبار لَهُ فِي المعارف الحقيقيَّة؛ وإنَّما العبرة فِي العِلمِيَّات[1] وَمَا يكون وصله إِلَيْها.

﴿فأعرضْ عَمَّن تولَّى عَن ذِكْرِنا ولم يُرِدْ إلاَّ الحياةَ الدُّنْيَا(٢٩)﴾ فأعرضْ عَن دعوته والاهتمام بشأنه، فإنَّ من غفل عَن أمر ا لله، وأعرض عَن ذكره، وانهمك فِي الدُّنْيَا، بحيث كَانَ[ت] منتهى هِمَّته، ومبلغَ علمه، لاَ تزيده الدعوة إلاَّ عِنادًا، وإصرارًا عَلَى الباطل؛ أو أعرِضْ[2] عمَّن تولَّى ودعاك إِلَى باطل، أو دعوته إِلَى حقٍّ فلم يقبل. ﴿ذَلِكَ مَبلَغُهم مِّنَ العلم﴾ لاَ يتجاوزُ[هُ] عِلمُهم إِلَى الأمرِ الأخرويِّ، لأَنَّهُم لم يؤمنوا بِهِ إيمانا حقيقيًّا، وذلك نهاية عِلمِهِم أن آثروا الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَة؛ وقيل: لم يبلغوا مِنَ العلم إلاَّ علما ظنِّيًّا لأمر (لَعَلَّهُ) الآخِرَة، ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلم بمن ضلَّ عَن سبيله وَهُوَ أعلم بمن اهتدى(٣٠)﴾ تعليل للأمر بالإعراض؛ أي: إنَّمَا يعلم ا لله من يجيب مِمَّن لاَ يجيب؛ فلا تُتعِب نفسك فِي دعوتهم، إذ مَا عليك [٥٧٩] إلاَّ البلاغ.

﴿و لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ خلقا وملكا، ﴿لِيجزيَ الذِينَ أساءوا بِمَا عَمِلوا﴾ بعقاب مَا عملوا مِنَ السوء، أو بمثله؛ أو بسبب مَا عملوا مِنَ السوء، وَهُوَ علَّة لـما دَلَّ عليه مَا قبله؛ أي: خلق العالم وسوَّاه للجزاء؛ أو ميَّز الضالَّ مِنَ المهتدي، وحفظ أحوالهم، كذلك. ﴿وَيَجْزِيَ الذِينَ أحسنوا

---

١ - فِي البيضاوي: «العمليَّات»، ويبدو أَنَّهُ الأصوب. تفسير، ج٤/ ص١٧٣.

٢ - فِي الأصْل: «أو إعراض»، ولا مَعْنَى له.

**بالحسنَى(٣١)﴾** بالمثوبة الحسنى. **﴿الذِينَ يجتنِبون كبائرَ الإثم﴾** مَا يكبر عقابه مِنَ الذنوب، وَهُوَ مَا رتِّب الوعيد عليه بخصوصه، **﴿والفواحشَ﴾** وَمَا فحش مِنَ الذنوب، **﴿إلاَّ اللَّمَمَ﴾** وَهُوَ مَا صغر، فإنَّه مغفُور عَن مجتنبي الكبائر؛ وقيل: مَا لَمَّ عَلَى القلب، أي: خطر، **﴿إنَّ رَبَّكَ واسعُ المغفرةِ﴾** حيث يَغْفِر الصغائر باجتناب الكبائر، و**﴿هُوَ أعلم بكم﴾** أعلم بأحوالكم منكم، **﴿إذ أنشأكم مِنَ الأَرْضِ وإذ أَنتُم أَجنَّةٌ فِي بطون أمَّهاتكم﴾** علم أحوالكم ومصارف أموركم، حين ابتدأ خلقكم مِنَ التراب بخلق آدم، وحينما صوَّركم فِي الأرحام، **﴿فلا تُزكُّوا أنفسكم﴾** فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، أو بالطهارة عَن المعاصي والرذائل؛ والمعنى: لاَ تشهدوا لها بجنَّة عَلَى القطع، فإنَّ ذَلِكَ من علم الغيب، و لم يأذن الله بِهِ، **﴿هُوَ أعلم بِمن اتَّقَى(٣٢)﴾** فإنَّه يعلم التقيَّ وغيره منكم، قبل أن يُخرجكم من صلب آدم عليه السلام.

**﴿أفرأيتَ الذِي تولَّى(٣٣)﴾** عَن اتِّباع الحقِّ والثبات عليه، **﴿وأعطى قليلا وأكْدَى(٣٤)﴾** وقطع العطاء وأمسك، **﴿أعِندَهُ علمُ الغيبِ فهو يَرَى(٣٥)﴾** مَا غاب عَنْهُ؟. **﴿أم لم يُنبَّأ بمَا فِي صُحُف موسَى(٣٦) وإبراهيمَ الذِي وَفَّى(٣٧)﴾** وفَّر وأتمَّ ما لزمه وأُمر بِهِ، أو بالغ فِي الوفاء بِمَا عاهد الله؛ وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره.

**﴿ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى(٣٨) وَأَن لَيسَ للإنسانِ إلاَّ مَا سَعَى(٣٩)﴾** فليس لأحد مِنَ الآخِرَة إلاَّ مَا تزوَّد مِنَ الدُّنْيَا. **﴿وأنَّ سَعْيَهُ سوف يُرَى(٤٠) ثُمَّ يُجزَاه الجزاءَ الأوفَى(٤١)﴾** أي: يُجزَى العبد سعيه بالجزاء الأوفر. **﴿وأنَّ إلَى رَبِّكَ المنتَهَى(٤٢)﴾** انتهاء الخلائق.

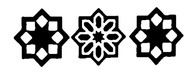
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضحَكَ﴾ من شَاء من خلقه بالرحمة، ﴿وأبكى(٤٣)﴾ من شاء من خلقه بالعذاب. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أمات وأحيا(٤٤)﴾ لا يقدر عَلَى الإماتة والإحياء غيره؛ فإنَّ القاتل ينقض البنية، والموت يحصل عنده بفعل ا لله عَلَى سبيل العادة؛ وقيل: أماته بالكفر، وأحياه بالإسلام. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزوجين الذَّكَرَ والأنثى(٤٥) مِن نُطفةٍ إِذَا تُمنَى(٤٦)﴾ تُدفَّق فِي الرحم. ﴿وأنَّ عليه النشأة الأُخرَى(٤٧)﴾ الإحياء بعد الموت، وفاءً بعهده. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغنَى وأقنى(٤٨)﴾ أعطى القنية، وهي المؤثَّل المدَّخر؛ وقيل: «أقنى» أي: أرضى بِمَا أعطى. ﴿وأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى(٤٩)﴾ يعني: العبور، وهي أشدُّ ضياء مِنَ الغميصاء.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأولى(٥٠)﴾ القدماء، لأَنَّهُم أوَّل الأمم هلاكا بعد نوح؛ وقيل: عاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. ﴿وثمودًا [٥٨٠] فما أبقى(٥١)﴾ الفريقين. ﴿وقومَ نوحٍ من قبلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هم أظلَمَ وأطغَى(٥٢)﴾ مِنَ الفريقين. ﴿والمؤتفِكَةَ﴾ والقرى التِي ائتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهي قوم لوط، ﴿أهْوَى(٥٣)﴾ بعد أن رفعها فقلبها. ﴿فغشَّاها مَا غشَّى(٥٤)﴾ فِيهِ تهويل وتعميم لِمَا أصابهم.

﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتمَارَى(٥٥)﴾ تتشكَّك؛ والخطاب للرسول، أو لِكُلِّ أحد. والمعدودات وإن كَانَت نعما ونقما، سمَّاها: آلاء، من قِبَل مَا فِي نقمة مِنَ العبر والمواعظ للمُعتَبرين، فهي نِعمٌ لمن اعتبر بها؛ والنعم إِذَا كفرها العصاة صارت نقما وبلايا. ﴿هَذَا نذيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولى(٥٦)﴾ أي: هَذَا

القران نذير من جنس الإنذارات المتقدِّمة؛ أو هَذَا الرسول نذير من جنس المنذِرين الأَوَّلين.

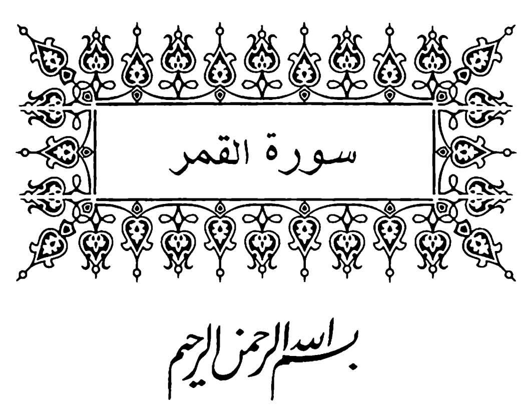
﴿أَزِفَتِ الآزفةُ(٥٧)﴾ دَنت الساعة الموصوفة بالدنوِّ فِي نحو ﴿اقتربت الساعة﴾[1] ﴿ليس لها مِن دونِ ا لله كاشِفَةٌ(٥٨)﴾ ليس لها نفس قادرة عَلَى كشفها إِذَا وقعت إِلاَّ ا لله، [أو ليس لها كاشفة لوقتها إِلاَّ ا لله، إذْ][2] لاَ يطَّلع عليه سواه. ﴿أفَمِنْ هَذَا الحديثِ﴾ يعني: القرآن، ﴿تعجَبُونَ(٥٩)﴾؟ إنكارا. ﴿وتضحكون﴾ استهزاءًا، ﴿وَلاَ تبكُونَ(٦٠)﴾ تحزُّنا عَلَى مَا فرَّطتم؛ وقيل: تضحكون آمنين من عذابه، وَلاَ تبكون خائفين من عذابه[3]. ﴿وأنتُم سامِدُونَ(٦١)﴾ أي: غافلون عَن أمر ا لله ونهيه، ﴿وأنتم سامدون﴾ لاهون لاعِبون. ﴿فاسجُدوا لله واعبدوا(٦٢)﴾ أي: انقادوا لَهُ، واعبدوه دون الآلهة.



١ - سورة القمر: ٠١.

٢ - زيادة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٧٥.

٣ - الأوفق بالسياق: «من عقابه».



# سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقتربت الساعة وانشقَّ القمرُ(١)﴾ قيل معناه: سينشقُّ يوم القيامة، ﴿وإنْ يَرَوْا آيةً يُعرِضوا﴾ عَن تأمُّلها والإيمان بها، ﴿ويقولوا: سحر مستمِرٌّ(٢)﴾ مُطَّرد؛ (لَعَلَّهُ) وقيل: سوف يذهب ويبطل[1]؛ وقيل: مستمرٌّ، أي: قويٌّ شديد. ﴿وكذَّبوا﴾ (لَعَلَّهُ) النبيَّ، وَمَا عاينوا من قدرة الله، ﴿واتَّبعوا أهواءهم﴾ وَهُوَ ما زيَّنَ لَهُمُ الشيطان مِن ردِّ الحقِّ بعد ظهوره، ﴿وكلُّ أمر مستقِرٌّ(٣)﴾ مُنتَهٍ إِلىَ غاية من خذلان أو نصر فِي الدُّنْيَا، وشقاوة أو سعادة فِي الآخِرَة؛ فإنَّ الشيء إِذَا انتهى إِلىَ غايته ثبت واستقرَّ؛ وقرئ بالفتح، أي: ذو مستقَرٍّ بمعنى: استقرار، وبالكسر والجرِّ، عَلَى أنَّه صفة أمر، و«كلٌّ» معطوف عَلَى الساعة.

﴿وَلَقَد جاءهم﴾ (لَعَلَّهُ) فِي القرآن، ﴿من الأنباء﴾ أنباء القرون الخالية، أو أنباء الآخِرَة ﴿مَا فِيهِ مُزدَجَرٌ(٤)﴾ ازدجار من حديث، أو وعيد. ﴿حكمةٌ بالغةٌ﴾ غايتَها، يعني: القرآن حكمته نامية فقد بلغت الغاية، ﴿فما

---

١ - يوضِّح لنا البيضاويُّ هَذَا التفسير بقوله: «أو مارٌّ ذاهب لا يبقى». المصدر نفسه.

**تُغنِ النُّذُرُ(٥)﴾** نفي؛ أو استفهام إنكار، أي: وأيُّ غناء تغني النذر؟. **﴿فتولَّ عَنْهُم﴾** لعلمك أنَّ الإنذار لاَ يُغنِي عَنْهُم.

**﴿يوم يدعُ الداعِ﴾** إسرافيل، ويجوز أن يكون الدعاء فِيهِ كالأمر فِي قوله: ﴿كن فيكون﴾، **﴿إِلىَ شيءٍ نُكُرٍ(٦)﴾** فظيع تنكره النفوس، لأَنَّهَا لم تعهد مثله، وَهُوَ هول القيامة؛ وذلك لـمَّا أتتهم آيات ا لله أنكروها [٥٨١] بعدما عرفوها قوبلوا ـ عَلَى سبيل الجزاء ـ بعذاب تنكره عقولهم، لأَنَّهُم لم يؤمنوا بِهِ فِي الدُّنْيَا، كما لأهل الجنَّة مَا لاَ عين رأت، **﴿خُشَّعا أبصارُهم يَخرُجون مِنَ الأجداثِ﴾** أي: يخرجون من قبورهم خاشعة أبصارهم من عظم الأهوال، **﴿كأنَّهم جراد مُنتَشر(٧)﴾** فِي الكثرة والتموُّج والانتشار فِي الأمكنة؛ **﴿مُهطِعين إِلىَ الداعي﴾** مسرعين مادِّي أعناقهم إِلَيْهِ، **﴿يقول الْكَافِرُونَ: هَذَا يوم عَسِرٌ(٨)﴾** صعب.

**﴿كذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ﴾** قبل قومك، **﴿فكذَّبوا عبدنا، وَقَالُوا: مجنونٌ وازدُجِرَ(٩)﴾** وازدُجِر عَن التبليغ بأنواع الأذيَّة؛ وقيل: إنَّه من جملة قولهم، أي: هُوَ مجنونٌ وقد ازدجرته الجنُّ وتخبَّطته. **﴿فدعا ربَّه أَنـِّي مَغلُوبٌ فانتصِرْ(١٠)﴾** فانتقِمْ لي مِنْهُم، وذلك بعد إيَّاسه مِنْهُم. **﴿فَفَتَحْنا أبوابَ السَّمَاء بماءٍ مُنهَمِرٍ(١١)﴾** منصبٍّ؛ وَهُوَ مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدَّة انصبابها. **﴿وفجَّرنا الأَرْضَ عيونا﴾** أصله: فجَّرنا عيون الأَرْض، **﴿فالتقى الماءُ﴾** ماء السَّمَاء وماء الأَرْض، **﴿عَلَى أمرٍ قد قُدِرَ(١٢)﴾** عَلَى حال قدَّرها ا لله فِي الأزل من غير تفاوت. **﴿وحَمَلْناه عَلَى ذاتِ ألواحٍ﴾**

ذات أخشاب عريضة، ﴿وَدُسُرٍ(١٣)﴾ ومسامير. ﴿تجري بأعيننا﴾ أي: بحفظنا، ﴿جزاءً لمن كَانَ كُفِر(١٤)﴾ أي: فعلنا ذَلِكَ جزاءً لنوح، لأنـَّهُ[١] نعمة كفروها، فإنَّ كُلَّ نبيٍّ نعمة مِنَ الله ورحمة عَلَى أمـَّته؛ وقرئ: «لمن كَفَرَ»، أي: الْكَافِرينَ.

﴿وَلَقَد تركناها﴾ أي: السفينة، أو الفعلة ﴿آيةً﴾ يُعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر، ﴿فهل من مُدَّكِرٍ(١٥)﴾ معتبر متذكِّر متَّعظ. ﴿فكيف كَانَ عذابي ونذرِ(١٦)﴾؟ استفهام وتعظيم ووعيد. ﴿وَلَقَد يسَّرنا القرآنَ﴾ سهَّلناه أو هيَّنَّاه؛ مِن "يسَّر ناقته للسفر" إذا رحلها. ﴿للذِّكْرِ﴾ للادِّكار والاتِّعاظ، بِأن صرَّفنا فِيهِ أنواع المواعظ والعبر، وللحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ؛ أو لفهم معانيه بالاستنباط مِنْهُ؛ وقيل: يسَّرناه للحفظ والقراءة؛ وقيل: ليس شيء مِنَ الكتب يقرأ كلُّه ظاهرًا إلاَّ القرآن، ﴿فهل مِن مُدَّكر(١٧)﴾ يقول: «هل من طالب علم فيعان عليه»؟[٢].

﴿كذَّبت عادٌ فكيفَ كَانَ عذابِي ونُذُرِ(١٨)﴾ وإنذارًا بي لَهُم بالعذاب قبل نزوله، أو لمن بعدهم فِي تعذيبهم. ﴿إنـَّا أرسلنا عَلَيْهِم ريحا صَرْصَرًا﴾ باردًا، أو شديد الصوت. ﴿فِي يومِ نَحسٍ﴾ شؤم ﴿مُستمرٍّ(١٩)﴾ استمرَّ شؤمه، أو استمرَّ عَلَيْهِم حتَّى أهلكهم، أو عَلَى

---

١ - فِي الأَصْلِ: «لا نعمة كفروها»، وَهُوَ خطأ.

٢ - ينسب هَذَا التفسير إِلَى ابن عبَّاس. انظر: أبو سهل يحيى بن إبراهيم الوارجلاني: عقيدة فِي معرفة التوحيد والفرائض، (مخ)، نسخة عشيرة آل يدَّر، ببني يسجن، ص٣٥.

جميعهم. ﴿تَنزِعُ الناسَ﴾ تقلعهم؛ روي: أنَّهم دخلوا فِي الشعاب والحفر، وتَمسَّك بعضهم ببعض؛ فنزعتهم الريح منها، وصرعتهم موتى، ﴿كأنَّهم أعجازُ نخلٍ مُنقَعِرٍ(٢٠)﴾ أصول نخل منقعر عَن مغارسه، ساقط عَلَى الأَرْض؛ قيل: شُبِّهوا بالأعجاز، لأنَّ الريح طَيَّرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم ﴿فكيف كَانَ عذابي ونُذُرِ(٢١)﴾ كرَّره للتهويل. ﴿وَلَقَد يسَّرنا القرآنَ للذِّكر فهل من مُّدَّكِرٍ(٢٢)﴾ كرَّره لسهولة فهمه وحفظه لمن اجتهد وجدَّ فِي الطلب و لم يلعب.

﴿كذَّبت ثمود بالنُّذُر(٢٣) فَقَالُوا: أبشرًا مِنـَّا﴾ من جنسنا أو جملتنا [٥٨٢] لاَ فضل لَهُ علينا، ﴿واحدا﴾ منفردا لاَ تُبـَّع لَهُ، ﴿نتَّبعه إنَّا إذًا لفي ضلالٍ وسُعُرٍ(٢٤)﴾ كأنَّه قَالَ لَهُم: إن لم تتَّبعوني كُنتُم فِي ضلال عَن الحقِّ؛ وسُعُر: أي نيران، جمع سعير، فعكسوا عليه، فَقَالُوا: إن اتَّبعناك كُنَّا إذًا كما تقول؛ وقيل: (لَعَلَّهُ) الضلال: الخطأُ والبعدُ عَن الصواب، والسعُر: الجنون، ومنه: "ناقة مسعورة"؛ وقيل: عناء وعذاب فيما يلزمنا من طاعته. ﴿أأُلقِيَ الذِّكْرُ﴾ الكتاب والوحي ﴿عليه مِن بينِنا﴾ وفينا مَن هُوَ أحقُّ مِنْهُ بالاختيار للنبوَّة، ﴿بَل هُوَ كذَّاب أَشِرٌ(٢٥)﴾ حمله بطره عَلَى الترفُّع علينا بادِّعائه. ﴿سيعلمون غدًا﴾ عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة، ﴿مَنِ الكذَّابُ الأَشِرُ(٢٦)﴾ الذِي حمله أشره عَلَى الاستكبار عَن الحقِّ، وطلب الباطل أصالح [عليه السلام] أم مَن كذَّبه؛ والأشِر: الأبلغ فِي الشرارة.

﴿إنَّا مُرسلوا الناقةِ﴾ مخرجوها وباعثوها؛ وذلك فيما قيل: إنَّهم تعنَّتوا عَلَى صالح، فسألوه أن يُخرج لَهُـ[ـم] من صخرة ناقة عشراء حمراء، فقال

الله: «إنَّا مرسلوا الناقةِ»، ﴿فتنةً لَهُم﴾ امتحانا لَهُم، ﴿فارتَقِبْهم﴾ فانتظرهم مَا يصنعون، ﴿واصطبرْ(٢٧)﴾ عَلَى أذاهم. ﴿ونبِّئْهم أنَّ الماء قسمةٌ بَيْنَهُم﴾ مقسوم بَيْنَهُم؛ وقيل: [لها] يوم، ولهم يوم، ﴿كُلُّ شِربٍ مُحتَضَرٌ(٢٨)﴾ محضور يحضره أهله لا يحضره الآخر؛ وقيل: يحضرون الماء فِي نوبتهم، والماء فِي نوبتها.

﴿فنادَوْا صاحبَهم فَتعاطَى فَعَقَرَ(٢٩)﴾ فاجترأ عَلَى تعاطي قتلها فقتلها؛ أو فتعاطى السيف فقتلها؛ والتعاطي: تناول الشيء بتكلُّف. ﴿فكيف كَانَ عذابي ونذرِ(٣٠) إنَّا أرسلنا عَلَيْهِم صيحةً وَاحِدَةً﴾ لاَ ثاني لها، وهي صيحة جبريل فيما قيل، ﴿فكَانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ(٣١)﴾ كالشجر اليابس المنكسر الذِي يتّخذه من يعمل الحظيرة لأجلها؛ أو كالحشيش اليابس الذِي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فِي الشتاء؛ وقرئ بفتح الظاء، أي: كهشيم الحظيرة، أو الشجر المتَّخذ لها. ﴿وَلَقَد يسَّرنا القرآن للذِّكرِ فهل من مُدَّكر(٣٢)﴾ كرَّره، لأَنَّهُ ييسَّر لمن طلبه مِنَ القرون والأمم كلِّها.

﴿كذَّبت قومُ لوطٍ بالنُّذرِ(٣٣) إنَّا أرسلنا عَلَيْهِم حاصبًا﴾ ريحا تحصبهم بالحجارة، أي: ترميهم، ﴿إلاَّ آلَ لوطٍ نَجَّيناهم بسَحَرٍ(٣٤)﴾ فِي سَحَرٍ وَهُوَ آخر اللَّيل. ﴿نعمةً مِّنْ عِندِنا﴾ إنعامًا مِنَّا، وَهُوَ علَّة[1] لـ«نَجَّينا»، ﴿كذلك نجزي مَن شَكَرَ(٣٥)﴾ نِعمتَنا بالإيمان[2] والطاعة. ﴿وَلَقَد

١ - فِي الأصل: «عليه»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصلِ: «بالإنعام»، ولا مَعْنَى له، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٧٧.

**﴿أنذَرَهـم﴾** لـوطٌ **﴿بطشَتَـنا﴾**أخذَنـا إيـَّاهُمْ بالعقوبـة والعـذاب، **﴿فتمـارَوا بالنُّذُر(٣٦)﴾** فكذَّبوه بالنُّذُر، وشكُّوا فِي ذَلِكَ.

**﴿وَلَقَد راودوه عَن ضيفه﴾** قصدوا الفجور بهم، **﴿فطَمَسْنا أعينَـهم﴾** فمسخناها، **﴿فذوقوا عذابي ونُذُرِ(٣٧)﴾** فقلنا لَهُم عَلَى أَلْسُنِ المَلائِكَة، أو ظاهر الحال. **﴿وَلَقَد صبَّحَهُم بُكرَةً عذابٌ مُّستَـقِرٌّ(٣٨)﴾** ثابت قـد استقرَّ عَلَيْـهِـم، حتَّى يسلمهم [إلى] النار. **﴿فذوقوا عذابِي ونُذُرِ(٣٩)﴾**.

**﴿وَلَقَد يسَّرنَا القرآنَ للذِّكر فهلْ مِن مُّدَّكِرٍ(٤٠)﴾** كرَّر ذَلِكَ فِي كُـلِّ قِصَّة إشعارا بِأَنَّ تكذيب كُلِّ رسول مُقتَـضٍ لـنزول العـذاب، واستماع كُـلِّ قصَّة مُستدع للادِّكار والاتِّعاظ، واستِئـنَافًا للتَّـنبيه والإيقـاظ [٥٨٣] لئـلاَّ يَغلِبَهم السهوُ والغفلةُ، وهكذا تكرير قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّـكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1]، و﴿ويل يومئذ للمكذِّبين﴾[2] ونحوها فإنَّه ما كرَّر شَيْـئًا فِي كتابه العزيز عَبَثـا إلاَّ[3] لحكمـة أو حكـم، جلَّ رَبُّـنَا عَـن ذَلِـكَ. **﴿وَلَقَـد جاء آلَ فرعـونَ النذرُ(٤١)﴾** اكتفى بذكرهم عَن ذكره للعلـم بأنـَّه أولى بذلـك. **﴿كذَّبـُوا بِـآيَاتِنا كُـلِّها فأخذناهم أَخْذَ عزيزٍ مُّقتَدِرٍ(٤٢)﴾**.

**﴿أكُـفَّارُكم﴾** يا معشر العرب **﴿خَيرٌ مِن أولئكـم﴾**؟ الكفَّـار المعدوديـن قوَّة وعدَّة، أو مكانَة ودينا عند الله، ويوجد عَن أبي المؤثر: «﴿أكفَّاركم خيرٌ

---

١ - سورة الرحمن: ١٣، ١٦...

٢ - سورة المرسلات: ١٥، ١٩...

٣ - في الأصل: «لا»، وهو خطأ.

مـن أولئكـم﴾ أي: خـيرٌ مـن ولاَّة أموركـم»، ﴿أمْ لكـم بَـرَاءةٌ فِي الزُّبُـرِ(٤٣)﴾؟ أم نزل لكم فِي الكتب السماويَّة أنَّ من كفـر مِنكـم فهـو فِي أمـان مـن عـذاب الله؟. ﴿أمْ يَقولُـون: نَحْنُ جميعٌ﴾ جماعـة، أمرُنـا مُجتمـع ﴿مُنتَـصِر(٤٤)﴾ مُمتـنع لاَ يـُرَام؛ أو مُنـتَصر مِنَ الأعـداء لاَ يُغلَـب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضا.

﴿سَيُهزَمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُـرَ(٤٥)﴾ أي: الأدبـار. ﴿بَـلِ السـاعةُ مَوعِدُهم﴾ موعد عذابهم الأصليِّ، وَمَا يَحِيق بهـم فِي الدُّنْـيَا فمِـن طَلاَئِعِه، ﴿والسـاعةُ أدهَـى﴾ أشـدُّ، والداهيـة: أمـرٌ فظيـعٌ لاَ يهتـدى لدوائـه، وفي القاموس: «الداهيـة: الأمـر الضريـر»[1]، ﴿وأمَـرُّ(٤٦)﴾ مَذاقـًا مـن عـذاب النارِ؛ أو أمرُّ مِمَّا ينالونه[2] من مرارة الدُّنْـيَا.

﴿إنَّ المجرمين فِي ضلالٍ﴾ (لَعَلَّهُ) عَن الحـقِّ فِي الدُّنْـيَا، ﴿وسُعُرٍ(٤٧)﴾ [٥٨٤] ونيران فِي الآخِرَة. ﴿يوم يُسحَبُون فِي النار عَلَى وُجُوهِهِم﴾ يُجرُّون عليها، ﴿ذُوقُوا مسَّ سَقَرَ(٤٨)﴾ أي: يُقَال لَهُم: ذُوقوا حـرَّ النـار، وأَلَمهـا، فإنَّ مَسَّها سبب للتألُّم بها.

---

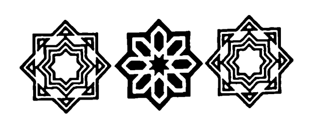
١ - لم نعثر عَلَى هَذَا التعريف فِي القـاموس، وَإنَّمـا قـال فِي مَـادَّة "دهـي": «ودَهَّـاهُ: نسبه إِلَى الدهاء، أو عابه وتنـقَّصه، أو أصابه بداهية: وهي الأمر العظيم». ثُمَّ قـال فِي مَـادَّة "دهـو": «داهية دَهواء ودُهويَّة، بالضمِّ: شديدة جِدًّا». الفيروزآبادي: القاموس، ص١١٥٦.

٢ - فِي الأصْلِ: «ينالوه»، وَهُوَ خطأ.

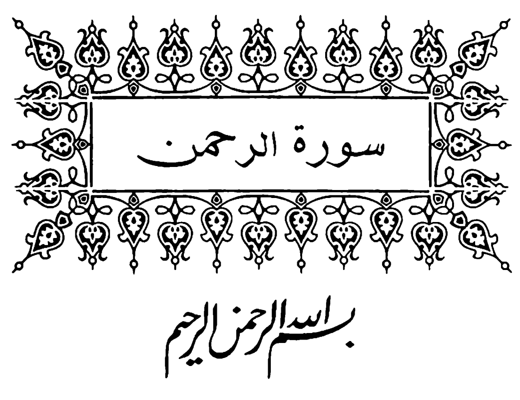
﴿إِنَّا كُلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَرٍ(٤٩)﴾ أي: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ مُقدَّراً مُرتَّبًا عَلَى مُقتضَى الحكمة، أي: مُقدَّرًا مَكتُوبًا في اللَّوح قبل وقوعه؛ وقيل: قدَّر الله لِكُلِّ شيءٍ مِنْ خَلْقِهِ قَدَرَهُ الذِي يَنبَغِي لَهُ. ﴿وَمَا أَمْرُنا إلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ إلاَّ فِعلة وَاحِدَة ﴿كَلمحٍ بالبصر(٥٠)﴾ في اليسر والسُّرعَة؛ وقيل: مَعناه مَعنى قوله: ﴿وَمَا أمر الساعة إلاَّ كلمح البصر﴾[1].

﴿وَلَقَد أهلكْنا أَشيَاعَكم﴾ أشباهكم في الكفر ممَّن قبلكم، ﴿فهل من مُدَّكِرٍ(٥١)﴾ مُتَّعظ. ﴿وكلُّ شيءٍ فَعَلُوه في الزُّبُرِ(٥٢)﴾ مَكتوب في كتب الحَفَظَة. ﴿وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ﴾ مِنَ الأعمال (لَعَلَّهُ) والخلق ﴿مُستَطَرٌ(٥٣)﴾ مَسطُور في اللَّوح (لَعَلَّهُ) وحصوله بقَدرٍ مَعلُوم مُنتَظر.

﴿إنَّ المُتَّقين في جنَّات ونَهرٍ(٥٤)﴾ أنهار، ﴿في مَقعَدِ صِدقٍ﴾ في مكَان مَرضِيٍّ، ﴿عندَ مَليكٍ مُقتَدِرٍ(٥٥)﴾ مُقرَّبين عند مَن تَعالى أَمرُه في المُلكِ والاقتدارِ، لاَ شيء إلاَّ وَهُوَ تحتَ مُلكِه وقُدرَتِه.



١ - سورة النحل: ٧٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

[٥٨٥] ﴿الرحمنُ(١) علَّم القرآنَ(٢)﴾ لَمَّا كَانَت السورة مَقصُورة عَلَى تعدَاد النعم الدنيويَّة والأخرويَّة صدَّرهـا بالرحمن، فقدَّم مَا هُوَ أصل [النعم][1] الدينيَّة وأجلِّها، وَهُوَ إنعَامُه بالقرآن، وتنزيله وتعليمه، فإنَّه أساس الدين، ومنشأ الشرع، وأعظمُ الوحيِ، وأعزُّ الكُتُبِ، إذ هُوَ بإعجازه واشتماله عَلَى خَلاصها[2] مُصدِّق لنفسهِ ومِصدَاقٌ لها، ثُمَّ أتبعه قوله: ﴿خَلَقَ الإنسانَ(٣)﴾ إيماء بِأَنَّ خلق البشر وَمَا يـُميَّز بهِ عَن سائر الحيوان...[3] ﴿علَّمَه البيان(٤)﴾ مِنَ البيان، وَهُوَ التعبير عمَّا فِي الضمير، وإفهام الغير لِمَا أدركه لِتَلَقِّي الوحيِ، وتَعَرُّف الحقِّ، وتَعلُّم الشرع.

---

١ - إضافة من البيضاويِّ ليتمَّ المعنى، ج٤/ ص١٧٨.

٢ - الصواب: «خلاصتها»، والضمير يعود عَلَى الكتب. انظر: المصدر نفسه.

٣ - العبارة بِهَذِهِ الصيغة تبدو ناقصة، وقد وقع فيها تقديم وتأخير، فَفِي تفسير البيضاويِّ: «﴿خَلَقَ الإنسانَ علَّمَه البيان﴾ إيماء بِأَنَّ خلْقَ البشر وَمَا يُميَّز بِهِ عَن سائر الحيوان مِنَ البيانِ، وَهُوَ التعبير عمَّا فِي الضمير»، وأرى أَنَّهُ لو استبدل قوله: «هو البيان»، بقوله: «من البيان» لاتَّضح المعنى أكثر. أي إِنَّمَا تميَّز خلق الإِنسَان عن خلق الحيوان بالبيان. وَاللهُ أعلم. انظر: البيضاوي: المصدر نفسه.

﴿**الشمسُ والقمرُ بحسبَان(٥)**﴾ يَجريَان بحساب مَعلوم، مقدَّر فِي بُرُوجهما ومَنَازِلهما، وتتَّسق بذَلِكَ أمور الكائنات السُّفلِيَّة، وتختلف الفصول والأوقات، وتُعلم السنون والحساب. ﴿**والنجم**﴾ النبات الذِي ينجم مِنَ الأَرْض، لاَ ساق لَهُ كالبقول، ﴿**والشجرُ**﴾ الذِي لَهُ ساق، ﴿**يَسجُدَان(٦)**﴾ ينقادان لله فيما يُريد بهما طيْعًا، انقياد الساجدِ مِنَ المكلَّفين، ﴿**والسَّمَاء رفعها**﴾ خلقها مَرفُوعة مَحلاًّ [و]مرتبة، فإنَّها مَنشَأ أقضيته، ومُتنزَّل أحكامه، ومحلُّ ملائكته.

﴿**ووَضَعَ الميزانَ(٧)**﴾ العدل بِأَنْ وفَّرَ عَلَى كُلِّ مستعدٍّ مستحقَّه، ووفَّى كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، حتَّى انتظم أمرُ العالم واستقام، كما قَالَ الله عليه السلام: «بالعدل قامت السَّمَاوَات، والأَرْض»[1]، أو مَا يعرف بِهِ مقادير الأشياء من ميزان ومِكيَال ونحوهما، كأنَّه وصف السَّمَاء بالرفعَةِ من حيث أنَّها مَصدَر القضايا والأقدار، وصف الأَرْض بِمَا فِيهَا مِمَّا يظهر بِهِ التفاوت ويعرف المقدار، وتستوي بِهِ الحقوق والمَواجب؛ ﴿**ألاَّ تَطغَوْا فِي الميزان(٨)**﴾ لأَنْ لاَ تطغوا فِيهِ، أي: لاَ تعتدوا، وَلاَ تجاوزوا الإنصاف. ﴿**وأقيموا الوزنَ بالقسط وَلاَ تُخسِروا الميزان(٩)**﴾ وَلاَ تنقصوه، فإنَّ من حقِّه أن يستَوِي، لأَنَّ المقصود مِن وَضعِه وتكريره مَبَالَغَة فِي التوَصِيَة بِهِ، وزيادة حثٍّ عَلَى استعماله.

---

١ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث. وقد أورده المُفَسِّرُون و لم يخرِّجوه. انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٧٨-١٧٩. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص١٧٧. الألوسي: روح المعاني، ج٢٨/ ص١٠١.

﴿والأَرْضَ وضعها للأنامِ(١٠)﴾ للخلق؛ وقيـل الأنـام: كُـلُّ ذي روح. ﴿فِيهَا فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمامِ(١١)﴾ أوعية التمـر، أو كُـلُّ مَـا يَكـمُّ، أي: يُغطِّي من ليف وسعف. ﴿والحبُّ﴾ والثمـرة ﴿ذو العصـف﴾ كالحنطـة والشـعير، وسـائِر مَـا يُتغـذّى بـهِ، والعصـف: وَرَق النبـات اليـابس كالـتِّبن، ﴿والريحان(١٢)﴾ بمعنى الـمَشمُوم؛ أو الرزق، من قولهـم: "خرجـتُ أطلـب ريحان الله". ﴿فبأيِّ آلاء﴾ والآلاء: النعم، ﴿ربِّكُما تُكذِّبان(١٣)﴾ الخطاب للثَّـقَـلَيْن المدلول عليهما بقوله: ﴿للأنام﴾؛ وقوله: ﴿أيُّها الثقلان﴾، وكـأنَّ الآلاء المذكورة فِي الآية عامـَّة للمخاطبَـيْنِ: الجنِّ والإنس إن كَـانَت الآيـة عامَّة لهما جميعاً، وكذلك مَا بعدها مِنَ الآيات فِي هَذِهِ السورة.

﴿خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلصَال كالفَخَّارِ(١٤)﴾ قيل: الصلصال: الطين اليـابس الذِي لَهُ صلصلة، والفخّار: الخزف؛ وقَد خلق الله آدم من تُرابٍ، جعله طينـا، ثُـمَّ حمأً مسنونـًا، ثُمَّ صلصالا، فلا يخالف ذَلِكَ قولـه: ﴿خلقـه مـن تـراب﴾[1] ونحـوه. ﴿وَخَلَقَ الجانَّ﴾ قيل: الجنَّ، أو أبَـا الجنِّ، ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ من صاف من (لَعَلَّهُ) لهب النار الدخان[2]، ﴿من نـَّارٍ(١٥)﴾ بيان لـ«مَارِجٍ»، فإنـَّه فِي الأصـل للمضطـرب، مِن مَرَجَ: إذا اضطرب. ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبـِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٦)﴾ مِمَّا أفـاض عليكمـا من أطوار [٥٨٦] خلقكما، حتّى صيـَّركما أفضل المركَّبات، وخلاصة الكائنـات، فبأيِّ نِعَم من هَذِهِ الأشياء الَتِي ذكرنا تَجحدان.

---

١ - سورة آل عمران: ٥٩.

٢ - صواب العبارة فيما يبدو: «مِن لَهَبِ النارِ، صافٍ مِنَ الدخان».

﴿ربُّ المشرقَيْنِ وربُّ المغربَيْنِ(١٧)﴾ قيل: مَشرقَي الشتاء والصيف، ومغربيهما؛ ﴿فَبِأيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٨)﴾ مِمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الفوائد التِي لاَ تُحصى، كاعتدال الهوى، واختلاف الفصول، وحدوث مَا يناسب كُلَّ فصل فِيهِ، إِلىَ غير ذَلِكَ.

﴿مَرَج البحرين﴾ أرسلهما؛ من: مَرَجْتُ الدابَّة: إِذَا أرسلتُها، والمعنى: أرسل البحر المَلِح، والبحر العذب، ﴿يَلتَقِيَانِ(١٩)﴾ يَتجَاوَرَان وتَتمَاسُّ سُطُوحُهما. ﴿بَينَهُما بَرزَخٌ﴾ حاجزٌ مِن قُدرَة الله، أو مِنَ الأَرْض، ﴿لاَ يَبغِيَان(٢٠)﴾ لاَ يَبغِي أحدهما عَلى الآخر بالـمُمَازَجة، وإبطال الخاصيَّة. ﴿فَبِأيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢١) يَخرُجُ مِنهُما اللؤلُؤُ والمَرجَان(٢٢)﴾ كبار الدُّرِّ وصغاره؛ وقيل: المرجان: الخرز الأحمر؛ ﴿فَبِأيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢٣) وَلَهُ الجوارِي﴾ السفن، جمع: جارية، ﴿المنشآتُ﴾ المَرفُوعات الشرع، أو المصنوعات، ﴿فِي البحر كالأعلام(٢٤)﴾ كالجبال، جمع عَلَم: وَهُوَ الجبل الطويل؛ ﴿فَبِأيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢٥)﴾ مِن خَلق موادِّ السفنِ، والإرشاد إِلىَ أخذها، وكيفيَّة تركيبها وإجرائها فِي البحر، بأسباب لاَ يَقدر عَلَى خلقها وجمعها غيره.

﴿كلُّ مَن عليها﴾ من عَلَى الأَرْض مِنَ الحيوان أو المركَّبات ﴿فَانٍ(٢٦) ويَبقَى وجهُ ربِّك﴾ ذاته، ولو استقريتَ جهات الموجودات، وتفحَّصْتَ وجوهها وجدتها بأسرها فانيَةً فِي حدِّ ذاتها، إلاَّ وجه الله، أي: الوجه الذِي عَلَى جِهته، ﴿ذو الجلال﴾ ذو العظمة ﴿والإكرام(٢٧)﴾ ذو الاستغناء

المطلقِ، والفضل العامِّ؛ ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٢٨)﴾ (لَعَلَّهُ) كأنـه بيَّن فناء العالم وعبادة المتعبِّدين للجزاء مِن آلائـه[1] تعالى عَلَيْهِم، لأنَّهُ يخرجهم من دار ابتلائه إِلَى دار نعمته الباقية؛ وهي نعمةٌ لمن شكرها، ونقمةٌ عَلَى من كفرها.

﴿يسأله مَن فِي السموات والأَرْض﴾ أي: بلسان حالهم مَا [هم] مفتقرون إِلَيْهِ، مِمَّا لاَ يقومون إلاَّ بِهِ، كما قَالَ: ﴿وآتاكم مِّن كُلِّ مَا سألتموه﴾[2]؛ وقيل: إنَّ أهل السَّمَاء يسألونه المغفرة، وأهل الأَرْض يسألونه الرزق والمغفرة، وَهُم المؤمنون؛ وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فيسألونه (لَعَلَّهُ) الرزق لاَ غير، لقوله: ﴿فَمِنَ الناسِ مَن يَّقُولُ: رَبَّنَا آتنا فِي الدُّنْيَا ومَا لَهُ فِي الآخِرَةِ من خَلاَقٍ﴾[3]، ﴿كُلَّ يومٍ هُوَ فِي شأنٍ(٢٩)﴾ كُلَّ وقت يحدث أشخاصا، ويجدِّد أحوالاً عَلَى مَا سبق لَهُ قضاؤه؛ (لَعَلَّهُ) وقيل: يرفع قوما ويخفض آخرين؛ وقيل: يسوق المقادير إِلَى المواقيت. ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٠)﴾ (لَعَلَّهُ) مِمَّا خوَّلكم وتفضَّل بِهِ عَلَيْكم؛ وَلَمَّا أتمَّ من ذكر مَا خوَّلهم إيَّاه من إيجادهما وإمدادهما أخذ فِي الإعادة للجزاء، فقال:

﴿سَنفرُغُ لكم أيُّها الثَّقلان(٣١)﴾ فِيهِ تهديد، والثقلان: الإنس والجنُّ؛ قيل: سُمِّيا بذلك لثقلهما عَلَى الأَرْض [٥٨٧] ولرزانة رأيهم

١ - فِي الأَصْلِ: «الآية»، وَهُوَ تصحيف.

٢ - سورة إبراهيم: ٣٤.

٣ - سورة البقرة: ٢٠٠.

وقدرهم، أو لأنَّهما مُثقلان بالتكليف. ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٢) يا معشر الجنِّ والإنسِ إن استطعتم أن تَنفُذُوا من أقطار السَّمَاوَات والأَرْض**﴾ إن قدرتم أن تخرجوا مِنَ السَّمَاوَات والأَرْض هاربين إِلَىَ ا لله، فارِّين من قضائه، (لَعَلَّهُ) والآية خاصَّة للعصاة منهما؛ وقيل: هَذَا فِي القيامة، ﴿**فانفُذُوا**﴾ فاخرجوا، ﴿**لاَ تَنفُذُون**﴾ لاَ تقدرون عَلَى النفوذ، ﴿**إِلاَّ بسلطان(٣٣)**﴾ إِلاَّ بقوَّة وقهر، وأنَّى لكم ذَلِكَ؛ أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا مَا فِي السموات وَمَا فِي الأَرْض فانفذوا لتعلموا، لكن لاَ تنفذون وَلاَ تَعْلَمُونَ إِلاَّ ببيِّنة يضعها ا لله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٤)**﴾ أي مِمَّا نصب مِنَ المصاعد العقليَّة والمعارج النقليَّة، فتنفُذون بها إِلَى مَا وفوق السَّمَاوَات العُلَى.

﴿**يُرسَل عليكما شُواظٌ**﴾ لهيب ﴿**من نَّارٍ ونحاسٌ**﴾ نحاس مذاب يُصبُّ عَلَى رؤوسهم ﴿**فلا تَنتَصِران(٣٥)**﴾ فلا تمتنِعان، ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٦)**﴾ فإنَّ التهديد لطف، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام مِنَ الكفارمن عداد الآلاء.

﴿**فإذا انشقَّت السَّمَاء**﴾ (لَعَلَّهُ) انفرجت أبوابا لنزول المَلاَئِكَة، ﴿**فكانت وردةً**﴾ أي: حمراء كالوردة، ﴿**كالدِّهان(٣٧)**﴾ مذابة كالدهن، وَهُوَ اسم لِمَا يُدهن بِهِ؛ وقيل: هُوَ الأديم الأحمر؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٣٨)**﴾ أي: مِمَّا أنعم ا لله بِهِ عَلَى عباده المؤمنين فِي هَذَا اليوم، ﴿**فيومئذٍ لاَّ يُسأَلُ عَن ذنبه إنسٌ وَلاَ جانٌّ(٣٩)**﴾ أي: [لاَ] سؤالَ استفهام، ولكن سؤالَ توبيخٍ وتقريع؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٠)**﴾.

﴿**يُعرَفُ المجرمون بسيماهم**﴾ بعلامتهم، ﴿**فيُؤخَذ بالنواصي والأقدام(٤١)**﴾ مجموعا بينهما؛ وقيل: يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أُخرَى؛ وقيل: تضمُّ نواصيهم إِلَى أقدامهم، فيسحبون إِلَى النار؛ ﴿**فبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٢)**﴾ (لَعَلَّهُ) لأَنَّ عذاب العاصين نعمة للمطيعين، كما أَنَّ نعمة المطيعين عذاب للعاصين. ﴿**هَـذِهِ جَهَنَّمُ التِي يُكَذِّب بها المجرمُونَ(٤٣) يطوفون بينَها**﴾ بين النار يحرقون بها، ﴿**وبين حميمٍ**﴾ ماء حارٍّ، ﴿**آنٍ(٤٤)**﴾ بلغ النهاية فِي الحرارة، يصبُّ عَلَيْهِم، أو يسقون مِنْهُ؛ وقيل: إِذَا استغاثوا مِنَ النار؛ أغيثوا بالحميم؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٥)**﴾ فهذه نعمة عظيمة لمن زُحْزِح عنها.

ثُمَّ أَخَذ فِي وصف المطيعين منهما، فقال: ﴿**ولمن خاف مَقَامَ رَبِّهِ**﴾ موقفه الذِي يقف فِيهِ العباد للحساب، ﴿**جنَّتان(٤٦)**﴾ قيل: جنَّة للخائف الإنسيِّ، والأخرى للخائف الجنيِّ، فإنَّ الخطاب للفريقين؛ والمعنى: لِكُلِّ الخائفين منكما، أو لِكُلِّ وَاحِد جنَّة لعقيدته وأُخْرَى لعمله، أو جنَّة لفعل الطاعات، وأُخرَى لترك المعاصي، لأَنَّ التكليف يدور عَلَى الأمرين، أو جنَّة يُثَاب عليها، وأُخرَى يتفضَّل بها عليه، كقوله: ﴿للذين أحسَنُوا الحُسنَى وزيادةٌ﴾[1] [٥٨٨] أو روحانيَّة وجسمانيَّة، وكذا مَا جاء مثنًّى بعدُ؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٧) ذَوَاتَا أفنان(٤٨)**﴾ أنواع مِنَ الأشجار والثمار؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٩)**﴾.

﴿**فيهما عَينان تجريان(٥٠)**﴾ حيث شاء فِي الأعالي والأسافل؛ ﴿**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥١) فيهما من كُلِّ فاكهةٍ زَوجَانِ(٥٢)**﴾ صنفان؛

---

١ - سورة يونس: ٢٦.

قيل: غريب ومعروف؛ ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٣) متّكئين عَلَى فُرُشٍ بطائنُها من إستبرق﴾ قيل: من ديباج ثخين، وإذا كَانَت البطائن كذلك فما ظنُّك بالظهائر، ﴿وجَنَى الجنَّتين دانٍ(٥٤)﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٥)﴾.

﴿فيهنَّ قاصِرات الطَّرْفِ﴾ نساء قصَّرن أبصارهنَّ عَلَى أزواجهنَّ، ﴿لم يطمثهنَّ إنس قبلهم وَلاَ جانٌّ(٥٦)﴾ دليل عَلَى أنَّ الجنَّ مثل الإنس فِي الطمث، وحبِّ الشهوات، لأَنَّ هَذِهِ الآيات تشوِّق الجميع عَلَى التشمُّر لأداء الواجبات، ولا تشوِّق أحدًا بِشَيْءٍ إلاَّ يستلذُّ طعمه ويشتهيه[1]، ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٧) كأنَّهنَّ الياقوتُ والمَرجانُ(٥٨)﴾ أي: فِي حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما؛ ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٩) هل جزاءُ الإحسانِ﴾ فِي العمل ﴿إلاَّ الإحسانُ(٦٠)﴾ فِي الثواب؛ ومنتهى الإحسان: رضى ا لله عَن عبده، وَهُوَ ثواب رضى العبد عَنْهُ، ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦١)﴾.

﴿ومِن دونِهما جنَّتان(٦٢)﴾ ومن دون تلك الجنَّتين الموعودتين للمقرَّبين جنَّتان (لَعَلَّهُ) لَهُم، (لَعَلَّهُ) أو لمن دونهم من أصحاب اليمين. ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٣) مدهامَّتان(٦٤)﴾ خضراوان تضربان[2] إِلَى السواد من شدَّة الخضرة؛ وفيه إشعار بِأَنَّ الغالب عَلَى ملك[3] هاتين

---

١ - فِي الأصل: «ولا تشوِّق أحد بِشَيْءٍ... ولايشتهيه»، وَفِي العبارة خَطَآنِ.

٢ - فِي الأَصْلِ: «بضاهره»، ولا مَعْنَى له. وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ص١٨١. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص١٨٦.

٣ - الصواب - «ملك» كما فِي المصدرين السابقين.

الجنتَّين: النباتُ والرياحين المبسطة عَلَى وجه الأَرْض؛ وعلى الأوليين الأشجار والفواكه، دلالة عَلَى مَا بينهما مِنَ التفاوت، **﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٥) فيهما عينان نضَّاختان(٦٦)﴾** فوَّارتان[1] بالماء، وَهُوَ أَيْضًا أقلُّ مِمَّا وصف بهما الأوليين، وكذا ما بعده. **﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٧) فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ(٦٨)﴾** عطفهما عَلَى الفاكهة بيانا لفضلهما، فإنَّ ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمرة الرمَّان فاكهة ودواء، **﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٩)﴾**.

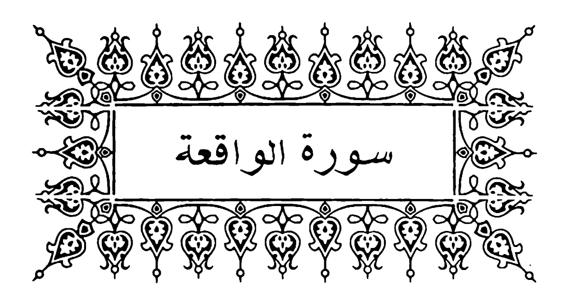
**﴿فيهنَّ خيراتٌ حِسانٌ(٧٠)﴾** خَلقا وخُلُقا، **﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧١) حورٌ مقصوراتٌ فِي الخيام(٧٢)﴾** قصرن فِي خدورهنَّ؛ يقال: امرأة قصيرة وقصورة، ومقصورة، أي: مخدورة، أو مقصورات الطرف على أزواجهنَّ. ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٣) **لم يطمثهنَّ إنس قبلهم وَلاَ جانٌّ(٧٤)** فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٥)﴾.

**﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾** وسائد، أو نمارق؛ وقيل: الرفرف ضرب مِنَ البسط، **﴿خُضْرٍ وعبقريٍّ حِسَانٍ(٧٦)﴾** قيل: العبقريُّ منسوب إِلَى عبقر، تزعم العرب أنَّه اسم بلد الجنِّ، فينسبون إِلَيْهِ كُلَّ شيء عجب؛ **﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٧)﴾**.

**﴿تبارَكَ اسمُ رَبِّكَ﴾** تعالى اسمه من حيث أنَّه مطلق عَلَى ذاته، **فما ظنُّك** بذاته؛ وقيل: الاسم بمعنى الصفة، **﴿ذي الجلال والإكرام(٧٨)﴾** ذي العظمة والتفضُّل.



١ - فِي الأَصْلِ: «فرارتان»، وَهُوَ خطأ.



# سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الواقعةُ(١)﴾ إِذَا حدثت القيامة؛ سمَّاها الواقعة لتحقُّق وقوعها، ﴿ليس لوَقْعَتِها كاذبةٌ(٢)﴾ أي: لاَ يكون حين تقع نفس تكذب عَلَى الله، أو تكذب فِي نفيها كما تكذب الآن؛ أو ليس لأجلِ وقعتها كاذبة، فإنَّ مَن أخبر عنها صادقٌ، ﴿خافضةٌ رافعةٌ(٣)﴾ تخفض[1] قوما وترفع آخرين؛ وَهُوَ تقرير لعظمتها، فإنَّ الوقائع العظام كذلك. ﴿إِذَا رُجَّت الأَرْض رَجًّا(٤)﴾ حُرِّكت تحريكا شديدًا بحيث ينهدم مَا فوقها من بناء وجبل. ﴿وبُسَّت الجبالُ بَسًّا(٥)﴾ فتّتت حتَّى صارت كالسويق، أو سيقت وسيِّرت، مِن "بسَّ الغنم" إِذَا ساقها. ﴿فكانت هَباءً﴾ غبارا، ﴿مُنبثًّا(٦)﴾ منتشرا.

﴿وكنتم أزواجا﴾ أصنافا ﴿ثلاثة(٧) فأصحابُ الميمنة مَا أصحابُ الميمنة(٨) وأصحاب المشأمة مَا أصحابُ المشأمةِ(٩) والسابقونَ السابقُونَ(١٠)﴾ وَالذِينَ سبقوا إِلَى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحقِّ من غير

---

١ - فِي الأَصْلِ: «تحفط»، ولا مَعْنَى له.

تلعثم[1] وتوان؛ أو سبقوا فِي حيازة الفضائل والكمالات، كقوله: ﴿واجْعَلْنَا للمتَّقين إمامًا﴾[2]. ﴿**أولَئِكَ المقرَّبونَ(١١)**﴾ مِنَ الله ﴿**فِي جَنَّات النعيم(١٢)**﴾ أي: قرِّبت درجاتهم فِي الجنَّة، وأعليت مراتبهم، ﴿**ثُلَّة من الأَوَّلِينَ(١٣)**﴾ قيل: كثير من الأوَّلين يعني: السالفة من لدن آدم إلى محمَّد ، وَقِيلَ: ﴿من الأوَّلين﴾: من متقدِّمي هَذِهِ الأمَّة، و﴿من الآخرين﴾: من متأخِّريها، ﴿**وقليل مِنَ الآخرِينَ(١٤)**﴾ (لَعَلَّهُ) لأنَّ السابقين أقلُّ من أصحاب اليمين إلاَّ أنَّهم فِي الأوَّلين أوجد؛ وكذلك قَالَ فِي هَذَا ﴿ثُلَّة مِنَ الأَوَّلين وقليلٌ مِنَ الآخرين﴾ أي: السابقين، وقال فِي أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّة مِنَ الأَوَّلين وثُلَّة مِنَ الآخرين﴾ كأنَّهم أكثر وجودا مِنَ السابقين، ومن الآخرين أعدم، وَالله أعلم بتأويل كتابه، فينظر فِي هَذَا.

﴿**عَلَى سُرُرٍ مَوضونةٍ(١٥)**﴾ قيل: الموضونة: المنسوجة مِنَ الذهب والجواهر، ﴿**متَّكئين عليها متقابِلِينَ(١٦) يطوف عَلَيْهِم وِلدَانٌ مُخَلَّدُونَ(١٧)**﴾ مُبقَوْنَ أبدا عَلَى هيئة الولدان وطراوتهم. ﴿**بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَّعِينٍ(١٨)**﴾ من خمر ﴿**لاَ يُصَدَّعون عنها**﴾ قيل: لاَ تصدع رؤوسهم منها، ﴿**وَلاَ يُنزَفُونَ(١٩)**﴾ وَلاَ تنزف عقولهم، أو لا ينفد شرابهم. ﴿**وفاكهةٍ مِّمَّا يَتَخيَّرُونَ(٢٠)**﴾ أي: يختارون؛ ﴿**ولحمِ طَيْرٍ مِّمَّا يشتَهُونَ(٢١)**﴾ من أيِّ جنس مِنْهُ، أو صفة فِي العمل، ينوِّع لَهُم عَلَى مَا

---

١ - فِي الأصل: «تعلثم»، وهو خطأ.

٢ - سورة الفرقان: ٧٤.

يلقى إِلَيْهِم مِنَ الإرادة عَلَى قدر درجاتهم، لأَنـَّهُم متبايِنو[1] الدرجات، والغبن عَلَيْهِم ليس لَهُ مجال لتمام النعمة للجميع.

﴿**وحورٌ عينٌ(٢٢) كأمثال اللؤلؤِ المكنُونِ(٢٣)**﴾ المصون عمَّا يَضُرُّ به فِي الصفاء والنقاء، ﴿**جزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٤)**﴾ أي: يُفعَل ذَلِكَ (لَعَلَّهُ) كلُّه بهم جزاءً بأعمالهم. ﴿**لاَ يسمعون فِيهَا لغوًا**﴾ باطلا، ﴿**وَلاَ تأثيما(٢٥)**﴾ [٥٩٠] وَلاَ نسبة إلى الإثم، أي: لاَ يقال لَهُم: أَثِمتُم ﴿**إِلاَّ قيلاً**﴾ أي: قولا: ﴿**سلاما سلاما(٢٦)**﴾ لأَنـَّهُم وَمَا استحقُّوه سالم مِنَ النقص والعيوب والآفات.

﴿**وأصحابُ اليمينِ مَا أصحابُ اليمِينِ(٢٧) فِي سِدرٍ مَّخْضُودٍ(٢٨)**﴾ لاَ شوك لَهُ، ﴿**وطَلْحٍ**﴾ وشجر موز، أو أم غيلان، وَلَهُ أنوار كثيرة طيِّبة الرائحة، ﴿**منضودٍ(٢٩)**﴾ نضد حمله من أسفله إِلَى أعلاه. ﴿**وظِلٍّ مَّمْدُودٍ(٣٠)**﴾ منبسط، لاَ يتقلَّص وَلاَ يتفاوت، ﴿**وماءٍ مَّسكوبٍ(٣١)**﴾ يسكب لَهُم أين شاؤوا، كيف شاؤوا بلا تعب، أو مصبوب سائل. ﴿**وفاكهةٍ كثيرةٍ(٣٢)**﴾ كثيرة الأجناس، ﴿**لاَ مقطوعةٍ**﴾ لاَ تنقطع فِي وقت، ﴿**وَلاَ ممنوعةٍ(٣٣)**﴾ لاَ يمنع من متناولها بوجه.

﴿**وفُرُشٍ مَّرفوعةٍ(٣٤)**﴾ رفيعة القدر، أو منضدَّة مرتفعة؛ وَقِيلَ الفرش: الحور، وارتفاعها على الأرائك، ويدلُّ عليه قوله: ﴿**إِنَّا أنشأناهنَّ إنشاءً(٣٥)**﴾

---

١ - فِي الأَصْلِ: «منباني»، وَهُوَ خطأ.

أي: ابتدأناهنَّ ابتداء جديدًا من غير ولادة إبداءً أو إعادة، **﴿فجعلناهنَّ أبكارا(٣٦) عُرُبًا﴾** متحبِّبات إلَى أزواجهنَّ، ويحتمل فِي قدرة ا الله أن ينشئهنَّ أبكارًا بعد أن صِرنَ ثيِّبات، **﴿أترابا(٣٧)﴾** عَلَى سنٍّ وَاحِدٍ، وكذا أزواجهنَّ، **﴿لأصحاب اليمِينِ(٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ(٣٩) وثُلَّةٌ مِنَ الآخرِينَ(٤٠)﴾** (لَعَلَّهُ) أي: كثيرون من هَؤُلاَءِ وهؤلاء، لأَنَّهُم أوجد مِنَ السابقين.

**﴿وأصحاب الشِّمال مَا أصحاب الشِّمال(٤١) فِي سَمُومٍ﴾** فِي حرٍّ نار ينفذ فِي المسامِّ؛ وقيل: ريح حارَّة، **﴿وحَمِيمٍ(٤٢)﴾** وماء متناه فِي الحرارة، **﴿وظِلٍّ من يَحْمُومٍ(٤٣)﴾** من دخان أسود، **﴿لاَ باردٍ﴾** كسائر الظلِّ، **﴿وَلاَ كريمٍ(٤٤)﴾** وَلاَ نافع؛ نفى بذلك مَا أوهم الظلَّ مِنَ الاستروح.

**﴿إنَّهُمْ كَانُوا قبلَ ذَلِكَ مُترَفِينَ(٤٥)﴾** منهمكين فِي الشهوات، **﴿وكَانُوا يُصِرُّون عَلَى الحِنثِ العظيمِ(٤٦)﴾** الذنب العظيم، **﴿وكَانُوا يقولون: أئِذَا مِتنا وَكُنَّا ترابًا وعظاما أئنَّا لَمَبعوثُونَ(٤٧)؟ أَوَ آباؤنا الأَوَّلُونَ(٤٨)؟ قلْ: إنَّ الأَوَّلِينَ والآخرِينَ(٤٩) لَمَجْمُوعون إلَى ميقاتِ يومٍ مَّعلومٍ(٥٠)﴾** إلَى مَا وقِّت بِهِ الدُّنْيَا.

**﴿ثُمَّ إنَّكُم أيُّها الضالُّون المكذِّبُونَ(٥١)﴾** بِمَا جاء بِهِ الرسول ﷺ عَن رَبِّه تعالى؛ يقال لَهُم عَلَى معنى التوبيخ. **﴿لآكِلُونَ من شجرٍ مِّن زَقُّومٍ(٥٢) فمالئون منها البُطُونَ(٥٣)﴾** من شدَّة الجوع، وَلاَ يشبعون، لأَنَّهُ لاَ يأتي عَلَيْهِم حال وَهُم ليس بهم نعمة[1]، كما أنَّ أهل النار لا يأتي

---

١ - هَذِهِ العبارة فِي غير سياقها، لأَنَّ السياق فِي أهل النار، والأصوب التقديم والتأخير:

عَلَيْهِم وقت وَهُم سالمون مِنَ العذاب، ﴿**فشاربُون عليه مِنَ الحميم(٥٤)**﴾ لغلبة العطش، ﴿**فشاربون شُرْبَ الهِيم(٥٥)**﴾ الإبل التِي بها الهيام؛ ﴿**هَذَا نُزُلُهم يومَ الدِّينِ(٥٦)**﴾ يومَ الجزاء، فما ظنُّك بِمَا يكون لَهُم بعدما استقرُّوا فِي الجحيم.

﴿**نَحْنُ خلقناكم فلولا تُصدِّقُونَ(٥٧)**﴾ بالخلق، متيقّنين محقّقين، للتصديق بالأعمال الدالّة عَلَيه، أو بالبعث فإنَّ من قدر عَلَى الإبداء قدر عَلَى الإعادة. ﴿**أفرأيتم مَّا تُمْنُونَ(٥٨) أأنتم تَخْلُقُونه**﴾؟ تجعلونه بشرا سويًّا، ﴿**أم نَحْنُ الخَالقُونَ(٥٩)**﴾؟ ﴿**نَحْنُ قدَّرنا بينَكُمُ الموتَ**﴾ قسَّمناه عَلَيْكُم، ووقّتنا موتَ كُلِّ (لَعَلَّهُ) وَاحِد بوقت معيَّن، ﴿**وَمَا نَحْنُ بمسبُوقِينَ(٦٠)**﴾ لاَ يسبقنا أحد فيهرب مِنَ الموت، أو يغيِّر وقته ﴿**عَلَى أن نُبَدِّل أمثالَكم**﴾ المعنى: عَلَى أن نبدِّل [٥٩١] منكم أشباهكم، فنخلق بَدَلكم ﴿**ونُنشِئَكم فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ(٦١)**﴾ فِي خلق أو صفات لا تعلمونها، أو فِي جزاء لا تعلمون كُنهَه. ﴿**وَلَقَد عَلِمتمُ النشأةَ الأولى**﴾ (لَعَلَّهُ) تيقّنتم بالخِلقة الأولى ﴿**فلولا تذكَّرُونَ(٦٢)**﴾ أنَّ من قدر عليها قدر عَلَى النشأة الأخرى، فإنَّها أقلُّ صنعا لحصول الموادِّ، وتخصيص الأجزاء، وسبق المثال؛ وفيه دليل عَلَى صِحَّة القياس.

﴿**أفرأيتم مَّا تَحرُثُونَ(٦٣)**﴾ تبذرون حبَّه ﴿**أأنتم تَزْرَعونه**﴾؟ تُنبِتونه ﴿**أم نَحْنُ الزَّارِعُونَ(٦٤)**﴾؟ المُنبِتون. ﴿**لو نشاء لَجَعلناه حُطَاما**﴾ هشيما،

---

=

«لأَنَّهُ لا يأتي عَلَيْهِم وقت وَهُم سالمون مِنَ العذاب، كما أنَّ أهل الجَنَّة لاَ يأتي عَلَيْهِم حال وَهُم ليس بهم نعمة».

﴿فظَلتم تفكّهُونَ(٦٥)﴾ تتعجَّبون مِمَّا أصابكم، وتندمون عَلَى اجتهادكم فِيهِ، أو عَلَى مَا أصبتم لأجله مِنَ المعاصي فتتحدَّثون فِيهِ؛ والتفكُّه: التَّنقُّل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتنقُّل بالحديث، ﴿إنـَّا لَمُغرَمُونَ(٦٦)﴾ لمُلزَمون غرامة مَا أنفقنا، أو مهلَكون لهلاك رزقِنا؛ مِنَ الغرام؛ والمغرَم: الذِي ذهب ماله بغير (لَعَلَّهُ) عوض؛ ﴿بَل نَحْنُ مَحرومُونَ(٦٧)﴾ حرمنا رزقنا، (لَعَلَّهُ) أو صار مَا أنفقنا عَلَى الحرث غُرمًا علينا.

﴿أفرأيتم المَاءَ الذِي تشرَبُونَ(٦٨)﴾؟ أي: العذب الصالح للشرب، ﴿أأنتم أنزلتموه مِنَ الْمُزْنِ﴾؟ مِنَ السحاب، ﴿أم نَحْنُ المنزِلُونَ(٦٩)﴾؟ بقدرتنا. ﴿لو نشاء جعلناه أُجَاجًا﴾ ملحًا، أو مِنَ الأجيج، فإنَّه يحرق الفم؛ ﴿فلولا﴾ فهلاَّ ﴿تَشكرُونَ(٧٠)﴾ أمثال هَذِهِ النعم الضروريَّة.

﴿أفرأيتم النار التِي تورُونَ(٧١)﴾ تقدحون، ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نَحْنُ المنشِئُونَ(٧٢)﴾؟ يعني الشجرة التِي منها الزناد؛ ﴿نَحْنُ جعلناها﴾ جعلنا نار الزناد ﴿تذكِرَةً﴾ تبصرة فِي أمر البعث، أو عَلَى قدرة القادر الحكيم، أو فِي الظلام، أو تذكيرا وأنموذجًا لنار جهنَّم، ﴿ومتاعا﴾ ومنفعة، ﴿للمُقوِينَ(٧٣)﴾ الذِينَ ينزِلون القواء[1]: وهي القفر، أو للذين خلت

---

١ - قال فِي القاموس: «وأقوَى: استغنى، وافتقر، ضدٌّ... والقِيُّ بالكسر: قَفْر الأَرضِ، كالقِواءِ... وأقوى: نزل فيها... وقَوِيَ كرَضِيَ: جاع شديدا». الفيروزآبادي: القاموس، ص١١٩٤، مَادَّة: «قوو».

بطونهم ومزاودهم مِنَ الطعام، مِن "أَقْوَت[1] الدَّارُ": إذا خلت من ساكنيها؛ ﴿فسبِّح بِاسمِ رَبِّكَ العظيمِ(٧٤)﴾ فأَحدِثِ التسبيح بذكر اسمه، أو بذكره، وتعقيب الأمر بالتسبيح لَمَّا عدَّد من بدائع صنعه وإنعامه، إمَّا لتنزيهه تعالى عمَّا يقول الجاحدون لوحدانيَّته، الْكَافِرُونَ لنعمته؛ أو للتعجُّب من أمرهم فِي كفران نعمه؛ أو للشكر عَلَى مَا عدَّها مِنَ النعم.

﴿فلا أُقسِمُ﴾ إذ الأمر أوضح أن يحتاج إِلَى قسمٍ؛ أو فأُقسِمُ، و«لا» مزيدة للتأكيد، ﴿بِمَوَاقِعِ النجومِ(٧٥)﴾ بتساقطها، أو بتخصيص المعارف لِمَا فِي غروبها من زوال أثرها، والدلالة عَلَى وجود مؤثِّر لاَ يزول تأثيره؛ أو بمنازلها ومجاريها؛ وقيل النجومُ: نجومُ القرآن، ومواقعُها: أوقاتُ نزولها، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لو تَعْلَمُونَ عظيمٌ(٧٦)﴾ لِمَا فِي المقسم بِهِ مِنَ الدلالة عَلَى عظم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة؛ ومن مقتضيات رحمته لاَ يترك عباده سدًى.

﴿إنَّهُ لَقرآنٌ كريمٌ(٧٧)﴾ كثير النفع لاَ سيما عَلَى أصول العلوم المهمَّة فِي إصلاح المعاش والمعاد، أو حسنٌ مرضِيٌّ فِي جنسه، ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ(٧٨)﴾ مَصُون (لَعَلَّهُ) عَن الذين لم يتطهَّروا عَن الكفر والجنابات، ﴿لاَ يَمَسُّه إلاَّ المطهَّرُونَ(٧٩)﴾ لاَ يطَّلع عَلَى [٥٩٢] اللوح إِلاَّ المطهَّرون مِنَ الكدورات

---

١ - فِي الأَصْلِ: «قَوَت الدار ادخلت...»، وفيها خطآن، وصوابه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٨٥. وَفِي اللسان: «وأرضٌ قَوَاء: لا أهل فيها، والفِعلُ: أَقْوَتِ الأرض وأَقْوَتِ الدَّارُ: إذا خلت من أهلها، واشتقاقه من القواء، وأَقْوَى القومُ: نزلوا فِي القواء». ابن منظور: لسان العرب، ج٥/ ص١٩٨، مَادَّة «قوا».

الجسمانيَّة، وَهُم المَلاَئِكَة؛ أو لاَ يمسُّ القرآن إلاَّ المطهـَّرون مِنَ الأحداث، فيكون نفيا بمعنى نهي؛ أو لاَ يطلبه إلاَّ المطهـَّرون مِنَ الكفر، لقوله تعالى: ﴿سأصرِفُ عَن آياتي الذِينَ يتكبـَّرون فِي الأَرْض بغير الحقِّ﴾[1]؛ وقرئ: المتطهِّرون والمطهِّرون[2]، أي: أنفسهم وغيرهم بالاستغفار لَهُم والتزكية؛ وقيل: باطن معناه محجوب عَن باطن القلب، إلاَّ إِذَا كَانَ متطهِّرًا من كُلِّ رجس، مستنير بنور التعظيم والتوقير، كما قَالَ: ﴿سأصرف عَن آياتي...﴾ الآية. **﴿تنزيلٌ من رَّبِّ الْعَالَمِينَ(٨٠)﴾** صفة ثالثة أو رابعة للقرآن.

**﴿أفبهذا الحديث﴾** يعني القرآن، (لَعَلَّهُ) أو مَا فِي هَـذِهِ السورة، **﴿أَنتُم مُدهِنُونَ(٨١)﴾**؟ متهاونون بِهِ كمن يُدهن فِي الأمر، أي: يُلِين جانبه، و[لا][3] يتصلَّب فِيهِ تهاونًا بِهِ، **﴿وتجعلون رزقكم﴾** أي: شكر رزقكم، **﴿أَنَّكُم تكذِّبُونَ(٨٢)﴾** أي: لِمَانِحِه، حيث ينسبونه إِلَىٰ الأنواء. قَالَ ابن عَبَّاس فيما يروى عَنْهُ: «﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي: شكركم بِمَا أَنزلتُ عَلَيْكُم أَنَّكُم تكذِّبون بِهِ».

**﴿فلولا إِذَا بَلَغتِ الحلقومَ(٨٣)﴾** أي: النفس، **﴿وأنتم حينئذٍ تنظُرُونَ(٨٤)﴾** (لَعَلَّهُ) إِلَيْهِ وَهُوَ فِي النزع؛ والخطاب لمن حول المحتضر،

---

١ - سورة الأعراف: ١٤٦.

٢ - اكتفى المُصَنِّف بذكر قراءتين فقط، وفيها عِدَّة قراءات أخر. ر: الألوسي: روح المعاني، ج٢٨/ ص١٥٥.

٣ - إضافة من البيضاوي، وَإِلاَّ كان تناقضا. المصدر نفسه.

﴿ونحنُ أقرَبُ﴾ ونحن أعلم ﴿إِلَيْهِ﴾ مِنَ المحتضر ﴿منكم﴾ عبَّر عَن العلم بالقرب الذِي هُوَ سبب الاطّلاع، ﴿ولكن لاَ تُبصِرُونَ(٨٥)﴾ لاَ تُدركون كُنهَ مَا يجرى عليه. ﴿فلولا إن كُنتُم غيرَ مَدينِينَ(٨٦)﴾ أي: مَملوكين مَقهورين من دانه: إِذَا أذلَّه واستعبده، ﴿ترجِعُونها﴾ ترجعون النفس إِلىَ مقرِّها، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ(٨٧)﴾ (لَعَلَّهُ) أنَّكُم غير مملوكين فِيهَا فِي تعطيلكم، فلولا ترجعون الأرواح إِلىَ الأبدان بعد بلوغها الحلقوم.

ثُمَّ ذكر صفات الخلق عند الموت وبيَّن...[1] فقال: ﴿فأمَّا إن كَانَ مِنَ المقرَّبِينَ(٨٨)﴾ أي: إن كَانَ المتوفَّى مِنَ السابقين، ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة؛ وقُرِئ: «فَرُوح» بالضمِّ، وفسِّر بالرحمة، لأَنَّهَا كالسبب لحياة المرحوم، وبالحياة الدائمة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق، ﴿وجنَّةُ نَعِيمٍ(٨٩)﴾ ذات تنعُّم، ﴿وَأَمَّا إن كَانَ من أصحاب اليمِينِ(٩٠) فسلامٌ لك﴾ يا صاحب اليمين، ﴿مِن أصحابِ اليمِينِ(٩١)﴾ أي: من أخوانك يسلِّمون[2] عليك.

﴿وَأَمَّا إن كَانَ مِنَ المكذِّبين الضالِّينَ(٩٢)﴾ يعني: أصحاب الشمال، وإنَّما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها، وإشعارا بما أوجب لَهُم مَا أوعدهم بِهِ، ﴿فَنُزُلٌ مِّن حَمِيمٍ(٩٣) وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ(٩٤)﴾ وذلك مَا يجد (لَعَلَّهُ) عند النزع[3]؛ ﴿إنَّ هَذَا﴾ إنَّ الذِي ذكر فِي السورة، ﴿لهو حقُّ اليقِينِ(٩٥)﴾

---

١ - أحال الناسخ إلى الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا، وَفِي العبارة سقط واضح.

٢ - فِي الأَصْلِ: «يسلموا»، وَهُوَ خطأ، إذ لا موجب لحذف النون.

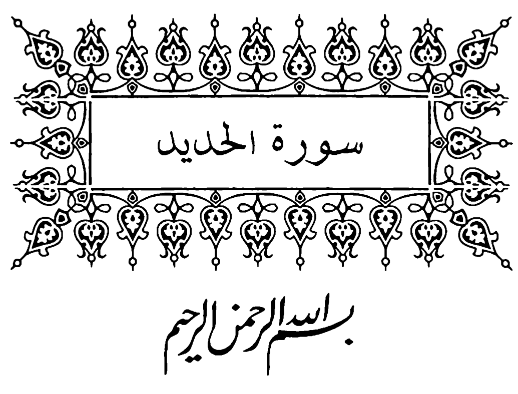
٣ - تخصيص قَوله تَعَالَىَ: ﴿فنزُل من حميم، وتصلية جحيم﴾ بما يجد عند النزع، لا يتيحه =

أي: حقُّ الخبرِ اليقين، ﴿فسبِّح باسمِ رَبِّكَ العظيمِ(٩٦)﴾ فنزِّهه بذكر اسمه عن ما لاَ يليق بعظمة شأنه.



---

السياق. وفي تفسير أبي السعود: «﴿وتصلية جحيم﴾ أي إدخال في النار، وَقِيلَ: إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها». ويبدو أَنَّهُ الصواب إن شاء الله، لأَنَّ الإنسان عُمُومًا - مؤمنا كان أو كافرا - ليجد في النزع سكرات، بدليل ما رواه البخاريُّ وأحمد عن عائشة عن النبيء ﷺ قوله: «لا إله إلاَّ الله، إنَّ للموت سكرات». أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٢٠٢. برنامج سلسلة كنوز السنّة: الجامع الصغير وزياداته.



# سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْض﴾ ذكرهَا هنا وفي "الحشر" و"الصف" بلفظ الماضي، وفي "الجمعة" و"التغابن" [٥٩٣] بلفظ المضارع إشعارا بأنَّ من شأن من أسند إِلَيْهِ أن يسبِّحه فِي جميع أوقاته، لأَنَّهُ دلالة[١] جليَّة لاَ تختلف باختلاف الحالات؛ ومجيء المصدر مطلقا فِي "بَنِي إِسْرَائِيلَ"[٢] أبلغ، من حيث أنَّه يشعر بإطلاقه عَلَى استحقاق التسبيح من كُلِّ شيء، وفي كُلِّ حال. وَإِنَّمَا عُدِّيَ باللام [إشعارًا][٣] بِأَنَّ إيقاع الفعل لأجل الله وخالصا لوجهه، ﴿وَهُوَ العزيز الحكيم(١)﴾ حال[٤] يُشعِر بِمَا هُوَ المبدأ للتسبيح، ﴿لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْض﴾ مَا يصحُّ مِنْهُ أن يسبِّح، ﴿يحيي ويُميتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيء﴾ وَهُوَ اسم جامع لِكُلِّ مَا يقع عليه اسم شيء، ﴿قدير(٢)﴾ تام القدرة.

---

١ - لَعَلَّ الصواب: «لأَنَّ دلائله جليَّة». أي دلائل وجوده وكمالاته وموجبات تسبيحه.

٢ - المقصود: «فِي سورة بني إسرائيل»، وهي سورة الإسراء، ويعني قَولَه تَعَالَى: ﴿سُبحانَ الذي أَسرَى بعبدِه ليلاً مِّنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصَى﴾. الآيَة: ١.

٣ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٨٦.

٤ - فِي الأَصْلِ: + «بما».

﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ (لَعَلَّهُ) بلا ابتداء، السابق عَلَى سائر الموجودات من حيث أنَّه موجِدها ومحدثها مَا لاَ يتناهى مِنَ الأوقات، ﴿والآخِرُ﴾ (لَعَلَّهُ) لأَنَّهُ ليس لَهُ غاية وَلاَ نهاية، ﴿والظاهرُ والباطنُ﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله، والباطن خفية[1] ذاته فلا تكتنهها العقول؛ والغالب عَلَى كُلِّ شيء، والعالم بباطنه؛ وقيل: اسمه الظاهر يقتضي بطون كُلِّ شيء حتَّى لاَ ظاهر [سواه]، فينطوي حينئذ وجودِ كُلِّ شيء؛ واسمه الباطن يقتضي ظهور كُلِّ شيء، حتَّى لاَ باطن معه، فَيُظَنُّ[2] إذ ذاك (لَعَلَّهُ) وجود كُلِّ شيء، فالحقُّ هُوَ الموجود بِكُلِّ اعتبار. ﴿وهو بِكُلِّ شيء عليم(٣)﴾ يستوي عنده الظاهر والخفيُّ، والأوَّل والآخر[3].

﴿هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَات والأَرْض فِي ستَّة أَيَّام ثُمَّ استَوَى عَلَى العرش، يَعلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْض وَمَا يَخرُجُ منها وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ (لَعَلَّهُ) لاَ يعزب عَنْهُ مثقال ذرَّة فِيهَا، ﴿وَهُوَ معكم﴾ بالعلم

١ - فِي تفسير البيضاوي: «حقيقة». المصدر نفسه. وكذا عند أبي السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٢٠٤.

٢ - يمكن أن نقرأ: «فَبَطُنَ»، وَلَكِن يتناقض مع قوله: «حَتَّى لا باطن معه»، والعبارة غامضة كما نرى؛ و لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر التفسير ما يوضِّحها.

٣ - قوله: «والأوَّل والآخر»، إضافة من المـُصَنِّف غير موجودة عند البيضاويِّ ولا عند أبي السعود. ونرى أَنَّ حذفها أحسن، إذ الأَوَّل والآخر ــ هكذا بالتعريف ــ لا يطلقان إِلاَّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأَنَّ كلَّ ما سواه أَوَّلٌ وآخِرٌ بالنسبة إِلىَ شَيْء آخر، لا بإطلاق. وَالله أعلم.

والقدرة، ﴿أين مَا كُنتُم﴾ لاَ ينفكُّ علمه وقدرته [عنكم] بحال، ﴿وا لله بِمَا تَعْمَلُونَ بصير(٤)﴾ فيجازيكم عليه. ﴿لَهُ ملك السَّمَاوَات والأَرْض، وإلى ا لله تُرجَعُ الأمور(٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ويولِجُ النَّهَار فِي اللَّيْل وَهُوَ عليمٌ بذاتِ الصدورِ(٦)﴾ بمكنوناتها.

﴿آمِنُوا با للهِ ورسولِه، وأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكم مُستَخلَفِينَ فِيهِ﴾ مِنَ الأموال التِي جعلكم ا لله خلفا فِي التصرُّف فِيهَا، فهي فِي الحقيقة لَهُ لاَ لكم، ﴿فالذين آمَنُوا منكم وأَنفقُوا لَهُم أجرٌ كبيرٌ(٧) وَمَا لكم لاَ تُؤمِنُونَ با لله والرَّسُولُ يدعوكم لِتؤمنوا بربِّكم﴾ والمعنى: أيُّ عذر لكم فِي ترك الإيمان والرسولُ يدعوكم إِلَيْهِ بالحجج والآيات؟ ﴿وقد أَخَذ ميثاقَكم﴾ أي: وقد أَخَذ ا لله ميثاقكم بالإيمان قبل ذَلِكَ، بنصب الأدلَّة، والتمكين مِنَ النظر؛ أو أَخَذ ميثاقكم فِي ظهر آدم بأنَّ ا لله رَبُّكم، وَلاَ إله لكم سواه؛ وقيل: ﴿أخذ ميثاقكم﴾: ركَّب فيكم العقول، وأقام لكم الحجج (لَعَلَّهُ) والدلائل إِلىَ متابعة الرسل، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٨)﴾ بذلك.

﴿هُوَ الذِي يُنزِّل عَلَى عبده آياتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخرِجَكم مِّنَ الظُّلُمات إِلىَ [٥٩٤] النورِ﴾ من ظلمات الكفر إِلىَ نور الإيمان، ﴿وإنَّ ا لله بكم لَرءوفٌ رحيمٌ(٩)﴾ حيث دعاكم لما يُحييكم، ولم يقتصر عَلَى ما نصب مِنَ الأدلَّة والحجج العقليَّة.

﴿وَمَا لكم أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سبيلِ ا للهِ﴾ فيما يكون قربة إِلَيْهِ، وذخرا لكم؛ قَبْلَ فِي لاَ شيء[1]؛ أو قبل أن يستردَّ منكم مَا خوَّلكم إيَّاهُ (لَعَلَّهُ)

١ - كذا في الأصل، ولم يَتَّضِح لنا مَعْنَى هَذِهِ العبارة، وَلَعلَّهُ يقصد: أنفِقوا فيما يكون =

بدليل: ﴿**و لله ميراث السَّمَاوَات والأَرْض**﴾ يرث كُلَّ شيء فيهما، وَلاَ يبقى لأحد شيء، وإذا كَانَ كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى ـ وَهُوَ الثواب ـ كَانَ أولى. ﴿**لاَ يَستوِي منكم من أنفَقَ مِن قبلِ الفتحِ**﴾ فتح مكّة، ﴿**وقَاتَلَ أُولَـئِكَ أعظَمُ درجةً**﴾ بيانٌ لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم، مِنَ السبق وقوَّة اليقين، وحاجة من أُنفِق عليه، ﴿**مِن الذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ**﴾ الفتح، ﴿**وقاتَلوا، وكلاًّ وَعَدَ ا لله الحسنَى**﴾ أي: وعد ا لله كُلاًّ من المنفِقِين الحسنَى وهي الجنَّة، ﴿**وا لله بِمَا تَعْمَلُونَ خبيرٌ(١٠)**﴾ عالم بظاهره وباطنه، ويجازيكم عَلَى حسبه.

﴿**مَن ذَا الذِي يُقرِض ا للهَ قَرضا حَسَنًا**﴾ من إنفاق مال، أو بذل بدن، أو استعمال غريزةٍ ابتغاءَ مرضاته، ﴿**فيُضاعِفَه لَهُ**﴾ أي: يعطي أجره أضعافا، ﴿**وَلَهُ أجرٌ كريم(١١)**﴾ أي: وذلك الأجر المضموم إِلَيْهِ الأضعاف كريمٌ فِي نفسه، ينبغي أن يُتوخَّى وإن لم يضاعف، فكيف وقد يضاعف أضعافا، المعنى: وكأنَّه قَالَ: أيقرض ا للهَ أحدٌ فيضاعفَه لَهُ؟.

﴿**يومَ ترَى المؤمنين والمؤمناتِ**﴾ (لَعَلَّهُ) يوم القيامة، ﴿**يَسعَى نُورُهم**﴾ مَا يوجب نجاتهم وهدايتهم إِلَى الجنَّة، ﴿**بينَ أيديهم وبأَيمَانِهم**﴾ نورهم عَلَى قدر أعمالهم، ويقول لَهُمُ المَلاَئِكَة: ﴿**بُشرَاكم اليومَ**﴾ أي: يقول لَهُم من يتلقَّاهم مِنَ المَلاَئِكَة: بشراكم، أي: المبشَّر بِهِ ﴿**جَنَّات تجري مِن تحتِها**

---

=

قربة إِلَيْهِ، وذخرا لكم؛ قبل أن تنفقوا فِي لاَ شيء، أي إسرافا وتبذيرا. وَا لله أعلم.

**الأنهارُ خالدين فِيهَا، ذَلِكَ هُوَ الفوزُ العظيم(١٢)﴾** الإشارة إِلَى مَا تقدَّم مِنَ النور والبشرى مِنَ الجنان[1] المخلَّدة.

**﴿يومَ يقولُ المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا: انظُرُونَا﴾** انتظِرونا، فإنَّهم يُسرَع بهم إِلَى الجنَّة، **﴿نَقْتَبِسْ من نُّورِكم﴾**، لأَنَّهُم ليس لهم نور، **﴿قيل: ارجِعُوا وَرَاءَكم﴾** إِلَى الدُّنْيَا **﴿فالتَمِسُوا نورًا﴾** بتحصيل المعارف الإلهيَّة والأخلاق الفاضلة، وَهُوَ تهكُّم، **﴿فَضُرِب بَيْنَهُم﴾** بين المؤمنين والمنافقين **﴿بِسُورٍ﴾** بحائط (لَعَلَّهُ) وَهُوَ حاجز بين الجنَّة والنار، وَهُوَ جبل الأعراف فيما قيل، **﴿لَهُ بابٌ﴾** يدخل فِيهِ المؤمنون، **﴿باطِنُهُ﴾** باطن السور **﴿فِيهِ الرحمة﴾** لأَنَّهُ يلي الجنَّة، **﴿وظاهِرُه مِنْ قِبَلِهِ العذابُ(١٣)﴾** من جهته، لأَنَّهُ يلي النار؛ (لَعَلَّهُ) قيل: هُوَ الأعراف المذكور.

**﴿ينادونهم: ألم نكن معكم﴾؟** يريدون موقفه الظاهر، **﴿قَالُوا: بلى، ولكنَّكم فَتَنتُم أنفسَكم﴾** بالنفاق، [أهلكتموها (لَعَلَّهُ) بالنفاق والكفر واستعملتموها فِي المعاصي والشهوات، وكلُّها فتنة][2] **﴿وتربَّصتم﴾**، بالمؤمنين الدوائر، **﴿وارتبتم﴾** وشككتم فِي البعث، **﴿وغرَّتكم الأَمَانيُّ﴾** (لَعَلَّهُ) حتَّى بَعَّدتم عنكم الموت، فدهمَكم بغتةً؛ وقيل: الأباطيل، **﴿حتَّى جاء**

---

١ - الصواب: «بالجنان» كما فِي البيضاوي، و"بشَّر" يتعدَّى بالباء، ولا يقال: "بشَّره من كذا". انظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٨٧. ابن منظور: لسان العرب، ج١/ ص٢١٦-٢١٧، مَادَّة «بشر».

٢ - ما بين معقوفين كتب فِي الحاشية و لم يُحِل إِلَيْهِ الناسخ فِي المتن، وأثبتناه فِي محلّه باجتهادنا.

[٥٩٥] **أمر الله﴾** وَهُـوَ الموت، **﴿وغرَّكـم بـا لله الغَـرُورُ(١٤)﴾** الشـيطان منّاكم المغفرة عَلَى الإصرار، **﴿فـاليوم لاَ يُؤخـذ منكـم فديـة وَلاَ مِـنَ الذِيـنَ كَفَرُوا[١]﴾** ظاهرا وباطنا، و**﴿مأواكم النار﴾** لأنَّـهَا خُلقت لكم وخُلقتم لهـا، **﴿هِيَ مولاكم﴾** هِيَ أولى بكم؛ وقيل: متولاّكم، كما تولّيتم موجـبا[تِـها]، **﴿وبِئْسَ المصير(١٥)﴾** النار.

**﴿ألم يَأْنِ﴾** يَحِن، مِنَ الحين، **﴿للذيـن آمنـوا أن تَخْشَـعَ قلوبُهـم لِذِكْـرِ الله﴾** ألم يأت وقته، يقال (لَعَلَّـهُ) أنـَى الأمـرُ يـأني أنْـيـًا[٢]، إِذَا جـاء إنـاه، **﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الحـَقِّ﴾** أي: القـرآن، فيقصِّروا الأمـل بهـا ويجتهـدوا، **﴿وَلاَ يكونوا كالذين أوتوا الكتابَ من قبلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَـقَسَتْ قُلُوبُهـم﴾** أي: فطال عَلَيْهِمُ الزمان بطول أعمارهم وآمـالهم؛ والمعنـى أنَّ الله عـزَّ وجـلَّ ينهى المؤمنين أن يكونوا فِي صحبة...[٣] اليهود الذِينَ قست قلوبهم لـمَّا طـال عَلَيْهِمُ الدهر، **﴿وكثير مِنْـهُم فاسقُونَ(١٦)﴾** خارجون عَن دينهـم رافضـون لِمَا فِي كتابهم من فرط القسوة.

---

١ - فِي الأصل: «كفرا» وَهُوَ خطأ.

٢ - «أَنَى الشَّيْءُ يَأْنِي أَنْـيًا وإِنـًى وَأَنًى وَهُوَ أَنِيٌّ: حان وأدرك». ابـن منظـور: لسـان العرب، ج١/ ص١٢٢، مَادَّة «أني».

٣ - فراغ قدر كلمة، وقد وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية و لم يكتـب فيهـا شَـيْئـًا. وَفِي تفسـير البغويِّ: «والمعنى أنَّ الله عزَّ وجلَّ ينهى المؤمنين أن يكونوا فِي صحَّة القرآن كاليهود الذِيـنَ قست قلوبهم لـمَّا طال عَلَيْهِمُ الدهر». البغوي: معالم التـنـزيل، ٢٩٧/٤.

﴿اعلَمُوا أنَّ ا للهَ يُحيي الأَرْضَ بعدَ موتها﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة، أو إحياء الأموات، ترغيبا فِي الخشوع، وزجرا عَن القساوة، ﴿قد بيَّنَّا لكم الآياتِ لَعَلَّكُم تعقلُونَ(١٧)﴾ كي يكمل عقلكم (لَعَلَّهُ) بالذكر والكفر.

﴿إنَّ المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرَضوا ا للهَ قرضا حسنا﴾ (لَعَلَّهُ) تركوا الدُّنْيَا وطرحوها لأهلها، وأقرَضوا أنفسَهم وأموالهم ومهجهم وأعمارهم للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿يُضَاعَفُ لَهُم ولهم أجرٌ كريم(١٨) وَالذِينَ آمنوا با للهِ ورُسُلِه أُولَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقون والشهداءُ عند ربِّهم﴾ أي: أُولَـئِكَ عند ا للهِ بمنزلة الصدِّيقين والشهداء، أو هم المبالغون فِي الصدق، فإنَّهم آمنوا وصدَّقوا جميع أخبار ا للهِ ورسله، والقائمون بالشهادة للهِ ولهم، أو عَلَى الأمم يوم القيامة، ﴿لَهُم أجرُهم ونورُهم﴾ مثل أجر الصدِّيقين والشهداء، ﴿وَالذِينَ كَفَرُوا وكذَّبوا بِآيَاتِنا أُولَـئِكَ أصحاب الجحيم(١٩)﴾.

﴿اعلموا أَنَّمَا الحياةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾ فِي انقضائها، وَقِلَّة حاصلها، وتعب طالبها، ﴿وزينةٌ وتفاخرٌ بينَكم وتكاثُرٌ فِي الأموالِ والأولادِ﴾ لَمَّا ذكر حال الفريقين فِي الآخِرَة، حقَّر أمور الدُّنْيَا ـ أعني مَا لاَ يُتوصَّل بِهِ إِلَى الفوز الآجل ـ بِأن بيَّن أَنَّهَا أمور خالية قليلة النفع، سريعة الزوال، لأَنَّهُ ﴿لعبٌ﴾ يُتعِب الناس فِيهِ أنفسهم حَدَّ أتعابِ[1] الصبيان فِي الملاعب من غير فائدة، ﴿ولهوٌ﴾ يلهون بِهِ أنفسهم عمَّا يهمُّهم، ﴿وزينةٌ﴾ كالملابس الحسنة، والمراكب البهيَّة، والمنازل الرفيعة، ﴿وتفاخرٌ﴾ بالأنساب، ﴿وتكَاثرٌ﴾ بالعَدَدِ

---

١ - فِي تفسير البيضاوي: «يُتعِب الناس فِيهِ أنفسهم جِدًّا إتعابَ الصبيانِ». ج٤/ ص١٨٩.

والعُدَدِ، ثُمَّ قرَّر ذَلِكَ بقوله: ﴿**كَمَثَلِ غَيثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نباتـه، ثُـمَّ يَهِيـجُ فَتَراه مُصفَرًّا ثُمَّ يكون حُطامًا**﴾ وَهُوَ تمثيل لها في سرعة تـقـضيها[1]، وَقِلَّـة جدواها، بحال نبات أنبته الغيث فاستوى، أُعجب بِـهِ الحرَّاث أو الْكَـافِرُونَ [٥٩٦] با لله، لأَنَّـهُم أشدُّ إعجابا بزينة الدُّنْـيَا، ولأنَّ المؤمـن إِذَا رأى معجبا انـتـقل فكره إِلَى قدرة صانعه، فأُعجب بها؛ والكافر لاَ يتـخطَّى فكـره عمَّـا أحسَّ بِهِ، فيستغرق فِيهِ إعجابا، ثُمَّ هاج، أي: يبس بعاهة فـاصفرَّ، ثُـمَّ صـار حطاما؛ كذلك الدُّنْـيَا وَمَا فِيهَا وعليها؛ ثُمَّ عظَّم أمور الآخِـرَة بقولـه: ﴿**وفي الآخِرَة عذاب شديد**﴾ تنفيرًا عَن الانهماك فِي الدُّنْـيَا. وحثًّا عَلَى مَا يوجـب كرامة العقبى؛ ثُمَّ أكَّد ذَلِكَ بقوله: ﴿**ومغفرةٌ مِنَ ا لله ورضوانٌ، وَمَـا الحيـاة الدُّنْـيَا إِلاَّ متاعُ الغرورِ(٢٠)**﴾ أي: لمن أقبل عليها، و لم يطلب بها الآخِرَة.

﴿**سابقوا**﴾ سارعوا مسارعة السابقين. (لَعَلَّهُ) يُروى عَن النـبيء ﷺ أنـَّه [قال]: «*من خاف أدلَجَ، ومن أدلَجَ بلغ المنزل*»[2]، ﴿**إِلَى مغفرةٍ من رَّبِّكُم**﴾ إِلَى موجباتها، ﴿**وجنـَّة عَرضُهـا كعَرْضِ السَّمَـاءِ والأَرْضِ**﴾ أي: عرضهـا كعرضهما؛ وإذا كَانَ العرض كذلك، فما ظنُّك بـالطول؛ وقيـل: المـراد بـِهِ:

---

١ - كذا أيضًا فِي تفسير البيضاوي، ويبدو أنَّ الصواب: «انقضائها». المصدر نفسه.

٢- رواه الترمذيُّ: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع. رقم ٢٣٧٤. عَنْ بُكَيْرُ بْنِ فَـيْرُوزَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ ا للهِ صَلَّى ا للهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَـجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَـنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ ا للهِ غَالِيَـةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ ا للهِ الْجَنَّـةُ». قَـالَ أَبـُو عِيسَى: هَذَا حَدِيـثٌ حَسَنٌ غَرِيـبٌ لاَ نَعْرِفُـهُ إِلاَّ مِـنْ حَدِيـثِ أَبِي النـَّضْرِ. العالميـَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أدلج».

البسطة، كقوله: ﴿فذو دعاء عريض﴾[1]. ويؤخذ عَن أبي سعيد فيما أرجو: «فالجنَّة كما وصفها الله يمكن أن تكون مكَانَ السَّمَاوَات والأَرْض، ويمكن أن تكون فِي غير السَّمَاوَات والأَرْض، وتكون السَّمَاوَات والأَرْض بحالهنَّ، وَلاَ يعجز الله فِي قدرته شيء مِنَ الأمور؛ ويمكن أن تكون هَـذِهِ الجنَّة مثل السَّمَاوَات والأَرْض، وتكون السَّمَاوَات والأَرْض بحالهنَّ مكانهنَّ؛ تعالى الله العزيز فِي قدرته علوًّا كبيرًا». ﴿أُعِدَّت للذين آمنوا بالله ورُسُلِه، ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤتِيهِ من يَّشَاءُ﴾ ذَلِكَ الموعود يتفضَّل بِهِ عَلَى من يَشَاء من غير إيجاب، ﴿والله ذو الفضلِ العظيمِ(٢١)﴾ فلا يَبعُد مِنهُ التفضُّل بذلك، وإن عظم قدره.

﴿مَا أصاب من مُّصيبةٍ فِي الأَرْض﴾ بالقحط والآفات للثمار، ﴿وَلاَ فِي أنفسكم﴾ بالمرض والخسران فِي الدين، ﴿إلاَّ فِي كِتَاب﴾ إلاَّ مكتوبة فِي اللوح مُثبتة فِي علم الله، ﴿من قبلِ أن نَّبْرَأَها﴾ نخلقها، ﴿إنَّ ذَلِكَ﴾ إنَّ إثباتها [الذي] ثبتّه فِي كِتَاب، ﴿عَلَى الله يسير(٢٢)﴾ لاستغنائِهِ فِيهِ عَن العدَّة والمدَّة.

﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا﴾ أي: أثبت وكتب لئلاَّ تحزنوا ﴿عَلَى مَا فاتكم﴾ من نعم الدُّنْيَا، ﴿وَلاَ تفرحوا بِمَا آتاكم﴾ بِمَا أعطاكم الله منها، فإنَّ مَن علم أنَّ الكلَّ مقدَّر، هان عليه الأمر؛ وقرأ أبو عمرو: «وبما أتاكم» مِنَ الإتيان لِتُعادِلَ «مَا فاتكم»، وَعَلَى الأوَّل فِيهِ إشعار بأنَّ فواتها يلحقها إِذَا خلِّيت وطباعها؛ وَأَمَّا حصولها وبقاؤها، فلا بدَّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها؛ والمراد بِهِ: نفي الأسى

---

١ - سورة فصِّلت: ٥١.

المانعِ عَن التسليم لأمر ا لله، والفرحِ الموجبِ للبطر والاختيال، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿**وا لله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مختالٍ**﴾ متكبِّر عَلَى ا لله وَعَلَى خلقه بِمَا أوتي مِنَ الدُّنْيَا مستغنٍ بِهِ عَن ا لله، ﴿**فخور(٢٣)**﴾ (لَعَلَّهُ) بِهِ عَلَى الناس، إذ قلَّ من تثبت نفسه عند وقوع الضرَّاء [٥٩٧] والسرَّاء.

﴿**الذِينَ يَبخَلون ويَأْمُرُون الناسَ بالبخلِ**﴾ بدل مِن «كُلَّ مختال» فإنَّ المختال بالمال يضنُّ بِهِ غالبًا؛ أو مبتدأ. ﴿**ومن يتولَّ فإنَّ ا لله هُوَ الغنيُّ الحميد(٢٤)**﴾ لأنَّ معناه: ومن يعرض عَن الإنفاق، فإنَّ ا لله غنيٌّ عَنْهُ وعن إنفاقه، محمود فِي ذاته، لاَ يضرُّه الإعراض عَن شكره بالتقرُّب إِلَيْهِ بشيء من نعمه[1]؛ وفيه تهديد وإشعار بأنَّ الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفِق.

﴿**لَقَد أرسلنا رُسُلَنا بالبَيِّنَاتِ، وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسط**﴾[2] ليتعاملوا بَيْنَهُم بالعدل، وإنزالُه إنزالُ أسبابه، والأمر بإعداده؛ ويجوز أن يُراد بِهِ: العدل لتقامَ بِهِ السياسة، ويُدفع بِهِ الأعداء، كما قَالَ: ﴿**وأنزلنا الحديدَ فِيهِ بأسٌ شديدٌ**﴾ فإنَّ آلات الحروب مُتَّخَذة مِنْهُ، ﴿**ومنافعُ للناس، ولِيَعْلَمَ ا لله من يَنصُرُهُ وَرُسُلَه**﴾ باستعمال الأسلحة والعُدَدِ والمُهجِ ﴿**بالغيب، إنَّ ا لله قويٌّ**﴾ عَلَى إهلاك من أَرَادَ إهلاكه ﴿**عزيز(٢٥)**﴾ لاَ يفتقر إِلَى نصرة؛ وإنَّما أمرهم بالجهاد لينتفعوا بِهِ، ويستوجبوا ثواب الامتثال.

---

١ - فِي العبارة خلل، صوابها ما ذكره البيضاويُّ: «لاَ يضرُّه الإعراض عَن شكره، ولا ينفعه التقرُّب إِلَيْهِ بشكر مَن نعَمه». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٨٩.

٢ - في الأصل: - ﴿والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾.

﴿وَلَقَد أرسلنا نوحًا وإبراهيمَ وجعلنا فِي ذرِّيَّتِـهما النبوَّةَ والكتاب﴾ بأَن استَنبَأنَاهُم، وأوحينا إِلَيْهِم الكتاب؛ وقيل: المراد بالكتاب: الخطُّ، ﴿فمنهم﴾ فمن الذُرِّيَّة، أو مِنَ المُرسَل إِلَيْهِم؛ ﴿مُهتَدٍ، وكثيرٌ مِنْهُم فاسقُونَ(٢٦)﴾ خارجون عَن الطريق المُسْتَقِيم، والعدول عَن سنَن الإسلام، مبالغة فِي الذمِّ، والدلالة عَلَى [أَنَّ] الغلبة للضلال.

﴿ثُمَّ قَفَّينا عَلَى آثارهم بِرُسُلنا وقفَّينا بعيسى ابنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أرسلنا رسولا بعد رسول، حتَّى انتهى إِلَى عيسى، ﴿وآتيناه الإِنجيلَ، وجعلنا فِي قلوبِ الذِينَ اتَّبعوه رأفةً ورحمةً﴾ (لَعَلَّهُ) لأهل الإيمان، ﴿ورهبانيَّةً﴾ أي: وابتدعوا رهبانيَّة جاؤوا بها من قِبَل أنفسهم ﴿ابتدعوها﴾ أو رهبانيَّة مُبتدَعة عَلَى أنَّها مِنَ المجعولات، وهي المبالغة فِي العبادة والرياضة والانقطاع عَن الناس، منسوبة إِلَى الرَّهبان[1]، وَهُوَ المبالِغ فِي الخوف، من رَهَبَ.

﴿مَا كتبناها عليهم﴾ مَا فرضناها عَلَيْهِم ﴿إِلاَّ ابتغاءَ رضوانِ الله﴾ قيل: استثناء منقطع؛ أي: ولكنَّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان، أي: ولكنَّهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانيَّة، وتلك الرهبانيَّة: مَا حَمَّلوا أنفسهم مِنَ الميثاق فِي الامتناع مِنَ المطعم والمشرب والملبس والمنكح؛ وقيل: متَّصل، فإنَّ ﴿مَا كتبناها عَلَيْهِم﴾ بمعنى: مَا تعبَّدناهم بها، وَهُوَ كما ينفي الإيجاب المقصود مِنْهُ دفع العقاب ينفي الندب المقصود مِنْهُ مجرَّد حصول مرضاة الله، وَهُوَ يخالف قوله: ﴿ابتدعوها﴾، إِلاَّ أن [يقال:] ابتدعوها ثُمَّ ندبوا إِلَيْهِا؛ أو ابتدعوها بمعنى: استحدثوها وأتوا بها؛ أو لأَنَّهُم اخترعوها من تلقاء أنفسهم،

---

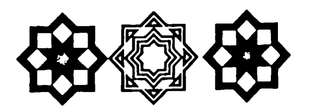
١ - «فَعلان، مِن رهب، كخشيان من خشيَ». أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٢١٣.

﴿فما رَعَوْها﴾ أي: فما رعو[هـ]ـا جميعًا، [٥٩٨] ﴿حقَّ رِعايتها﴾ لم يُوفُوهَا جميع حقوقها.

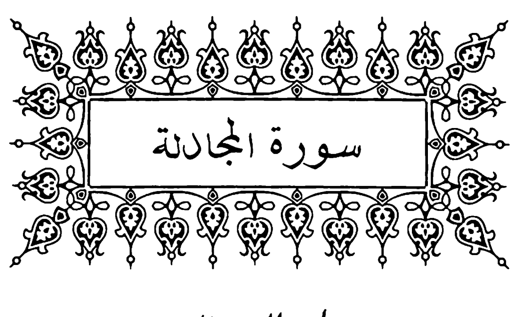
﴿فآتينا الذِينَ آمنوا﴾ أتَـوا[1] بالإيمان الصحيح، وحافظوا حقوقها، ومن ذَلِكَ الإيمان بمحمَّد عليه السلام، ﴿مِنهُم﴾ مِنَ المتسمين باتّباعه، ﴿أجرَهم، وكثيرٌ مِّنْهُمْ فاسقُونَ(٢٧)﴾ خارجون عَن حال الاتّباع.

﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنوا﴾ با لله والرسل المتقدِّمة، وَمَا أتوهم بِهِ، ﴿اتَّقُوا ا لله﴾ فيما نهاكم عَنْهُ، ﴿وآمنوا برسوله﴾ محمَّد عليه السلام، ﴿يُؤتِكم كِفلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لإيمانكم بمن تقدَّمه، ﴿ويَجْعَل لَّكُم نورا تمشون بِهِ﴾ علما تستضيئون بِهِ فيما تعبّدتم، تسلكون بِهِ إِلىَ جنّات القدُس، ﴿ويَغفِرْ لكم وَا لله غَفُور رحيم(٢٨)﴾.

﴿لئلاَّ يعلمَ﴾ أي: ليعلموا وَ«لاَ» مزيدة، ﴿أهلُ الكتاب ألاَّ يَقْدِرون عَلَى شيء من فضل ا لله﴾ أي: أنَّهم لاَ ينالون شَيْئًا مِمَّا ذكر من فضله، ويتمكَّنون من نيله، لأَنَّهُم لم يؤمنوا برسوله، وَهُوَ مشروط بالإيمان بِهِ؛ أو لاَ يقدرون عَلَى شيء من فضله، فضلا أن يتصرَّفوا فِي أعظمه، وَهُوَ النبوَّة فيخصُّونها بمن أرادوا، ويؤيِّده قوله: ﴿وأنَّ الفضلَ بِيَدِ ا للهِ يؤتيه من يَشَاءُ وَا لله ذو الفضلِ العظيمِ(٢٩)﴾.



١ - فِي الأَصْلِ: «أوتوا»، والصواب ما أثبتناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٩٠.



# سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد سمع ا لله قولَ التي تُجادلك في زوجها وتشتكي إلى ا لله، وا لله يَسمَعُ تَحَاوُرَكُما﴾ تراجعكما الكلام؛ وهو على تغليب الخطاب، ﴿إنَّ ا لله سميعٌ بصيرٌ(١)﴾ للأقوال والأحوال. ﴿الذين يُظَاهرون منكم مِّن نِّسائهم ما هنَّ أُمَّهاتِهم﴾ على الحقيقة، ﴿إن أُمَّهاتُهم إلاَّ اللائي وَلَدْنَهم﴾ فلا تشبّه بهنَّ في الحرمة، ﴿وَإنـَّهُمْ لَيقولون مُنكَرًا من القولِ﴾ [إذ الشرع][1] أنكره، ﴿وزورًا﴾ مُحرّفا عن الحقِّ، ﴿وإنَّ ا لله لَعَفُوٌّ غفورٌ(٢)﴾ لِمَا سلف منه مطلقا، [أو] إذا تيب عنه (لَعَلَّهُ) مع إيجاب الكفّارة لمن أراد إدراك زوجته.

﴿والذين يُظَاهِرون من نِّسائهم ثُمَّ يعودون لِمَا قالوا﴾ أي: إلى قولهم بالتدارك، ﴿فتحريرُ رقبةٍ﴾ أي: فعليهم ﴿من قبل أن يَّتَمَاسَّا﴾ أن يستمتع كُلٌّ من المظاهِر والمظاهَر عنها بالآخر، لعموم اللفظ، ﴿ذلكم﴾ أي: ذلكم الحكم بالكفّارة ﴿تُوعَظون به﴾ لأنَّه يدلُّ على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة، ويردع عنه ﴿وا لله بما تعملون خبير(٣) فمن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شهريْنِ متتابعين من قبلِ أن يـتَّماسَّا؛ فمن لَّمْ يستطع فَإطعامُ سِتِّينَ مِسكينًا، ذلك لتؤمنوا با لله

---

١ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٩١.

**ورسوله﴾** أي: فرض ذلك لتصدِّقوا با لله ورسوله، في قبـول شـرائعه ورفـض مـا كنتم عليه في جاهليَّتكم، **﴿وتلك حُدودُ ا للهِ﴾** لا يجوز تَعدِّيهـا **﴿وللكـافرين﴾** أي: الذين لا يقبلونه **﴿عذابٌ أليم(٤)﴾**.

**﴿إنَّ الذين يُحادُّون ا للهَ﴾** يُخالفون ا لله **﴿ورسولَه﴾** يُعادونهما، فـإنَّ كلاًّ من المتعاديَـيْنِ في حدٍّ غير حدِّ الآخر؛ أو يضعون ويختارون حـدودا غـير حدودهما، **﴿كُبِتُوا كما كُبِـتَ﴾** أُخـزُوا وأُهلكُـوا؛ وأصـل الكبـت: الكـبُّ **﴿الذين** [٥٩٩] **من قبلهم﴾** يعني: كفّار الأمم الماضية؛ **﴿وقـد أنزلنـا آيـات بَيِّـنَاتٍ وللكـافرين عـذابٌ مهـينٌ(٥)﴾** يذهـب عزُّهـم وتكبُّرهم. **﴿يـوم يـبعثهم ا لله جميعا فينبِّئهـم بما عَمِلـوا﴾** أي: علـى رؤوس الأشـهاد، تشـهيرا بحالهم، وتقريرا لعدائهم، **﴿أحصاه ا للهُ﴾** أحاط بـه عـددا، لم يغـب عنـه منـه شـيء، **﴿ونَسُـوهُ﴾** لكثرتـه، أو تهـاونهم بـه، وتَمـاديهم عـن التوبـة عنـه، **﴿وا للهُ**[1] **على كُلِّ شيء شهيد(٦)﴾** لا يغيب عنه شيء.

**﴿ألم تَـرَ أنَّ ا لله يعلـمُ مـا في السـماوات ومـا في الأرض﴾** كُـلِّيـًّا وجزئيـًّا، **﴿ما يكونُ من نَّجوَى ثلاثةٍ﴾** ما يقع مـن تـناجي ثلاثـةٍ، واشتقاقه من النجوة: وهو ما ارتفع من الأرض، فإنَّ السـرائر مرفـوع إلى الذهـن[2]، لا يتيسَّر لِكُلِّ أحد أن يطَّلع عليه، **﴿إلاَّ هو رابعهم﴾** بالعلم والجزاء لهم وعليهم؛

---

١ - فِي الأَصْلِ: «**﴿وا للهُ﴾** وتَماديهم عن التوبة عنه، **﴿على كُلِّ شيء شهيد﴾**»، وَهُوَ خطأ، فَفي العبارة تـقديم وتأخير.

٢ - فِي تـفسير البيضاوي: «فَإنَّ السِّرَّ أمرٌ مرفوع إِلىَ الذهـن...». ويبـدو أنـَّهُ الصـواب. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٩٢.

إن كان خيرا فالتوفيق لهم، وإن كان شرًّا فالخذلان، ﴿**ولا خمسةٍ إلاَّ هو سادسُهم، ولا أدنَى من ذلك ولا أكثرَ إلاَّ هو معهم**﴾ يعلم ما يجري بينهم، وما يَجري منهم، ﴿**أين ما كانوا**﴾ فإنَّ علمه بالأشياء ليس لقرب مكانيٍّ حتَّى يتفاوت باختلاف الأمكنة، ﴿**ثُمَّ يُنبِّئهم بما عَمِلوا يومَ القيامة**﴾ تفضيحا لهم، وتقريرا لما يستحقُّونه من الجزاء، ﴿**إنَّ الله بكُلِّ شيء عليم(٧)**﴾ لأنَّ نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكلِّ على سواء.

﴿**ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوَى**﴾ نزلت في المنافقين، وذلك أنَّهم يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، يوهمون المؤمنين أنَّهم يناجون فيما يسوءهم، ﴿**ثُمَّ يعودون لِمَا نُهوا عنه ويَتَنَاجَوْنَ بالإثمِ والعدوان ومَعصِيَةِ الرسول**﴾ أي: بما هو إثم وعدوان للمؤمنين، وتَوَاصَوْا[1] بمعصيةِ الرسول؛ ﴿**وإذا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بما لم يُحيِّكَ به الله، ويقولون في أنفسهم**﴾ فيما بينهم: ﴿**لولا يُعذِّبنا الله بما نقول**﴾ هلاَّ يعذِّبنا الله بذلك لو كان نَبيًّا، ﴿**حَسْبُهم جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فبئس المصيرُ(٨)**﴾.

﴿**يا أيُّهَا الذين آمنوا إذا تَنَاجَيْتُم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسولِ**﴾ كما يفعل المنافقون، ﴿**وتَنَاجَوْا بالبرِّ والتقوى، واتَّقوا الله الذي إليه تُحشَرون(٩)**﴾ فيما تأتون وتذرون، فيجازيكم عليه. ﴿**إنَّمَا النجوَى**﴾ أي: النجوى بالإثم والعدوان ﴿**من الشيطان**﴾ فإنَّه المزيِّن لها، والحامل عليها، والداعي لها، ﴿**لِيُحزِنَ الذين آمنوا، وليس بضارِّهم شيئًا إلاَّ بإذن الله؛ وعلى الله فليتوكَّل المؤمنون(١٠)**﴾.

---

١ - فِي تفسير البيضاوي: «وتواصٍ». ويبدو أنَّهُ الأصوب. المصدر نفسه.

﴿**يا أَيُّهَا الذين آمنوا، إذا قيل لكم: تَفَسَّحوا في المجالس**﴾ توسَّعوا فيها، وليفسح بعضكم عن بعض، من قولهم: افسح عنِّي، أي: تَنَحَّ، فإنَّهم كانوا يتضامُّون به تنافسا على القرب منه، وحرصا على استماع كلامه، ﴿**فافسَحوا يَفسَحِ ا لله لكم**﴾ فيما تريدون الفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها. ﴿**وإذا قيل: انشزوا**﴾ ارتفعوا عن المجلس [٦٠٠] (لَعَلَّهُ) قال أبو سعيد: «إنَّ النشوز هو: فرض الإقامة»[1]. ﴿**فانشزوا**﴾ (لَعَلَّهُ) من غير توقُّف؛ وقال: ﴿**يَرفَعِ ا لله الذين آمنوا منكم**﴾ عن المعاصي[2] بالطاعة، ﴿**والذين أوتوا العلم درجات**﴾ ويرفع العلماء منهم خاصَّة درجات، بما جمعوا من العلم والعمل، فإنَّ العلم مع علوٍّ درجته يقتضي للعمل المقرون به مزيدَ رفعةٍ؛ ولذلك يُقتَدَى بالعالم في أفعاله، ولا يُقتَدَى بغيره، ﴿**وا لله بما تعملون خبير(١١)**﴾ تهديد لمن لم يمتثل الأمر، أو استكرهه.

﴿**يا أَيُّهَا الذين آمنوا، إذا ناجيتم الرسول فقَدِّموا بين يَدَيْ نَجوَاكم صدقةً**﴾ فتصدَّقوا قدَّامها؛ وفي هذا الأمر تعظيم الرسول، وإنفاع الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والـمَيْز بين الـمُخلصِ والمنافق، ومحبِّ الدنيا [ومحبِّ الآخرة][3]؛ واختلف [في] أنَّه للندب، أو للوجوب؛ وقيل: إنَّه منسوخ بقوله: ﴿**أأشفقتم...**﴾. ﴿**ذلك**﴾ أي: ذلك التصدُّق ﴿**خير لكم وأطهر**﴾ أي: لأنفسكم من الزينة وحبِّ المال، ﴿**فإن لم تجدوا فإنَّ ا لله غفورٌ**

---

١ - «(لعلّه)... فرض الإقامة» كتبت فِي الحاشية و لم يُحِل إِلَيْهَا الناسخ فِي المتن وأثبتناها باجتهادنا.

٢ - فِي الأصل: «المصاصي»، وهو خطأ.

٣ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٩٣. ليتمَّ المعنى.

**رحيمٌ(١٢) أأشفقتم أن تُـقدِّموا بين يَدَيْ نجواكـم صَدَقَاتٍ﴾**؟ أخِفتُم الفقر من تقديمِ الصدقة؟ والمعنى: أخفتم العَـيْلة والفاقـة إنْ قدَّمتم؟ **﴿فإن لم تـفعلوا وتـاب ا لله عليكـم﴾** بِأن رخَّص لكم أن لا تفعلوه، **﴿فـأقيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاة﴾** فلا تفرِّطوا في أدائهما، **﴿وأطيعـوا ا لله ورسـوله﴾** في سائر الأوامر، **﴿وا لله خبيرٌ بما تعملون(١٣)﴾**.

**﴿ألم تر إلى الذين تَوَلَّوا﴾** وَالَـوْا، **﴿قوما غَضِبَ ا للهُ عليهم ما هم مِّنكم ولا منهم﴾** لا من المؤمنين ولا من المنافقين، ولكـنَّهم من الجاحدين؛ ويحتمل: ما هم منكم ولا أنتم منهم، ولكـنَّهم خارجون بنفاقهم وفسقهم عن اسم الإيمان الحقيقـيِّ، **﴿ويَحلِفون على الكـذب وهـم يعلمون(١٤)﴾** أنَّ المحلوف عليه كذب، **﴿أَعَـدَّ ا لله لهم عذابا شديدا، إنَّهُمْ ساء ما كـانوا يعملون(١٥)﴾** فتمرَّنوا عَلَى سوء العمـل، وأصَـرُّوا عليـه، **﴿اتَّخَذوا أَيْـمانهم﴾** الذي أظهروه[1]، **﴿جُنَّةً﴾** وقاية دون دمائهم وأموالهم، **﴿فَصَـدُّوا عن سبيل ا لله، فلهم عـذاب مُّهينٌ(١٦) لن تُغنِيَ عنهـم أموالهـم ولا أولادهم مِّنَ ا لله﴾** لأنَّـهم لم يريدوا به وجهه، وإن أرادوا به وجهه مع المخالفة بغيره فلا ينفعهم، لأنَّه لا تقوم طاعة من عاصٍ، **﴿شيئا، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(١٧) يوم يبعثهم ا لله جميعا فيحلفون له﴾**

١ - نلاحظ أنَّ المُصَنِّف اختار قراءة «إِيمَانَهُمْ» بالكسر، وهي قراءة الحسن. وَفي تفسير البيضاوي: «**﴿اتَّخَذوا أَيْـمانهم﴾** أي التي حلفوا بها، وقرئ بالكسر، أي إيمانهم الذي أظهروه». انظر: البيضاوي: تـفسير، ج٤/ ص١٩٣-١٩٤. الألوسي: روح المعاني، ج٢٨/ ص٣٣.

أي: لله[1] عَلَى أنَّهم مسلمون، ﴿**كما يَحلِفون لكم**﴾ في الدنيا أنَّهم منكم، ﴿**ويحسَبون أنَّهُمْ على شيء**﴾ وهم خالون من كُلِّ شيء، لأنَّ النفاق قد تمكَّن في نفوسهم، ﴿**ألاَ إنَّهُمْ هم الكاذبون(١٨)**﴾ البالغون الغاية في الكذب، حيث يكذِبون مع عالم الغيب والشهادة، ويحلفون عليه. ﴿**استحوذ عليهم الشيطان**﴾ استولى عليهم وغلب، ﴿**فأنساهم ذكرَ ا للهِ**﴾ لا يذكرون ا لله بقلوبهم، ﴿**أولئك حزبُ الشيطان**﴾ جنوده وأتباعه [٦٠١] (لَعَلَّهُ) وأنصاره عَلَى الضلال، ﴿**ألاَ إنَّ حِزْبَ الشيطان هم الخاسرون(١٩)**﴾ لأنَّهم فوَّتُوا أنفسهم النعيم المؤبَّد، وعرَّضوها للعذاب المخلَّد.

﴿**إنَّ الذين يُحادُّون ا لله ورسوله**﴾ بالمخالفة لهما، ﴿**أولئك في الأذَلِّينَ(٢٠)**﴾ في جملة من هو أذلُّ خلق ا لله، ﴿**كَتَبَ ا للهُ لأَغلِبنَّ أنا ورُسُلِي**﴾ بالحجَّة والغلبة والنصر، لأنَّ من كان عونه ا لله تعالى فجدير أن لا يُغلب، ﴿**إنَّ ا لله قويٌّ عزيز(٢١)**﴾.

﴿**لا تَجِدُ قوما**﴾ (لَعَلَّهُ) في الكون ﴿**يؤمنون با لله واليومِ الآخر يوادُّون من حادَّ ا لله ورسوله**﴾ لا ينبغي أن يوادُّوهم، ﴿**ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان**﴾ أثبته فيها، فلم يزايلها[2] (لَعَلَّهُ) ما لم يغيِّروه، كما ثبت المرض في قلوب الكافرين فلم يزايلهم ما لم يزيلوه، ﴿**وأيَّدهم بروحٍ منه**﴾ أي: من عند ا لله، وَهُوَ نور القلب، أو القرآن، أو النصر؛ وقيل: الضمير للإيمان، فإنَّه سبب لحياة القلب، أو للحياة الحقيقيَّة،

---

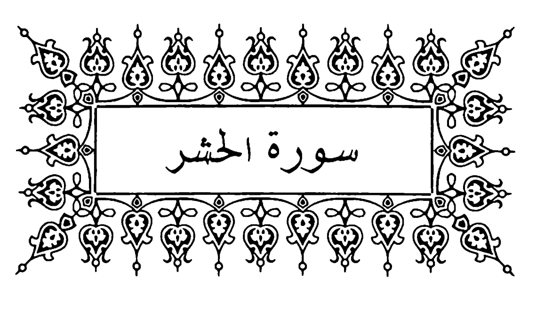
١ - فِي الأَصْلِ: « ا لله » .

٢ - «زايله مُزايلة وزِيالاً: فارَقَه». الفيروزآبادي: القاموس، ص٩١٠، مَادَّة: «زيل».

﴿ويدخلهم جَنّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدين فيها رضي ا لله عنهم﴾ بما عملوه مِمَّا فرضه عليهم، ونهاهم عنه، وما توسَّلوا به إليه، ﴿ورَضُوا عنه﴾ بقضائه، أو بما أَوْعَدَهُم به[1] من الثواب، ﴿أولئك حِزْبُ ا لله﴾ جنده وأنصار دينه عَلَى الشيطان، (لَعَلَّهُ) وحزبه، ﴿ألا إنَّ حزب ا لله هم المفلحون(٢٢)﴾ الفائزون بخير الدارين، السالمون من عذابهما.

---

١ - قال فِي القاموس: «وَعَدَهُ الأمرَ، وبه، يَعِدُ عِدَةً، وَوَعْدًا وَمَوْعِدًا، وَمَوْعِدَةً ومَوْعُودًا وَمَوْعُودَةً، وَخيْرًا وَشَرًّا، فإذا أُسْقِطَا قيل فِي الخير: وَعَدَ، وَفِي الشرِّ: أَوْعَدَ. وَقالوا: أَوْعَدَ الخيرَ، وبالشرِّ». فمن هنا يَتَّضِحُ أَنَّ الصواب: إِمَّا أن يقول: «بما أَوْعَدَهم من الثواب»، أو يقول: «وعَدهُمْ بِهِ من الثوابِ» الفيروزآبادي: القاموس، ص٢٩٥، مَادَّة: «وعد».



# سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿سبَّحَ لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم(١) هو الذي أَخْرَجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوَّل الحشْرِ﴾** الحشر: جمع من مكان إِلىَ آخر، **﴿ما ظَنَنتُم أن يَخرجوا﴾** لشِدَّةِ بأسهم ومَنعَتِهم، **﴿وظنُّوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهم حُصونُهم مِّنَ ا للهِ﴾** أي: أنَّ حصونهم تمنعهم من بأس من يتوقّونه[1]، **﴿فأتاهم ا للهُ﴾** أي: عذابه، وَهُوَ الرعب والاضطرار إِلىَ الجلاء، **﴿من حيث لم يَحتسبوا﴾** لقوَّة وثوقهم، **﴿وقَذَفَ في قلوبهم الرُّعبَ﴾** وأثبت فيها الخوف الذي يُرعبها، أي: يملأها، **﴿يُخرِبون بيوتهم بأيديهم﴾** ضنًّا بها عَلَى المسلمين، وإخراجا لِمَا استحسنوا من آلاتها، أو يخربون أحوال ما بنوه من الأمور في حرب المسلمين بالانتكاص عنه، لقوله: ﴿وَأْتُوا البيوتَ من أبوابها﴾[2] أي: الأمور، **﴿وأيدي المؤمنين﴾** فإنَّهم كانوا أيضًا يخربون ظواهرها، نكاية وتوسيعًا لمجال القتال؛ **﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار(٢)﴾** فاتَّعظوا بحالهم، فلا تعتمدوا عَلَى غير ا لله.

---

١ - فِي الأَصْلِ: + «(لَعَلَّهُ) ا لله»، و لم يَتَّضِح لنا موقعها من النص.

٢ - سورة البقرة: ١٨٩.

﴿**ولولا أن كَتَبَ ا للهُ عليهم الجلاَءَ**﴾ الخروج من أوطانهم، ﴿**لعذَّبهم في الدنيا**﴾ بالقتل والسبي وغير ذلك؛ ﴿**وهم في الآخرة عذاب النار(٣) ذلك بأنَّهم شاقُّوا ا للهَ ورسوله ومن يشاقِّ ا للهَ فإنَّ ا للهَ شديد العقاب(٤)**﴾ الإشارة إِلىَ ما ذكر مِمَّا حاق بهم، (لَعَلَّهُ) أي: [سواءٌ أَ]خَرجوا من أوطانهم أو قعدوا فالعذاب محيط بهم، بسبب مشاققتهم لله ورسوله.

﴿**ما قطعتم مِّن لِّينةٍ**﴾ أيَّ شيءٍ قطعتم من نخلة؛ فِعْلَة، من اللون، ويجمع عَلَى [٦٠٢] ألوان؛ وقيل: من اللين، ومعناها: النخلة الكريمة، وجمعها: «أَلْيَان»، ﴿**أو تركتموها قائمةً على أصولها، فَبِإذن ا للهِ وليُخزِيَ الفاسقين(٥)**﴾.

﴿**وما أفاءَ ا للهُ على رسوله**﴾ وما أعاده عليه؛ أو ردَّه عليه، فإنَّه كان حقيقًا، بِأَنْ يكون له، لأنَّه تعالى خلق الناس لعبادته، وخلق ما خلق لهم ليتوسَّلوا به إِلىَ طاعته، فهو جدير بِأَنْ يكون للمطيعين، ﴿**منهم**﴾ من الكفرة، ﴿**فما أَوجَفتُم عليه**﴾ فما أجريتم عَلَى تحصيله، من الوجيف: وَهُوَ سرعة السير، ﴿**من خيلٍ ولا رِكَاب، ولكنَّ ا للهَ يُسلِّط رُسُلَه على من يشاء**﴾ يقذف الرعب في قلوبهم، ﴿**وا للهُ على كُلِّ شيء قدير(٦)**﴾ فيفعل ما يريد، تارة بالوسائط الظاهرة، وتارة (لَعَلَّهُ) بدقائق باطنة لا تُعرف إِلاَّ بالتفرُّس.

﴿**ما أفاء ا للهُ على رسوله من أهلِ القرى فلِلَّهِ وللرسول ولِذِي القربَى واليتامَى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دُولَةٌ**﴾ (لَعَلَّهُ) مداولاً ﴿**بين الأغنياء**﴾ الرؤساء ﴿**منكم**﴾ الدُّولَة: ما يتداولُه الأغنياء ويدور بينهم، كما كان في الجاهليَّة؛ ﴿**وما آتاكم الرسول**﴾ من الأمر ﴿**فَخُذُوه**﴾

أي: تمسَّكوا به لأنَّه واجب الطاعة، ﴿**وما نهاكم عنه**﴾ عن فعله، ﴿**فانتهوا**﴾ عنه، ﴿**واتَّقوا ا لله**﴾ في مخالفة رسوله، ﴿**إنَّ ا لله شديد العقاب(٧)**﴾ في الدارين لمن خالف.

﴿**للفقراء المهاجرين الذين أُخرِجوا من ديارهم وأموالهم يبتَغُون فضلا مِّنَ ا لله ورِضوانا وينصرون ا لله ورسوله أولئك هم الصادقون(٨)**﴾ الذي ظهر صدقهم في إيمانهم. ﴿**والذين تبوَّءوا**﴾ توطَّنوا ﴿**الدار والإيمانَ**﴾ عطف عَلَى «المهاجرين»؛ والمراد بهم: الأنصار، الذين ظهر صدقهم، فإنَّهم لزموا المدينة والإيمان، وتمكَّنوا فيهما؛ وقيل المعنى: تبوَّؤوا دار الهجرة ودار الإيمان، أو تبوَّؤوا الدار، وأخلصوا الإيمان؛ وقيل: سمَّى المدينة بالإيمان، لأنَّها مظهره، ﴿**من قبلهم**﴾ من قبل هجرة المهاجرين، ﴿**يُحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجَةً**﴾ ما تحمل عليه الحاجة، كالطلب والحسد والغيظ، ﴿**مِمَّا أوتوا**﴾ ما آتاهم ا لله من فضله. قال الغزالي: «أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمُّون، فأثنى عليهم بعدَم الحسد»؛ ﴿**ويؤثرون على أنفسهم**﴾ ويُقدِّمون المهاجرين عَلَى أنفسهم، وهذا من علامات الإيمان، ﴿**ولو كان بهم خَصَاصَةٌ**﴾ حاجةٌ؛ من خَصَاصِ البنَاء[1]، وهي فروجه، ﴿**ومن يُوقَ شُحَّ نفسه**﴾ حتَّى يخالفها مِمَّا [يغلب][2] عليها من حبِّ المال وبغض الإنفاق، ﴿**فأولئك هم المفلحون(٩)**﴾ الفائزون.

---

١ - فِي اللسان: «وَخَصاصُ المـُنخُل والبابِ والبُرقُع وغيره: خَلَلُه، واحدته: خَصَاصَة... وَفِي التنزيل العزيز: ﴿ويؤثرون عَلَى أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وأصل ذَلِكَ فِي الفُرجة أو الخَلَّة، لأَنَّ الشَّيْء إذا انفرج وَهَى واختلَّ». ابن منظور: لسان العرب، ج٢/ ص٨٤١، مَادَّة «خصص».

٢ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص١٩٦.

﴿**والذين جاءوا مِن بعدِهم**﴾ هم الذين هاجروا حين قَويَ الاسلام، أو التابعون بإحسان، وهم المؤمنون بعد الفريقين إلىَ يوم القيامة؛ ولذلك قيل: إنَّ الآية قد استوعبت جميع المؤمنين، ﴿**يقولون: ربَّنا اغفرْ لنا ولإخوانِنا الذين سَبَقُونا بالإيمان ولا تَجْعَلْ**﴾ أي: لإخواننا في الدين، [٦٠٣] ﴿**في قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا**﴾ حقدا لهم، لأنَّه ما دام في القلب حقد لأحد من أهل الإيمان بلا حجَّة فذاك مرض فيه، ﴿**ربَّنا إنَّكَ رءوف رحيم(١٠)**﴾ فأنت أهل بأن تجيب دعاء من دعاك.

﴿**ألم تَرَ إلى الذين نافَقُوا**﴾ أظهروا خلاف ما أضمروا، فلذلك...[١] ﴿**يقولون: لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ فانظر سمَّاهم الله إخوانهم، لأنَّهم متشابهون في الأعمال، إلاَّ (لَعَلَّهُ) ما أقرُّوا به من الإقرار بالألسنة في الظاهر، ﴿**لئن أُخرِجتُم**﴾ من دياركم، ﴿**لَنَخرُجَنَّ معكم ولا نُطيعُ فيكم أحدا أبدا؛ وإن قُوتِلتم لَنَنصُرنَّكم والله يشهد إنَّهُمْ لَكاذبون(١١)**﴾ لِعلمِه بأنَّهم لا يفعلون ذلك، كما قال: ﴿**لئن أُخرِجُوا لا يَخْرُجون معهم، ولئن قوتلوا لا يَنصرونهم، ولئن نَصَروهم**﴾ عَلَى عَرَضٍ عاجل، ﴿**لَيُوَلُّنَّ الأدبار**﴾ انهزامًا، ﴿**ثُمَّ لا يُنصَرون(١٢)**﴾ بعدُ، بل يخذلهم الله، ولا تنفعهم نصرة المنافقين، لأنَّهم لا ينصرونهم إلاَّ لغرض عاجل، وليس له ثبات.

﴿**لأنتم**﴾ أيُّها المؤمنون؛ ﴿**أشدُّ رهبةً**﴾ مرهوبا، ﴿**في صدورهم**﴾ فإنَّهم كانوا يظهرون مخافتهم من المؤمنين، ﴿**من الله**﴾ عَلَى ما يظهرونه

١ - وضع الناسخ إحالة إلىَ الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا، وَفِي العبارة سقط واضح.

نفاقاً، فإنَّ استبطان رهبتهم سبب لإظهار رهبة الله؛ أو لا يرهبون الله...[1] يرهبون القتل عَلَى أيد المؤمنين، ﴿ذلك بأنَّهم قومٌ لا يَفقهون(١٣)﴾ لا يعلمون عظمة الله حتَّى يخشوه[2] حقَّ خشيته، ويعلمون بأنَّه الحقيق بِأن يُخشى. ﴿لا يقاتلونكم جميعا إلاَّ في قرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق، ﴿أو من وراء جُدُرٍ﴾ لفرط رهبتهم، ﴿بأسُهم بينَهم شديدٌ﴾ أي: وليس ذلك لضعفهم وجبنهم، فإنَّه يشدُّ بأسهم إذا حارب بعضهم بعضا، بل لقذف الله الرعب في قلوبهم، ولأنَّ الشجاع يجبن، والعزيز يذلُّ إذا حارب الله ورسولَه؛ ﴿تحسَبهم جميعا﴾ مجتمعين متَّفقين، ﴿وقلوبُهم شتَّى﴾ متفرِّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم. قال قتادة: «أهل الباطل مختلفة أهواؤهم ومختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحَقّ؛ ﴿ذلك بأنَّهم قوم لا يعقلون(١٤)﴾ ما فيه صلاحهم، وأنَّ تشتُّتَ القلوبِ يوهن قواهم.

﴿كَمَثَلِ الذين مِن قَبلِهم قريبا﴾ في زمان قريب، ﴿ذاقوا وَبَالَ أمرِهم﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم(١٥)﴾ في العقبى؛ ﴿كَمَثَلِ الشيطانِ﴾ أي: مَثل المنافقين في إغراء اليهود عَلَى القتال كمثل الشيطان، ﴿إذ قال للإنسان: اكْفُرْ﴾ أغراه عَلَى الكفر إغراء الآمرِ المأمورَ؛ ﴿فلَمَّا كفَرَ قال إنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ تبرَّأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب، و لم ينفعه كما قال: ﴿إنِّي أخافُ الله رَبَّ العالمين(١٦)﴾ فيقول الله تعالى:

١ - وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا، وَفِي العبارة سقط تقديره: «بل»، أو «وَإِنَّمَا».

٢ - فِي الأَصْلِ: «يخشونه»، وَهُوَ خطأ من الناسخ.

**﴿فكان عاقبتهما أنَّهُمَا في النار خالِدَيْنِ فيها وذلك جزاءُ الظالمين(١٧)﴾**[1] استحقَّا الاشتراكَ في العذاب، هذا بالإضلال، وذلك بالاتِّباع والتقليد.

**﴿يا أيُّهَا الذين آمنوا، اتَّقوا الله﴾** بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، **﴿ولتَنظُرْ نفسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾** ليوم القيامة، سمَّاه به لدنوِّه، أو لأنَّ [٦٠٤] الدنيا كيوم، والآخرة غده؛ أمر الله تعالى كُلَّ نفس أن تنظر ما قدَّمته، فإن كان خيرا حمدَتِ الله وزادت، وإن كان شرًّا استغفرَتْ منه وتابت؛ وهذا إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال. **﴿واتَّقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون(١٨)﴾**.

**﴿ولا تكونوا كالذين نَسُوا الله﴾** أي: تركوا ما تعبَّدهم الله به، **﴿فأنساهم أنفسَهم﴾** الروحانيَّة فهمُّوا بالنفس الجسمانيَّة، فجعلهم ناسين لها، حتَّى لم يسمعوا ما ينفعها، ولم يفعلوا ما يخلِّصها ولم يجنِّبوها ما يضرُّها ويهلكها، ولا يخالف هذا قوله: ﴿قد أهمَّتهم أنفسهم﴾[2]، لأنَّه أراد بهذه النفسِ في هذا الموضع: النفسَ الجسمانيَّة، **﴿أولئك هم الفاسقون(١٩)﴾** الخارجون من تزكية الأنفس عن الرذائل.

**﴿لا يستوي أصحابُ النارِ وأصحابُ الجَنَّة﴾** الذين استكملوا أنفسهم، فاستأهلوا الجنَّة، والذين استمهنوها فاستحقُّوا النار **﴿أصحابُ الجَنَّة هم الفائزون(٢٠)﴾** بالنعيم المقيم.

---

١ - في العبارة خلل، وَفِي تفسير البيضاوي: «**﴿فَلَمَّا كَفَرَ قال إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أخافُ الله رَبَّ العالمين﴾** تبرّأ عنه مخافة أن يشاركه في العذاب، ولم ينفعه كما قال: **﴿فكان عاقبتهما أَنَّهُمَا في النار خالِدَيْن فيها...﴾**». ج٤/ ص١٩٧.

٢ - سورة آل عمران: ١٥٤.

﴿لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبل﴾ وكان مركّبا فيه عقل، ﴿لَرَأيتَه﴾ تمثيل وتخييلٌ كما مَرَّ في قوله: ﴿إنَّا عرضنا الأمانة﴾[1] ولذلك عقّبه بقوله: ﴿خاشعا﴾ (لَعَلَّهُ) متواضعا قد وضعَتْه عن التكبُّر آياتُ القرآن ﴿مُتصدِّعًا مِّنْ خشيةِ ا لله﴾ (لَعَلَّهُ) من عذابه وعقوبته إن لم يمتثل لِمَا في القرآن، فإنَّ الإشارة إليه وإلى أمثاله؛ والمراد: توبيخ الإنسان على عدم تخشُّعه عند تلاوة القرآن، لقساوة قلبه، وَقِلَّة تدبُّره، والتصدُّع: التشقُّق. ﴿وتلك الأمثالُ نضربها للنَّاس لَعَلَّهُمْ يتفكَّرون(٢١)﴾ أنَّه:

﴿هو ا لله الذي لا إله إلاَّ هوعالِمُ الغيبِ﴾ ما غاب عن العباد علمه؛ ﴿والشهادةِ﴾: ما شاهدوه وعاينوه، ﴿هو الرحمنُ الرحيم(٢٢)﴾ ما غاب عن الحسِّ من الجواهر القدسيَّة وأحوالها، وما حضر له من الأجرام وأعراضها، وتقدُّم الغيب لتقدُّمه في الوجود، وتعلُّقِ العلم القديم به؛ أو المعدوم والموجود؛ أو السرُّ والعلانيَّة؛ أو الآخرة والدنيا، كقوله: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[2].

﴿هو ا لله الذي لا إلهَ إلاَّ هو المـلِكُ﴾ ذو المـُلك، لأنَّه المالك للأشياء، ﴿القدُّوس﴾ البليغ في النزاهة عمَّا يوجب نقصانا؛ والقدس: هو الطهارة، ﴿السلامُ﴾ ذو السلامة من كُلِّ نقص وآفة، ﴿المؤمنُ﴾ واهب الأمن؛ وقيل: المصدِّق لِمَن آمن به من عباده المؤمنين ﴿المهَيْمِنُ﴾ الرقيب الحافظ لِكُلِّ شيء، ﴿العزيزُ الجبَّارُ﴾ الذي جَبَر خلقه على ما أراد؛ أو جبر حالهم: بمعنى أصلحه. ﴿المتكبِّرُ﴾ الذي يَكبُر عن كُلِّ ما يوجب حاجة أو

---

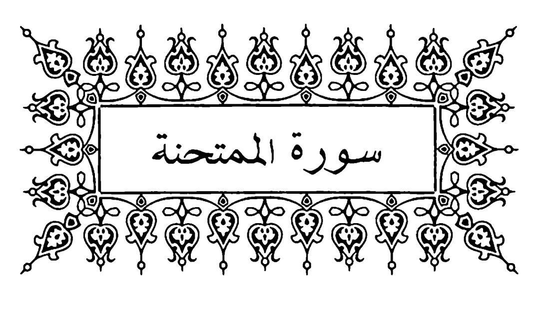
١ - سورة الأحزاب: ٧٢. انظر: ج٣/ ص ٣١٢.

٢ - سورة البقرة: ٣.

نقصانا، ﴿**سبحانَ اللهِ عَمَّا يُشركون(٢٣)**﴾ إذ لا يشاركه شيء في ذلك ولا يضرُّه شركهم.

﴿**هو اللهُ الخالقُ**﴾ المقدِّر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿**البارِئُ**﴾ الموجد لها؛ بريئا من التفاوت، ﴿**المصوِّر**﴾ الموحِّد لصورها [٦٠٥] وكيفيَّاتها كما أراد، ﴿**له الأسماءُ الحُسنَى**﴾ لأنَّها دالَّة على محاسن المعاني، فليتأمَّل معاني هذه الأسماء والصفات لتنكشف له أسرارها، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلاَّ للموقنين، ﴿**يسبِّح له ما في السماوات والأرض**﴾ لتَنَزُّهِهِ عن النقائص كُلِّها. ﴿**وهو العزيز الحكيم(٢٤)**﴾ الجامع للكمالات كُلِّها بأسرها فإنَّها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.







بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيُّهَا الذيـن آمنـوا لا تتـَّخذوا عَـدُوِّي وعدوَّكـم أوليـاء تُلقـون إليهم بالمودَّة﴾ (لَعَلَّهُ) لِمحض الصفاوة؛ وقيل: تلقـون إليهـم أخبـار الرسـول ﷺ والمؤمنين، كقوله: ﴿تسرُّون إليهم بالمودَّة﴾. ﴿وقـد كفـروا بمـا جـاءكم مِّنَ الحَقِّ يُخرجون الرسولَ وَإِيَّـاكُمْ، أن تـُؤمنوا﴾ (لَعَلَّهُ) أي: لأن آمنـتم أيُّها المؤمنون ﴿با لله رَبِّكُم إن كنتم خرجتم﴾ عـن أوطـانكم ﴿جهـادا في سبيلي، وابتغاءَ مرضاتي تُسِرُّون إليهـم بـالمودَّة وأنـا أعلـمُ بمـا أخفيتـم ومـا أعلنـتم، ومن يَّفعلْه منكم فقد ضلَّ سواءَ السبيل(١)﴾ أخطأه.

﴿إن يَّـثقَفُوكم﴾ يَظفروا بكم، ﴿يكونوا لكم أعـداء﴾ ولا ينفعكـم إلقـاء المـودَّة إليهـم، ﴿ويَـبسُطوا إليكـم أيديهـم وألْسِنَـتَهم بالسُّوءِ﴾ مـا يَسوؤكم كالقتل والشتم، ﴿وَوَدُّوا لو تكفرون(٢)﴾ وتَمنَّوا ارتدادكم. ﴿لن تَنفعَكـم أرحـامكم﴾ قربـاتكم ﴿ولا أولادكـم﴾ الذيـن تُوالـون المشـركين لأجلهم، ﴿يومَ القيامة يَفصِلُ بيـنكم﴾ يُفرِّق بينكم بمـا عراكـم مـن الهـول، فيفرُّ بعضكم من بعض، فما لكـم ترفضـون حقَّ ا لله لمن يفرُّ عنكـم غـدا؟! ﴿وا لله بما تعملون بصيرٌ(٣)﴾ فيجازيكم عليه.

﴿**قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ**﴾ قـدوةٌ، اسـمٌ لِمَـا يُؤتسـى[1] بـه، ﴿**في إبراهيم والذين معه**﴾ من المؤمنين، ﴿**إذ قالوا لقومِهِم: إنَّا بُرَآءُ منكم ومِمَّـا تَعبدون من دون ا لله، كَفَرْنَـا بكـم**﴾ أي: بدينكـم، أو بمعبودكـم، أو بكـم وبه، فلا نعتدُّ بشأنكم وآلهتكم، ﴿**وبدا بينَنَـا وبـيـنَكم العداوةَ والبغضـاءَ**﴾ لا تزولُ ﴿**أبدا، حتَّى تؤمنوا با لله وحدَه**﴾ فـتنـقلب العـداوة والبغضـاء أُلفـة ومحبَّة؛ ﴿**إلاَّ قولَ إبراهيمَ لأبيه: لأستغفرنَّ لك**﴾ استـثـناء من قوله: ﴿أسـوة حسنة﴾ فإنَّ استغفاره لأبيه الكافر ليس مِمَّا ينبغي أن يَتَأسَّـوا بـه، فَإِنَّـهُ كـان قبل النهي، أو لموعدة وعدها إيَّاه[2]، ﴿**وما أملك لك مـن ا لله مـن شـيءٍ**﴾ من شيء إن لم تؤمن به.

﴿**ربَّنا عليك توكَّلنا وإليك أنبنَا وإليك المصيرُ(٤)**﴾ متـَّصِل بما قبـل الاستثناء؛ أو أمر من ا لله للمؤمنين بِأن يقولوه، تـتميما لِمَا وصَّاهم بـه مـن قطع العلائق بينهم وبين الكفَّار. ﴿**ربَّنا لا تَجعلْنا فـتـنـةً للذين كفروا**﴾ بِـأن تسلِّطهم علينا فيفـتـنونـنا بعذاب لا نَحتمله، ﴿**واغفر لنـا**﴾ مـا فَـرط [مِنَّـا]، ﴿**ربَّنا إِنَّكَ أنت العزيز الحكيم(٥)**﴾ ومن كـان كذلـك كـان حقيقـا بِـأن يُجير المتوكِّل، ويُجيب الداعي.

﴿**لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنةٌ**﴾ تكرير لمزيد الحثِّ على [٦٠٦] التأسِّي بإبراهيم والمؤمنين، ﴿**لِمن كان يرجو ا لله واليومَ الآخِرَ**﴾ على أنَّـه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسِّي بهـم، وَأَنَّ تركـه مـؤذن بسـوء العقيـدة، ولذلـك

---

١ - في الأصل: «يؤتاسى»، وهو خطأ.

٢ - انظر سورة التوبة، الآية: ١١٤.

عقَّبه بقوله: ﴿**ومن يتولَّ فإنَّ ا لله هو الغنيُّ الحميدُ(٦) عَسى ا لله أن يَجعَـلَ بينَكم وبينَ الذين عادَيْـتُم مِّنهم مَّوَدَّةً وا لله قديرٌ وا لله غفور رحيم(٧)**﴾.

﴿**لا ينهاكم ا لله عن الذين لم يقاتِلوكم في الدِّيـنِ ولم يُخرجوكـم مِّـن دِيَـارِكم أن تَبـــرُّوهم وتُـــقسِطوا إليهـم إنَّ ا لله يُحِـبُّ المقسـطين(٨)**﴾ العادلين. ﴿**إنَّـمَا ينهاكم ا لله عن الذين قاتَلوكم في الدِّينِ وأخْرَجوكـم مِّـن دياركم وظاهَرُوا على إخراجِكُم**﴾ كمشرِكي مكَّـة، فإنَّ بعضهـم سَعوا في إخراج المؤمنين، وبعضهــم أعـانوا المخرِجـين، ﴿**أن تَولَّوْهُـم، ومـن يَـتَـوَلَّهم فأولئك هم الظالمون(٩)**﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

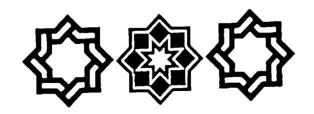
﴿**يا أَيُّهَا الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنـات مهـاجِراتٍ فـامتحِنوهنَّ**﴾ فاختبروهنَّ بما يغلب على ظنـِّكم موافقـة قلوبهـنَّ لسـانهنَّ في الإيمـان، ﴿**ا لله أعلم بإيمانهنَّ**﴾ فإنَّـه المطَّلِع عَلَـى مـا [في] قلوبهـنَّ، لستم أنتـم مخـاطبين بـه، ﴿**فإن عَلِمْـتُمُوهنَّ مؤمناتٍ**﴾ العلم الـذي يُمكنكـم تَحصيلـه، وَهُـوَ أمـارات الإيمان مع ارتفاع التهمة؛ وإنَّـما سمـَّاه علمـا إيذانـا أنـَّه كـالعلم في وجـوب العمل به، ﴿**فلا تَرْجِعُوهنَّ إلى الكفَّارِ**﴾ أي: إلىَ أزواجهـنَّ الكفـرة، لقولـه: ﴿**لا هُنَّ حِـلٌّ لهـم ولا هـم يَحِلُّـون لَهُـنَّ وآتوهـم مـَّا أنفقُـوا**﴾ أي: وآتـوا أزواجهنَّ ما أنفقوا عليهنَّ، ﴿**ولا جناح عليكم أن تَنكِحُوهنَّ**﴾ فإنَّ الاسـلام حال بينهنَّ وبين أزواجهنَّ الكفـَّار، ﴿**إذا آتيتموهـنَّ أجورَهـنَّ ولا تُمسـكوا بِعِصَم الكوافِرِ**﴾ بما تعتصـم بـهِ الكـافرات مِـن عقـد وسـبب؛ جمـع عصمـة، والمراد: نهي المؤمنين عن المقام عَلَى نكاح المشركات، ﴿**واسألوا ما أنفَقتـم**﴾

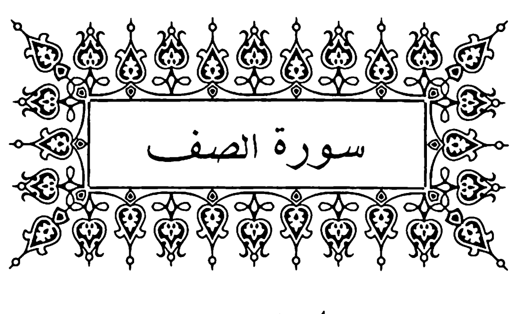
من مُهور نسائكم اللاَّحقات بالكفـَّار، ﴿**وليسألوا ما أنفقوا**﴾ من مهور أزواجهنَّ المهاجرات، ﴿**ذلكم حُكم ا لله**﴾ يعني: جميع ما ذكر في الآية، ﴿**يَحكم بينكم وا لله عليم حكيم(١٠)**﴾ بشرع ما تقتضيه حكمته.

﴿**وإن فاتكم شيءٌ**﴾ وإن سبقكم، وانفلت منكم شيء ﴿**من أزواجِكم إلى الكفَّار فعاقَبتم، فآتوا الذين ذَهَبت أزواجهم مثلَ ما أَنفَقوا، واتـَّقوا ا لله الذي أنتم به مؤمنون(١١)**﴾ فإنَّ الإيمان به مِمَّا يقتضي التقوى منه.

﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا جاءك المؤمناتُ يبايِعْنَكَ على أن لا يُشرِكْنَ با لله شَيْئًا**﴾ قيل: لَمَّا فرغ النَّبِيُّ عليه السلام من بيعة الرجال، أخذ في بيعة النساء، ﴿**ولا يَسرِقْنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقْتُلْنَ أولادَهنَّ ولا يأتينَ بِبُهْتانٍ يفترِينَهُ بينَ أيديهنَّ وأرجُلِهنَّ**﴾ قيل: هي أن تقذف ولدًا عَلَى زوجها ليس منه، ﴿**ولا يَعصينك في معروفٍ**﴾ في طاعة تأمرهنَّ بها، ﴿**فبايِعْهُنَّ**﴾ إذا بَايعنَكَ [٦٠٧] بضمان حقوق (لَعَلَّهُ) الإسلام، أو الثواب عَلَى الوفاء بهذه الأشياء، ﴿**واستغفِرْ لهنَّ ا لله إنَّ ا لله غفورٌ رحيمٌ(١٢)**﴾.

﴿**يا أَيُّهَا الذين آمنوا لا تتولَّوْا قوما غَضِبَ ا لله عليهم قَد يَئِسُوا من الآخرةِ**﴾ لكفرهِم بها، أو لعلمهم بأنَّه لا حظٌّ لهم فيها؛ لاستكبارهم عن الحقِّ. ﴿**كما يَئِس الكفَّار من أصحاب القبور(١٣)**﴾ أن يبعثوا.






بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿سبَّح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم(١) يا أَيُّهَا الذين آمنوا، لِمَ تقولون ما لا تفعلون(٢)﴾** لأنَّ القول إذا لم يصدَّق بالعمل فهو كذب؛ ولذلك توعَّد الله عليه، فقال: **﴿كَبُر مَقْتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون(٣)﴾** المقت: أشدُّ البغض.

قيل: كان المؤمنون يقولون: لو علمنا (لَعَلَّهُ) أحبَّ الأعمال إِلَى الله لَبذلنَا فيه أموالنا وأنفسَنا؛ فدلَّهم الله تعالى عَلَى أحبِّ الأعمال إليه، فقال: **﴿إنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتِلون في سبيله صَفًّا﴾** مصطفِّين **﴿كأنَّهم بُنيانٌ مَّرصُوصٌ(٤)﴾** في تراصِّهم من غير فرجة؛ والرصُّ: اتِّصَال بعض البناء بالبعض واستحكامه.

**﴿وإذ قال موسى لقومه: يا قوم لِم تُؤذونني وقد تعلمون أنِّي رسول الله إليكم﴾** بما جئتكم من المعجزات؛ فإنَّ العلم بنبوَّته يوجب تعظيمه، ويَمنع إيذاءه، **﴿فلمَّا زاغوا﴾** عن الحَقِّ؛ **﴿أزاغ الله قلوبَهم﴾** صرفها عن قبول الحقِّ والميل إِلَى الصواب، **﴿والله لا يهدي القومَ الفاسقين(٥)﴾** هداية موصلة إِلَى معرفة الحقِّ والعمل بمقتضاه.

**﴿وإذ قال عيسى ابنُ مريمَ: يا بني إسرائيل إنِّي رسول ا للهَ إليكم مُصَدِّقا لِّمَا بينَ يَدَيَّ من التوراة ومبشِّرا برسول يأتي[1] مِن بعديَ اسمه أحمدُ﴾** والمعنى: دِيني التصديق بكتب ا لله وأنبيائه، **﴿فلمَّا جاءهم بالبَيِّنَاتِ قالوا: هذا سحرٌ مُّبِينٌ(٦)﴾** أي: كذب بيِّنٌ.

**﴿ومَن أظلم مِمَّن افتَرَى على ا لله الكذبَ وهو يُدعَى إلى الإسلام﴾** أي: أيُّ أحدٍ أظلم مِمَّن يُدعى إِلَى الإسلام الظاهر حقيقته، المقتضي له خيرَ الدارين، فيضع موضِعَ إجابته الافتراءَ عَلَى ا لله بتكذيب رسوله، وتسمية[2] آياته سحرًا، **﴿وا لله لا يَهدِي القوم الظالمين(٧)﴾** لا يرشدهم إِلَى ما فيه صلاحهم.

**﴿يريدون ليطفئوا نورَ ا لله﴾** يعني: دينه أو كتابه أو حجَّته **﴿بأفواههم﴾** بطعنهم فيه، **﴿وا لله مُتِمُّ نُورِهِ﴾** مبلِّغ غايته بنشره وإعلائه عَلَى كُلِّ دين إِلَى يوم القيامة، **﴿ولو كَرِهَ الكافرون(٨)﴾** إرغاما لهم. **﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدَى﴾** بالقرآن، **﴿ودينِ الحَقِّ﴾** والملَّة الحنيفيَّة، **﴿ليُظهِرَه على الدِّينِ كُلِّه﴾** ليُعلِيه عَلَى جميع الأديان، **﴿ولو كَرِهَ المشركون(٩)﴾** بما فيه من محض التوحيد، وإبطال الشرك.

**﴿يا أَيُّهَا الذين آمنوا هل أدلُّكم على تجارة تُنجِيكم مِّنْ عذابٍ أليمٍ(١٠) تؤمنون با لله ورسوله وتُجاهدون في سبيل ا لله بأموالكم**

---

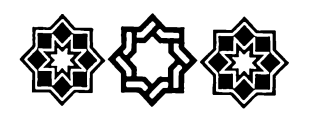
١ - في الأصل: - «يأتي»، وهو سهو.

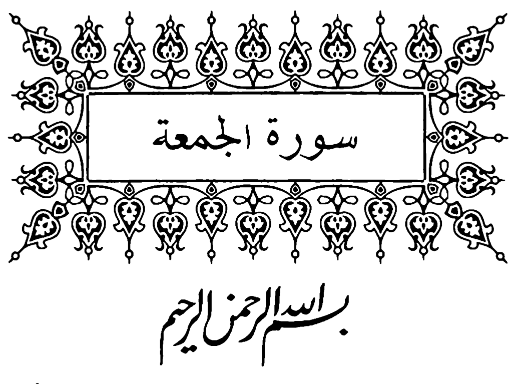
٢ - في الأصل: «والتسمية»، وَهُوَ خطأ.

**وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن** [٦٠٨] **كنتم تعلمون(١١)﴾** إن كنتم من أهل العلم؛ إذ الجاهل لا يُعتدُّ بفعله السيِّء، ولا قوله الباطل. **﴿يغفرْ لكم ذنوبَكم ويدخلْكم جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ ومساكنَ طيِّبة في جنَّاتِ عدنٍ ذلك الفوزُ العظيم(١٢)﴾**.

**﴿وأخرى تُحبُّونها﴾** ولكم إلىَ هذه النعمة المذكورة، نعمة أخرى عاجلة محبوبة. وفي «تُحبُّونها» تعريض بأنَّه مركَّز في طباعهم حبُّ الحلال، ليقوِّيهم عَلَى الانتقال به إلىَ الآجل، إذ قال: **﴿تحبُّونها﴾** وَهُوَ قوله: **﴿نصرٌ مِّنَ ا لله وفتحٌ قريب﴾** عاجل **﴿وبشِّر المؤمنين(١٣)﴾**.

**﴿يا أَيُّهَا الذين آمنوا، كونوا أنصارَ ا للهِ﴾** لإظهار دينه، واقتدوا بأهل دينه، لقوله: **﴿كما قال عيسى ابنُ مريم للحواريِّين: مَن أنصارِي إلى ا لله﴾** أي: مَن جُندي متوجِّها إلىَ نصرة ا لله، ليطابقوا قوله: **﴿قال الحواريون: نَحن أنصارُ ا لله﴾** والحواريون: هم أصفياء قومه؛ **﴿فآمنت طَّائفة من بني إسرائيل﴾** الذين تشمَّروا لنصرة نَبِيِّه، **﴿وكَفَرَت طَّائفة﴾** التي خذلته، **﴿فأيَّدْنا الذين آمنوا على عدوِّهم﴾** بالحجَّة أو بالنصر، **﴿فأصبحوا ظاهرين(١٤)﴾** فصاروا غالبين بالحجَّة لا بالدولة فيما قيل.





# سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسبِّح لله ما في السماوات وما في الأرض الْمَلِكِ القُدُّوسِ العزيزِ الحكيمِ(١)﴾ (لَعَلَّهُ) قيل: هَذِهِ آية بسبعمائةِ (لَعَلَّهُ) آيَةٍ في...[1]. ﴿هو الذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ﴾ أي: في العرب، لأنَّ منهم [مَن] لا يقرأ ولا يكتب، ﴿رسولا مِّنهم يتلو عليهم آياته﴾ مع كونه أُمِّيًّا، ومثله لم يُعهد منه قراءة ولا تعلُّم، ﴿ويزكِّيهم﴾ من خبائث العقائد والأعمال، ﴿ويعلِّمُهُمُ الكتاب والحكمةَ﴾ القرآن والشريعة، أو معالم الدين من المنقول، ولو لم يكن سواه معجزةً لَكفاه. ﴿وإن كانوا من قبلُ لَفِي ضلالٍ مُّبِينٍ(٢)﴾ من الشرك وخبث الجاهليَّة؛ وَهُوَ بيان لشدَّة احتياجهم إِلَى نَبِيٍّ يرشدهم.

﴿وآخَرين منهم﴾ عطف عَلَى «الأُمِّيِّينَ»، أو المنصوب في «يعلِّمهم»، وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة إِلَى يوم الدين فَإِنَّ دعوته وتعليمه يعمُّ الجميع؛ ﴿لَمَّا يَلحقوا بهم﴾ لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون، ﴿وهو العزيز﴾ في تمكينه من هذا الأمر الخارق للعادة، ﴿الحكيم(٣)﴾ في اختياره وتعليمه. ﴿ذلك فضل الله﴾ ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه، ﴿يُؤتيه

---

١ - إحالة إلى الحاشية من غير وجود أيِّ نص فيها، وَفِي العبارة سقط واضح لم نتمكَّن من إكماله مِمَّا بين أيدينا من المصادر.

**من يشاء﴾** تفضُّلا وعطيَّة، **﴿وا لله ذو الفضل العظيم(٤)﴾** الذي تُستحقر دونه نِعَم الدنيا ونعيم[1] الآخرة.

**﴿مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراةَ﴾** عَلِموها وكُلِّفوا العملَ بها، **﴿ثمَّ لم يَحملوها﴾** لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها، **﴿كَمَثَل الحمار يَحمل أسفارًا﴾** كُتبا من العلم يتعب في حملها، (لَعَلَّهُ) وهذا المثل يعمُّ كُلَّ عامل لا ينتفع بعِمَله، فهو معذَّب بعمله، كان أمرا دينيًّا أو دنياويًّا، وذلك قوله: ولا ينتفع بها ويتعذَّب، **﴿بئسَ مَثَلُ القومِ الذين** [٦٠٩] **كَذَّبوا بآيات ا لله﴾** أي: كُلُّ من كذَّب بآيات ا لله (لَعَلَّهُ) فهو داخل في هذا المثل، **﴿وا لله لا يهدي القومَ الظالمين(٥)﴾** (لَعَلَّهُ) لشيء ينفعهم؛ لأنَّ رحمة ا لله لا...[2] لهم في الدارين.

**﴿قل: يا أيُّهَا الذين هادوا إن زعمتم أنَّكُمْ أولياء لله من دون الناس﴾** إذ كانوا يقولون: نحن أولياء ا لله وأحبَّاؤه، **﴿فتمنَّوا الموت﴾** فتمنَّوا من ا لله أن يُميتكم، ويَنقلكم من دار البليَّة إلىَ مَحلِّ الكرامة، ومِن دار التعبُّد إلىَ دار الجزاء **﴿إن كنتم صادقين(٦)﴾** لأَنَّ مَن كان عَلَى حقيقةٍ مِن أمره، يتمنَّى الانتقال من دار المكابدة والخوف إلىَ دار الجزاء والأمن؛ لأنَّ المؤمن لا يأمن تقلُّب الأحوال به، لأنَّه لا تدري نفس ماذا تكسب غدا، ﴿فلا يأمن مَكر ا لله إلاَّ القوم الخاسرون﴾[3]، **﴿ولا يَتمنَّوْنَه أبدا بما قدَّمت أيديهم﴾** بسبب ما قدَّموا من الكفر والمعاصي، **﴿وا لله عليم بالظالمين(٧)﴾** فيجازيهم عَلَى أعمالهم.

---

١ - كتب الناسخ فوق كلمة «نعيم»: «نِعَم».

٢ - بياض قدر كلمة. ولَعَلَّ صواب العبارة: «لأنَّ رحمة ا لله لا تنالهم فِي الدارين».

٣ - سورة الأعراف: ٩٩.

﴿**قل: إنَّ الموت الـذي تـفرُّون منه**﴾ وتخافون أن تـتمنّوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بعملكم، ﴿**فَإِنَّهُ مُلاقيكم**﴾ لا تفوتونه، [وهو] لاحق بكم، ﴿**ثمَّ تُردُّون إلى عالِمِ الغيب والشهادة فينبِّئكم بما كنتم تعملون(٨)**﴾ بأن يجازيكم عليه.

﴿**يا أيُّهَا الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكرِ الله**﴾ فامضوا إليه مسرعين قصدًا؛ لأنَّ الصلاة مجموع ذكره لِمَن حضرها بقلب فارغ، أو ألقى السمع وَهُوَ شهيد، ﴿**وذَرُوا البيعَ ذلكم خيرٌ لكم**﴾ أي: السعي إِلىَ ذكر الله خير لكم من المعاملة، فإنَّ نفع الآخرة خير وأبقى ﴿**إن كنتم تعلمون(٩)**﴾ الخير والشرَّ الحقيقين. ﴿**فإذا قُضيت الصلاة فانتشِروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**﴾ إطلاق لِمَا حظر عليهم في طلب الرزق، أو طلب العلم، ﴿**واذكروا الله كثيرا**﴾ واذكروه في مجامع أحوالكم، ولا تخصُّوا ذكره بالصلاة وحدها؛ ومن ملازمتهم لذكره: القيام بما تعبَّدهم به؛ لأنَّهم يصيرون[1] بذلك حامدين الله، ومسبِّحين له في الدارين، ﴿**لعلَّكم تُفلحون(١٠)**﴾ بخير الدارين.

﴿**وإذا رَأَوْا تجارة أو لَهْوًا انفضُّوا إليها وتَرَكُوكَ قائما**﴾ عَلَى المنبر تَخطب، ﴿**قل: ما عند الله**﴾ من خزائن رزقه ورحمته ﴿**خير من اللهو ومن التجارة**﴾ فإنَّ ذلكم مُحقَّق مخلَّد بخلاف الأمور الدنياويَّة، ﴿**والله خير الرازقين(١١)**﴾ فتوكَّلوا عليه، واطلبوا الرزق منه؛ فإنَّ رِزق مَن توكَّل عليه خير مِن رِزق من يَكِله إِلىَ نفسه.



١ - فِي الأَصْلِ: «يصيروا»، وَهُوَ خطأ، إذ لا موجب لحذف النون.



# سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا: نَشهَدُ إنَّكَ لَرسول ا لله﴾ الشهادة إخبار عن عِلم؛ مِن الشهود، وَهُوَ: الحضور والاطِّلاع؛ ولذلك صدَّق المشهود به، وكذَّبهم في الشهادة بقوله: ﴿وا لله يعلم إنَّكَ لَرسوله وا لله يَشهد إنَّ المنافقين لَكاذبون(١)﴾ لأنَّهم لم يعتقدوا ذلك، لإضمارهم [٦١٠] خلاف ما أظهروا. قال الغزالي: «وهذا صدق، وَلَكِنَّ كذبهم لا من حيث النطق باللسان، بل من حيث ضمير القلب». ﴿اتَّخَذوا أَيْمَانهم﴾ حلفهم الكاذب، أو شهادتهم هذه، فإنَّها تَجري مَجرى الحلف في التوكيد، ﴿جُنَّةً﴾ وقاية عن القتل والسبي، ﴿فصَدُّوا عن سبيل ا لله إنَّهُمْ ساء ما كانوا يعملون(٢)﴾ من نفاقهم وصدِّهم.

﴿ذلك﴾ إشارة إِلَى الكلام المتقدِّم؛ أي: ذلك القول الشاهد عَلَى سوء أعمالهم، أو إِلَى الحال المذكور من النفاق والكذب، ﴿بأنَّهم آمنوا ثُمَّ كفروا﴾ ارتدُّوا، أو آمنوا إذا رأوا آية، ثمَّ كفروا حيث سمعوا من شياطينهم شبهة، ﴿فَطُبع على قلوبهم﴾ حتَّى تمرَّنوا عَلَى الكفر، واستحكم فيهم، ﴿فهم لا يفقهون(٣)﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحَّته. ﴿وإذا رأيتَهم تُعجبُك أجسامُهم﴾ بصباحتهم ومعروفهم الظاهر.

﴿وإن يقولوا تَسْمَعْ لقولهم﴾ لِذَلاَقَتهم وحلاوة كلامهم، ﴿كأنَّهم خُشبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ مشبَّهين بأخشاب منصوبة، مسندة إلىَ الحائط، في كونهم أشباح خالية (لَعَلَّهُ) عن الأرواح، [وَ]عن العلم والنظر، ﴿يَحسَبون﴾ (لَعَلَّهُ) مِن خُبثهم وسوء ظنِّهم، ﴿كلَّ صيحة عليهم﴾ أي: واقعة عليهم لجبنهم واتِّهامهم فعليهم...[1] ﴿هُمُ العَدُوُّ فاحذَرْهم﴾ (لَعَلَّهُ) ولا تأمنهم، ﴿قاتَلَهم الله﴾ دعاء عليهم، وشهادة منه عليهم بالهلاك؛ وهو طلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك، ﴿أَنَّى يُؤفكون(٤)﴾ كيف يُصرفون عن الحقِّ.

﴿وإذا قيل لهم: تَعَالَوْا يستغفِرْ لكم رسولُ الله﴾ بأَن تدخلوا في طا[عته][2] مُحقِّقين فتستحقُّوا الاستغفار منه، ثقل ذلك عليهم، لقوله: ﴿لَوَوْا رُءُوسَهم﴾ عَطفوها إعراضا واستكبارا عن ذلك، ﴿ورأيتَهم يصُدُّون﴾ عن طاعته ﴿وهم مُستكبِرون(٥)﴾ عُتُوًّا وعنادا. ﴿سواء عليهم أَستغفرتَ لهم﴾ ما داموا على حالهم، ﴿أم لم تستغفِرْ لهم، لن يغفرَ الله لهم﴾ لرسوخهم في الكفر، ﴿إنَّ الله لا يَهدي القوم الفاسقين(٦)﴾ عن مظنَّة الإصلاح، لانهماكهم في الكفر والنفاق.

﴿هم الذين يقولون﴾ أي: للأنصار: ﴿لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسولِ الله﴾ يَعنون فقراء المهاجرين ﴿حَتَّى ينفضُّوا﴾ (لَعَلَّهُ) يتفرَّقوا عنه، ﴿ولله خزائنُ السماوات والأرض﴾ بيده الأرزاق والقسم، ﴿ولكنَّ المنافقين لا يَفقَهُون(٧)﴾ ذلك، لِجهلهم بالله، إذ يرون الأسباب دون مسبِّبها.

---

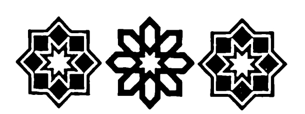
١ - فِي العبارة سقط نجده عند البيضاوي: «فعليهم ثاني مفعولَيْ "يحسبون". ويجوز أن يكون صلته، والمفعول: ﴿هم العدوُّ﴾...». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٠٤.

٢ - في الأصل بياض قدر كلمة.

﴿**يقولون: لئن رَّجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ**﴾ (لَعَلَّهُ) لفقرهم، و لم يعلموا أنَّ العزَّة كلَّها في الطاعة[1]، ﴿**منها الأذلَّ؛ و لله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين**﴾ لله الغلبة والقوَّة، ولمن أعزَّه من رسوله والمؤمنين، ﴿**ولكنَّ المنافقين لا يعلمون(٨)**﴾ من فرط جهلهم وغرورهم.

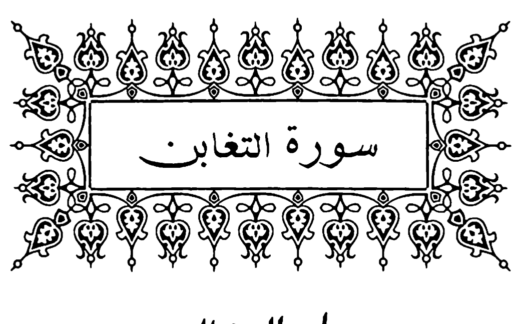
﴿**يا أيُّهَا الذين** [٦١١] **آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن أداء فرائضه تلهِّيا وتفرُّحا، ولا تكتسبوها بغير طاعته، فتشغلكم عن أداء فرائضه، ولا تعصوا الله بسببها فتخسروا الدارين، ﴿**ومَن يفعلْ ذلك فأولئك هم الخاسرون(٩)**﴾ لأنَّهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.

﴿**وأنفِقُوا مِن مَّا رَزَقناكم**﴾ بعض أموالكم ادِّخارا للآخرة، ﴿**مِن قبلِ أن يأتيَ أحدَكم الموتُ**﴾ أي: يرى دلائله، ﴿**فيقولَ: رَبِّ لولا أخَّرْتَني**﴾ هلاَّ أمهلتني ﴿**إلى أجل قريب**﴾ يسأل الرجعة إلى الدنيا، وما قصَّر أحد في الواجب إلاَّ يسأل الرجعة إلىَ الدنيا، ﴿**فأصَّدَّقَ**﴾ (لَعَلَّهُ) لأنَّه ضيَّع فرائض الصدقة، ﴿**وأكُنْ مِّنَ الصالحين(١٠)**﴾ بالتدارك، ﴿**ولن يؤخِّر الله نفسا**﴾ ولن يُمهلها ﴿**إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون(١١)**﴾ فيجازيكم عليه.



---

١ - صواب العبارة هكذا: «﴿**لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ**﴾ لفقرهم، و لم يعلموا أنَّ العزَّة كلَّها في الطاعة ﴿**و لله العزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين**﴾».



# سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسبِّح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ بدلالتها على كمال قدرته واستغنائه، ﴿له الْمُلْكُ وله الحمدُ وهو على كُلِّ شيء قدير(١)﴾ لأنَّ نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكلِّ على سواء؛ ثـمَّ شرع فيما ادَّعاه فقال: ﴿هو الذي خَلَقكم فمنكم كافرٌ﴾ مقدَّر كفره، ناوٍ عمَّا يحمله عليه، ﴿ومنكم مؤمن﴾ مقدَّر إيمانه، آمر بما يدعوه اليه، ﴿وا لله بما تعملون بصير(٢)﴾ فيعاملكم حسب أعمالكم.

﴿خَلَقَ السماواتِ والأرضَ بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة، ﴿وصوَّركم فَأَحسَنَ صُوَرَكم﴾ فصوَّركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة؛ ثمَّ زيَّنكم بصفوة أوصاف الكائنات، وخصَّكم بخلاصة خصائص المبدَعات، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات، لتكونوا من خير البريَّات، ﴿وإليه المصير(٣)﴾ فأحسنوا سرائركم حتَّى لا يَمسخ بالعذاب ظواهركم.

﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرُّون وما تُعلنون وا لله عليم بذات الصدور(٤)﴾ فلا يخفى عليه ما يصحُّ أن يُعلم، كلِّيًّا كان أو

جزئيًّا، لأنَّ نسبة المقتضي لِعلمه إِلىَ الكلِّ واحدة؛ وتقديم تقدير[1] القدرة عَلَى العلم، لأنَّ دلالة المخلوقات عَلَى قدرته أوَّلاً بالذات، وَعَلَى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص.

﴿**ألم يأتكم نَبأُ الذين كفروا من قبلُ فذاقوا وبالَ أمرِهِم**﴾ ضرر كفرهم في الدنيا؛ وأصله: الثقل، ومنه الوبيل لطعام يثقل عَلَى المعدة، والوابل: للمطر الثقيل القطار، ﴿**ولهم عذاب أليم(٥)**﴾ في الآخرة. ﴿**ذلك**﴾ أي: المذكور من العذاب والوبال، ﴿**بأنَّه كانت تَّأتيهم رسُلُهم بالبيِّنات فقالوا: أبشرٌ يهدوننا**﴾ أنكروا وتعجَّبوا أن يكون الرسول بشرًا، ﴿**فكفروا وتَولَّوا**﴾ عن النذير بالبيِّنات، ﴿**واستغنى ا للهُ**﴾ عن كُلِّ شيء، فضلاً عن طاعتهم، ﴿**وا لله غنيٌّ**﴾ عن عبادتهم وغيرها، ﴿**حميد(٦)**﴾ يدلُّ عَلَى حمده كُلُّ مخلوق.

﴿**زَعَمَ الذين كفروا أن لن يُبعَثوا**﴾ الزعم: ادِّعاء العلم ﴿**قل: بلى وربِّي لَتُبعثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بما عملتم**﴾ بالمحاسبة والمجازاة، ﴿**وذلك** [٦١٢] **على ا لله يسير(٧)**﴾ لحصول القدرة التامَّة. ﴿**فآمنوا با لله ورسوله والنورِ الذي أنزلنا**﴾ يعني: القرآن، فإنَّه بإعجازه ظاهر بنفسه، مُظهر لغيره، مِمَّا فيه شرحه وبيانه، ﴿**وا لله بما تعملون خبير(٨)**﴾ فمُجازٍ عليه.

﴿**يوم يَجمعكم ليومِ الجمع**﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء، والجمع: جمع الملائكة والثقلين، ﴿**ذلك يومُ التغابن**﴾ الحقيقيِّ، لأنَّه يَغبن فيه

---

١ - فِي تفسير البيضاوي: «تقرير»، وَهُوَ أصوب. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٠٥.

بعضهم بعضاً، لفوات الأشقياء منازل السعداء[1]؛ مستعار من تغابن التجَّار؛ واللام فيه[2] للدلالة عَلَى أنَّ التغابن الحقيقيَّ هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها.

**﴿ومن يؤمِن با لله ويعملْ صالحا يكفِّر عنه سَيِّئَاته ويدخله جَنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا. ذلك﴾** الإشارة إلى مجموع الأمرين، ولذلك جعله **﴿الفوز العظيم(٩)﴾** لأنَّه جامع للمصالح، من دفع المضارِّ وجلب المنافع. **﴿والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير(١٠)﴾** كأنَّها والآية المتقدِّمة بيان للتَّغابن وتفصيل له.

**﴿ما أصاب من مُصيبةٍ إلاَّ بإذن ا لله﴾** إلاَّ بتقديره وإرادته، **﴿ومن يؤمن با لله يَهْدِ قلبَه﴾** للثبات والاسترجاع عند مواقعة الذنوب. والإيمانُ شرط لوجود الهداية بدليل هذه الآية؛ ويحتمل في التأويل: ومن يؤمن با لله يهد قلبه لطلب العلم، والعمل بما علم؛ والمعنى: أنَّه يجعل لقلبه باعثا على مظانِّ الهداية، لأنَّ الاجتهاد على قدر الإيمان؛ وذلك هو معنى هداية ا لله له ومثله: ﴿والذين اهتدَوا زادهم هُدًى وآتاهم تَقوَاهم﴾[3]وكذلك خذلان ا لله لأهل

١ - توضيح العبارة عند البيضاويِّ: «لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء، وبالعكس». المصدر السابق.

٢ - العبارة بحرفيَّتها من البيضاويِّ (المصدر نفسه) وصوابها: «والألف واللام...»، لأنَّ "ال" التعريف هي التي تَدُلُّ عَلَى التخصيص لا اللام وحدها. انظر: الزمخشري: الكشَّاف، ٤/٤٣٩. أبو السعود: تفسير، مج٤/ ج٨/ ص٢٥٧.

٣ - سورة مُحَمَّد: ١٧.

الكفر تقصيرهم عن المواجب، وانهماكهم للشهوات[1]، ﴿وا لله بِكُلِّ شيء عليم(١١)﴾ حتّى القلوب وأحوالها؛ وعالم منها ما يصلح للإيمان وضدِّها. ﴿وأطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول، فإن تولَّيتم فَإِنَّمَا على رسولنا البلاغُ المبينُ(١٢) ا لله لا إله إلاَّ هو وعلى ا لله فليتوكَّل المؤمنون(١٣)﴾ لأنَّ إيمانهم بِأَنَّ الكلَّ منه يقتضي ذلك.

﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنَّ من أزواجِكم وأولادكم عَدُوًّا لكم﴾ لمن عصى ا لله فيهما، أو عصى ا لله لأجلهما، ومن ذلك قال: ﴿إنَّ من أزواجكم وأولادكم﴾، و«مِن» هاهنا للتبعيض، لأنَّ من يطيع ا لله بهم وفيهم لأجلهم يكونون رحمة له، لأَنَّهُمْ أقرب الأشياء من غيرهم له لهذا وهذا[2]، ويكونون سببا للحالين، وقال: ﴿إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لَّكم فاحذروهم﴾، لأَنَّ منهم العقلاء المخاطبين، فيكون بعضهم سببا للطاعة، وبعضهم سببا للمعصية، ومن ذلك لم يشرك المال فيهما في العداوة، وجعله فتنة، لأنَّه جماد يُيَمَّمُ ولا يتيمَّم بنفسه، وإنَّمَا هو له[3] لاستعمال الحالين. ﴿فاحذروهم﴾ عن أن تعصو ا لله فيهما؛ ﴿وإن تعفوا﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة [٦١٣] ﴿وتصفحوا﴾ بالإعراض، وترك التثريب عليها، ﴿وتغفروا﴾ بإخفائها، وتمهيد معذرتهم فيها، ﴿فإنَّ ا لله غفور رحيم(١٤)﴾ يعاملكم بمثل ما عَملتم، ويتفضَّل عليكم.

---

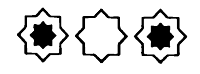
١ - الصواب: «في الشهوات».

٢ - كذا في الأصل، ولعلّه يقصد: للخير وللشرّ.

٣ - فِي الأَصْلِ: «هواله»، و لم يَتَّضِح لنا معناه وصحَّحناه حسب السياق.

﴿إنَّما أموالكم وأولادكم فِتنَةٌ﴾ فجميع الأموال والأولاد اختبار، وابتلاء للإنسان؛ فإن أطاع الله بهما فله الثواب، وإن عصى الله بهما فعليه العذاب في الدارين، ولذلك قال: ﴿إنَّما أموالكم وأولادكم...﴾ ولم يقل: منها، ﴿والله عنده أجرٌ عظيمٌ(١٥)﴾ لمن آثر محبَّة الله وطاعته على محبَّة الأموال والأولاد والسعي لهم. ﴿فاتَّقوا الله ما استطعتم﴾ أي: ابذلوا في تقواه جُهدكم وطاقتكم، ﴿واسمعوا﴾ له أوامره، ﴿وأطيعوا﴾ وامتثلوا، ﴿وأنفِقُوا﴾ في وجوه الخير خالصا لوجهه ﴿خيرا لأنفسكم﴾ افعلوا ما هو خير لها، ﴿ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه﴾ باستعماله للوقاية، ﴿فأولئك هم المفلحون(١٦)﴾.

﴿إنْ تُقرضوا الله قرضا حسنا﴾ مقرونا بالإخلاص، وطيب القلب، ﴿يُضاعِفْه لكم ويغفرْ لكم والله شكور حليم(١٧) عالِمُ الغيبِ والشهادة العزيزُ الحكيم(١٨)﴾.





# سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**يا أيُّهَا النبيُّ إذا طلَّقتمُ النساءَ**﴾ خصَّ النداء وعمَّ الخطاب بالحكم، لأنَّه إمام أمَّته، فنداؤه كندائهم، لأنَّ الكلام معه والحكم يَعُمُّهم، والمعنى: إذا أردتم تطليقهنَّ، على تنزيل المُشارِف له منزلة الشارع فيه، ﴿**فطلِّقوهنَّ لِعِدَّتِهنَّ**﴾ أي: وقتها، وهو الطهر، ﴿**وأَحصُوا العِدَّة**﴾ واضبطوها، ﴿**واتَّقوا الله ربَّكم لا تُخرجوهنَّ من بُيُوتهنَّ**﴾ من مساكنهنَّ وقت الفراق، حتَّى تنقضي العدَّة، ﴿**ولا يَخْرُجْنَ**﴾ باستبدادهنَّ [أَ]مَّا لو اتَّفقا على الانتقال جاز، إذ الحقُّ لا يعدوهما، وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها، ﴿**إلاَّ أن يأتين بفاحشة مُبيِّنة**﴾ والمعنى: إلاَّ أن تبذو[1] عَلَى الزوج، فإنَّه كالنشوز في إسقاط حقِّها؛ أو إلاَّ أن تزني فتخرج لإقامة الحدِّ عليها؛ «وقيل: إذا شتمته وآذته وساء خُلُقها»، هكذا يُوجد في الجامع. «وقيل: إنَّه الزنا؛ وقيل: إذا فحشت له بالقول، وقع ذلك موقع الفاحشة»، هكذا في جامع أبي سعيد.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «تبدوا»، وَهُوَ خطأ. قال فِي القاموس: «وقد بَذُوَ بَذَاءً وَبَذَاءَةً، وبَذَوْتُ عَلَيْهِم وأبْذَيتُهُمْ: مِنَ البَذَاء، وَهُوَ الكلامُ القبيحُ». الفيروزآبادي: القاموس، ص١١٣٦، مَادَّة: «بذو».

﴿**وتلك حدودُ الله**﴾ الإشارة إلىَ الأحكام المذكورة، ﴿**ومن يتَعَدَّ حُدودَ الله فقد ظلم نفسَه**﴾ بِأَنْ عرَّضها للعقاب، ﴿**لا تدري لَعَلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمرا(١)**﴾ وَهُوَ الرغبة في المطلَّقة برجعة أو استئناف.

﴿**فإذا بَلَغْنَ أجَلَهنَّ**﴾ شارفن آخر عِدَّتهنَّ، ﴿**فأمسكوهنَّ**﴾ فراجعوهنَّ ﴿**بمعروف**﴾ بِحُسن عِشرَة، وإنفاق مناسب، ﴿**أو فارقوهنَّ بمعروف**﴾ بإيفاء الحقِّ واتِّقاء الضرر، ﴿**وأشهِدوا ذَوَيْ عدلٍ مِّنكم**﴾ عَلَى الرجعة أو الفرقة، تبرُّؤًا عن الريبة، وقطعا للتنازع؛ قيل: هو ندب عَلَى الفراق، وفرض عَلَى الردِّ [٦١٤]، ﴿**وأقيموا الشهادة لله**﴾ أيُّها الشهود عند الحاجة، خالصا لوجهه، ﴿**ذلكم**﴾ يريد: الحثّ عَلَى الإشهاد والإقامة، أو عَلَى جميع ما في الآية ﴿**يوعَظُ به من كان يؤمن با لله واليوم الآخر**﴾ فإنَّه المنتفع به والمقصود تذكيره، (لَعَلَّهُ) ووعظه بما بيَّن من الإمساك بالمعروف، أو المفارقة بالمعروف، والإشهاد وأدائها لله، وغير ذلك، ﴿**ومن يتَّقِ الله**﴾ بأداء الفرائض والطاعات، ﴿**يجعل لَّه مخرجا(٢)**﴾ من مضائق الأمور، وذُلِّ المعاصي. ﴿**ويرزُقْه من حيث لا يَحتَسِب**﴾ بالوعد لعامَّة المتَّقين، بالخلاص عن مضارِّ الدارين، والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون. وعنه ﷺ: *«إنِّي لأعلم آية، لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿ومن يتَّق الله﴾ فما زال يقرأها ويعيدها»*[1]، ﴿**ومَن يَتوكَّلْ على الله فهو حَسْبُه**﴾ كافيه، ﴿**إنَّ الله**

---

١ - رواه ابن ماجه: في كتاب الزهد، حديث رقم ٤٢١٠، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لأَعْرِفُ كَلِمَةً ـ وَقَالَ عُثْمَانُ: آيَةً ـ لَوْ أَخَذَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِهَا لَكَفَتْهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَّةُ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾. ورواه

**بالغُ أمرِه﴾** يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراده؛ أو يبلغه ما يصلح به وعليه **﴿قد جعَلَ ا لله لِكُلِّ شيءٍ قَدْرًا(٣)﴾** تقديرا أو مقداراً، أو أجلاً لا يتأتّى تغييره، وَهُوَ بيان لوجوب التَّوَكُّل.

**﴿واللائي يَئِسْنَ من المحيض من نِّسائكم﴾** لكبرهنَّ **﴿إن ارتبتم﴾** شَكَكتم في عِدَّتهنَّ، أي: جهلتم، **﴿فعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهُرٍ، واللائي لم يَحِضْنَ﴾**...[1] أو علّة فحكمها كما بيّن، **﴿وأولاتُ الأحمالِ أجلُهنَّ أن يَضَعْنَ حَمْلَهنَّ ومن يتَّقِ ا لله﴾** في أحكامه فيراعي حقوقها، **﴿يَجْعَل لَّهُ من أمره يُسْرًا(٤)﴾** يسهِّل عليه أمره، ويوفّقه لخير الدارين. **﴿ذلك﴾** إشارة إلىَ ما ذكر من الأحكام، **﴿أمرُ ا لله أنزله إليكم، ومن يتَّق ا لله﴾** في أحكامه فيراعي حقوقها، **﴿يُكفِّرْ عنه سَيِّئَاته﴾** فإنَّ الحسنات يُذهبن السيِّئات، **﴿ويُعظِمْ لَه أجْرًا(٥)﴾**.

**﴿أسكِنوهُنَّ من حيث سَكَنتم من وُجدِكم﴾** من وُسعكم، أي: ما تُطيقُونه، **﴿ولا تُضارُّوهنَّ لتُضَيِّقوا عَلَيهِنَّ﴾** فتلجئوهنَّ إلىَ الخروج، أو إلىَ المساكن الضيِّقة، **﴿وإن كُنَّ أولاتِ حَمْلٍ فأنفِقُوا عَلَيهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهنَّ، فإن أرضَعْنَ لكم فآتوهنَّ أُجورَهنَّ وَأْتَمِروا بينكم بمعروفٍ﴾**

---

عنه الدارميُّ: فيِ كتاب الرقاق: حديث رقم ٢٦٠٩، بلفظ: «لأَعْلَمُ آيَةً». ورواه أحمد: فيِ مسند الأنصار: حديث رقم ٢٠٥٧١ بنحوه، ولَكِن بزيادة: «قَالَ فَجَعَلَ يَتْلُو بِهَا وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى نَعَسْتُ...» الحديث.

١ - وضع الناسخ إحالة إلىَ الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا، وَفيِ العبارة سقط واضح لم نتمكّن من إكماله مِمَّا بين أيدينا من المصادر.

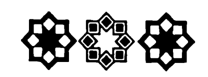
وليأمر بعضكم بجميلٍ، في الرضاع وغيره، ﴿وإن تعاسَرْتُم﴾ تضايقتم، ﴿فسَتُرْضِعُ له أخرَى(٦) لينفقْ ذو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (لَعَلَّهُ) عَلَى قدرها، ﴿ومَن قُدِرَ عليه رزقُه فلْيُنفِقْ مِمَّا آتاه ا للهُ﴾ أي: فلينفق كلٌّ من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه؛ وفيه دليل عَلَى أنَّ القبض والبسط بيد ا لله ليس بسعيٍ، ﴿لا يُكلِّفُ ا للهُ نفسا إلاَّ ما آتاها﴾ فَإِنَّهُ تعالى لا يُكلِّف نفسا إلاَّ وُسعها، وفيه تطيُّب لقلب المعسر، ولذلك وعد باليسر فقال: ﴿سيَجْعَلُ ا لله بعد عسرٍ يسرا(٧)﴾ أي: عاجلاً أو آجلاً.

﴿وكأيِّن مِّن قريةٍ عَتَتْ عن أمرِ ربِّها ورُسُلِهِ﴾ أعرضت عنه إعراض العاتي؛ وهذا وعظ وتخويف لِكُلِّ نفس متعبِّدة عن [أن] تقع فيما وقع عَلَى [٦١٥] أهل القرية، ﴿فحاسَبْناها حسابا شديدا﴾ بالاستقصاء والمناقشة، ﴿وعذَّبناها عذابا نُكرا(٨)﴾ منكرًا غريبًا. ﴿فذاقت وَبَالَ أمرِها﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها، ﴿وكان عاقبةُ أمرها خُسرًا(٩)﴾ لا ربح فيه أصلاً. ﴿أعدَّ ا لله لهم عذابا شديدا﴾ تكرير للوعيد، وبيانٌ لِمَا يوجب التقوى المأمور به في قوله:

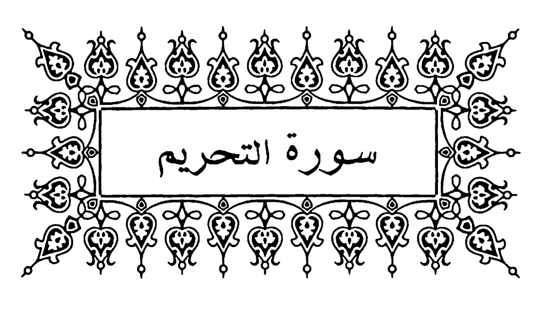
﴿فاتَّقوا ا لله يا أولي الألبابِ الذين آمنوا قد أَنزَلَ ا لله إليكم ذِكرًا(١٠) رسولا﴾ يعني: بالذكر جبريل لكثرة ذكره، أو لنزوله بالذكر وَهُوَ القرآن؛ أو لأنَّه مذكور في السماوات، أو ذا ذكر، أي: شرفٍ؛ أو محمَّدا عليه السلام لمواظبته عَلَى تلاوة القرآن، ﴿يتلو عليكم آيات ا لله مُبيِّنات ليُخرِجَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح، ﴿من الظُّلُمات إلى النور﴾ من الضلالة إلَى

الهدى، ﴿**ومن يؤمن با لله ويعملْ صالحـا يُدخِلْه جنّـاتٍ تجري مـن تحتـها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن ا لله له رزقا(١١)**﴾ فيه تعجيب وتعظيـم لِمَا رُزقوا من الثواب.

﴿**ا لله الذي[1] خَلَقَ سبعَ سماوات ومـن الأرضِ مثلهـنَّ**﴾ أي: وخلـق مثلهنَّ من الأرض، ﴿**يَتَنَزَّل الأمر بَيْنَهُنَّ**﴾ يعني: أنَّ في كُلِّ سماء وفي كُـلِّ أرض خلقا من خلقه، وأمرا نافذًا مـن أمـره، ﴿**لِتَعلَموا أنَّ ا لله علـى كُـلِّ شيء قديرٌ وأنَّ ا لله قد أحاط بِكُلِّ شيء عِلْمًا(١٢)**﴾ عِلَّةٌ لخلق، أو يتـنزَّل، أو مضمر يَعمُّهما؛ فإنَّ كلاًّ منهما يدلُّ عَلَى كمال قدرته وعلمه.



١ - في الأصل: - «الذي»، وهو سهو.



# سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿يا أيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ ا لله لك تَبْتَغي مرضاةَ أزواجِك﴾** قيل: حرَّم عَلَى نفسه جاريته "مارية" ابتغاء مرضاة أزواجه ليس لله، ولذلك عاتبه، **﴿وا لله غفورٌ رحيم(١)﴾** غفر لك ما تقدَّم من التحريم؛ ثمَّ فسَّر الحكم بقوله: **﴿قد فَرَضَ ا للهُ لكم تَحِلَّةَ أَيْمَانكم﴾** قد شرع لكم تحليلها، وَهُوَ حلُّ ما عقدتَه بالكفَّارة، **﴿وا لله مَوْلاَكم﴾** متولٍّ أموركم، **﴿وهو العليم﴾** بما يُصلحكم، **﴿الحكيم(٢)﴾** المتقن في أحكامه وأفعاله.

**﴿وإذْ أَسَرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجه﴾** قيل: حفصة، **﴿حديثا فَلَمَّا نبَّأت به وأَظْهَرَهُ ا لله عليه﴾** وأطلَع النبيَّ ﷺ عَلَى الحديث، أي: عَلَى إفشائه، **﴿عَرَّفَ بعضَه﴾** قيل: عرَّف الرسول ﷺ حفصة بعض ما فعلت، **﴿وأَعْرَضَ عن بعضٍ﴾** عن إعلام بعضٍ تكرُّمًا، **﴿فلمَّا نبَّأها به، قالت: مَنْ أنبَأَكَ هذا؟ قال: نَبَّأَني العليمُ الخبيرُ(٣)﴾** فإنَّه أصدق الصادقين.

**﴿إن تَتُوبَا إلى ا لله﴾** قيل: خطابٌ لحفصة وعائشة، عَلَى الالتفات للمبالغة في المعاتبة، **﴿فقد صَغَتْ﴾** مالت عن الاستقامة، **﴿قلوبُكما﴾** فقد

وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب، من مخالصة الرسول، بحبٍّ ما يحِبُّه مِمَّا أحلَّه ا لله له، وكراهة ما يكرهه، ﴿**وإن تَظَاهَرَا عليه**﴾ وإن تتظاهرا عليه بما يسوءه (لَعَلَّهُ) لا بذنبٍ سبق منه، بل بما أباحه ا لله له، بدلِيل قوله: ﴿لِمَ تُحرِّم ما أحلَّ ا للهُ لَكَ﴾ [٦١٦] ﴿**فإنَّ ا لله هو مَوْلاَهُ وجبريلُ وصالِحُ المؤمنين**﴾ فلن يعدم من يظاهره من ا لله والملائكةِ وصلحاء المؤمنين، فإنَّ ا لله ناصره وجبريل، ومن صلح من المؤمنين: أتباعه وأعوانه، ﴿**والملائكةُ بعدَ ذلك ظَهيرٌ(٤)**﴾ متظاهرون، وتخصيص جبريل لتعظيمه؛ وهذه الآية ناعية عَلَى كُلِّ من ظاهر عَلَى عداوة أحدٍ من أهل الإيمان بغير حقٍّ، وبشارة لِكُلِّ من فُعل به ذلك.

﴿**عَسَى ربُّه إن طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزواجا خيرا منكنَّ**﴾ إن لم تَتُبن، ﴿**مسلماتٍ مؤمناتٍ**﴾ مُقرَّات مخلصات؛ أو منقادات مصدِّقات، ﴿**قانِتَاتٍ**﴾ مُصلِّيات؛ أو مواظبات عَلَى الطاعة، ﴿**تائباتٍ**﴾ عن الذنوب، ﴿**عابِداتٍ**﴾ متعبِّدات؛ أو متذلِّلات لأمر الرسول، ﴿**سائحاتٍ**﴾ السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والتفكُّر والتذكُّر، والاعتبار بما فيها من الآيات، ويكون ذلك بالقلوب، ويكون بالأبدان، ﴿**ثيِّبات وأبكارا(٥)**﴾.

﴿**يا أيُّهَا الذين آمنوا قوا أنفسَكم**﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات، ﴿**وأهليكم**﴾ بالنصح والتأديب، من كان منهم مُوَافقا لكم، وترجون منه القبول، لقوله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿إنه ليس من أهلك﴾[1]. ﴿**نارًا وَقُودُها الناسُ والحجارةُ**﴾ نارا تتَّقدُ بهما اتِّقاد غيرها بالحطب، ﴿**عليها ملائكةٌ**﴾ تلي أمرها،

١ - سورة هود: ٤٦.

وهم الزبانيَّة ﴿غِلاَظٌ شِدادٌ﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال؛ أو غلاظ الخلق، شداد الأفعال، ﴿لا يَعصُونَ الله ما أَمَرَهم، ويَفعلون ما يؤمرون(٦)﴾.

﴿يا أيُّها الذين كفروا، لا تَعتَذِروا اليومَ إنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كنتم تعملون(٧)﴾ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار؛ والنهي عن الاعتذار لأنَّه لا عذر لهم، أو العذر لا ينفعهم.

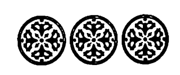
﴿يا أيُّهَا الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نـَصُوحًا﴾ بالغة في النصح، وَهُوَ صفة التائب بأنَّه ينصح نفسه بالتوبة؛ وقيل: التوبة النصوح: أن يَكون له خوف أن لا يُقبلَ، ورجاء أن يُقبل؛ وقيل: هي ردُّ المظالم وإدمان الطاعة؛ وقيل: يـُبغِضُها فاعلها كما أحبَّها؛ ﴿عسى ربُّكم أن يُكَفِّرَ عنكم سيِّئاتِكم ويدخلكم جنَّات تجري من تحتِها الأنهارُ، يومَ لا يُخْزِي الله النبيَّ والذين آمنوا معه نورُهم يَسْعَى بينَ أيديهم وبأَيْمَانِهِم، يقولون: ربَّنا أتمِمْ لنا نورَنا واغفرْ لنا إنَّك على كُلِّ شيء قديرٌ(٨)﴾.

﴿يا أيُّهَا النبيُّ جاهِدِ الكفَّارَ والمنافقينَ﴾ بالحجَّة، فإن رَدَعَت وإلاَّ فالسيف، ﴿واغْلُظْ عليهم﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم إذا بلغ الرفق مداه، ﴿ومأواهم جهنَّم وبئسَ المصيرُ(٩)﴾ جهنَّم.

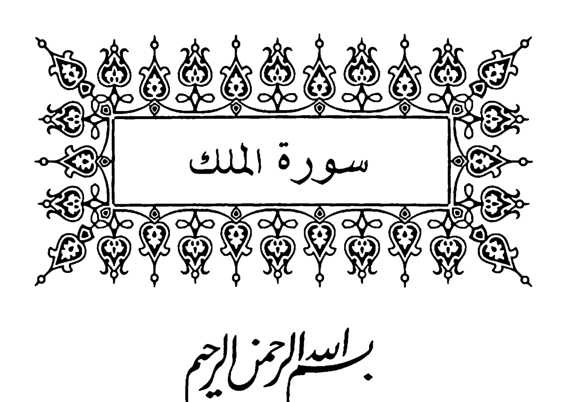
﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانَتَا تحت عبدَيْنِ من عبادنا صالِحَيْن فَخَانَتَاهما [٦١٧] فلم يُغنِيَا عنهما من الله شيئا﴾ يعني نوحاً ولوطاً، ﴿وقيل: ادخُلاَ النارَ مع الداخلين(١٠)﴾.

﴿وضَرَبَ ا لله مَثَلاً للذين آمنوا امرأة فرعونَ إذ قـالت: رَبِّ ابـنِ لي عندك بيتا في الجـنّة ونـجِّني من فرعونَ وعمله﴾ من نفسه وعمله الخبيـثين، ﴿ونـجِّني من القومِ الظالمين(١١)﴾.

﴿ومريمَ ابنتَ عمرانَ التي أَحْصَـنَتْ فرجَها﴾ من الرجال، من الحلال والحرام، ﴿فـنَفَخْـنَا فيه من رُّوحِنَا، وصَدَّقَتْ بكلماتِ ربـِّها﴾ أي: صدَّقـت بما أقام عليها من الحجج والآيـات، و لم تـردَّ حجّـة أقامهـا عليهـا؛ ﴿وكُـتُـبه وكانت من القانِتِين(١٢)﴾ من عداد المواظبـين عَلَى الطاعـة؛ والتذكـرة[1] للتغليب والإشعار بِأَنَّ طاعتها لم تقصُر عَلَى طاعـة الرجـال الكـاملين، حتّـى عُدَّت من جُملَتِهم.



١ - الصواب: «التذكير» كما في البيضاوي: تـفسير، ج٤/ ص٢١٠.




بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بقبضة قدرتـه التصرُّف في الأمـور كلِّهـا ﴿وهو علـى كُـلِّ شـيء قديرٌ(١) الـذي خَلَـقَ المـوتَ والحيـاة﴾ قدَّرهمـا. ﴿ليبْلُوَكم﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بـالتكليف، ﴿أيُّكم أحسـنُ عَمَـلاً﴾ قيل: أحسن عقلاً، وقيل: أصوبه وأخلصه، ﴿وهـو العزيـز الغفـور(٢)﴾ لمـن تاب منهم.

﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سماوات طِبَاقًا﴾ قيل: بعضها فوق بعض، ﴿ما تَـرَى في خَلْقِ الرحمنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ هو الاختلاف وعدم التناسب مـن الفـوت؛ لأنَّ كُلاً من المتفاوتَـيْنِ فات عن بعض ما في الآخر؛ والإشعار بأنَّه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضُّلاً؛ وأنَّ في إبداعهـا نعمـًا جليلـةً لا تُحصـى، والخطاب فيها للرَّسول، أو لِكُلِّ مخاطب، وظاهر الآية كَأَنَّ الخطـاب في خلـق السماوات، وفي المعنى يعمُّ في جميع ما خلق، لقوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ﴾. وقولُه: ﴿فارجِعِ البَصَرَ هل تَـرَى مـن فُطُـور(٣)﴾ متعلّـق بـه عَلَى معنى السبب، أي: قد نظرت إليها مِرارًا، فانظر إليها مرَّة أخرى، مُتأمِّلاً

فيها، لتعاين ما أُخبِرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها، وعدم تفاوتها، وما ينبغي لها. والفطور: الشقوق، والمراد الخلل، مِن فَطَرَه: إذا شَقَّه. **﴿ثمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾** أي: رجعتين أُخريين **﴿يَنقَلِبْ إليكَ البصر خاسئا﴾** بعيدًا من إصابة المطلوب، كأنَّه طُرِد عنه طردًا بالصغار، **﴿وهو حسير(٤)﴾** كليل من طول المعاودة، وكثرة المراجعة.

**﴿ولقد زيَّنَّا السماءَ الدنيا﴾** أقرب السماوات إِلَى الأرض، **﴿بمصابيحَ﴾** بالكواكب المضيئة باللَّيل إضاءة السرُجِ فيها، **﴿وجعلناها رُجوما للشياطين﴾** وجعلنا لها فائدة أخرى، وهي رجم أعدائكم؛ وقيل: معناها رجومًا وظنونًا لشياطين الإنس وهم المنجِّمون، **﴿وأعتدنا لهم عذابَ السعير(٥)﴾** في الآخرة.

**﴿وللذين كفروا بربِّهم عذابُ** [٦١٨] **جهنَّمَ وبئسَ المصيرُ(٦) إذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شَهيقًا﴾** صوتا كصوت الحمير، لأنَّه أقبح الأصوات، **﴿وهي تَفُورُ(٧)﴾** تغلي غليان المرجل بما فيه. **﴿تكادُ تَمَيَّزُ من الغيظِ﴾** تتفرَّق غيظا عليهم، وَهُوَ تمثيل إشعالها بهم، **﴿كلَّما أُلقيَ فيها فوجٌ﴾** جماعة من الكفرة متناسبون في العمل وسوء النية، **﴿سألهم خَزَنَتُها: ألم يَأْتِكم نذيرٌ(٨)﴾** يُخوِّفكم هذا العذاب، وَهُوَ توبيخ وتبكيت. **﴿قالوا: بلى قد جاءنا نذيرٌ، فكذَّبنا وقُلنا: ما نزَّل الله من شيء إن أنتم إلاَّ في ضلالٍ كبير(٩)﴾** أي: فكذَّبنا الرسل والإرسال رأسا، وبالغنا في نسبتهم[1] إِلَى الضلال.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «لبسهم»، ولا مَعْنًى له، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١١.

﴿وقالوا: لو كُنّا نسمعُ﴾ كلام الرسل فنقبله من غير بحث وتفتيش؛ اعتمادًا عَلَى ما لاح من صدقهم بالمعجزات، ﴿أو نَعْقِلُ﴾ فنتفكّر في حكمه ومعانيه بفكر المستبصرين، ﴿ما كُنّا في أصحاب السعير(١٠) فاعترفوا بذنبهم فسُحقا لأصحاب السعير(١١)﴾ فأسحقهم الله سحقا أي: أبعدوا من رحمة الله.

﴿إنَّ الذين يَخْشَوْنَ ربَّهم بالغيبِ﴾ يخافون مكره واستدراجه وعذابه غائبًا عنهم، لم يعاينوا[1] بعدُ؛ أو غائبين عنه؛ والإيمان بالمعايَن لا جدوى له كالإيمان بالغائب؛ فإنّه بمنزلة قبول الشهادة والتحقيق لها في هذا المعنى، لأنّه لا يجوز خلاف ما أخبر به، كما قال: ﴿ومَن أَصْدَقُ من الله قيلاً﴾[2]، ﴿لهم مَّغفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وأجرٌ كبير(١٢)﴾ تصغر معه لذائذ الدنيا.

﴿وأَسِرُّوا قولَكم أَوِ اجْهَرُوا به إنَّهُ عليم بذات الصدور(١٣) أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ألا يعلم من خلق وأوجد الأشياء السرَّ والجهرَ، ﴿وهو اللَّطيفُ الخبير(١٤)﴾ المتوصِّل علمه إِلَى ما ظهر من خلقه وما بَطَن؛ أَوَلاَ يعلم الله مَن خَلَقَه وَهُوَ بهذه المثابة. ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذَلُولا﴾ ليِّنة يسهل لكم السلوك [فيها][3]، ﴿فامشوا في مناكِبِها﴾ جوانبها أو جبَالها؛ متفكِّرين ومُعتبرين، ﴿وكلوا من رِّزْقِهِ﴾ مِمَّا خلقه رزقا لكم في الأرض، ﴿وإليه النشور(١٥)﴾ المرجع.

---

١ - الأصوب: «يعاينوه»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١٢.

٢ - سورة النساء: ١٢٢.

٣ - إضافة من المصدر نفسه ليتمَّ المَعْنَى.

**﴿أأمِنتم مَّن في السماء﴾** يعني: الملائكة الموكلين عَلَى تدبير هذا العالَم؛ أو الله تعالى عَلَى تأويل «من في السماء» أمره أو قضاؤه، **﴿أن يَخْسِفَ بكمُ الأرضَ﴾** فيغيبكم فيها كما فعل بقارون، **﴿فإذا هي تَمُورُ(١٦)﴾** تَضطرب، والـمَوْرُ: التردُّد في المجيء والذهاب. **﴿أم أمنتُم مَّن في السماء أن يُرسِلَ عليكم حاصِبا﴾** أو ريحا ذات أحجار؛ أي: يُمطر عليكم حصبا، **﴿فستَعْلَمون كيف نَذِيرِ(١٧)﴾** كيف إنذاري إذا شاهدتموه من حيث لا ينفع العلم. **﴿ولقد كَذَّب الذين مِن قبلِهم فكيف كان نَكِيرِ(١٨)﴾** إنكاري عليهم بإنزال العذاب، وَهُوَ تسليةٌ للرسول.

**﴿أوَلَمْ يَرَوْا إلى الطيرِ فوقَهم صافَّاتٍ﴾** باسطات أجنحتهنَّ في الجوِّ عند طيرانها، فإنَّهنَّ إذا بسطنها صففن قوائمها، **﴿ويَقْبِضْنَ﴾** [٦١٩] أي: يضممنَها إذا ضربن بها جنوبهنَّ وقتا بعد وقت، للاستظهار به على التحوُّل، **﴿ما يُمسِكُهُنَّ﴾** في الجوِّ خلاف الطبع، **﴿إلاَّ الرحمنُ﴾** الشاملة رحمته كُلَّ شيء، فإنَّه خَلَقَهُنَّ على أشكال وخصائص، هيَّأهنَّ للجري في الهواء[1]، ونفى سبحانه إمساك غيره لهنَّ، لَمَّا كان هو المقدر لهنَّ على الإمساك، لا نفسهنَّ، **﴿إنَّه بِكُلِّ شيء بصير(١٩)﴾** يعلم كيف يخلق الغرائب، ويدبِّر العجائب، وذلك من آيات الله العظام لمن اعتبر بها.

**﴿أمَّن هذا الذي هو جُندٌ لكم ينصرُكُم مِّن دونِ الرحمنِ﴾** عديل قوله: ﴿أو لم يروا﴾، على معنى: أو لم تنظروا في أمثال هذه الصنائع فلم

---

١ - في الأصل: «للجوى في الهوى»، ولا مَعْنَى له. وصحَّحناه من المصدر نفسه.

تعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وإرسال حاصب[1]؛ أم لكـم جنـد ينصركم من دون الله إن أرسـل عليكـم عذابـه، فهـو كقولـه: ﴿أم لهـم آلهـة تمنعهم مِّن دُونِنَا﴾[2] إلاَّ أنَّه أُخرج مخرج الاستفهام، عن تعيين من ينصرهم، إشعارا بأنَّهم اعتقدوا هذا القسم، ﴿إِنِ الكافرونَ﴾ بأيِّ كفر كان، ﴿إلاَّ في غُرُورٍ(٢٠)﴾ لظواهر الأمور، ليسوا على شيء من حقائق أمر الدنيا والعقبى؛ وأصل الغرور: هو الخدعة.

﴿أمَّن هذا الذي يرزُقكـم﴾ أي: مـن يرزقكـم، ﴿إن أَمْسَكَ رِزْقَـهُ﴾ بإمساك المطر، وسائر الأسباب المحصِّلة له إليكـم، ﴿بـل لَّجُّوا﴾ تمادَوا ﴿في عُتُوٍّ﴾ عناد، ﴿ونُفُورٍ(٢١)﴾ شراد عن الحقِّ لتنـفُّر طباعهم عنه.

﴿أفمن يمشي مُكِبًّا على وجهه أهْدَى﴾ أي: يعثر (لَعَلَّهُ) في قدم بِكُـلِّ ساعة، ويُجَرُّ علـى وجهـه لوعـورة طريقـه واختـلاف إراداتـه، ولذلـك قابلـه بقولـه: ﴿أمَّـن يمشـي سَوِيًّـا﴾ قائمـا، سالما مـن العثـار، ﴿علـى صـراطٍ مستقيم(٢٢)﴾ مستوي الأجزاء والجهة، والمراد تمثيل عابد الشيطان وعـابد الله بالسالكين؛ ولعلَّ الاكتفاء بما في الكتب من الدلالة على المسلك للإشـعار بِأَنَّ ما عليه عابد الشيطان لا يستأهل أن يُسمَّى طريقـا، كمشـي المتعسِّـف في مكان متعـادٍ[3] غـير مستوٍ؛ وقيـل: المـراد بـالمكبِّ: الأعمـى، فإنَّـه متعسِّـف فينكبُّ، وبالسويِّ: البصير.

---

١ - في الأصل: «صاحب»، وَهُوَ خطأ. وصحَّحناه من المصدر نفسه.

٢ - سورة الأنبياء: ٤٣.

٣ - فِي الأَصْلِ: «فيعاد»، ولا مَعْنَى له. وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١٣.

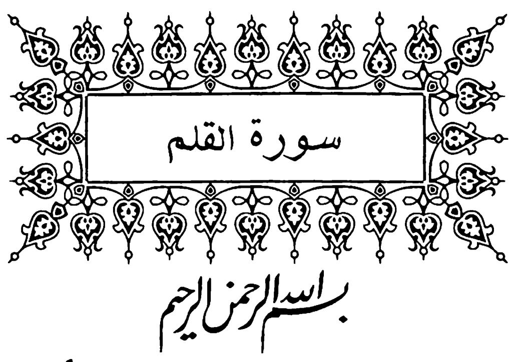
﴿**قل هو الذي أنشَأكم وجَعَلَ لكم السمع**﴾ لتسمعوا، ﴿**والأبصارَ**﴾ لتنظروا عجائبه، ﴿**والأفئدةَ**﴾ لتتفكّروا وتعتبروا، ﴿**قليلا ما تشكرون(٢٣)**﴾ شكرا قليلا غير خالص لا جدوى له، لأنّه مادام ناقصا لم ينتفع به، وهو كقوله: ﴿قليلا ماتذكّرون﴾ والشكر الكثير: هو أن يشكر في جميع الأحوال كُلّها، ليس في شيء دون شيء، كما قال: ﴿واذكروا الله كثيرا﴾[1] أي: في جميع الأحوال بإشغالها فيما خُلقت لأجله. ﴿**قل هو الذي ذرَأكم في الأرض**﴾ للابتلاء، ﴿**وإليه تُحْشَرُونَ(٢٤)**﴾ للجزاء.

﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين(٢٥)**﴾ يعنون النبيَّ والمؤمنين. [٦٢٠] ﴿**قل: إنّما العلم**﴾ أي: علم وقته ﴿**عند الله**﴾ لايطّلع عليه غيره، ﴿**وإنّما أنا نذيرٌ مُّبينٌ(٢٦)**﴾ بيِّن الإنذار. ﴿**فلمَّا رَأَوْهُ**﴾ أي: الوعد ﴿**زُلْفَةً**﴾ ذا زلفة وقربٍ منهم بوصول دلائله، ﴿**سِيئَتْ وُجُوهُ الذين كفروا**﴾ بأن عَلَتِ الكآبة على ظاهر الوجوه، ﴿**وقيل: هذا الذي كنتم به تدَّعون(٢٧)**﴾ تطلبون وتستعجلون، "تفتعلون" من الدعاء.

﴿**قل أرأيتم إن أهلكني الله ومَن معي**﴾ من المؤمنين ﴿**أو رَحِمَنَا، فَمَن يُجيرُ الكافرين من عذاب أليم(٢٨)؟ قل: هو الرحمن**﴾ الذي أدعوكم إليه مولي النعم كلّها، ﴿**آمنّا به**﴾ للعلم بذلك، ﴿**وعليه توَكّلنا**﴾ للوثوق عليه والعلم بأَنَّ غيره بالذات لا يضرُّ ولا ينفع، ﴿**فستعلمون من هو في ضلال مبين(٢٩)**﴾ منّا ومنكم. ﴿**قل أرأيتم إن أصبَحَ ماؤُكم غوْرًا**﴾ غائرا في الأرض حيث لا تناله جِبَايَتكم، ﴿**فمن يأتيكم بماءٍ مَّعِينٍ(٣٠)**﴾؟ جارٍ أو ظاهر تناله الدلاء.

❀❀❀

١ - سورة الأنفال: ٤٥.



# سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ن﴾ قيل: هو الدواة، ﴿والقلم﴾ هو الذي خطَّ اللوح، أو الذي يخطُّ؛ أقسم به لكثرة فوائده، ﴿وما يَسطُرُون(١)﴾ وما يكتبون...[1] الملائكة من أعمال بني آدم. ﴿ما أنت بنعمةِ ربِّك بمجنونٍ(٢) وإنَّ لك لأَجْرًا﴾ على الامتثال والإبلاغ، ﴿غير مَمْنُونٍ(٣)﴾ مقطوع؛ أو ممنون به عليك من الناس. ﴿وإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عظيم(٤)﴾ محتمِل من قومك، ما لم يحتمله أمثالك؛ أو خُلُق عظيم بينك وبين الله. وسئلت عائشة عن خُلُقه فقالت: «كان خلقه القرآن»[2]. قال أبوسعيد: «خلق الدِّينِ وغيره من الكرم».

﴿فستُبْصِرُ﴾ فترى يا محمَّد، ﴿ويبصِرون(٥)﴾ يعني المشركين. ﴿بأيِّكم المفتُونُ(٦)﴾ أيُّكم الذي فتن بالجنون، أي: لتعلم وليعلموا أيَّ الفريقين منكم المجنون، الفريق المؤمنون[3]، أو فريق الكافرين؛ أي: في أيِّهما يوجد من يستحقُّ بهذا[4] الاسم.

---

١ - يبدو أنَّ في العبارة سقطا. وقد كتب الناسخ حرف "ع" فوق كلمة "يكتبون"، ولم يَتَبَيَّن لنا مراده.

٢ - رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن عائشة. برنامج سلسلة كنوز السنَّة: الجامع الصغير وزياداته.

٣ - ورد بصيغة الجمع باعتبار مَعْنَى الفريق لا باعتبار اللفظ.

٤ - الصواب: «من يستَحقُّ هَذَا الاسم».

﴿إنَّ ربَّك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله﴾ وهم المجانين على الحقيقة، ﴿وهو أعلم بالمهتدين(٧)﴾ الفائزين بكمال العقل. ﴿فلا تُطِع المكذِّبين(٨)﴾ تهييج للتصميم على مخالفتهم فيما دعوه إليه من دينهم. ﴿وَدُّوا لو تُدهِنُ﴾ بأن تدع نهيهم عن الشرك، أو توافقهم فيه أحيانا، ﴿فيُدْهِنون(٩)﴾ أي: إن داهنتَهم فيداهنوك؛ ومعناه: لو تكفر فيكفرون.

﴿ولا تُطِعْ كلَّ حَلاَّف﴾ كثير الحلف في الحقِّ و الباطل، ﴿مَهِينٍ(١٠)﴾ حقير الرأي، من المهانة: وهي الحقارة. ﴿همَّازٍ﴾ عيَّاب، ﴿مشَّاء بنميمٍ(١١)﴾ نقَّال للحديث على وجه السعاية. ﴿منَّاع للخير﴾ يمنع الناس حقوقهم من ماله؛ أو يمنعهم الإيمان والاتِّصال[1] والعمل الصالح، ﴿مُعتَدٍ﴾ متجاوز في الظلم، ﴿أثيم(١٢)﴾ كثير الآثام. ﴿عُتُلٍّ﴾ جاف غليظ (لَعَلَّهُ) منوع للخير، مِن [٦٢١] عَتَلَه: إذا قاده بعنف وغلظة؛ وقيل: هو الفاحش الخلق، السيِّء الخلق، ﴿بعد ذلك﴾ بعدما عدده من المثالب، ﴿زَنِيمٍ(١٣)﴾ قيل: اللئيم، المعروف بلؤمه، أو بشرِّه؛ قيل عن ابن عبَّاس أنَّه قال: «يعرف بالشرِّ كما تُعرف الشاة بزنمتها» حتَّى قيل: زنيم معرَّف، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها، لأنَّ من جفا وقسى قلبه اجترأ على كُلِّ معصية، ولأنَّ النطفة إذا خبثت خبث التأسِّي منها. ﴿أن كان ذا مال وبنينَ(١٤) إذا تُتلَى عليه آياتُنا قال: أساطير الأوَّلين(١٥)﴾ قال ذلك حينئذ.

﴿سَنَسِمُهُ على الخُرطُوم(١٦)﴾ عبَّر سبحانه بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأنَّ الوسم على الوجه إهانة وذِلَّة؛ وذلك استعارة

١ - يبدو أنَّ الصواب: «والإيقان»، كما في البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١٤.

عن ظهور المعاصي على فاعلها (لَعَلَّهُ) في وجهه مع أهل الدين، (لَعَلَّهُ) كما قال في ضدِّهم: ﴿سيماهم في وجوههم...﴾[1].

﴿إنَّا بلوناهم﴾ قيل: ابتلى أهل مكَّة بالقحط، ﴿كما بلونا أصحاب الجَنَّة﴾ وهم قوم كان لأبيهم هذه الجنَّة، وكان رجلا صالحا فيما قيل، وكان ينادي الفقراء وقت الانصرام[2]، وينثر لهم ما أخطأه الوعاء أو الريح، فيجمع لهم شيء كثير؛ فلمَّا مات قال بنوه: إن فعلنا ذلك، ما كان يفعل أبونا، ضاق علينا، فحلفوا ليصرمنَّها وقت الصباح خفية عن المساكين، كما قال: ﴿إذْ أَقْسَموا لَيَصرِمُنَّها مصبِحين(١٧)﴾ ليقطعنَّها داخلين الصباح. ﴿ولا يستثنون(١٨)﴾ ولا يقولون: «إن شاء الله»؛ أو لا يستثنون منها حقًّا للمساكين.

﴿فطاف عليها طائفٌ﴾ بلاء طائف، ﴿من رَّبِّكَ وهم نائمون(١٩) فأصبحَتْ كالصَّريم(٢٠)﴾ كالبستان الذي صُرِم ثماره بحيث لم يبقَ فيه شيء. ﴿فتنَادوا﴾ نادى بعضهم بعضًا، ﴿مصبحين(٢١): أنِ اغدُوا على حرثكم﴾ أن اخرجوا إليه غدوةً، ﴿إن كنتم صارمين(٢٢)﴾ قاطعين لثمره. ﴿فانطَلَقوا وهم يتخافَتون(٢٣)﴾ الخفت: إسرار الشيء عن أن يُطَّلع عليه، يتشاورون فيما بينهم. ﴿أن لا يَدخلنَّها اليوم عليكم مِّسكينٌ(٢٤) وغَدَوْا

---

١ - سورة الفتح: ٢٩.

٢ - لَعَلَّ الصواب: «وقت الصِّرام»، كما هو عند البيضاوي: المصدر نفسه. «وَأَصْرَمَ النخلُ: حان أن يُصرَمَ، وَصَرَامُه ـ ويُكْسَرُ ـ : أوانُ إدراكِهِ». الفيروزآبادي: القاموس، ص١٠١٨، مَادَّة: «صرم».

**على حَرْدٍ﴾** عَلَى قصد وجدٍّ **﴿قادرين(٢٥)﴾** وغدوا[1] قادرين عَلَى نكدٍ لا غير؛ من حَارَدَت السنَة: إذا لم يكن فيها مطر؛ وحاردت الإبل: إذا منعت دَرَّها؛ والمعنى: أنَّهم عزموا أن يُنَكِّدوا عَلَى المساكين؛ فنكَّد عليهم بحيث لا يقدرون فيها إلاَّ عَلَى نكدٍ؛ أو: وَغَدَوْا حاصلين عَلَى النكد والحرمان، مكان كونهم قادرين عَلَى الانتفاع؛ وقيل غير ذلك.

**﴿فلمَّا رَأَوْها قالوا: إنَّا لَضَالُّون(٢٦)﴾** طريق جنَّتنا، وليس هذا بستاننا؛ ثمَّ علموا أنَّها عقوبة، وقالوا: **﴿بل نحن﴾** أي: بعدما تأمَّلوا وعرفوا أنَّها هي، **﴿مَحرومون(٢٧)﴾** حُرمنا خيرها لجنايتنا عَلَى أنفسنا. **﴿قال أوسطهم﴾** رأيًا أو سنًّا: **﴿ألم أقل لكم لولا تسبِّحون(٢٨)﴾** لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيَّتكم، وقد قاله حيثما عزموا عَلَى ذلك، ويدلُّ عَلَى هذا المعنى. **﴿قالوا: سبحان ربِّنا﴾** نزَّهوه [٦٢٢] عن أن يكون ظالمًا، وأقرُّوا عَلَى أنفسهم بالظلم، **﴿إنَّا كُنَّا ظالمين(٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون(٣٠)﴾** يلوم بعضهم بعضًا. **﴿قالوا: يا ويلنا إنَّا كُنَّا طاغين(٣١)﴾** متجاوزين حدود ا لله (لَعَلَّهُ) نحو منع الفقراء. **﴿عسى ربُّنا أن يُبْدِلَنا خيرا منها﴾** ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة، **﴿إنَّا إلى ربِّنا راغبون(٣٢)﴾** راجون العفو طالبون الخير.

**﴿كذلك العذاب﴾** مثل ذلك الذي بلونا به مَن جَرَت فيه القصَّة، نُعذِّب من عصانا في الدنيا، **﴿ولَعَذَابُ الآخرةِ أكبرُ﴾** أعظم منه، **﴿لو كانوا يعلمون(٣٣)﴾** لا حترزوا عَمَّا يُؤَدِّيهم إِلىَ عذاب الدارين؛ ولقد عقَّب ذكر ضدِّهم أنَّهم منعَّمون في الدارين، بدليل قوله:

١ - في الأصل: + «على».

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عند ربِّهم﴾ أي: في الآخرة، أو في جوار القدس، ﴿جنَّاتُ النعيمِ(٣٤)﴾ جنَّات ليس فيها إلاَّ النعيم.

﴿أفنجعلُ المسلمين كالمجرمين(٣٥)﴾ إنكارًا لِمَا يتوهَّمه المجرمون، لأنَّ الشيطان غرَّهم با لله، ومنَّاهم بالمغفرة عَلَى الإصرار لِمَا نهى ا لله عنه. ﴿ما لكم كيف تحكمون(٣٦)﴾ التفات فيه تعجُّب مِن حكمهم، وإشعار بأنَّه صادر من اختلال فكرٍ، واعوجاج رأيٍ. ﴿أم لكم كتابٌ﴾ من الكتب السماويَّة ﴿فيه تدرسون(٣٧)﴾ تقرؤون، فتجدون به ما تَمنَّيتم. ﴿إنَّ لكم فيه لَمَا تَخَيَّرون(٣٨)﴾ إنَّ لكم ما تختارونه، وتشتهونه.

﴿أم لكم أيْمَانٌ علينا﴾ عهود[1] مؤكَّدة بالأيمان، ﴿بالغةٌ إلى يوم القيامة﴾ أي ثابتة لكم علينا إلىَ يوم القيامة، لا نخرج عن عهدتهـ[ـا] حتَّى نحكمكم في ذلك اليوم؛ أو [مُتَعَلِّقٌ][2] ببالغة: أي أيمان تبلغ ذلك اليوم، ﴿إنَّ لكم لَمَا تحكمون(٣٩)﴾.

﴿سَلْهُم أيُّهم بذلك زَعيمٌ(٤٠)﴾ بذلك الحكم قائم يدَّعيه ويصحِّحه. ﴿أم لهم شركاء﴾ يشركونهم في هذه الحكومة، فيحكمون لهم بذلك، ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين(٤١)﴾ في دعواهم. وقد نبَّه

---

١ - فِي الأَصْلِ: «عهد عهود»، وَهُوَ تكرار.

٢ - أضفناها ليتمَّ المـَعْنَى، وتوضيح العبارة عند الألوسي: «﴿إلى يوم القيامة﴾ مُتَعَلِّق بالمقدَّر في "لكم" أي ثابتة لكم إلىَ يوم القيامة، لا نخرج عن عهدتها... أو مُتَعَلِّق بـ"بالغة"، أي أيمان تبلغ ذلك اليوم». الألوسي: روح المعاني، ج٢٩/ ص٣٤.

سبحانه في هذه الآيات عَلَى نفي جميع ما يمكن أن يتشبَّثوا به[1] من عقل أو نقل، أو وعد، أو محض تقليدٍ عَلَى الترتيب، تنبيها عَلَى دحض حجَّتِهم.

﴿يومَ يُكشَف عن ساقٍ﴾ يوم يشتدُّ الأمر، ويصعب الخطب؛ وكشف الساق مَثَلٌ لذلك، وأصله تشمير المخدورات عن سوقهنَّ في الحرب[2]؛ أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانا؛ مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان؛ وتنكيره للتهويل، أو التعظيم، ﴿ويُدْعَوْنَ إلى السجود﴾ توبيخًا عَلَى ترك السجود إن كان اليوم يوم القيامة، أو يدعون إِلَى الصلاة لأوقاتها، إن كان وقت النزع؛ وقيل: يدعون إِلَى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة. وقال كعب الأحبار: «وا لله ما نزلت هذه الآية إلاَّ في الذين يتخلَّفون عن الجماعات». ﴿فلا يستطيعون(٤٢)﴾ [٦٢٣] لذهاب وقته وزوال القدرة؛ ﴿خاشعةً أبصارُهم تَرْهَقُهم ذِلَّة﴾ يلحقهم ذلٌّ، ﴿وقد كانوا يُدعَون إلى السجود﴾ في الدنيا قبل النزع، ﴿وهم سالمون(٤٣)﴾ متمكِّنون منه، مزاحوا العلل فيه.

﴿فذَرْني ومَن يُكذِّب بهذا الحديث﴾ كِلْه إليَّ فإنِّي أكفيكه، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سنستدنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال، أو إدامة الصحَّة وازدياد النعمة، ﴿من حيث لا يعلمون(٤٤)﴾ أنَّهم مستدرَجون، وَهُوَ الإمهال، والإنعام عليهم، لأنَّهم حسبوه تفضيلاً لهم، مثلما للمؤمنين؛ وقال الحسن: «كم من مستدرَج بالاحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم

---

١ - فِي الأَصْلِ: «أن يستشبتوا انه»، وَهُوَ تحريف من الناسخ.

٢ - فِي البيضاوي: «في الهرب». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١٦.

من مغرور بالستر عليه». ﴿**وأُمْلِي لهم**﴾ وأمهلهم ﴿**إنَّ كيدي متينٌ(٤٥)**﴾ لا يدفع بشيء؛ وإنَّما سُمِّي إنعامه استدراجا بالكيد، لأنَّه في صورته.

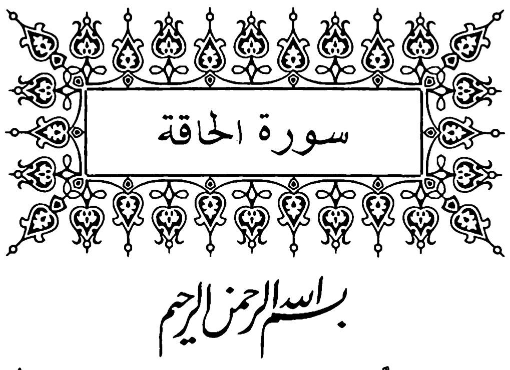
﴿**أم تسألهم أجرا**﴾ عَلَى الإرشاد، ﴿**فهم مِّن مَّغْرَمٍ مُثقَلُون(٤٦) أم عندهم الغيبُ**﴾ اللوح، أو المغيبات، ﴿**فهم يَكتُبون(٤٧)**﴾ منه ما يحكمون به، ويستغنون به عن علمك. ﴿**فاصبِرْ لحُكْمِ رَبِّكَ**﴾ وَهُوَ إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ﴿**ولا تكن كصاحِبِ الحوت**﴾ يونس، ﴿**إذ نَادَى**﴾ في بطن الحوت ﴿**وهو مكظومٌ(٤٨)**﴾ مملوء غيظًا من الضجرة، فتبتلى ببلائه. ﴿**لولا أن تَدَارَكَه نعمةٌ من رَّبِّه**﴾ يعني: التوفيق بالتوبة، ﴿**لَنُبِذَ بالعراء**﴾ بالأرض الخالية[1] عن الأشجار، ﴿**وهو مذموم(٤٩)**﴾ مليم، مطرود عن الرحمة والكرامة. ﴿**فاجتباه ربُّه**﴾ ردَّه عَلَى ما كان عليه من الاجتباء، ﴿**فجعله من الصالحين(٥٠)**﴾ من الكاملين في الصلاح.

﴿**وإن يكادُ الذين كفروا ليَزلِقُونك بأبصارهم**﴾ والمعنى: أنَّهم لشدَّة عداوتهم ينظرون إليك شزرًا، بحيث يكادون يُزلُّون قدمك، أو يهلكونك، أو أنَّهم يكادون يصيبونك بالعين، ﴿**لَمَّا سمعوا الذكْرَ**﴾ أي: القرآن[2]؛ أي: ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم، ﴿**ويقولون: إنَّهُ لَمجنُونٌ(٥١)**﴾ حيرة في أمره، وتنفيرًا عنه، ﴿**وما هو إلاَّ ذكرٌ للعالَمِينَ(٥٢)**﴾ لَمَّا جنَّنوه لأجل القرآن بيَّن أنَّه ذِكْرٌ عامٌّ لا يدركه ولا يتعاطاه إلاَّ من [كان] أكمل الناس عقلاً، وأصوبهم رأيًا.

---

١ - في الأصل: «الخيالية»، وهو خطأ.

٢ - في الأصل: «القرن»، وهو خطأ.



# سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**الحاقَّة(١) مَا الحاقَّة(٢)**﴾؟ أي الساعة؛ أو الحالة التِي يحقُّ وقوعها؛ أو التِي تحقُّ فِيهَا الأمور، أي: تُعرَف حقيقتها؛ أو تقع فِيهَا حواقُّ الأمور مِنَ الحساب والجزاء، عَلَى الإسناد المجازيِّ، ﴿**وَمَا أدرَاكَ مَا الحاقَّة(٣)**﴾؟ وأصله مَا هِيَ؟ أي: أيُّ شيء هِيَ؟ عَلَى التعظيم لشأنها والتهويل لها.

﴿**كذَّبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة(٤)**﴾ بالواقعة المجاوزة للحدِّ فِي الشدَّة، ﴿**فأمَّا ثمود فأُهلِكوا بالطاغية(٥)**﴾ وهي الصيحة؛ أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة؛ أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره. ﴿**وَأمَّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ**﴾ أي شديدة الصوت، أو البرد [٦٢٤] ﴿**عاتيَةٍ(٦)**﴾ شديدة العصف، والعتوُّ: ضدُّ التيسير؛ وقيل: عتت عَلَى من أُرسلت عليهم، ولم يكن لَهُم عليها سبيل. ﴿**سخَّرَها عليهم**﴾ سلَّطها عَلَيْهِم بقدرته، ﴿**سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيَّامٍ حُسُومًا**﴾ متتابعات؛ أو نحسات، حَسَمَت كُلَّ خير واستأصلته؛ أو قاطعات قطعت دابرهم، ﴿**فَتَرَى القومَ**﴾ لو كنتَ حاضرهم؛ أو تصديقك للوحي، ﴿**فِيهَا صَرْعَى**﴾ موتى، ﴿**كأنَّهم أعجازُ نخلٍ**﴾ أصول نخل ﴿**خاويةٍ(٧)**﴾ متآكلة الأجواف؛ من خَوِيَ البطن: إِذَا خلا؛ وقيل: ساقطة. ﴿**فهل تَرَى لَهُم مِّن باقيةٍ(٨)**﴾؟ من بقيَّة؛ أو نفس باقية؛ أو بقاء.

﴿وجاء فرعونُ ومَنْ قَبْلَهُ﴾ أي: ومن عنده من أتباعه[1]، ﴿والمؤْتَفِكَاتُ﴾ قُرَى قومِ لوط، والمُرَاد: أهلها، ﴿بالخاطئة(٩)﴾ بالخطأ. ﴿فَعَصَوْا رسولَ ربِّهم﴾ أي: فعصى[2] كُلُّ أمَّة رسولَها، ﴿فأخَذَهُم أخْذَةً رابِيَةً(١٠)﴾ زائدة فِي الشدَّة بزيادة أعمالهم فِي القبح.

﴿إنَّا لَمَّا طغى الماء﴾ جاوز حدَّه المعتاد، أو طغى عَلَى خزانه، وذلك فِي الطوفان، ﴿حَمَلْنَاكم﴾ أي: آباءَكم وأنتم فِي أصلابهم، ﴿فِي الجاريَةِ(١١)﴾ فِي سفينة نوح. ﴿لِنَجْعَلَهَا لكم﴾ لنجعل الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين، وإغراق الْكَافِرِينَ، ﴿تَذْكِرَةً﴾ عبرة ودلالة عَلَى قدرة الصانع وحكمته، وكمال قهره ورحمته، ﴿وتَعِيَهَا﴾ وتحفظها؛ وقيل: الوعي: أن تحفظ الشيء فِي نفسك؛ والإيعاء: أن تحفظه فِي غيرك، ﴿أُذُنٌ واعِيَةٌ(١٢)﴾ من شأنها أن تحفظ مَا يجب حفظه، بتذكُّره وإشاعته والتفكُّر فِيهِ، والعمل بموجبه، كأنَّها وعاء لِمَا يُترَك فِيهَا.

﴿فإذا نُفِخ فِي الصور نفخةٌ وَاحِدَةٌ(١٣)﴾ لَمَّا بالغ فِي تهويل يوم القيامة، وذكر مَا للمكذِّبين بها، تفخيما لشأنها، وتنبيهًا عَلَى إمكانها، عاد

---

١ - قال الألوسيُّ: «وقرأ أبو رجاء وطلحة والجحدريُّ والحسن بخلاف عنه وعاصم فِي رواية أبان والنحويان وأبان: "ومَنْ قِبَلَهُ" بكسر القاف وفتح الباء»، وهي القراءة التي اعتمدها المُصَنِّف هنا لتفسير الآيَة. انظر: الألوسي: روح المعاني، ج٢٩/ ص٤٢. وَفِي ضبطنا اعتمدنا قراءة حفص عن عاصم.

٢ - الأصوب: «فعصت». كما هو عِندَ البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢١٧.

إِلَىٰ شرحها؛ والمُرَاد بها: النفخة الأولى التِي عندها خراب العالم. ﴿**وحُمِلَتِ الأَرْضُ والجبالُ**﴾ دُفِعت من أماكنها لمجرَّد القدرة الكاملة، أو بتوسُّط زلزلة، أو ريح عاصفة، ﴿**فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤)**﴾ فَضُرِبت الجملتان بعضها ببعض ضربة، فيَصير الكلُّ هباءً، ﴿**فيومئذ**﴾ فحينئذ، ﴿**وَقَعَتِ الواقعةُ(١٥)**﴾ قامت القيامة، لأَنَّ وقوع مَا عداها مجاز لاَ حقيقة، فصارت هِيَ عَلَى (لَعَلَّهُ) الحقيقة الواقعة.

﴿**وانشقَّتِ السَّمَاءُ**﴾ لنزول المَلاَئِكَة، ﴿**فهي يومئذٍ وَاهِيَةٌ(١٦)**﴾ ضعيفة مسترخية عمَّا خلقت لأجله. ﴿**والمَلَكُ**﴾ والجنس المتعارف بالمَلَك ﴿**عَلَى أرجائها**﴾ عَلَى جوانبها، ﴿**ويَحْمِلُ عرْشَ رَبِّكَ فوقَهم**﴾. ومن كُتب أصحابنا: «وَأَمَّا العرش فالقول فِيهِ كثيرٌ، وتسمية العرش: هُوَ السرير، وليس [المُرَاد][1] أنَّ ا لله يوصف أنَّه كائن عَلَى العرش، وأنَّ هَذِهِ المَلاَئِكَة يحملونه، وإنَّما هَذِهِ المَلاَئِكَة قد (لَعَلَّهُ) تعبَّدت ا لله بحمل ذَلِكَ العرش؛ وَا للهُ قبل العرش وقبل المَلاَئِكَة، فكما كَانَ فِي الأوَّل كذلك [٦٢٥] (لَعَلَّهُ) فِي آخر الأبد». ﴿**يومئذ ثمانيةٌ(١٧)**﴾ قيل: ثمانية أجزاء مِنَ المَلاَئِكَة كُلُّ جزء مثل الثقلين فوق المَلاَئِكَة الذين هم عَلَى الأرجاء، أو فوق الثمانية.

﴿**يومئذ تُعرَضون**﴾ بسببها للمحاسبة، ﴿**لاَ تَخْفَى منكم خَافِيَةٌ(١٨)**﴾ سريرة عَلَى ا لله حتَّى يكون الغرض الاطِّلاع عليها، وإنَّما المُرَاد مِنْهُ إفشاء الحال والمبالغة فِي العدل.

---

١ - من إضافتنا ليتمَّ المعنى وقد وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِـيَ كتابَـه بِيَمِينِهِ﴾ تـفصيلٌ للعـرض، ﴿فيقـولُ هـاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَـهْ(١٩)﴾ استبشارًا بِمَا فِيهِ، وشوقًـا إِلَيْـهِ. ﴿إِنِّي ظَنَـنتُ أَنِّـي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)﴾ أي علمت؛ عبَّر عَنْـهُ بالظنِّ إشعارًا بأنَّه لاَ يقدح فِي الاعتقاد مَا يهجس فِي النفس مِنَ الخطـرات لاَ تـنـفكُّ عنهـا العلـوم النظريَّة غالبًا. ﴿فهو فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ(٢١)﴾ ذات رِضَاءٍ[1]، وذلـك لكونهـا صافيـة عَن الشـوائب، دائمـة، مقرونـة بـالتعظيم، ﴿فِي جنـة عاليـة(٢٢)﴾ مرتـفعة المكان؛ أو الدرجات؛ أو الأبنية والأشجار؛ أو علوَّ شرف. ﴿قُطُوفُها﴾ هُوَ مَا يُجتنَى، ﴿دَانِيَةٌ(٢٣)﴾ يتناولها القاعد. ﴿كُلُوا واشرَبُوا هنيئًا﴾ صاف بلا كدر، ﴿بِمَا أسلفتم﴾ بِمَا قدَّمتم مِـنَ الأعمـال الصالحـة، ﴿فِي الأَيَّـامِ الخَالِيَةِ(٢٤)﴾ الماضية من أيَّام الدُّنْـيَا.

﴿وَأَمَّا مَن أوتِيَ كتابَهُ بشِمَالِهِ فيقولُ﴾ لِمَا يرى مـن قبـح العمـل، وسـوء العاقبة: ﴿يا ليْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(٢٥)﴾ لأَنَّهُ وجد بِهِ مَا يسـوءه. ﴿ولَم أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦) يا لَيْتَهَا﴾ يا ليت الموتة التِي متُّها. ﴿كَانَت القاضِيَةَ(٢٧)﴾ القاطعة لأمري، فلم أبعث بعدها. ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨)﴾ مـالي، لأَنَّهُ لم يستعمله فيمـا يغنيـه الغنى الحقيقيَّ. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِـيَهْ(٢٩)﴾ ملكـي وتسلُّطي عَلَى الناس؛ أو حجَّتِي التِي أحتجُّ بها فِي الدُّنْـيَا.

---

١ - «ورَضِيتُ عنك وعليك رِضًى، مقصورٌ: مصدرٌ محضٌ، والاسمُ: الرِّضـاءُ، ممدود عـن الأخفش». انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٢/ ص١١٧٨، مَادَّة «رضي».

﴿خُذُوهُ﴾ يقول الله تعالى لخزنة النار ﴿فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الجحيمَ صَلُّوهُ(٣١)﴾ ثمَّ لاَ تصلوه إِلاَّ الجحيم، وهي النار العظمى، لأَنَّهُ [كان] يتعظَّم عَلَى الناس. ﴿ثُمَّ فِي سلسلةٍ ذَرْعُها سبعون ذراعًا﴾ (لَعَلَّهُ) ولعلَّ ذكر الطول عَلَى قدر عظم جثَّته، لتعاظم العذاب عليه، ﴿فاسلُكُوهُ(٣٢)﴾ فأدخِلوه فِيهَا، بِأَنْ يلقوها عَلَى جسده، وَهُوَ فيما بَيْنَهُم لاَ يقدر عَلَى الفرار؛ قيل: تدخل من دبره وتخرج من فِيهِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ با لله العظيمِ(٣٣)﴾ إيمانا يدفع عَنْهُ ذَلِكَ العذاب. ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طعامِ المِسكِينِ(٣٤)﴾ وَلاَ يَحثُّ عَلَى بذل طعامه، أو عَلَى إطعامه فضلا أن يبذل من ماله. ﴿فليس لَهُ اليومَ هاهُنَا حَمِيمٌ(٣٥)﴾ قريب يحميه. ﴿وَلاَ طعامٌ إِلاَّ مِن غِسْلِينٍ(٣٦)﴾ قيل: غسالة أهل النار وصديدهم. ﴿لاَ يأكُلُهُ إِلاَّ الخاطِئُونَ(٣٧)﴾ أصحاب الخطايا، من خطئ الرجل: إِذَا تعمَّد الذنب.

﴿فلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ(٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ(٣٩)﴾ بالمشاهدات والمغيبات؛ وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها. ﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ القرآن، ﴿لَقَوْلُ رسولٍ﴾ ينقله عَن ا لله، [٦٢٦] ﴿كريمٍ(٤٠)﴾ عَلَى ا لله وَهُوَ محمَّد، أو جبريل عليهما السلام. ﴿وَمَا هُوَ بقولِ شاعِرٍ قليلا مَّا تؤمنُونَ(٤١)﴾ تصدِّقون. ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كاهِنٍ﴾ كما تدَّعون، ﴿قليلا مَّا تَذَكَّرُونَ(٤٢)﴾ من عدم[1] الإيمان، أو ضعفه. ﴿تنزيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ(٤٣)﴾.

---

١ - الصواب: «لعدم».

﴿**ولو تقوَّل علينا**﴾ تخرَّص، واختلق محمَّد ﴿**بعضَ الأقاويلِ(٤٤)**﴾ سمَّى الافتراء تقوُّلاً، لأَنَّهُ قول متكلَّف، والأقوال المفتراة: أقاويل، تحقيرًا لها. ﴿**لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمِينِ(٤٥)**﴾ أي لأخذناه بالقوَّة. ﴿**ثم لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ(٤٦)**﴾ أي نياط قلبه بضرب عنقه؛ وَهُوَ تصوير لإهلاكه بأفظع مَا يفعله الملوك (لَعَلَّهُ الملوك)[1] بمن يغضبون عليه؛ وقيل: اليمين بمعنى القوَّة. ﴿**فَمَا مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ**﴾ عَن القتل ﴿**حاجِزِينَ(٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ للمتَّقِينَ(٤٨)**﴾ لأَنَّهُم هُمُ المنتفعون بِهِ لاَ غير.

﴿**وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ منكم مُكَذِّبِينَ(٤٩)**﴾ فنجازيهم عَلَى تكذيبهم. ﴿**وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ(٥٠)**﴾ إِذَا رأوا ثواب المؤمنين. ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ(٥١)**﴾ لَلْيَقِينُ الذِي لاَ ريب فِيهِ. ﴿**فَسَبِّحْ باسمِ رَبِّكَ العظيمِ(٥٢)**﴾.



---

١ - ما بين قوسين من إضافة الناسخ، وَهُوَ الصواب.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سائل بعذابٍ واقِعٍ(١)﴾ أي: دعا داعٍ (لَعَلَّهُ) بعذاب واقع. ﴿للكَافِرِينَ﴾ كقوله: ﴿فأسْقِطْ علينا كسفا مِنَ السَّمَاءِ﴾[1] استهزاءً، أو الرسول ﷺ إمَّا فِي الدُّنْيَا، أو الآخِرَة، وَهُوَ عذاب النار للكَافِرِينَ، ﴿ليس لَهُ دافِعٌ(٢)﴾ يردُّه، أي: لذلك العذاب الذِي يقع بهم. ﴿مِنَ اللهِ ذي الْمَعَارِجِ(٣)﴾ ذي المصاعد، وهي الدرجات؛ أو مراتب المَلاَئِكَة؛ أو السَّمَاوَات، فإنَّ المَلاَئِكَة يعرجون فِيهَا؛ وقيل: ذي الفواضل والنعم؛ وقيل: المعارج: الأماكن المرتفعة، لقوله: ﴿وَمَعَارِجَ عليها يَظْهَرُونَ﴾[2].

﴿تعرُجُ المَلاَئِكَةُ والروحُ إِلَيْهِ فِي يومٍ كَانَ مقدارُه خمسين أَلْفَ سنةٍ(٤)﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج، وبُعد مداها عَلَى التمثيل والتخييل؛ والمعنى: أنَّها بحيث لو قدِّر قطعها فِي زمان لكَانَ فِي زمان يُقدَّر بِخمسين ألف سنة من سِنِي الدُّنْيَا؛ وقيل: معناه: تعرج المَلاَئِكَة إِلَى عرشه

---

١ - سورة الشعراء: ١٨٧.

٢ - سورة الزخرف: ٣٣.

فِي يوم كَانَ مقداره كمقدار خمسين ألف سنة؛ وقيل: المراد بِهِ [يوم] القيامة واستطالته، لشدَّته عَلَى الكفَّار؛ والروح: جبريل، وإفراده لفضله.

**﴿فاصْبِرْ صبرا جميلاً(٥)﴾** لاَ يشوبه استعجال واضطراب قلب. **﴿إنـَّهُمْ**[1] **يرونه﴾** الضمير للعذاب، أو يوم القيامة، **﴿بعيدًا(٦)﴾** مِنَ الإمكان. **﴿ونراه قريبًا(٧)﴾** مِنـْهُ، أو مِنَ الوقوع.

**﴿يومَ تكونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ(٨)﴾** المهل: المذاب فِي مهل كالفلزَّات، أو درديِّ الزيت. **﴿وتكون الجبال كالْعِهْنِ(٩)﴾** كالصوف المصبوغ ألوانـًا، لأَنَّ الجبال مختلفات الألوان، فإذا بُسَّت وطُيِّرت فِي الجوِّ شبهت العهن المنفوش إِذَا طيَّرته الريح.

**﴿وَلاَ يَسْأَلُ حميمٌ حميما(١٠)﴾** وَلاَ يسأل قريب[2] قريبـًا عَن حاله؛ وقرئ: وَلاَ يُسأل، ومعناه: لاَ يقال لَهُ: أين حميمك؟. **﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾** يدلُّ عَلَى أن المانع مِنَ السؤال هُوَ الشاغل [٦٢٧] دون الخفاء؛ أو مَا يغني عَنـْهُ من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده[3]. **﴿يَوَدُّ المجرم لو يَفْتَدِي من عذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ(١١) وصاحِبَتِهِ وأخيه(١٢)﴾** دلالة عَلَى اشتغال كُلِّ مجرم بنفسه، بحيث يتمنَّى أن يفتدي بأقرب الناس وأعلقهم بقلبه، فضلا أن

---

١ - فِي الأصل: «إنه»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأَصْلِ: «قريبا قريبا»؛ وَهُوَ خطأ.

٣ - فِي الأَصْلِ: «واسواده»، وقد يراد به: «واسوداده».

يهتمَّ بحاله ويسأل عنها، ولو افتدى بهم فِي الدُّنْـيَا لقبل مِنــهُ؛ ومعنـى ذَلِـكَ: جعلهم لله، وأقرضه إيَّاهم لوقت حاجته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته الذين فصل منها، ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ(١٣)﴾ تضمُّه فِي النسب، أو عند الشدائد والنوائب. ﴿ومَن فِي الأَرْضِ جميعا﴾ مِنَ الثقلين مِنَ الخلائق لو يفتدي بهم جميعًا، ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ(١٤)﴾ ذَلِكَ (لَعَلَّهُ) الفداء من عذاب ا لله.

﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى(١٥) نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى(١٦)﴾ وَهُوَ اللهب الخالص؛ وقيل: عَلَم للنار منقول عَن اللظى بمعنى اللهب. ﴿تدعو﴾ تجذب ﴿مَنْ أدبر﴾ عَن الحقِّ ﴿وَتَوَلَّى(١٧)﴾ عَن الطاعة. ﴿وجَمَعَ فَأَوْعَى(١٨)﴾ وجمع المال فأوعاه، فجعله فِي وعاء، وأمسكه عَن أداء الواجبات.

﴿إِنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)﴾ شديد الحرص، قليل الصبر. ﴿إِذَا مسَّه الشرُّ﴾ الضرُّ ﴿جَزُوعًا(٢٠)﴾ يكثر الجزع. ﴿وإذا مسَّه الخيرُ مَنوعا(٢١)﴾ يبالغ فِي الإمساك؛ والأوصاف الثلاثة أحوال مقرَّرة[1]، أو محقَّقة، لأَنَّهَا طبائع جبل الإنسان عليها.

﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ(٢٢)﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعدُ مِنَ المطبوعين عَلَى الأحوال المذكورة قبلُ، لمضادَّة تلك الصفات لها من حيث إنَّها دالَّة عَلَى الاستغراق فِي طاعة الحقِّ، والإشفاق عَلَى الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف مِنَ العقوبة، وكسر الشهوة، وإيثار الآجِل عَلَى العاجل؛

---

١ - الأصوب: «مقدَّرة»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٢١.

وَهُم المنعمون فِي الدُّنْيَا بجنَّتي الشكر والصبر؛ أعني الذِينَ استثناهم ا لله من جملة الخلق، إن ابتلاهم ا لله بفتنة السرَّاء تنعَّموا بشكرها؛ وإن ابتلاهم بفتنة الضرَّاء تنعَّموا بالنظر فِي العاقبة، وتلذَّذوا بالصبر عَلَى ذَلِكَ؛ وَأَمَّا ضدُّهم فمعذَّبُونَ (لَعَلَّهُ) بالحالين، لأَنَّهُم إمَّا [فِي] سرَّاء يتوقَّعون زوالها، وَإمَّا فِي ضرَّاء لا يرجُونَ (لَعَلَّهُ) ثوابها؛ وتلك ناشئة مِنَ الانهماك فِي حبِّ العاجل، وقصور النظر عليها.

﴿**الذِينَ هم عَلَى صلاتهم دائمُونَ(٢٣)**﴾ لا يشغلهم عنها شاغل. ﴿**وَالذِينَ فِي أموالهم حقٌّ مَعْلُومٌ(٢٤) للسَّائِلِ**﴾ الذِي يسأل، ﴿**والمحرومِ(٢٥)**﴾ الذى لاَ يسأل، فيحسب غنيًّا فيُحْرَم. ﴿**وَالذِينَ يُصَدِّقون بيومِ الدِّينِ(٢٦)**﴾ تصديقا بأعمالهم، وَهُوَ أن يتعب نفسه، ويصرف ماله طمعا فِي المثوبة الأخرويَّة؛ ولذلك ذكر الدِّينَ. ﴿**وَالذِينَ هم مِّن عذابِ ربِّهم مُّشفِقُونَ(٢٧)**﴾ خائفون عَلَى أنفسهم مَعَ اجتهادهم من قبل. ﴿**إنَّ عذابَ ربِّهم غيرُ مأمُونٍ(٢٨)**﴾ اعتراض يَدُلُّ [عَلَى أَنَّهُ][1] لاَ ينبغى لأحد [٦٢٨] أن يأمن من عذاب ا لله، وإن بالغ فِي طاعته.

﴿**وَالذِينَ هم لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٢٩) إِلاَّ عَلَى أزواجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فأولئك هُمُ العَادُونَ(٣١) وَالذِينَ هم لأَمَانَاتِهِم وعَهْدِهِم رَاعُونَ(٣٢) وَالذِينَ هم**

١ - فِي الأَصْلِ: «اعراض يدل لا ننبغي». وصحَّحناه من البيضاويِّ: المصدر نفسه.

**بشَهَادَاتهم قَائِمُونَ(٣٣)** حافظون. ﴿**وَالذِينَ هم عَلَى صلاتهم يحافِظُونَ(٣٤)**﴾ فيراعون شرائطها، ويكملون فرائضها وسننها. ﴿**أولَئِكَ في جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ(٣٥)**﴾ بثواب الله.

﴿**فَمَالِ الذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ**﴾ حولك، ﴿**مُهْطِعِينَ(٣٦)**﴾ مسرعين. ﴿**عَنِ اليمِينِ وعن الشِّمَالِ عِزِينَ(٣٧)**﴾ فرقا شتىً، جمع عِزَةٍ، وأصلها عِزْوَةٌ مِنَ العَزْوِ[1]، وَكَأَنَّ كُلَّ فرقة تعتزي إِلىَ غير من تعتزي إِلَيْهِ الأخرى. كَانَ المشركون يحلقون حول رسول الله حلقًا حلقًا، ويستهزئون بكلامه.

﴿**أَيطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُم أن يُدْخَلَ جنَّةَ نَعِيمٍ(٣٨)**﴾ بلا إيمان وَلاَ عمل؛ وَهُوَ إنكار لقولهم: لو صحَّ مَا يقوله لنكوننَّ فِيهَا أفضل حظًّا مِنْهُم كما فِي الدُّنْيَا. ﴿**كلاَّ**﴾ ردع عَمَّا طمعوه، ﴿**إِنَّا خلقناهم مِمَّا يَعْلَمُونَ(٣٩)**﴾ تعليل لَهُ، والمعنى: إِنَّكُم مخلوقون من نطفة قذرة، لاَ تناسب عالم القدس؛ فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة، و لم يتخلَّق بالأخلاق الملكيَّة، لم يستعدَّ [لـ]ـدخولها؛ أو إِنَّكُم مخلوقون من أجل مَا تَعْلَمُونَ، وَهُوَ تكميل النفس بالعلم والعمل؛ فمن لم يستكملها لم يبوَّأ المنازل الكاملة لكمال[2] نسبه، لأنَّكم تَعْلَمُونَ [أَنَّكُم][3] خلقتم من أصل واحد؛ فلا يدخل أحدكم الجنَّة بنسبه، بَل بالطاعة.

---

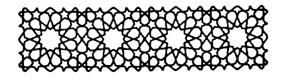
١ - انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ ص٧٧٠، مَادَّة «عزا».

٢ - فِي الأَصْلِ: «للكمال»، وَهُوَ خطأ.

٣ - من إضافتنا. وَفِي الأصل إحالة إِلى الحاشية و لم يُكتب فيها أيُّ شَيْء.

﴿فلا أُقْسِمُ بِـرَبِّ المشارق والمغاربِ﴾ مشارق الشمس ومغاربها في بروجها؛ أو مشارق الشمس والقمر والنجوم ومغاربهنَّ، ﴿إنـَّا لَقَادِرُونَ(٤٠) عَلَى أن نُّبَدِّلَ خيرا مِّنْهُم﴾ أي نهلكهم ونأتي بخلق مثلهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بمسبوقِينَ(٤١)﴾ بمغلوبين [في] مَا نريده. ﴿فَذَرْهُم يخوضوا﴾ في باطلهم، ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتَّى يُلاقوا يومَهُمُ الذِي يوعَدُونَ(٤٢)﴾ فَإِنَّهُ ليس لَهُم هَمٌّ وَلاَ عمل، إلاَّ الخوض واللعب حَتَّى الممات.

﴿يومَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجداثِ سِراعًا كأنـَّهم إلَى نُصُبٍ يوفِضُونَ، خاشِعَةً﴾ ذليلة خاضعة ﴿أبصارُهم تَرْهَقُهُم ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان، ﴿ذَلِكَ اليومُ الذِي كَانُوا يوعدون﴾ في الدُّنْيَا.





# سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّا أَرْسَلْنَا نوحًا إِلَى قومه أَنْ أَنذِرْ قومَكَ مِن قبلِ أن يأتيـهم عـذابٌ أليمٌ(١) قَالَ: يـا قـومِ إنـِّي لكـم نذيرٌ مُّبِينٌ(٢) أَن اعْـبُدُوا ا للهَ واتَّقُـوه وأطيعون(٣) يَغْفِرْ لكم مِّن ذُنوبكم ويؤخِّرْكُمْ إِلَى أجل مُّسَمًّى إنَّ أَجَلَ ا للهِ إِذَا جاءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا فِي أوقات الإمهال؛ ﴿لو كُنتُـم تَعْلَمُونَ(٤)﴾ لـو كُنتُـم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذَلِكَ.

﴿قَالَ: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَـيْلاً وَنَهـارًا(٥)﴾ أي: دائمـًا. ﴿فلم يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِـرَارًا(٦)﴾[٦٢٩] عن الإيمان والطاعة. ﴿وإنـِّي كُلَّمَا دَعَوْتُـهُمْ﴾ إِلَى الطاعة ﴿لِتَغْـفِرَ لَهُـم﴾ بسببها، ﴿جَعَلُـوا أصـابعَهم فِي آذانِهـم﴾ سدُّوا مسامعهم عَن استماع الدعـوة ﴿وَاسْتَغْـشَوْا ثِـيَابَهُمْ﴾ تغطَّوا بها لئلاَّ يروا آيات ا للهِ، فيعتبروا بها. ﴿وأصرُّوا﴾ أكَبُّوا عَلَى الكفـر والمعاصي؛ مستعار من أصرَّ الحمار عَلَى العانـة[1]: إذا صرَّ أذنيـه[2]، وأقبل

---

١ - «العانة: الأتـانُ، والقطيع من حُمُر الوحش. ج: عُون، بـالضمِّ». الفيروزآبـادي: القاموس، ص١٠٩٧، مَادَّة: «عون».

٢ - «صرَّ الفرسُ والحمار بأذُنه يَصُرُّ صَرًّا وصَرَّها وأَصَرَّ بها: سوَّاها للاستماع...». ابن منظور: لسان العرب، ج٣/ ص٤٢٩، مَادَّة «صرر».

عليها. ﴿**واستكبروا**﴾ عَن اتِّبَاعي ﴿**استكبارًا(٧)**﴾ عظيمًا. ﴿**ثم إنِّي دعوتهم جهَارًا(٨) ثُمَّ إنِّي أَعْلَنتُ لَهُم وأَسْرَرْتُ لَهُم إِسْرَارًا(٩)**﴾ أي: دعوتهم مرَّةً بعد أُخْرَى، وكرَّة بعد أولى، عَلَى أيِّ وجه أمكنني.

﴿**فقلتُ: اسْتَغْفِرُوا ربَّكم**﴾ بالتوبة عَن الكفر، ﴿**إنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠)**﴾ للتائبين. ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بأموالٍ وبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أنهارًا(١٢)**﴾ وعد لمن استقام عَلَى الطاعة بإمداد الرزق. ﴿**مَا لكم لاَ تَرجُونَ للهِ وَقَارًا(١٣)**﴾ لاَ تأملون لَهُ توقيرًا، أي: تعظيمًا لمن عبده وأطاعه، فتكونوا عَلَى حال تأملون فِيهِ تعظيمه إيَّاكُمْ. ﴿**وقد خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(١٤)**﴾ أي: تاراتٍ، إذ خلقكم أَوَّلاً عناصر، ثُمَّ مركَّبات تغذِّي الإنسان، ثُمَّ أخلاطا، ثُمَّ نطفا ثُمَّ علقا ثُمَّ مضغًا ثُمَّ عظاما ولحومًا، ثُمَّ أنشأهم خلقا آخر، فَإِنَّهُ يدلُّ عَلَى أَنَّهُ يمكن أن يعيدهم تارة أُخْرَى، فيعظمهم بالثواب؛ وعلى أَنَّهُ تعالى عظيم القدرة تامُّ الحكمة، ثُمَّ أتبع ذَلِكَ مَا يُؤَيِّدُه من آيات الآفاق، فقال:

﴿**أَلَمْ تروْا كيفَ خَلَقَ الله سَبْعَ سماوات طِبَاقًا(١٥) وَجَعَلَ القمرَ فِيهِنَّ نورًا وجَعَلَ الشمسَ سِرَاجًا(١٦) وَالله أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)**﴾ إنشاء منها، فاستعير الإنبات للإنشاء. ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيهَا وَيُخرِجُكُمْ إخراجًا(١٨) وَالله جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا(١٩) لِّتَسْلُكُوا منها سُبُلاً فِجَاجًا(٢٠)**﴾.

﴿**قَالَ نوحٌ: رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي واتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مالُهُ وولَدُهُ إلاَّ خَسارًا(٢١)**﴾ واتَّبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم، المغترِّين بأولادهم، بحيث صار ذَلِكَ سببا لزيادة خسارهم فِي الآخِرَة؛ وفيه أَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد أدَّت بهم إِلَى الخسار. ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا**

**كُبَّارًا(٢٢)﴾** كبيرا فِي الغاية؛ فإنَّه أبلغ من كُبَار[1]، وَهُوَ [أبلغ] من كبير، وذلك احتيالهم فِي الدين.

**﴿وَقَالُوا: لاَ تَذَرُنَّ آلهتَكم وَلاَ تَذَرُنَّ وُدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوق وَنَسْرًا(٢٣)﴾** وَلاَ تذرُنَّ[2] هؤلاء خصوصا، قيل: هِيَ أسماء رجال صالحين كَانُوا بين آدم ونوح؛ فَلَمَّا ماتوا صُوِّروا تبرُّكا بهم؛ فَلَمَّا طال الزمان عُبدوا، وقد انتقلت إِلىَ العرب، فكَانَ ودًّا لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج، ويعوق لمراد، ونسرا لِحِمير. **﴿وقد أضلُّوا كثيرا﴾** الضمير للرؤساء، أو للأصنام. **﴿وَلاَ تَزِدِ الظالمين [٦٣٠] إلاَّ ضلالا(٢٤)﴾**.

**﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾**[3] من أجل خطاياهم. **﴿أُغرقوا فَأُدْخِلُوا نارا فلم يجدوا لَهُم مِّن دونِ الله أنصارا(٢٥) وقال نوحٌ: رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْض مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(٢٦)﴾** أحدًا مِنْهُم (لَعَلَّهُ) يدور فِي الأَرْض. **﴿إِنَّك إن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا كَفَّارًا(٢٧)﴾** قَالَ ذَلِكَ لَمَّا جرَّبهم واستقرأ أحوالهم ألف سنة إِلاَّ خمسين عاما، فعرف طباعهم.

**﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾** المؤمنين، ولو إِلىَ آدم. **﴿وَلِمَن دَخَل بَيْتِي﴾** مِنَ المؤمنين، منزلي أو مسجدي أو سفينتي. **﴿مؤمنا وللمؤمنين والمؤمناتِ وَلاَ تَزِدِ الظالمين إِلاَّ تَبارًا(٢٨)﴾** هلاكا.

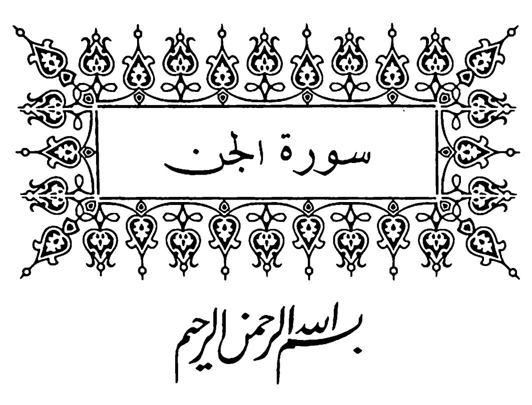
۞۞۞

---

١ - بِضَمِّ الكاف وتخفيف الباء، مثل: عُجاب، وقرأ بها: عيسى وابن محيصن وأبو السمال. انظر: الألوسي: روح المعاني، ج٢٩/ ص٧٦-٧٧.

٢ - فِي الأَصْلِ: «ولا تذورن»، وَهُوَ خطأ، وَرُبَّمَا يقصد: «ولا تذروا».

٣ - في الأصل: «خطاياهم» وهو خطأ من الناسخ.



# سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل: أُوحِيَ إِلَيَّ أنَّه استَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ﴾ قيل: الجنُّ أجسام عاقلة خفيَّة تغلب عَلَيْهِمُ الناريَّة والهوائيَّة؛ وقيل: نوع مِنَ الأرواح المجرَّدة؛ وقيل: نفوس بشريَّة مفارقة عَن أبدانها؛ وفيه دلالة عَلَى أنَّه عليه السلام مَا رآهم، ولم يقرأ عَلَيْهِم، وإنَّما ارتفق حضورهم فِي بعض الأوقات قراءته فسمعوها، وأخبر الله رسوله؛ ﴿فَقَالُوا: إِنَّا[1] سَمِعْنا قرآنا عَجَبًا(١)﴾ بديعا مباينا لكلام الناس فِي حسن نظمه، ودقَّة معناه. ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إِلَى الحَقِّ. ﴿فآمنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بربِّنَا أَحَدًا(٢)﴾ عَلَى مَا نطق بِهِ الدلائل القاطعة عَلَى التوحيد.

﴿وأنَّه تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ كأنَّه قيل: صدَّقنا أَنَّهُ تعالى جدُّ رَبِّنَا، أي: ارتفعت عظمته، من جَدَّ فلان فِي عيني: إِذَا عظم؛ أو سلطانه؛ أو غناه؛ والمعنى: وصفه بالاستغناء عَن الصاحبة والولد لعظمته وسلطانه، أو لغناه، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صاحبةً وَلاَ ولدا(٣)﴾ بيان لذلك، أي: صِدْقُ

---

١ - في الأصل - «إنَّا» وهو سهو.

ربوبيـتّه[1]، كأنـّهم سمعوا مِنَ القرآن مَا نبـّهم عَلَى خطإ مَا اعتـقدوه مِـنَ الشرك، واتـّخاذ الصاحبة والولد.

﴿وأنّه كَـانَ يقـول: سَفِيـهُنا﴾[2] جاهلنـا، وَهُـوَ إبليس ومـردة الجـنّ، ﴿عَلَى ا لله شَطَطًا(٤)﴾ قولا ذا شطط، وَهُوَ البعـد، ومجـاوزة الحـدّ. ﴿وأنـّا ظَنَنّا﴾ حسبنا ﴿أن لن تَقُولَ الإنسُ والجـنُّ عَلَى ا لله كذبـا(٥)﴾ اعتـذارا عَن اتـّباعهم للسفيه فِي ذَلِكَ لظنّهم أنَّ أحدا لاَ يكذب عَلَى ا لله؛ وعلى معنـى مَا أوَّله فِي هَذِهِ الآية كأنـّهم يلتمسون العلم مِنَ الإنس والجنّ عَلَـى مَـا مضـى فِي سورة الأحقاف[3].

﴿وأنّه كَانَ رجالٌ مِنَ الإنسِ يعوذون برجالٍ مِّنَ الجنِّ﴾ قيل: كَانَ الرجل يقول: أعوذ بسيِّد هَذَا الوادي من شرّ سفهاء قومـه، ﴿فزادوهـم﴾ فـزاد الإنـس (لَعَلَّهُ) والجنَّ باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا(٦)﴾ كِبرا وعتوًّا؛ أو فزاد الجنُّ الإنسَ غيـًّا بأن أضلُّوهم، حَتَّى استعاذوا بهم؛ والرهق فِي الشيء: غشيان الشيء. ﴿وأنـّهم﴾ وأنَّ الإنس ﴿ظنُّوا كما ظَنَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الجـنُّ، أو بـالعكس ﴿أن لَّن يَبْعَثَ ا للهُ أحدا(٧)﴾ [٦٣١] كأنـّهم فِي الظنّ غير الجائز مشتركون بدليل الآية.

---

١ - فِي العبارة سقط. فَفِي تفسير البيضاويّ: «وقرئ: "جدًّا" عَلَى التمييز. و"جدُّ رَبِّنَا" أي: صِدْقُ ربوبيتّه»، البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٢٤. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص٤٣.

٢ - كتب الناسخ فِي الحاشية عبارة: «عدونـا حين وصفوه بالصاحبة والولـد» و لم يُحِلْ إليها، و لم يَتـَّضِح لنا معناها ولا مكانها فِي المتن.

٣ - انظر تفسير الآيَة ٢٩ من سورة الأحقاف، ج٤/ ص ١٤٧.

﴿**وأنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ**﴾ طلبنا بلوغ السَّمَاء، أو خبرها، ﴿**فوجدناها مُلِئَتْ حَرَسا شديدا**﴾ قويـًّا، وَهُم المَلاَئِكَة الذِينَ يمنعونهم عنها، ﴿**وشُهُبا(٨)**﴾ جمع شهاب: وَهُوَ المضيء المتولِّد مِنَ النار. ﴿**وأنَّا كُنَّا نقعُدُ منها مقاعد للسمع**﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب؛ أو صالحة للترصُّد والاستماع، ﴿**فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شهابا رَّصَدًا(٩)**﴾ أي: شهابا راصدا لَهُ. ﴿**وأنَّا لاَ ندري أشرٌّ أُرِيدَ بِمن فِي الأَرْض أم أَرَادَ بهم ربُّهم رَشَدًا(١٠)**﴾ لأَنَّهُم لاَ يَعْلَمُونَ من أحكام المغيبات شَيْئًا.

﴿**وأنَّا مِنَّا الصالحون ومنَّا دونَ ذَلِكَ كُنَّا طرائقَ قِدَدا(١١)**﴾ متفرِّقة مختلفة جمع قِدَّة[1]، من قَدَّ إذا قطع.

﴿**وأنَّا ظَنَنَّا**﴾ علمنا ﴿**أن لَّن نُّعْجزَ الله فِي الأَرْض**﴾ أينما كُنَّا فِيهَا، ﴿**ولن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا(١٢)**﴾ إن أَرَادَ بنا أمرا، ولن نعجزه هربا إن طلبنا.

﴿**وأنَّا لَمَّا سمعنا الهُدَى**﴾ أي: القرآن، ﴿**آمنَّا بِهِ**﴾ فهذا يدلُّ عَلَى إيمانهم بِهِ، وَهُم المستمعون لَهُ. ﴿**فمن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فلا يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا(١٣)**﴾ نقصا فِي الجزاء وَلاَ أن ترهقه ذلَّة.

﴿**وأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ ومنَّا القاسطون**﴾ الجائرون عَن طريق الحَقِّ، وَهُوَ الإيمان والطاعة، ﴿**فَمَنْ أَسْلَمَ فأولئك تَحَرَّوْا رَشَدًا(١٤)**﴾ توخَّوا

---

١ - «والقِدَّةُ: القطعة من الشَّيْء. والقِدَّة: الفرقة والطريقة من النَّاس مشتقٌّ من ذَلِكَ إذا كان هوَى كُلِّ واحدٍ عَلَى حدة». ابن منظور: لسان العرب، ج٥/ ص٢٨، مَادَّة «قدد».

رشدا عظيما يبلغهم إِلَى دار الثواب. **﴿وأما القاسطون فكَانُوا لِجهنم حَطَبا(١٥)﴾** توقد بهم، كما توقد بكفَّار الإنس.

**﴿وَأَلَّو اسْتَقَاموا﴾** أي: وأنَّ الشأن لو استقام الإنس، أو الجنُّ، أو كلاهما **﴿عَلَى الطريقة﴾** المثلى، **﴿لأَسْقَيْناهُم مَّاءً غَدَقًا(١٦)﴾** لوسَّعنا عَلَيْهِمُ الرزق، وتخصيص الماء الغدق ـ وَهُوَ الكثير ـ بالذكر لأَنَّهُ أصل المعاش والسعة؛ وكأنَّ الآية تدلُّ عَلَى أنَّ الجنَّ أهل حرث إن كَانَت الآية فِي سياق ذكرهم. **﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾** لنختبرهم كيف يشكرونه، **﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذكر رَبِّهِ﴾** عَن عبادته، أو موعظته، أو وحيه، **﴿يَسْلُكْهُ﴾** يُدخله **﴿عذابا صَعَدًا(١٧)﴾** شاقًّا يعلو المعذَّب ويغلبه، وَلَعلَّهُ أردا بِهِ عذاب الدُّنْيَا والآخِرَة.

**﴿وأنَّ المساجدَ لله﴾** مُختصَّة به، **﴿فلا تدعو مَعَ ا لله أحدا(١٨)﴾** قيل: هِيَ مواضع السجود؛ والمراد بِهِ: النهي عَن السجود لغير ا لله. **﴿وأنَّه لَمَّا قام عبدُ ا للهِ﴾** قيل: هُوَ النبيُّ، وَإِنَّمَا ذَكَر لفظ العبد لإخلاصه لله، **﴿يدعوه﴾** يعبده، **﴿كادوا﴾** كادَ الجنُّ **﴿يكونون عليه لِبَدا(١٩)﴾** متراكمين من ازدحامهم عليه، ليكسروا عليه سَورَة عبادته، ويَجرُّوه إِلَيْهِم، وليشوِّشوا عليه عبادته بالوساوس الرديئة؛ أو كاد الإنس والجنُّ يكونون عليه مُجتمعين لإبطال أمره، وَهُوَ جمع لبدة، وَهُوَ مَا يلبد بعضه عَلَى بعض.

**﴿قل: إنَّما أدعو رَبِّي وَلاَ أشرك بِهِ أحدا(٢٠)﴾** أمره بالإقبال عَلَى شأنه، [٦٣٢] والإعراض عَن متابعة وساوسهم. **﴿قل: إنِّي لاَ أملِكُ لكم ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا(٢١)﴾** وَلاَ نفعا. **﴿قُلْ: إنِّي لَنْ يُجيرَنِي مِنَ ا للهِ أحدٌ﴾** إن

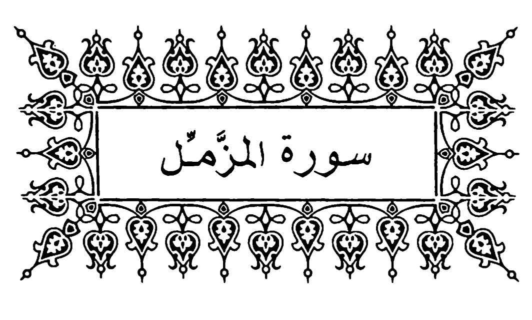
اتَّبعتكم وخالفت أمره، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَدًا(٢٢)﴾ مُلتجأً أميل إِلَيْهِ، ومعنى اِلْتَحَدَ: أي مال، ﴿إِلاَّ بلاغا مِنَ ا لله ورسالاته﴾ أي: لاَ أملك إلاَّ تبليغكم، ﴿ومَن يَعْصِ ا لله ورسوله﴾ فِي الأمر بالتوحيد، ﴿فإِنَّ لَهُ نار جَهَنَّم خالدين فِيهَا أبدا(٢٣) حتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ وَهُوَ الموت ﴿فسيعلمون مَنْ أَضْعَفُ ناصِرًا وَأَقَلُّ عددا(٢٤)﴾.

﴿قل: إِنْ أَدْرِي﴾ أي: مَا أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا توعَدون أم يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا(٢٥) عَالِمُ الغيبِ فلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحدا(٢٦)﴾ مِنَ العاصين[1]، ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى من رَّسُولٍ﴾ والمعنى أنَّ ا لله لاَ يُطلع عَلَى أسرار المكوَّنات إلاَّ من أطاعه، ﴿فإنَّه يَسْلُكُ مِن بين يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧)﴾ حفظة مِنَ المَلاَئِكَة يحفظونه مِنَ الشياطين، يطردونهم عَنْهُ، ويعصمونه من وساوسهم، حتَّى يبلِّغ مَا أوحي به إِلَيْهِ.

﴿ليعلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: ليعلم النبيُّ الموحى إِلَيْهِ أن قد أبلغ جبريلُ والمَلاَئِكَة النازلون بالوحي؛ أو ليعلم ا لله أن أَبلَغ الأنبياءُ، ﴿رسالاتِ ربِّهم﴾ كما هِيَ محروسة مِنَ التغيير، ﴿وأحاط بِمَا لديهم وأحصَى كُلَّ شيء عددا(٢٨)﴾ حتَّى القطر والرمل وورق الشجر.

۞۞۞

١ - تخصيص بغير دَلِيل، ويبدو أنَّ الصواب ـ وَا لله أعلم ـ ما ذهب إِلَيْهِ أبو السعود والألوسيُّ من تفسير لفظ "أَحَدًا" عَلَى عمومه. قال أبو السعود: «أي: فلا يطلع عَلَى غيبه إطلاعا كاملا ينكشف به جليَّة الحال انكشافا تَامًّا موجبا لعين اليقين أحدًا من خلقه». انظر: أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص٤٧. الألوسي: روح المعاني، ج٢٩/ ص٩٦.



# سورة المزَّمِّل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١)﴾ أصله المتزمِّل، من تزمَّل بثيابه: إِذَا تلفَّف بها، ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ أي: قم إِلىَ الصلاة، أو داوم عليها، ﴿إِلاَّ قليلاً(٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قليلا(٣) أو زِدْ عليه﴾...[1] ﴿ورتِّل القرآن ترتيلا(٤)﴾ قَالَ بيِّنه تبيينا؛ وفي الرواية عَن النبيِّ ﷺ: «كَانَ لاَ يجاوز الآيَـةَ فِي القرآن، [إِلاَّ] ويقف عليها»[2]. قَالَ أبو سعيد: إِنَّهُ رأى فيما يرى النائم أنَّ قائلا

---

١ - كلمة غير مفهومة رسمها «وسئل الو». وكتب الناسخ فوق كلمة "عَلَيْهِ" حرف "ع". ولم نتمكَّن من إتمام العبارة مِمَّا بين أيدينا من المصادر.

٢ - روى الترمذيُّ فِي كتاب القراءات، حديث رقم ٢٨٥١ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ، يَقُولُ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثُمَّ يَقِفُ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ، وَكَانَ يَقْرَؤُهَا: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ... وَهَكَذَا رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأُمَوِيُّ وَغَيْرُهُ... عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ لأَنَّ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ... عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا وَصَفَتْ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ حَرْفًا حَرْفًا، وَحَدِيثُ اللَّيْثِ أَصَحُّ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: «وَكَانَ يَقْرَأُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾». العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «يقف».

يقول لَهُ: إِذَا قرأت فلا تجاوز الآيـة؛ وقـال: «مـرَّت عائشـة أمُّ المؤمنـين عَلَـى قارئ يقرأ، وَهُوَ يسرع فِي قراءته، فقالت: لاَ قرأ وَلاَ ترك» انتهى. والمقصـود مِنَ القراءة: التدبُّر.

﴿إِنَّا سَنُلقِي عليك قولا ثـقيلا(٥)﴾ يعنـى القـرآن، فَإِنـَّهُ لِمَـا فِيـهِ مِـنَ التكاليف الشاقَّة ثقيل عَلَى المكلَّفين، سيما عَلَى الرسول، إذ كَانَ الـﷺ أُمـر أن يتحمَّلها ويحمِّـلها أمَّته؛ أو أَرَادَ بهذا الاعتـِراض مَا كلَّفه مِنَ القيام بالليل من جملة التكاليف الثقيلة، من حيث إنَّ اللَّيْـل وقت الراحة والهدوء، فـلا بـدَّ لمن اختاره من مُجاهدة لنفسه؛ وقيل: قولا ثقيلاً فِي الميزان، أو رصيـن لرزانـة لفظه، وكثرة معانيه، أو ثقيل عَلَى المتأمِّل فِيهِ، لافتقاره إِلَى مزيد تصفية للسـرِّ، وتجريد للنظر، أو ثقيل عَلَى الكفار والفجـَّار.

﴿إِنَّ ناشئةَ اللَّيْـلِ﴾ إنَّ النفس الَتِي تنشأ من مضجعها إِلَى العبادة، من نشـأ من مكانه: إِذَا نهض؛ أو قيام اللَّيْـل عَلَى أنَّ الناشـئة لَـهُ؛ أو العبـادة الَتِـي تنشـأ [٦٣٣] بالليل، أي: تحدث؛ قَالَ أبو سعيد: «إنَّ الناشئة: كلُّ صلاة بعد النوم بعد العشاء الآخِرَة». ﴿هِيَ أشدُّ وَطْأً﴾ أي: كلفة؛ أو ثبات قدم؛ وقرئ: وِطَاءً، مـن مواطأة القلب اللسان لها، أو فِيهَا، أو مواقعة لِمَا يراد مِـنَ الخضـوع والإخـلاص، ﴿وأقومُ قِيلاً(٦)﴾ وأشدُّ مقالا، أو أثبت قراءة بحضور القلب.

﴿إِنَّ لك فِي النَّهَارِ سَبْحًا طويلا(٧)﴾ تـقلُّبا فِي مهامِّكَ بهـا[1]، فعليـك بالتهجُّد، فإنَّ مناجاة الحقِّ تستدعي فراغـا؛ وقـرئ: «سـبخا»[2] أي: تـفرُّقَ

---

١ - فِي تفسير البيضاويِّ: «فِي مهمَّاتك واشتغالك بها»، ويبدو أَنـَّهُ الصواب. ج٤/ ص٢٢٧.

٢ - قال الزمخشريُّ: « وَأَمـَّا القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف، وَهُـوَ نفشـه ونشـر

قلبٍ بالشواغل. ﴿**واذكر اسمَ رَبِّكَ**﴾ وَدُم عَلَى ذكره ليلاً ونهارًا؛ وذكر الله يتناول كُلَّ مَا يذكره، من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم، وَهُوَ يعمُّ جميع الطاعة. ﴿**وتَبتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً(٨)**﴾ وانقطع إِلَيْهِ بالعبادة وجرِّد نفسك عَمَّا سواه.

﴿**رَبُّ المشرق والمغرب لاَ إله إِلاَّ هُوَ فاتَّخِذْهُ وكيلا(٩)**﴾ مسبّب عَن التهليل، فإن توحُّده بالألوهيَّة يقتضي أن توكل إِلَيْهِ الأمور. ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يقولون**﴾ مِنَ الهذيان. ﴿**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جميلاً(١٠)**﴾ بأن تجانبهم وتُداريهم وَلاَ تكافئهم، وَكِلْ أمرهم إِلَى الله، كما قَالَ: ﴿**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ**﴾ (لَعَلَّهُ) دعني وإيَّاهم وكل [إِليَّ][1] أمرهم. ﴿**أولي النَّعْمَةِ**﴾ أرباب التنعُّم. ﴿**وَمَهِّلْهُمْ قليلا(١١)**﴾ زمانًا، أو إمهالاً.

﴿**إنَّ لدينا أنكَالاً**﴾ تعليل للأمر؛ والنكل: القيد الثقيل. ﴿**وجحيما(١٢)**﴾ قيل: إنَّ الجحيم النار الشديدة التَّأجُّج. ﴿**وطعاما ذا غُصَّة**﴾ طعامًا ينشب فِي الحلق كالضريع، والزقُّوم، غير سائغة تأخذ بالحلق، لا هو نازل، ولا هو خارج، وهو الغسلين والزقُّوم والضريع[2]. ﴿**وعذابا أليما(١٣)**﴾ ونوعًا آخر مِنَ العذاب مؤلِمًا، لاَ يعرف كنهه إِلاَّ الله؛ وَلَمَّا كَانَت العقوبات الأربع مِمَّا

---

أجزائه». الزمخشري: الكشَّاف، ٤/٥١١.

١ - إضافة من البيضاويّ: المصدر نفسه.

٢ - كذا فِي الأصل، وَهُوَ تكرار.

تشترك فِيهَا الأشباح والأرواح، فإنَّ النفوس العامية[1] المنهمكة فِي الشهوات تبقى مقيَّدة بحبِّها والتعلُّق بها عَن التخلُّص إِلَىَ عالم المجرَّدات، متجرِّعة غصَّة الهجران، معذَّبة بالحرمان عَن تجلِّي أنوار القدس. ﴿يومَ تَرْجُفُ الأَرْض والجبال﴾ تضطرب وتتزلزل. ﴿وكانت الجبال كثيبا﴾ رملاً مجتمعًا. ﴿مَّهِيلاً(١٤)﴾ منثورًا؛ من هيل هيلاً: إذا نثر.

﴿إنَّا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم﴾ يشهد لكم وعليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع. ﴿كما أرسلنا إِلَىَ فرعونَ رسولا(١٥) فَعَصَى فرعونُ الرَّسُولَ فأخذناه أَخْذًا وَبِيلاً(١٦)﴾ ثقيلاً، من قولهم: طعام وبيل لاَ يستمرأ لثقله، ومنه الوابل للمطر العظيم. ﴿فكيف تتَّقون﴾ أي: فكيف تتَّقون العذاب فِي الآخِرَة إن كفرتم بِهِ فِي الدُّنْيَا أنفسكم، ﴿إن كَفَرْتُمْ﴾ بقيتم على الكفر، ﴿يوما﴾ عذاب يوم، ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا(١٧)﴾ من شدَّة هوله؛ وهذا عَلَى التمثيل، وأصله أنَّ الهموم تُضعف القوى [٦٣٤] وتسرع بالشيب والهرم. ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ﴾ منشقٌّ ﴿بِهِ﴾ بشدَّة ذَلِكَ اليوم عَلَى عظمها وأحكامها، فضلاً عَن أيَّام العذاب، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مفعولا(١٨)﴾.

﴿إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ عظة، ﴿فمن شاء﴾ أن يتَّعظ، ﴿اتَّخَذَ إِلَى ربِّه سبيلا(١٩) إنَّ رَبَّكَ يعلم أَنَّكَ تقوم أدنى من ثُلُثَي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ، وطائفةٌ مِّنَ الذينَ معك﴾ ويقوم ذَلِكَ جماعة من أصحابك. ﴿وا لله يُقدِّر اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لاَ يعلم مقادير ساعاتهما كما هِيَ إِلاَّ ا لله؛ ومعناه:

---

١ - عند البيضاويِّ: «العاصية». المصدر نفسه.

لاَ يفوته علم مـا تفعلـون، **﴿عَلِـمَ أَن لَّـن تُحْصُـوهُ﴾** أي: لـن تحصـوا تقديـر الأوقات، ولن تستطيعوا ضبط السـاعات، **﴿فـتاب عليكـم﴾** بالـترخيص فِي ترك القيام المقدَّر؛ **﴿فاقرءوا مَا تيسَّـر مِـنَ القـرآن﴾** قيـل: فصلُّـوا مَـا تيسَّـر عَلَيْكُم من صلاة اللَّيْـل؛ عبَّر عَـن الصـلاة بـالقراءة كمـا عبـَّر عنهـا بسـائر أركانها. قيل: كَانَ التهجُّد واجبًا عَلَى التخيير المذكور، فَعَسُرَ عليهم القيام بِهِ، فنسخ بِهِ، ثُمَّ نسخ هَذَا بالصلوات الخمس. وعن أبي سعيد: «وعن قولـه: ﴿فاقرءوا مَا تيسَّر مِـنَ القـرآن﴾ فقـد قيـل: ذَلِـكَ قـراءة القـرآن عنـد فاتحـة الكتاب فِي الصلوات المفروضة؛ وقيـل: ذَلِـكَ فِي النوافـل، وَالأَوَّل أحـبُّ إِلَيَّ، وَا لله أعلم بتأويل كتابه».

**﴿عَلِمَ أن سَيَكُونُ منكم مَّرْضَى وآخرون يضربون فِي الأَرْض يَبْـتَغُونَ من فضل ا لله﴾** من تحصيل علم أو تجارة، **﴿وآخرون يقاتلون فِي سبيل ا لله فاقرءوا مَا تيسَّر مِنْـهُ﴾** قيل: مَا تيسَّر لكم عند قراءته، [مع] خشـوع القلـب وصفاء السرِّ، **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاةَ وأَقْرِضُوا ا لله قَرْضًـا حَسَـنًا﴾** من بذل مال، أو جسم، أو غريزة عقل؛ ويعمُّ ذَلِكَ جميع مَا يكون طاعة لله، ولو فِي دفع الوساوس الشيطانيَّـة والاشـتغال عنها بذكر ا لله، **﴿وَمَا تـُـقَدِّمُوا لأنفسكم مِّنْ خـيرٍ تجـدوه عنـد ا لله هُـوَ خـيرًا﴾** مـن ذَلِـكَ الـذِي قدَّمتمـوه **﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾** مِمَّا تـتَّبِعُـون بِهِ شهوات الأنفس، فإِنَّ ذَلِكَ قليل لاَ جدوى لَـهُ؛ **﴿واسـتغـفروا ا لله﴾** فِي مجـامع أحوالكـم، فـإِنَّ الإنسـان لاَ يخلـو مـن تـفريط، **﴿إِنَّ ا لله غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢٠)﴾** لمن تاب.

❁❁❁



# سورة المدَّثِّر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)﴾ أي: المتدثِّر، وَهُوَ لابس الدثار. [قال أبو سعيد: «سمعت أَنَّهُ (لَعَلَّهُ) مِمَّا قيل: إنَّه أوَّل مَا أرسل ا لله بِهِ (لَعَلَّهُ) نبيَّنا ﷺ، وأمره بالرسالة قوله: ﴿يا أيُّها المدَّثِّر قم فأنذر﴾. قلتُ له: فالمدَّثِّر ما هو؟ قَالَ: معنى أَنَّهُ النائم، قلت له: فقوله تعالى: ﴿وثيابك فطهِّر﴾ أكَانَت[1] ثيابه نجسة؟ قال: معي أَنَّهُ قد (لَعَلَّهُ) قيل: قلبَكَ فطهِّرْ، والثياب هاهنا القلب. وقيل: فالرجز مَا هُوَ؟ (لَعَلَّهُ) قَالَ: مضى معي أنَّه الشرك، أي: اهجر الشرك. وا لله أعلم بتأويل كتابه][2].

﴿قُمْ﴾ من مضجعك، أو قم قيام عزم وجدّ، ﴿فَأَنذِرْ(٢)﴾ مطلق للتعميم، ﴿وربَّكَ فَكَبِّرْ(٣)﴾ واخصص رَبَّكَ بالتكبير؛ وَهُوَ وصفه بالكبرياء عقدًا وقولاً؛ والمقصود من الأمر بالقيام أن يُكبِّر ربَّه عَن الشرك والتشبيه؛ فإنَّ أوَّلَ مَا يجبُ: معرفةُ الصانع، وَأَوَّل مَا يجب بعد العلم بوجودِه: تنزيهُه.

---

١ - في الأصل: «كان».

٢ - العبارة التي بين معقوفين كتبت فِي الحاشية، ولم يُحل إِلَيْهَا فِي المتن وأثبتناها فِي سياقها.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)﴾ مِنَ النجاسات، فـإنَّ التطهـير واجـب فِي الصـلاة، محبوب فِي غيرها، وذلك بغسلها أو بحفظها عَن النجاسة، وَهُوَ أوَّل مَا أُمـر بـهِ من رفض العادات المذمومة؛ أو طهِّـر نفسك مِنَ الأخلاق الذميمـة، والأفعـال الدنيئة، فيكون أمـرا باستكمال القـوَّة العمليـَّة، بعـد أمـره باستكمال القـوَّة النظريـَّة والدعاء إِلَيْـهِ؛ أو فطهِّر ديار النبوَّة عمـَّا يدنـِّسه مِنَ الحقـد والضجـر وقلـَّة الصبر، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)﴾ واهجر العذاب بالثبـات عَلَى هجـر مَـا يُؤدِّي إِلَيْـهِ مِنَ الشرك وغيره مِنَ القبائح.

﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ(٦)﴾ لاَ تعط متكثرًا، نهي عَن الاسـتغزار، وَهُـوَ أن يهب شيئًا طامعًا فِي عِـوَض أكـثر؛ أو لاَ تمنـن بعبـادتك عَلَـى ا لله مسـتكثرًا إيَّاهـا، أو عَلَى الناس بالتبليغ متكثـِّرًا بِهِ الأجر مِنْهُم، ﴿ولربـِّـك﴾ ولوجهـه أو أمره ﴿فاصبر(٧)﴾ فاسـتعمل الصـبر؛ أو فاصـبر عَلَـى مشـاقِّ التكـاليف، وأذى المشركين.

﴿فإذا نُقِرَ﴾ نُفخ ﴿فِي الناقور(٨)﴾ وَهُوَ القرن عَلَى مَا قيل؛ كأنـَّه قَالَ: اصبر عَلَـى زمـان صعـب تلقـى فِيـهِ عاقبـة صـبرك، وأعـداؤك عاقبـة ضرِّهـم، ﴿فذلك يومئذ يوم عسير(٩) عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فإنَّ معناه: عسـر الأمـر عَلَـى الْكَافِرِينَ؛ وذلك إشارة إِلَى وقت النـَّقر ﴿غير يسير(١٠)﴾.

﴿ذَرني ومَن خَلَقْـتُ وحيـدا(١١)﴾ فريـدًا لاَ مـال لَـهُ وَلاَ ولـد، ﴿وجعلت لَهُ مالا مَّمْدُودًا(١٢)﴾ مبسوطًا كثيرًا، أو مُمدًّا بالنماء، ﴿وبنـين شهودا(١٣)﴾ حضورًا معه يتمتـَّع بلقائهم فِي المحافل لوَجَـاهتهم واعتبـارهم،

﴿**ومهَّدت لَهُ تَمهيدا(١٤)**﴾ أو بسطت لَهُ الرئاسة والجاه العريض؛ وقيل: الوحيد باستحقاق الرئاسة والتقدُّم، ﴿**ثُمَّ يطمع أن أزيد(١٥)**﴾ عَلَى مَا أوتيته، وَهُوَ استبعاد لطمعه، كما قَالَ: ﴿**كَلاَّ**﴾ (لَعَلَّهُ) قطع الرجاء عمَّا كَانَ يطمع فِيهِ، ﴿**إِنَّهُ كَانَ لآياتنا عنيدا(١٦)**﴾ فإنَّه ردع لَهُ عَن الطمع وتعليل للردع عَلَى سبيل الاستئناف بمعاندة آيات ا لله المنعم، المناسبة لإزالة النعمة، المانعة عَن الزيادة، ﴿**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(١٧)**﴾ سأغشيه عقبة شاقَّة المصعد، وَهُوَ مثلٌ لِمَا يلقى مِنَ الشَّدائِد. وفي موضع: سأكلِّفه مشقَّة مِنَ العذاب لاَ راحة لَهُ فِيهَا، وقيل: الصَّعُودُ: جبلٌ من نار يتصعَّده حريقًا، ثُمَّ يهوي فِيهِ كذلك أبدًا، يكلَّف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت.

﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(١٨)**﴾ تعليل للوعيد، أو بيان للعناد؛ والمعنى: فكَّر فيما يُخيِّل طعنا فِي القرآن، وقدَّر فِي نفسه مَا يقول فِيهِ، ﴿**فقُتِل كيف قَدَّرَ(١٩)**﴾ تعجُّب من تقديره استهزاء بِهِ، ﴿**ثم قُتل كيف قدَّر(٢٠)**﴾ تكرير للمبالغة ﴿**ثُمَّ نَظَرَ(٢١)**﴾ قيل: فِي أمر القرآن مرَّة بعد أُخْرَى، ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(٢٢)**﴾ قطَّب وجهه لَمَّا لم يجد فِيهِ طعنًا، و لم يدر مَا يقول، ﴿**ثُمَّ أَدْبَرَ**﴾ عَن الحَقِّ، ﴿**واستكبر(٢٣)**﴾ عَن اتِّبَاعه، ﴿**فقال: إِنْ هَذَا إِلاَّ سحرٌ يُؤْثَرُ(٢٤)**﴾ يُروَى ويُتعلَّم، ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ(٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ(٢٨)**﴾ لاَ تُبقى عَلَى شيء يلقى فِيهَا وَلاَ تدعه حتَّى يهلك، لأَنَّ طبعها الإذهاب لِمَا يلقى فِيهَا، إلاَّ من أدخل للتعذيب، فإنَّه مخلَّد فِيهَا، ﴿**لوَّاحة للبشر(٢٩) عليها تسعَةَ عشَرَ(٣٠)**﴾ ملكا، أو صنفًا مِنَ المَلاَئِكَة يَلُون أمرها. [٦٣٦]

﴿وَمَا جعلنا أصحاب النار إِلاَّ مَلاَئِكَةً﴾ ليخالفوا جنس المعذَّبين، فلا يرقُّوا لَهُم، وَلاَ يستروحون إِلَيْهِم؛ ولأنَّهم أقوى الخلق بأسًا وأشدُّهم غضبًا لله، ﴿وَمَا جعلنا عِدَّتَهم إِلاَّ فتنةً للذين كَفَرُوا﴾ وَمَا جعلنا عددهم إِلاَّ العدد الذِي اقتضى فتنتهم، وَهُوَ التسعة عشر، فعبَّر بالأثر[1] عَن المؤثِّر تنبيها عَلَى أنَّه لاَ ينفكُّ مِنْهُ؛ وافتتانهم بِهِ: استقلالهم لَهُ، واستهزاؤهم بِهِ، واستبعادهم أن يتولَّى هَذَا العدد القليل تعذيبَ أكثر الثَّقلين.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ الذِينَ أوتوا الكتابَ﴾ أي: ليكتسبوا اليقين بنبوَّة محمَّد ﷺ وصدق القرآن لَمَّا رأوا ذَلِكَ موافقًا لِمَا فِي كتابهم، ﴿وَيَزْدَادَ الذِينَ آمنوا إيمانا﴾ بالإيمان بِهِ، ﴿وَلاَ يرتابَ الذِينَ أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: فِي ذَلِكَ؛ وَهُوَ تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان، ونفي لِمَا يعرض لِلْمُتيقِّن حيثما عراه شبهة؛ ﴿وَلِيَقُولَ الذِينَ فِي قلوبهم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ أو نفاق، ﴿والْكَافِرُونَ: ماذا أَرَادَ ا للهُ بهذا مَثَلاً﴾ أيّ شيء أَرَادَ بهذا العدد المستغرب استغراب المثل، ﴿كذلك يُضلُّ ا للهُ من يَشَاء ويهدي من يَشَاء﴾ مثل ذَلِكَ المذكور مِنَ الإضلال والهدى يضلُّ الْكَافِرِينَ، ويهدي المؤمنين، ﴿وَمَا يعلم جنودَ رَبِّك﴾ جموع خلقه عَلَى مَا هم عليه؛ (لَعَلَّهُ) فَلِلَّهِ تعالى فِي القلوب والأرواح وغيرها مِنَ العوالم جنودًا مجنَّدة، لاَ يعرف (لَعَلَّهُ) حقيقتَها وتفصيلَ عددها ﴿إلا هُوَ﴾ إذ لاَ سبيل لأحَدٍ إِلَى حصر المُمْكنَات،

---

١ - فِي الأَصْلِ: «الأمر»، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٣٠.

والاطّلاع عَلَى حقائقِهَا وصفاتها، وَمَا يوجب اختصاص كلٍّ منها بِمَا يخصُّه مِن كمٍّ وكيفٍ، واعتبار ونسبة، ﴿وَمَا هِيَ﴾ وَمَا سَقَر، أو عدَّة الخزنة، أو السورة ﴿إلاَّ ذِكْرَى للبشرِ(٣١)﴾ إلاَّ تذكرة لِمَن يذّكّر مِنْهُم.

﴿كَلاَّ﴾ ردعٌ لمن أنكرها أو إنكارٌ [لأن يتذكّروا بها][1]، ﴿والقمرِ(٣٢) والليلِ إذْ أَدْبَرَ(٣٣) والصُّبْحِ إذَا أَسْفَرَ(٣٤) إنَّهَا لإحْدَى الكُبَرِ(٣٥)﴾ لإحدى البلايا الكبرى، أي: البلايا الكُبر كثيرة[2] وسَقَر وَاحِدَة منها، ﴿نذيرا للبشر(٣٦) لِمَن شاء منكم أن يَتَقَدَّمَ أو يَتَأَخَّرَ(٣٧)﴾ أي: نذير للمُمَكَّنين مِنَ السبق إِلَى الخير والتخلُّف عَنْهُ.

﴿كلُّ نفس بِمَا كسبت رهينةٌ(٣٨)﴾ مرهونة عند ا لله بعملها الخبيث، بدليل قوله: ﴿إلاَّ أصحاب اليمِينِ(٣٩)﴾ فإنَّهم فكُّوا رقابهم بتوبتهم مِنَ الذنوب، (لَعَلَّهُ) وصالح الأعمال، ﴿فِي جَنَّات يتساءلُونَ(٤٠) عَنِ المجرمِينَ(٤١)﴾ (لَعَلَّهُ) متنعِّمين بالسؤال، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢)﴾؟ بجوابه حكايةٌ لِمَا جرى بين المسؤولين[3] والمجرمين أجابوا بها: ﴿قَالُوا: لم نك مِنَ المصلِّينَ(٤٣)﴾ الصلاة الواجبة، ﴿ولم نكُ نُطعم المسكِينَ(٤٤)﴾ [٦٣٧] مَا يجب إعطاؤه، ﴿وكنَّا نخوض مَعَ الخائِضِينَ(٤٥)﴾ نشرعُ فِي

---

١ - إضافة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٣١. وقد وضع الناسخ إحالة إِلَى الحاشية و لم يكتب فيها شَيْئًا.

٢ - فِي الأَصْلِ: «البلايا الكبر الكبيرة»، وصحَّحناها من المصدر نفسه.

٣ - لَعَلَّ الصواب: «السائلين»، وقد نقلها المُصَنِّف من البيضاوي: المصدر نفسه.

الباطل مَعَ الشارعين فِيهِ، ﴿وكنَّا نكـذِّب بِـيَوْمِ الدِيـنِ(٤٦)﴾ يـوم الجـزاء، ﴿حَتَّى أتانا اليقِينُ(٤٧)﴾ الموت وَمَا بعده.

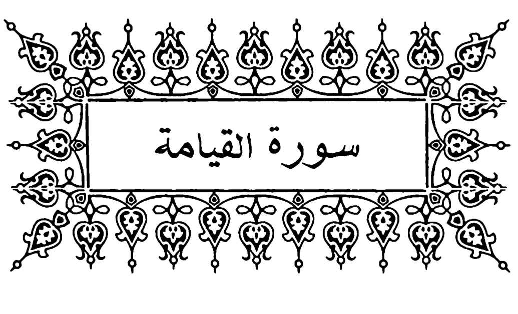
﴿فما تَـنـفَـعُهُمْ شفاعةُ الشافعِينَ(٤٨)﴾ لو شـفعوا لَهُـم جميعـا، ﴿فمـا لَهُم عَن التّذْكِرَةِ معرضِينَ(٤٩)﴾؟ أي: معرضين عَن التذكير، يعني القـرآن، أو مـا يعمُّـه ﴿كأنـَّهم حُمُر مُسْتَنـفِـرَةٌ(٥٠) فَـرَّتْ مِـن قَسْـوَرَةٍ(٥١)﴾ شبَّبهم فِي إعراضهم ونفارهِم عَن استماع الذكر بحمر نافرة، فـرَّت مسـرعة؛ والقسورة: هُوَ الأسدُ عَلَى مَا قيل، ﴿مـن قسـورة﴾ أي: أسـد[1]، فعولـة مِـنَ القسـر، وَهُـوَ القهـر، ﴿بَـل يريـد كُـلُّ امْـرِئٍ مِّنـْهُم أن يُؤْتَـى صُحُفًـا مُّنَشَّـرَةً(٥٢)﴾ قراطيس تـنـشَرُ للقراءة، وذلك كأنـَّهم أرادوا أن يُـؤتَى كـلُّ وَاحِد مِنـْهُم كلامًـا لَهُ بكتاب مِنَ السَّمَـاء فِيهِ: مِنَ ا لله إِلىَ فلان اتـَّبع محمَّدًا.

﴿كَلاَّ! بَل لاَّ يخافون الآخِرَةَ(٥٣) كـلاَّ﴾ ردع عَـن اقـتراحهم الآيـات، ﴿إِنـَّهُ تذكـرةٌ(٥٤)﴾ يعـني: القـرآن مذكِّـر لِمَـن آمـن، ﴿فمـن شـاء ذَكَـرَهُ(٥٥)﴾ فمـن شـاء أن يذكـره، ﴿وَمَـا يَذْكُـرُونَ إلاَّ أن يَشَـاءَ ا للهُ﴾ ذكرَهم، أو مشيئـتَهم، كقوله: ﴿وَمَـا تشـاؤون إلاَّ أن يَشَـاء ا للهُ﴾[2] وَهُـوَ تصريح بأنَّ فعل العبد بمشِيئَة ا لله، ﴿هُوَ أهـل التـقوى﴾ حقيـقٌ بـأنْ يُـتَّـقَى عقابه؛ أو لاَ تكون التقوى إِلاَّ مِنـْهُ، ﴿وأهل المغفرة(٥٦)﴾ حقيق بـأنْ يَغفِـر لعباده المتـَّقين.



١ - فِي العبارة تكرار واضح.

٢ - سورة الإنسان: ٣٠؛ سورة التكوير: ٢٩.



# سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامةِ(١)﴾ إدخال «لاَ» النافية عَلَى فعل القسم للتأكيد شائع فِي كلامهم، قَالَ امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامريّ ... لاَ يدَّعي القوم أنّي أفرُّ

وقد مَرَّ الكلام فِيهِ فِي قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾[1] والمعنى أنَّه لاَ يقسم بالشيء (لَعَلَّهُ) [إ]لاَّ إعظاما له، كقوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وَإِنَّهُ لقسمٌ لو تَعْلَمُونَ عظِيمٌ﴾[2]، وقال ابن عبَّاس: «﴿لاَ أقسم﴾ معناه: بلى أقسم» عَلَى مَا يوجد عَنْهُ. ﴿وَلاَ أقسم بالنفس اللوَّامة(٢)﴾ قيل: النفس (لَعَلَّهُ) الروحانيَّة المُطمَئِنَّة اللائمة للنفس الجسداويَّة[3] الأمَّارة بالسوء الخبيثة، ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ﴾ يعني: الجنس ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ

---

١ - سورة الواقعة: ٧٥. انظر: ج٤ / ص ٢٣٣.

٢ - سورة الواقعة: ٧٥-٧٦.

٣ - لَعَلَّ القياس يقتضي أن يقول: «الجسدانيَّة»، مثل الروحانيَّة، الجسمانيَّة، الشهوانيَّة...

**عظامَه(٣)﴾** بعد تفرُّقها؟ **﴿بَلَى قادرين عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(٤)﴾** عَلَى مَا كَانَت، وإن دقَّت عظامها وصغرت.

**﴿بَل يريد الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ(٥)﴾** ليدوم عَلَى فجوره فيما بين يديه مِنَ الآفات، وفيما يستقبله مِنَ الزمان، لاَ ينزع عَنْهُ، **﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ﴾** متى **﴿يومُ القيامة(٦)﴾** يسأل سؤال متعنِّت مستعدٌ لقيام الساعة، فبيَّن الله، فقال: **﴿فإذا بَرَقَ الْبَصَرُ(٧)﴾** أي: شَخصَ البصر، وتحيَّر من شدَّة الفزع، وأصله من بَرَقَ الرجلُ[1]: إِذَا نظر إِلَى البرق فدهش بصره، **﴿وَخَسَفَ القمرُ(٨)﴾** وذهب ضوؤه، **﴿وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ(٩)﴾** قيل: حيث يطلعهما الله مِنَ المغرب، أو فِي ذهاب ضوئهما؛ وَلاَ ينافيه [تفسير] الخسوف: بذهاب ضوء البصر، والجمعِ: باستتباع الروحِ الحاسَّةَ فِي الذهاب، أو بوصوله[2] [٦٣٨] إِلَى من كَانَ يقتبس مِنْهُ نور العقل من سكَّان القدس.

**﴿يقول الإنسان يومئذ: أين الْمَفَرُّ(١٠)﴾**؟ أي: الفرار، يقوله قولَ الآيس من وجدانه المتمنَّى، وقرئ بالكسر، وَهُوَ المكان، **﴿كَلاَّ﴾** ردع عَن طلب المفرِّ، **﴿لاَ وَزَرَ(١١)﴾** لاَ ملجأ وَلاَ مهرب، والوَزَرُ: مَا يتحصَّن بِهِ من جبل وغيره، **﴿إِلَى رَبِّكَ يومئذٍ الْمُسْتَقَرُّ(١٢)﴾** إليه وحده استقرار

---

١ - فِي اللسان: «وبَرَقَ الرجل وأبرَقَ: تهدَّد وأوعد... وأرعدنا وأبرقنا بمكان كذا وكذا: أي رأينا البرقَ والرعد». ابن منظور: لسان العرب، ج١/ ص١٩٧، مَادَّة «برق».

٢ - كذا ـ بصيغة التذكير ـ فِي تفسير البيضاويِّ أيضًا، «يقال: خرجَ روحُه، والروح مذكَّر». ابن منظور: لسان العرب، ج٢/ ص١٢٤٩، مَادَّة «روح».

العباد، أو إِلَى حكمه استقرار أمرهم، أو إِلَى مشيئته موضع قرارهم، يُدخل من يَشَاء الجنَّة، ومن يَشَاء النار؛ ﴿يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(١٣)﴾ بِمَا قدَّم من عمل عمله، وبما أخَّر مِنْهُ لم يعمله؛ أو بِمَا قدَّم من عمل عمله، وبما أخَّر من سنَّة حسنة، أو سيِّئة عُمل بها بعده؛ أو قدَّم من مال تصدَّق بِهِ، وبما أخَّر فخلَّفه؛ أو بأوَّل عمله وآخره.

﴿بَل الإنسانُ عَلَى نفسه بصيرةٌ(١٤)﴾ أي: حجَّة بيِّنة عَلَى أعمالها، لأَنَّهُ شاهد بها؛ وصَفَها بالبصارة عَلَى المجاز؛ أو عين بصيرة بها، فلا يحتاج إِلَى الإنباء؛ والمعنى أنَّه ينبَّأ بأعماله وإن لم ينبَّأ، ففيه مَا يجزي عَن التنبيه، لأَنَّهُ شاهد عليها بِمَا عملت، ﴿ولو أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(١٥)﴾ ولو جاء بِكُلِّ معذرة يعتذر بها عَن نفسه، ويجادل عنها. وعن السُّدِّيّ: «ولو أرخى ستوره»؛ والمعاذير: الستور، واحدها معذَار، ولأنَّ الستر يمنع رؤية المحتجب، كما أنَّ المعذرة تمنع عقوبة الذنب.

﴿لاَ تُحَرِّكْ﴾ يا محمَّد ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يتمَّ وحيه؛ ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦)﴾ قيل: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا لقِّن الوحي نازع جبريل القراءة، و لم يصبر إِلَى أن يتمَّها مسارعة إِلَى الحفظ، وخوفا مِنَ النسيان؛ فأمر بالإنصات إِلَيْهِ ملتفتًا إِلَيْهِ بسمعه وقلبه، حتَّى يقضى إِلَيْهِ وحيه؛ والمعنى: لاَ تحرك بقراءة الوحي لسانك مَا دام جبريل يقرأ، ﴿لتعجل بِهِ﴾ لتأخذه عَلَى عجلة، لئلاَّ ينفلت منك؛ ثُمَّ علَّل النهي عَن العجلة بقوله: ﴿إِنَّ علينا جَمْعَهُ﴾ فِي صدرك، ﴿وقرآنه(١٧)﴾ وإثبات قراءته فِي لسانك، ﴿فإذا قرأناه﴾ جعل

قراءة جبريل قراءته؛ والقرآن: القراءة، ﴿فاتَّبع قرآنه(١٨)﴾ قراءته، وتكرَّر فِيهِ حتَّى يتكرَّر[1] فِي ذهنك، ﴿ثُمَّ إنَّ علينا بَيَانَهُ(١٩)﴾ بيان مَا أشكل عليك من معانيه؛ وفيه دليل عَلَى أنَّ الله وعد البيان لِمَن اتَّبع القرآن لاَ غير؛ وفيه دليل عَلَى جواز تأخير البيان عَن وقت الخطاب، وَهُوَ اعتراض بِمَا يؤكِّد التوبيخ عَلَى حبِّ العجلة، لأَنَّ العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو (لَعَلَّهُ) أتمُّ الأمور وأصل الدين، فكيف بها فِي غيره؟.

﴿كَلاَّ﴾ ردع لرسول الله ﷺ عَن عادة العجلة، وحثٌّ عَلَى تكرير القراءة عَلَى قومه بالتُّؤدَة، ليتقرَّر ذَلِكَ فِي قلُوبِهِم، لأنَّهم غافلون عَن الأدلَّة، لاَ يتدبَّرون القرآن وَمَا فِيهِ مِنَ البيان، ﴿بَل [٦٣٩] تحبُّون العاجلةَ(٢٠)﴾ أي: تختارون التكاسل والدعَّة عَن الرغبة فِي طلب العلم، وتتركون الاهتمام بأمور العلم، فلا غنى لك بعهم من إعادة القول وتكريره، وزيادة التنبيه وتقريره؛ وتعميم الخطاب، إشعارًا بأنَّ بني آدم مطبوعون عَلَى الاستعجال للعاجل، والتجافي عَن الآجل، بدليل قوله: ﴿وتذرون الآخِرَة(٢١)﴾ لأَنَّ من أحبَّ شيئًا غفل عَن ضدِّه.

﴿وُجُوهٌ يومئذ نَّاضِرَةٌ(٢٢)﴾ بهيَّة متهلِّلة، وذلك ينبئ عَمَّا فِي القلب مِنَ السرور، ﴿إِلَى ربِّها ناظرةٌ(٢٣)﴾ منتظرة ثوابه، ﴿وَوُجُوهٌ يومئذ بَاسِرَةٌ(٢٤)﴾ شديدة العبوس، عابسة متغيِّرة مسودَّة، ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقَّع ﴿أن

---

١ - الصواب: «حَتَّى يرسخ» كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٣٢.

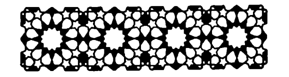
**يُفْعَلَ بها فَاقِرَةٌ(٢٥)** داهية تكسر الفقار، ﴿**كَلاَّ**﴾ ردع عَن إيثار الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَة، ﴿**إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ(٢٦)**﴾ إِذَا بلغت النفس أعالي الصدر، ﴿**وقيل: مَن رَاقٍ(٢٧)**﴾ أي: وقال من حضره من أهل وصديق بعضهم لبعض: أيُّكم يرقِيه مِمَّا به؟ وقيل: هُوَ كلام مَلاَئِكَة الموت: أيُّكم يَرقى بروحه، مَلاَئِكَة الرحمة أم مَلاَئِكَة العذاب؟ مِنَ الرقيِّ، ﴿**وَظَنَّ**﴾ المحتضر ﴿**أَنَّهُ الْفِرَاقُ(٢٨)**﴾ أنَّ هَذَا الذِي نزل بِهِ هُوَ فراق الدُّنْيَا المحبوبة.

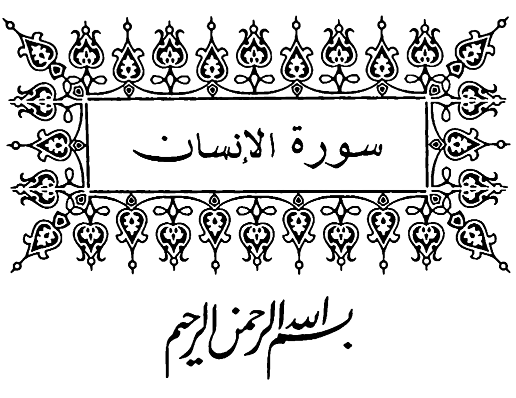
﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ(٢٩)**﴾ والتوت ساقه بساقه؛ وقيل التفَّ شدَّة أمر الآخِرَة بأمر الدُّنْيَا، ﴿**إِلَى رَبِّكَ يومئذٍ الْمَسَاقُ(٣٠)**﴾ سَوْقه إِلَى الله وحكمه، ﴿**فلا صَدَّقَ**﴾ ما يجب تصديقه، أو فلا صدَّق ماله، أي: فلا زكَّاه، ﴿**وَلاَ صلَّى(٣١)**﴾ مَا فُرض عليه، ﴿**ولكن كذَّب**﴾ الحجَّة البالغة لَهُ، ﴿**وَتَولَّى(٣٢)**﴾ عَن الطاعة، ﴿**ثُمَّ ذهب إِلَى أهله يَتَمَطَّى(٣٣)**﴾ يتبختر افتخارًا بذلك، مِنَ المطِّ، فإنَّ المتبختر يَمدُّ خُطاه، فيكون أصله يتمطَّط؛ أو مِنَ المطا وهُوَ الظهر، فإنَّه يلويه.

﴿**أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤)**﴾ ويل لك مِنَ الولي، وأصله أولاك الله مَا تكرهُه، وَهُوَ دعاء عليه، بِأَنْ يليه مَا يكرره؛ أو أولى لك الهلاك، وقيل: وليك الشرُّ فِي الدُّنْيَا فوليك، ثُمَّ وليك الشرُّ فِي الآخِرَة فوليك، ﴿**ثُمَّ أولى لك فأولى(٣٥)**﴾ أي: بتكرير ذَلِكَ عليه مدَّة بعد أُخْرَى.

﴿**أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدًى(٣٦)**﴾؟ مهملاً لاَ يكلَّف وَلاَ يجازى، تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث أنَّ الحكمة تقتضي الأمر

بالمحاسِن، والنهي عَن القبائح، والتكليف لاَ يتحقَّق إلاَّ بمجازاةٍ، وهــي قــد لاَ تكون فِي الدُّنْـيَا فتكون فِي الآخِرَة، ﴿أَلَمْ يَكُ نطفةً مـن مَـنيٍّ يُمْـنَى(٣٧)﴾ أي: كيف يَحسب أن يهمـل، وَهُـوَ يـرى فِي نفسه مِـن تنـقُّل الأحـوال مَـا يستدلُّ بـهِ عَلَى أنَّ لَـهُ صانِعـًا حكيمـًا، أكمـل عقلـه وأقـدره، وخلـق فِيـهِ الشهوة، فيعلم أنَّه لاَ يجوز أن يكون مخلًّى مِنَ التكليـف، ﴿ثُـمَّ كَـانَ علقـة فَخَلَقَ فَسَوَّى(٣٨)﴾ فقدَّره فعـدَّله، وعـدَّل أعضـاءه الظـاهرة والباطنـة فِي بطن أمِّه، ﴿فجعل مِنْهُ الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى(٣٩)﴾ وَهُـوَ استدلال [٦٤٠] آخر بالإبداء عَلَى الإعادة عَلَى مَا مرَّ تقريره مـرارًا؛ ولذلـك رتَّـب عليه قوله: ﴿أليس ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أن يُحْيِـيَ الْمَوْتَـى(٤٠)﴾ أليـس ذَلِكَ الذِي أنشأ هَذِهِ الأشياء بقادر عَلَى الإعادة؟!.





# سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسانِ﴾ استفهام تقرير وتقريب، ﴿حينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة مِنَ الزمان، وَهُوَ مَا تقدَّم مِنَ الدهر قبل إيجاده، ﴿لم يكن شَيْئًا مَّذْكُورًا(١)﴾ بَل كَانَ شَيْئًا منسيًّا غير مذكور بالإنسانيَّة.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط، لأَنَّ المراد بها مجموع مَنِيِّ الرجل والمرأة، وكلٌّ منهما مُختلفة الأجزاء فِي الرقَّة والقوام والخواصِّ؛ ولذلك يصير كلُّ جزء منهما مادَّة عضو، ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: مبتلين لَهُ، مريدين اختباره، ﴿فجعلناه سميعا بصيرا(٢)﴾ ليتمكَّن من مشاهدة الدلائل، واستماع الآيات، ﴿إِنَّا هديناه﴾ بنصب (لَعَلَّهُ) الدلائل، وإنزال الآيات، وإزاحة العلل، (لأَنَّهُ لا يترك متعبداً من خلقه لطاعته وعبادته سدى، وَإِنَّهُ لاَ بُدَّ أن يهديه هداية، إن شاء يهديه بها، أو هداية يشقيه ويقيم عليه بها الحُجَّة، ولن تكون إلاَّ كذلك)[1]، ﴿السبيلَ﴾ الذِي لأجله خُلق، ﴿إمَّا

---

١ - كتبت العبارة التي بين قوسين في الحاشية، دون الإحالة إليها فِي المتن، وقد وضعناها في هَذَا المكان لتناسب السياق.

﴿شَاكِرا﴾ سالكا السبيل الذِي هداه إيَّاه، ﴿وإمَّا كَفورا(٣)﴾ صادًّا عَنْهُ إِلَىَ الضلال، بعدما مُكِّن من ذا وذا؛ ثُمَّ توعَّد عَلَى من اختار الضلال على الهدى، فقال:

﴿إنَّا أعتدنا للكَافِرينَ سَلاَسِلاً﴾ بها يسحبون، ﴿وأغلالاً﴾ بها يقيَّدون ﴿وسعيرا(٤)﴾ بها يُحرقون، ﴿إنَّ الأبرارَ يَشربون من كأسٍ﴾ من خمر، وهي فِي الأصل القدح، تكون فِيهِ، وتخلق فِيهِ، ﴿كَانَ مزاجها﴾ ما يمزج بها ﴿كافورا(٥)﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه؛ وقيل: اسم ماء فِي الجنَّة، يشبه الكافور فِي رائحته وبياضه، ويخلق فِيهَا كيفيات الكافور، فيكون كالممزوجة بها، ﴿عينا﴾ بدل من «كافورًا» إن جعل اسم ماء، ومن محلِّ «مِن كأسٍ» عَلَى تقدير مضاف، أي: ماء عين، ﴿يَشرب بها عبادُ ا للهِ﴾ أي: ملتذًّا، أو ممزوجا بها؛ وعباد ا لله: الذِينَ عبدوه بالإخلاص لا غير، ﴿يفجِّرونها تَفْجِيرًا(٦)﴾ يجرونها بها[1] حيث شاءوا إجراء سهلاً.

﴿يوفون بالنَّذْرِ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لأجله، كأنَّه سئل عَنْهُ، فأجيب بذلك، وَهُوَ أبلغ فِي وصفهم بالتوفُّر عَلَى أداء الوجبات؛ لأَنَّ من وفَّى بمَا أوجبه عَلَى نفسه لله، كَانَ أوفى بِمَا أوجبه ا لله عليه، ﴿ويخافون يوما كَانَ شرُّه﴾ شدائده ﴿مستطيرا(٧)﴾ فاشياً منتشرًا غاية الانتشار، من استطار الحريق والفجر، وَهُوَ أبلغ من طار؛ وفيه إشعار بحسن عقيدتهم، واجتنابهم عَن المعاصي، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطعامَ عَلَى حبِّه﴾ حبِّ ا لله، أو

---

١ - الصواب - «بها». كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٣٤.

الطعام أو الإطعام، ﴿مسكينا ويتيما وأسيرا(٨)﴾ يعني: أسارى الكفّار؛ أو الأسير المؤمن، ويدخل فِيهِ المسجون والغريم، لِمَا جاء فِي الحديث: «*غريمك أسيرك*، فأحسن إلىَ أسيرك»[1]. *[٦٤١]*

﴿إنـَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ا للهِ﴾ عَلَى إرادة القول، بلسان الحال أو المقال، إزاحة لتوهُّم المنِّ، وتوقُّع المكافأة المنقصة للأجر، إذ هُوَ مفعول لوجه ا لله، فلا معنى لمكافأة الخلق، ﴿لاَ نريد منكم جزاءً﴾ مكافأة، ﴿وَلاَ شُكُورًا(٩)﴾ أي: شكراً، ﴿إنـَّا نخاف من رَّبـِّنَا﴾ فلذلك نحسن إليكم؛ أو لاَ نطلب المكافأة منكم، ﴿يوما﴾ عذاب يوم ﴿عَبُوسًا﴾ تعبس فِيه الوجوه، أو يشبه الأسد العبوس فِي ضراوته، ﴿قَمْطَرِيرًا(١٠)﴾ شديد العبوس.

﴿فَوَقَاهُمُ ا للهُ شرَّ ذَلِكَ اليومِ﴾ بسبب خوفهم وتحفُّظهم عَنْهُ، ﴿ولَقَّاهم نَضْرَةً﴾ فِي وجوههم ﴿وسرورا(١١)﴾ فِي قلوبهم بدلَ عُبوس الفجَّار وحزنهم، ﴿وجزاهم بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم عَلَى أداء الواجبات

---

١ - لم نعثر عليه في مصادر الحديث التي بين أيدينا. وقد أوردته كتب التفسير. وقال الألوسيُّ: «إلاَّ أنَّهُ قيل فِي هَذَا الخبر ما قيل فِي الخبر الأوَّل» (عن حديثٍ ذكره قبل ذَلِكَ)، ونورد هنا ما قيل فيه: «قال ابن حجر: لم يذكره من يُعتمد عَلَيْهِ من أهل الحديث، وقال ابن العراقيّ: لم أقف عَلَيْهِ». الألوسي: روح المعاني، ج٢٩/ ص١٥٥-١٥٦. وانظر: الزمخشري: الكشَّاف، ٥٣٤/٤. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص٧٢.

أقول: وفي سنن ابن ماجه (كتاب الأحكام، حديث رقم ٢٤١٩) ما يَدُلُّ عَلَى تسمية الغريم بالأسير : فَعَنِ الْهِرْمَاسِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بغَرِيمٍ لِي، فَقَالَ لِيَ: «الْزَمْهُ»، ثُمَّ مَرَّ بِي آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ»؟. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أسيرك».

واجتناب المحرَّمات، وإيثار الأموال، ﴿جنّة وحريرا(١٢) متّكئين فِيهَا عَلَى الأرائك لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شمسا وَلاَ زمهريرا(١٣)﴾ والمعنى: أنَّه يمُرُّ عَلَيْهِم فيها هواء معتدل، لا حارٌّ مُحم، وَلاَ بارد مؤذ؛ والمعنى: أنَّ هواءها مضيء بذاته، لا يحتاج إِلَى شمس وقمر، ﴿ودانيةً عَلَيْهِم ظِلاَلُهَا﴾ أي: تقرب مِنْهُم ظلالها حيث كَانُوا، كأنَّها مسخَّرة لَهُم فِي جميع الأماكن والأوقات، ﴿وذُلِّلت قطوفُها تذليلا(١٤)﴾ تذليل القطوف: أن يجعل سهل التناول، لاَ يمتنع عَن قطافها كيف شاءوا.

﴿ويُطاف عَلَيْهِم بآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وأكواب﴾ أباريق بلا عُرى، ﴿كَانَت قَوَارِيرَ(١٥) قَوَارِيرَ من فضَّة﴾ أي: تكوَّنت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها، وبياض الفضَّة ولينها، ومعنى ﴿كَانَت﴾ أنَّها تكوَّنت قوارير بتكوين ا لله إِيَّاهَا؛ وَهُوَ تفخيم لتلك الخلقة العجيبة الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين؛ ومثله كَانَ فِي قوله: ﴿كَانَ مزاجها كافورا(٥)﴾ نحو يكون فِي قوله: ﴿كن فيكون﴾، ﴿قدَّروها تقديرا(١٦)﴾ أي: قدَّروها فِي أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنَّوه، أو قدَّروها بأعمالهم الصالحة، فجاءت عَلَى حسبها؛ أو قدَّر الطائفون بها، المدلول عَلَيْهِم بقوله: ﴿ويطاف [عَلَيْهِم...﴾، فالمعنى: قدَّروا][1] شرابَها عَلَى قدر اشتهائهم، وقرئ: قُدِروها، أي: جُعلوا قادرين لها كما شاءوا، مِن قَدرَ، منقولا من: قُدِرتُ الشيءَ، وقدَّرنيه فلانٌ: إذا جعلك قادرا له؛ ومعناه: جعلوا قادرين لها كيف شاءوا عَلَى حسب مَا اشتهوا، وشهوتهم عَلَى حسب العمل.

---

١ - ما بين معقوفين إضافة من تفسير أبي السعود: مج٥/ ج٩/ ص٧٤.

**﴿ويُسْقَوْنَ فِيهَا كأسا كَانَ مِزاجها زَنجَبِيلاً(١٧)﴾** يشبه الزنجبيل فِي الطعم، وقيل: كَانَت العرب يستلذُّون الشراب الممزوج بِهِ، وقيل عَن ابن عبَّاس: «كُلُّ مَا ذكره الله فِي القرآن مِمَّا فِي الجنَّة، ليس لَهُ مثل فِي الدُّنْيَا»، ولكن سمَّاه بِمَا يعرف؛ وسمِّيت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فِيهَا، يعني: أنَّها فِي طعمه، وليس فِيهَا لذعة وَلاَ غول، خلاف شراب الدُّنْيَا، فإنَّه ممزوج بالكدر والآفات، ولكن نقيض اللذع، وَهُوَ السلاسة، [٦٤٢] كما قَالَ: **﴿عَيْنًا فِيهَا تُسمَّى سَلْسَبِيلاً(١٨)﴾** لسلالة انحدارها فِي الحلق، وسهولة مساغها؛ وقيل: أصله سل سبيلاً، فسمِّيت بِهِ كتأبَّط شرًّا، لأَنَّهُ لاَ يشرب منها إلاَّ من سأل إِلَيْهَا سبيلا بالعمل الصالح. **﴿ويطوف عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾** دائمون، **﴿إِذَا رأيتهم حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا(١٩)﴾** من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فِي مجالسهم، وانعكاس شعاع بعضهم عَلَى بعض.

**﴿إِذَا رأيت ثَمَّ﴾** ليس [له] مفعول ملفوظ وَلاَ مقدَّر، لأَنَّهُ عامٌّ، معناه: أنَّ بصرك أينما وقع **﴿رأيتَ نعيما ومُلْكًا كبيرا(٢٠)﴾** والمعنى: أنَّ بصر الرائي أينما وقع لم يقع إلاَّ عَلَى نعيم عامٍّ، وملك كبير؛ وقيل: إِذَا أرادوا شَيْئًا كَانَ، وفِي الحديث: *«أدنى أهل الجنَّة منزلة، ينظر فِي ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه»*[1]. هَذَا وللعارف الكثير من ذَلِكَ، وَهُوَ أن تنتقش نفسه بجلايا

---

١ - رواه أحمد فِي مسند المكثرين من الصحابة، رقم ٤٣٩٥، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَيَنْظُرُ فِي مُلْكِ أَلْفَيْ سَنَةٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ يَنْظُرُ فِي أَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ...» الحديث ونحوه برقم ٥٠٦٥. ورواه الترمذيُّ فِي

الملك، وخفايا الملكوت، فيستضيئ بأنوار قدس الجبروت[1].

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ تعلوهم ثياب الحرير الخضر، ما رقَّ منها وَمَا غلظ؛ كأنَّهم يجدونهم عَلَى أجسادهم من غير تحمُّل (لَعَلَّهُ) لبس؛ أو يلقونها إِلَى أجسادهم الغلمان كما أرادوا، ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وسَقَاهُمْ رَبُّهم شَرَابًا طَهُورًا(٢١)﴾ يريد بِهِ نوعاً آخر يفوق عَلَى النوعين المتقدِّمين، ولذلك أسند سقيه إِلَى الله تعالى، ووصفه بالطهوريَّةِ، فإنَّه يطهر شاربه عَن الميل إِلَى اللذات الحسيَّة، والركون إِلَى مَا سوى الحقِّ، فيتجرَّد لمطالعة جلاله، ملتذاً ببقاء ثوابه، باقيًا ببقائه؛ وقيل: يطهِّرهم من كُلِّ شَيء سواه؛ وقيل: طهوراً مِمَّا يشوبه مِنَ النقص، ﴿إِنَّ هَـذَا كَانَ لكم جزاءً﴾ لِكُلِّ وَاحِد جزاؤه عَلَى قَدر عمله، ﴿وكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكورًا(٢٢)﴾ مجازًى عليه غير مضيَّع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نزَّلنا عليك القرآن تنزيلا(٢٣)﴾ مفرَّقاً، منجَّماً مفصَّلاً لحكمة اقتضته، ﴿فاصبرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الصادر عَن الحكمة والصواب عَلَى

---

كتاب صفة الجنَّة، رقم ٢٤٧٦ بلفظ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ...» ورواه أيضًا في كتاب تفسير القرآن، ٣٢٥٣. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «أدنى أهل الجنَّة».

١ - عبارة صوفية غامضة منقولة من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٣٥. وفيه: «بخلايا الملك» بدل «بجلايا الملك»، والصواب ما أثبتناه، ليقابل قوله: «خفايا الملكوت». «والملكوت أبلغ مِنَ الملك، و"التاء" فِيهِ للمبالغة، وقيل: مُلكُها خلقُها الظاهر، ومَلَكُوتها سرُّها الذِي خُلقت لأجله؛ فالْمُلك يُرى بالبصر، والملكوتُ يُرى بالبصيرة». انظر تفسير الآية ٧٥ من سورة الأنعام فِي هَذَا التفسير، ج١/ ص٤١٣.

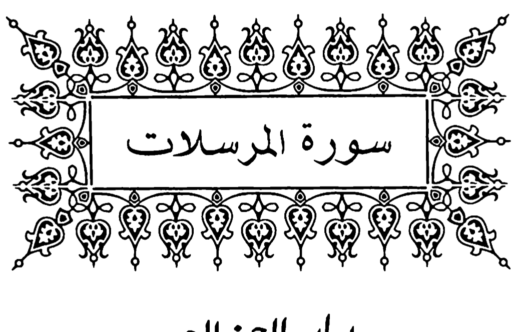
مكافحتهم، واحتمال أذاهم، ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُم آثِمًا﴾ فِي إثمه، ﴿أو كَفُورًا(٢٤)﴾ فِي كفره، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٢٥)﴾ أي: وداوم عَلَى ذكره لاَ تنساه فِي [أيِّ] وقت، لأَنَّ البكرة والأصيل يعمُّ الوقت كلَّه؛ وقيل: دم عَلَى صلاة الفجر والظهر والعصر، ﴿ومن اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ ومن بعض اللَّيْل فصلٍّ لَهُ، لِمَا فِي صلاة اللَّيْل من مزيد الكلفة والخلوص؛ وقيل: صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طويلاً(٢٦)﴾ وتهجَّد لَهُ طائفة طويلة مِنَ اللَّيْل.

﴿إنَّ هؤلاءِ يُحبُّونَ العاجِلةَ﴾ لاَ يتعدَّى[1] نظرهم وفكرهم وسعيهم عنها، ويؤثرونها عَلَى الآخرة، فلا تكن مثلهم، ﴿وَيَذَرُونَ وراءَهم﴾ أمامهم؛ أو خلف ظهورهم ﴿يوما ثَقِيلاً(٢٧)﴾ شديدًا. ﴿نَحْنُ خلقناهم وشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ وأحكمنا ربط [٦٤٣] مفاصلهم، وقيل: معناه كلَّفناهم، فشدَدْنَاهم بالأمر والنَّهي، ﴿وإذا شِئْنَا﴾ أهلكناهم و﴿بدَّلنا أمثالَهُمْ تبديلا(٢٨)﴾ فِي الخلقةِ.

﴿إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إِلَى السورة، ﴿فمن شاء اتَّخَذَ إِلَى ربِّه سبيلا(٢٩)﴾ يوصل إِلَى رضاه، ﴿وَمَا تشاءون إلاَّ أن يَشَاءَ الله﴾ وَمَا تشاؤون ذَلِكَ إِلاَّ وقت أنْ يَشَاء الله مشيئتهم، ﴿إنَّ الله كَانَ عليما﴾ بمَا يستأهل كلُّ أحد مَن علم مِنْهُ أنَّه أهلٌ لذلك مِن فعلِ الخيرِ والشرِّ، ﴿حكيما(٣٠)﴾ لاَ يَشَاء إِلاَّ مَا تقتضيه حكمته، ﴿يُدْخِلُ من يَشَاء فِي رحمتِهِ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة، ﴿والظالمين أعدَّ لَهُم عذابا أليما(٣١)﴾ عَاجِلاً وآجِلاً.



[1] - فِي الأَصْلِ: «يتعد» ، وَهُوَ خطأ من الناسخ.



سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والمرسلاتِ عُرفـا(١) فالعاصفـاتِ عصفـا(٢) والناشـراتِ نشـرا(٣) فالفارقاتِ فَرْقًا(٤) فَالْمُلْقِيَـاتِ ذِكْـرًا(٥)﴾ أقسـم بطوائـف مِنَ الملائكـة، أرسلهنَّ الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فِي امتثال أمـره، ونشـرت الشرائع فِي الأَرْض؛ أو نشرن النفوس الموتـى بـالجهل بِمَا أوحين من العلـم، ففرَّقن بين الحقِّ والباطل، فألقين إِلَى الأنبيـاء ذكـراً، ﴿عُـذْرًا﴾ للمحقـقين[1] ﴿أو نُذْرًا(٦)﴾ للمبطلين.

أو بآيات القـرآن المرسلة بِكُلِّ حرف إِلَى محمَّد عَلَيْهِ السَّلام، فعصفـن سـائر الكتب والأديان بالنسخ، ونشـرن آثار الهدى والحكم فِي الشرق والغـرب، وفرَّقْن بين الحقِّ والباطل، فألقين ذكر الحقِّ فيما بين الْعَالَمِينَ.

أو بالنـفُوس الكاملة المرسلة إِلَى الأبدان لاستكمالها، فعصفـن مَا سـوى الحقِّ، ونشرن أثر ذَلِكَ فِي جميع الأعضاء، ففرَّقن بين الحقِّ والبـاطل فِي نفسـه،

---

١ - لَعَلَّ الصواب: «للمحقِّين».

فيرون كلّ شَيء هالكاً إِلاَّ وجهه، فـألقين ذكـراً بحيـث لاَ يكـون فِي القلـوب والألسنة إِلاَّ ذكر ا لله.

أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، ورياح رحمـة نشرن السحاب فِي الجوّ ففرّقن، فألقين ذكراً أي السببين[1] لَهُ، فإنَّ العاقل إِذَا شاهد هبوبها وآثارها ذكر ا لله تعالى، وتذكّر كمال قدرته. و﴿**عُرْفًا**﴾ إمَّا نقيض النكر وانتصابه (لَعَلَّهُ) عَلَى العِلّة؛ أي: أرسلن للإحسان والمعروف؛ أو بمعنى المتتابعة، من عرف الفرس[2]. ﴿**عذراً أو نذراً**﴾ أي: عذرا للمحقّقين، ونذراً للمبطِلين[3]؛ أو ما يعمُّ التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، ﴿**إنـَّما توعدون لَوَاقِعٌ(٧)**﴾ معناه: إنَّ الذِي توعدونه من مجيء القيامة كائن لاَ محالة.

﴿**فإذا النجوم طُمِسَتْ(٨)**﴾ محقت، أو ذهب نورها، ﴿**وإذا السَّمَاء فُرجت(٩)**﴾ أي: شقّت وصدعت وفتّحت فكانت أبواباً، ﴿**وإذا الجبال نُسفت(١٠)**﴾ كالحبّ إِذَا نسف بالمنسف، ﴿**وإذا الرسل أُقّتت(١١)**﴾ وقّتت وهو الأصل؛ ومعنى توقّتت الرسل: تبيَّن وقتها الذِي يحضرون فِيهِ للشهادة عَلَى أمرهم[4]؛ أو بلغت ميقاتها الذِي كَانَت تنتظره.

---

١ - الصواب كما فِي تفسير البيضاوي: «أي تسبَّبْنَ له».

٢ - «وعُرفُ الديك والفَرس والدابـَّة وغيرها: منبت الشعر والريش من العنق». ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ ص٧٤٧، مَادَّة «عرف».

٣ - العبارة ـ كما نلاحظ ـ مكرَّرة.

٤ - الصواب: «أممهم».

﴿لأيِّ يومٍ أُجِّلَتْ(١٢)﴾؟ أي يقال: لأيِّ يومٍ أخِّرتْ؟ وضرب الأجل [٦٤٤] للجمع، وَهُوَ تعظيم لليوم، وتعجيب من هوله، ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ(١٣) وَمَا أدراك مَا يومُ الفصْلِ(١٤)﴾ ومن أين تعلم كنهه و لم تر مثله؟! ﴿وَيـْلٌ يَوْمَـئِذٍ لّلْمُكَذِّبِينَ(١٥)﴾ أي: بذلك. وَ«وَيـْلٌ» ــ فِي الأصل ــ مصدرٌ منصوب بإضمار فعْلِه، عدل بِهِ إِلَى الرفع للدلالة عَلَى ثبات الهلاك للمدعوٌ عليه؛ و«يومئذ» ظرفه أو صفته.

﴿ألم نُهْلِكِ الأوَّلِينَ(١٦)﴾ كقوم عاد ونوح وثمود ومَن قبلهم من خلقه مِمَّن تعبَّدهم بالأمر والنهي وعَصَوْا، ﴿ثُمَّ نُتْـبِعُهُمُ الآخِرِينَ(١٧)﴾ وَهُم نظراؤهم وأمثالهم مثلمَا فعلنا بهم، لأَنـَّهُم كذَّبوا كتكذيبهم، ﴿كذلك﴾ مثل ذَلِكَ الفعل ﴿نَفْعَلُ بالمجرمِينَ(١٨)﴾ بِكُلِّ من أجرم كائنـا مَـا كَـانَ، ﴿وَيـْلٌ يَوْمَـئِذٍ لّلْمُكَذِّبِينَ(١٩)﴾ بِآيَـاتِ الله وأنبيائه وحججه البالغة؛ وليس تكريرًا؛ وكذا إن أطلق التكذيب، أو علّق فِي الموضعين بواحد لأَنَّ الويل الأوَّل لعذاب الآخِرَة، وَهَذَا للإهلاك فِي الدُّنْـيَا، مَعَ أَنَّ التكرير للتأكيد حسن شائع فِي كلام العرب.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ(٢٠)﴾ نطفة قذرة ذليلة، ﴿فجعلناه فِي قرارٍ مَّكِينٍ(٢١)﴾ يعني: الرحم، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ﴾ مقدور مِنَ الوقت ﴿مَّعْلُومٍ(٢٢)﴾ قد علمه الله، ﴿فَقَدَرْنَا﴾ فقدرنا عَلَى ذَلِكَ؛ أو فقدَّرناه، وتدلُّ عليه قراءة نافع بالتشديد، ﴿فنعم القَادِرُونَ(٢٣) وَيـْلٌ يَوْمَـئِذٍ لّلْمُكَذِّبِينَ(٢٤)﴾ بقدرتنا عَلَى ذَلِكَ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا(٢٥)﴾ كافتة، اسم لِمَا يكفت، أي: يضمُّ ويجمع؛ أو كِفْتٌ[1]: وَهُوَ الوعاء، أجري عَلَى الأَرْض باعتبار أقطارها، ﴿أحياءً وأمواتا(٢٦)﴾ قيل: يكفت أحياء عَلَى ظهرها، وأمواتا فِي باطنها، ﴿وجعلنا فِيهَا رَوَاسِيَ شامِخَاتٍ﴾ جبالا ثوابت طوالا، ﴿وأسقيناكم مَّاءً فُرَاتًا(٢٧)﴾ بخلق الأنهار والمنابع، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٢٨)﴾ بأمثال هَذِهِ النعم.

﴿انطَلِقُوا﴾ أي: يقال لَهُم ﴿إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تكذّبون﴾ مِنَ العذاب، ﴿انطَلِقُوا﴾ عَلَى الإخبار من امتثالهم للأمر اضطرارا ﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ يعني ظلَّ دخان جهنَّم، كقوله: ﴿وظلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾[2]. ﴿ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ﴾ يتشعَّب لعظمه، كما يرى الدخَّان العظيم تتفرَّق ذوائبه؛ قيل: وخصوصيَّة الثلاث إمَّا لأنَّ حجاب النفس من أنوار القدس: الحسُّ والخيال والوهمُ؛ أو لأنَّ المؤدِّي إِلَى هَذَا العذاب هُوَ القوَّة الواهمة الحالَّة فِي الدماغ، والغضبيَّة التِي فِي يمين القلب، والشهويَّة التِي فِي يساره، ولذلك قيل: شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عَن يمينه، وشعبة عن يساره، ﴿لاَ ظَلِيلٍ﴾ تهكُّم بهم وردٌّ لِمَا أوهم لفظ الظلِّ ﴿ولاَ يغني مِنَ اللَّهَبِ﴾ وغير مغنٍ عَنْهُم من حرِّ اللهب

---

١ - «والكِفْتُ بالكسر: القِدْرُ الصغيرة... وقال الفرَّاء: كَفْتٌ بفتح الكاف للقِدر، قال أبو منصور: وهما لغتان: كَفتٌ وكِفتٌ». ابن منظور: لسان العرب، ج٥/ ص٢٧٢، مَادَّة «كفت». وفيه تحقيقٌ فِي مَعْنَى «كِفَاتًا» فِي الآيَة المفسَّرة.

٢ - سورة الواقعة: ٤٣.

شَيْئًا، ﴿إنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ أي: كلُّ شرارة كالقصر مِنَ القصور فِي عظمها، ويؤيِّده أنَّهُ قرئ «بشرار»، وَقيل: هُوَ الغليظ مِنَ الشجرة، ﴿كأنَّه جِمَالَتٌ﴾ [٦٤٥] جمع جمال، ﴿صُفْرٌ﴾ فإنَّ الشرار لِمَا فِيهِ مِنَ الناريَّة يكون أصفر؛ وقيل: سود، فإنَّ سواد الإبل يضرب إِلَى الصفر، والأوَّل تشبيه فِي العِظَمِ، وَهَذَا فِي اللون والكثرة، والتتابع والاختلاط، وسرعة الحركة، وقرئ: «جُمالات» بالضمِّ جمع «جُمالة»، وقد قرئ بها؛ وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة، شبَّهه بها فِي امتداده والتفافه، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(١٥)﴾.

﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ﴾ أي: لاَ ينطق بِمَا يَسْتَحِقُّ؛ فإنَّ النطق بِمَا لاَ ينفع كلاَ نطق؛ أو لاَ ينطقون بشيء من فرطِ الدهشَة والحيرة، وَهَذَا فِي بعض المواقف، ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُم فَيَعْتَذِرُونَ(٣٥)﴾ عطف «فيعتذرون» عَلَى «يؤذن» ليدلَّ عَلَى نفي الإذن والاعتذار عقبيه مطلقًا، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٣٦)﴾.

﴿هَذَا يوم الفصل﴾ بين المحقِّ والمبطل ﴿جمعناكم وَالأَوَّلِينَ(٣٧)﴾ تقرير وبيان للفصل، ﴿فإن كَانَ لكم كيدٌ فكِيدُونِ(٣٨)﴾ تقريع عَلَى كيْدِهِم للمُؤمِنِين فِي الدُّنْيَا، وإظهار لعجزهم؛ أي: إن كَانَ لكم حيلَةُ مهرَبٍ فاحتَالُوا لأنفُسِكُم، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٣٩)﴾ إذ لاَ حيلة لَهُم فِي التخلُّص مِنَ العذاب.

﴿إنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ مِنَ الشرك، لأنَّهُم [فِي] مقابلة المكذِّبين، ﴿فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ(٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ(٤٢)﴾ مستقرُّون فِي أنواع الترفُّه،

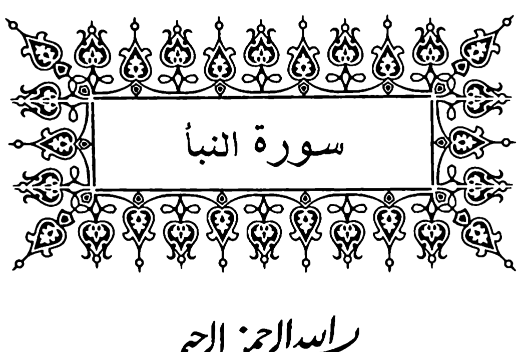
﴿كلوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٤٣)﴾ أي: مقولا لَهُم ذَلِكَ زيادة فِي نعيمهم، كما كَانَ القول للكَافِرِينَ زيادة فِي عذابهم، ﴿إنَّا كذلك نجزي المحسنِينَ(٤٤)﴾ فِي العقيدة والعلم والعمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٤٥)﴾ يمحض لَهُمُ العذاب المخلَّد، ولخصومهم الثواب المؤبَّد.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ حال من المكذّبين، أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذَلِكَ، تذكيرا لهم في الدنيا، وبما جنوا عَلَى أنفسهم من إيثار المتاع القليل عَلَى النعيم المقيم، ﴿قليلا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ(٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٤٧)﴾ حيث إنَّهم عرَّضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتُّع القليل.

﴿وإذا قيل لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أطيعوا واخضعوا؛ أو صلُّوا؛ أو اركعوا فِي الصلاة؛ وقيل: هُوَ [يومَ] القيامة حين يُدعون إِلَى السجود فلا يستطيعون، ﴿لاَ يركعُونَ(٤٨)﴾ لاَ يمتثلون، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(٤٩)﴾.

﴿فبأيِّ حديث بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ(٥٠)﴾ إذا لم يؤمنوا بِهِ، وَهُوَ معجز فِي ذاته، مشتمل عَلَى الحجج الواضحة والمعاني الشريفة.





# سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عمَّ يتساءلُونَ(١)﴾ أصله عَن مَا، ومعنى هَذَا الاستفهام: تفخيم شأن مَا يتساءلون عَنْهُ؛ كأنَّه لفخامته خفي جنسه، فيسأل عَنْهُ، ﴿عَن النبإ العظيم(٢)﴾ بيان لشأن المفخَّم؛ قيل: هُوَ البعث؛ وقيل: هُوَ القرآن، لقوله: ﴿قل هُوَ نبأٌ عظيم﴾[1]، ﴿الذِي هم [٦٤٦] فِيهِ مختلفُونَ(٣)﴾ بجزم النفي والشكِّ فِيهِ، أو بالإِقْرَار والإنكار، ﴿كَلاَّ سيعلمُونَ(٤)﴾ ردع عَن التساؤل ووعيد عليه، ﴿ثُمَّ كلاَّ سيعلمُونَ(٥)﴾ تكرير للمبالغة و«ثُمَّ» للإشعار بِأَنَّ الوعيد الثَّاني أشدُّ؛ وقيل: الأوَّل عند النزع، والثاني فِي القيامة.

﴿أَلم نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا(٦) والجبالَ أوتادًا(٧)﴾ تذكير ببعض مَا عاينوا من عجائب صنعه، الدالَّة عَلَى كمال قدرته، ليستدلُّوا بذلك عَلَى صِحَّة البعث، كما مرَّ تقريره مرَارًا، ﴿وخلقناكم أزواجا(٨)﴾ ذكرا وأنثى، ﴿وجعلنا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(٩)﴾ قَطعا عَن الإحساس والحركة؛ استراحة للقوى

---

١ - سورة ص: ٦٧.

الحيوانيَّة، وإزاحة لكَلالها؛ أو موتا، لأَنَّهُ أحد التوفِّيَيْن، ومنه المسبوت: للمَيِّت، وأصله القطع أيْضًا.

﴿وجعلنا اللَّيْلَ لِباسا(١٠)﴾ غطاء يستر بظلمته مَن أَرَادَ الاختفاء، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(١١)﴾ وقت معاش يتقلَّبون فِيهِ لتحصيل مَا يعيشون بِهِ؛ أو حياةً تبعثون فِيهَا من نومكم، ﴿وَبَنَيْنَا فوقكم سَبْعًا شِدَادًا(١٢)﴾ سبع سماوات أقوياء محكمات، لاَ يؤثِّر فِيهَا مرور الدهور، ﴿وجعلنا سِرَاجًا وَهَّاجا(١٣)﴾ متلألئًا وقَّادًا من وهجت النار: إِذَا أضاءت؛ أو بالغا فِي الحرارة، مِنَ الوهج، وَهُوَ الحرُّ، والمراد الشمس.

﴿وأنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحاب إِذَا أعصرت، أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر؛ أو الرياح ذوات الأعاصير، لأَنَّهَا تنشئ السحاب، ﴿ماء ثَجَّاجًا(١٤)﴾ منصبًّا بكثرة؛ يقال: ثجَّه وثجَّ بنفسه، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا ونباتا(١٥)﴾ مَا يقتات بِهِ، وَمَا يعتلف مِنَ التبن والحشيش، ﴿وجَنَّاتٍ أَلْفَافًا(١٦)﴾ ملتفَّة بعضها ببعض، ﴿إِنَّ يومَ الْفَصْلِ كَانَ﴾ كَانَ فِي علم الله، أو فِي حكمه ﴿ميقاتا(١٧)﴾ حدًّا تؤقَّت بِهِ الدُّنْيَا.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فتأتون أفواجا(١٨)﴾ جماعات مِنَ القبور إِلَى المحشر؛ أو كلُّ أمَّة مَعَ إمامهم؛ أو كلُّ أهل فوج يضمُّهم عملهم؛ والمعنى: أن يحشر كلُّ وَاحِد مَعَ من يناسبه فِي العمل، لأَنَّ المتناسبين فِي العمل متناسبون فِي الجزاء، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاء﴾ وشقَّت، ﴿فكانت أبوابا(١٩)﴾ فصارت من كثرة الشقوق كأَنَّ الكلَّ أبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ الجبالُ﴾ فِي الهواء كالهباء، ﴿فكانت سَرَابًا(٢٠)﴾ مثل سراب، إذ ترى عَلَى صورة الجبال، و لم تبق عَلَى حقيقتها لتفتُّت أجزائها وانبثاثها، ﴿إنَّ جَهَنَّم كَانَت مِرصادا(٢١)﴾ موضع رصد، يرصد فِيهِ خزنة النار الكفَّار؛ أو مجدَّة فِي ترصُّد الكفرة لئلاَّ يشذَّ منها واحد، ﴿للطاغين مَآبا(٢٢)﴾ مرجعا ومأوى، ﴿لاَبِثِينَ فِيهَا أحقابا(٢٣)﴾ دهورًا متتابعة لاَ تنقضي أبدًا، ﴿لاَ يذوقون فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرابا(٢٤) إِلاَّ حميما وَغَسَّاقًا(٢٥)﴾ والمراد بالبرد مَا يروِّحهم وينفِّس عَنْهُم حرَّ النار، وبالشراب مَا يرويهم مِنَ (لَعَلِّهِ) العطش؛ وبالغسَّاق: مَا يَغْسِقُ[1]، أي: يسيل من صديدهم، [٦٤٧] ﴿جزاء وِفَاقًا(٢٦)﴾ ذا وفاق لأعمالهم؛ أو موافقا لها عَلَى قدرها؛ لأَنَّ الله لاَ يظلم مثقال ذرَّة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حسابا(٢٧)﴾ بيان لِمَا وافقه هَذَا الجزاء، ﴿وكذَّبوا بِآيَاتِنا كِذَّابًا(٢٨) وكلَّ شيءٍ أحصيناه كِتَابًا(٢٩)﴾ للجزاء، ﴿فذوقوا فلن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عذابا(٣٠)﴾ ففي الحديث، «*هَذِهِ الآية أشدُّ مَا فِي القرآن عَلَى أهل النار*»[2]. وإذا كَانَ أهل النار فِي زيادة عذاب، كَانَ أهل

---

١ - انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤/ ص٩٨٧، مَادَّة «غسق».

٢ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث. و لم يورده الألوسيُّ عَلَى أَنَّهُ حديث لِرَسُولِ الله ﷺ وَإِنَّمَا قال: «وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبرانيُّ وابن مردويه عن الحسن، قال: سألت أبا برزة الأسلميَّ عن أشدِّ آية فِي كتاب الله تَعَالَى عَلَى أهل النار، فقال: قول الله تَعَالَى: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إِلاَّ

الجنَّة أولى أن يكونوا فِي زيادة الثواب، وقد قيل بذلك. ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١)**﴾ فوزًا أو موضع فوز، ﴿**حدائقَ وأعنابا(٣٢)**﴾ بساتين فِيهَا أنواع الشجرة المثمرة، ﴿**وكواعبَ**﴾ نساء تكعَّب ثديهنَّ، ﴿**أترابا(٣٣)**﴾ لِلَّذّات[1]، (لَعَلَّهُ) مستويات فِي السنِّ، ﴿**وكأسا دِهَاقًا(٣٤)**﴾ ملآنا، وأدهق الحوض: إذا ملأه، ﴿**لاَ يسمعون فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابا(٣٥)**﴾ إذ لاَ يكذب بعضهم بعضا وَلاَ يلغون، واللغو: الباطل، ﴿**جزاءً مِّن رَّبِّكَ**﴾ بمقتضى وعده، ﴿**عطاءً**﴾ تفضُّلاً مِنْهُ، إذ لاَ يجب عليه شيء، ﴿**حسابا(٣٦)**﴾ كافيا من أحسبه: إِذَا كافأه حتَّى قَالَ: حسبي؛ أو عَلَى حسب أعمالهم.

﴿**رَّبِّ السَّمَاوَات والأَرْض وَمَا بينهما الرحمنِ لاَ يملكون مِنْهُ خِطابا(٣٧)**﴾ أي: لاَ يملكون خطابه، ولا اعتراض عليه فِي (لَعَلَّهُ) ثواب أو عقاب، لأَنَّهُم مملُوكون لَهُ عَلَى الإطلاق، فلا يستحقُّون عليه اعتراضًا، وذلك لاَ ينافي الشفاعة بإذنه.

---

عذابا﴾... وأورده الزمخشريُّ فِي تفسيره وعزاه إِلَى النبيِّ ﷺ وقال مصحِّحه: «أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبيُّ من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن... فذكره وجسر ضعيف. ورواه الطبرانيُّ والبيهقيُّ فِي الشعب موقوفا». الزمخشري: الكشَّاف، ٥٥١/٤. الألوسي: روح المعاني، ج٣٠/ ص١٧.

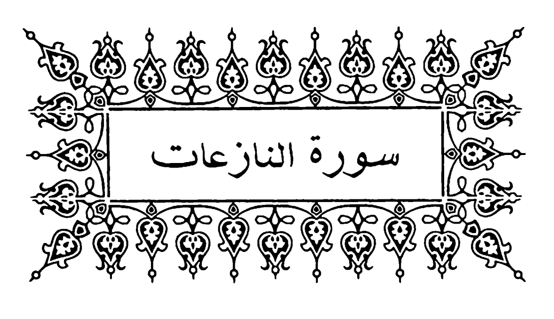
الزمخشريُّ، وقال مصحِّحه: «أخرجه ابن أبي حاتم

١ - يبدو أنَّ الأصوب: «لِذَات»، كما فِي تفسير البيضاويّ: ج٤/ ص٢٤٠. ويفسِّره السياق بعده.

﴿**يومَ يقومُ الروحُ والمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَن أَذِنَ لَهُ الرحمَنُ وقال صَوابا(٣٨)**﴾ يصيب بِهِ حقائق الأمور، ﴿**ذَلِكَ اليومُ الْحَقُّ**﴾ الكائن لاَ محالة، ﴿**فمن شاء اتَّخذَ إِلَى ربِّه**﴾ ثوابه ﴿**مآبا(٣٩)**﴾ بالإيمان والطاعة.

﴿**إنَّا أنذرناكم عذابا قريبا**﴾ قيل: هُوَ فِي الدُّنْيَا، وذلك إن خالفتم، لأَنَّ لِكُلِّ مخالف عذابًا معجَّلاً؛ وقيل: عند خروج الروح؛ وقيل: يوم القيامة، فإنَّ كلَّ مَا هُوَ آتٍ قريب؛ ﴿**يومَ يَنظُرُ المرءُ مَا قدَّمت يداه**﴾ يرى مَا قدَّمه، ﴿**ويقول الكافرُ: يا ليتني كنتُ ترابا(٤٠)**﴾ فِي الدُّنْيَا فلم أخلق، و لم أكلَّف؛ أو فِي هَذَا اليوم فلم أبعث.





# سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنّازعات غَرقـا(١) والنّاشطَات نَشطا(٢) والسَّابحات سَبحا(٣) فالسَّابقات سَبقا(٤) فَالْمُدَبِّراتِ أمرا(٥)﴾ قيل: هَذِهِ صفات مَلائِكَة الحرب، فإنَّهم ينزعون أرواح الكفّار من أبدانهم غرقًا، أي: إغراقا فِي النزع، فإنَّهم ينزعونها من أقاصي الأبدان، أو نفوسًا غرقة فِي الأجساد؛ وينشطون أي: يُخرجون أرواح المؤمنين برفق، من نشط الدلو[1] مِنَ البئر إِذَا أخرجها، ويسبحون فِي إخراجها سبح الغوَّاص الذِي يُخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفار إِلَى النار، وبأرواح المؤمنين إِلَى الجنَّة، فيدبِّرون أمر عقابها بأن[2] تهيِّئها لإدراك مَا أُعدَّ لها مِنَ الآلام واللذَّات، أو الأوليان [٦٤٨] لَهُم، والباقيات لطوائفٍ مِنَ المَلائِكَة يسبحون فِي مضيِّها، أي: يُسرعون فِيهِ، فيسبقون إِلَى مَا أمروا بِهِ، فيُدبِّرون أمره، أو صفات أمره، أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة، فإنَّها تُنزع مِنَ الأبدان غرقا، أي: نزعا شديدا من إغراق النازع فِي القوس، فتنشط إِلَى عالم الملكوت وتسبح فِيهِ،

١ - فِي الأصل: «الدو»، وهو خطأ.

٢ - فِي الأصل: «فان»، وَهُوَ خطأ.

فتسبق إِلىَ حضائر القـدس، فتصير لشرفها وقوَّتها مِنَ المدبـِّرات؛ أو حـال سلوكها فإنـَّها تنزع عَن الشهوات، وتنـشط إِلىَ عـالم القُـدس، فـتسبح فيِ مراتب الارتـفاع فـتسبق إِلىَ الكمالات، حتى تصير مِنَ المكملات؛ وقيل: غير ذَلِكَ، تركناه اختصارا. أقسم ا لله بها عَلَى قيام الساعة.

﴿**يومَ تَرجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦)**﴾ المراد بالرجفة: الأجرام عِندَها وهـي (لَعَلَّـهُ) تضطرب وتـتحرَّك لِمَا بها [من] حركـة شـديدة، وهـي عِنـدَ النفخـة الأولى؛ ﴿**تـتـبَعُها الرَّادفة(٧)**﴾ (لَعَلَّهُ) وهي النفخة الثانية.

﴿**قلوبٌ يَوْمَئِذٍ واجفةٌ(٨)**﴾ شديدةُ الاضطرابِ مِنَ الخوف، وهي قلوب العاصين؛ مأخوذ من وجيف الخيل والرِّكَاب؛ ﴿**أبصارُها خاشعةٌ(٩)**﴾ حيرةً؛ وأضاف الأبصار إِلىَ القلوب والمراد: أبصار أصحابها، ﴿**يقولون: أَئِنـَّا لَمَرْدُودُونَ فيِ الْحَافِرَةِ(١٠)**﴾ فيِ الحالة الأولى، يَعنون الحياة بعد الموت، مـن قولهم: رجعَ فُلان فيِ حافرته، أي: طريقه التِـي جاء فِيهَـا فحفرهـا، أي: أثـَّر فِيهَا بمشيه، على النسبة، كقوله[1]: ﴿عيشة راضية﴾[2].

﴿**أَئِـذَا كُنـَّا عظامًـا نَّخِـرَةً(١١)**﴾ باليـةً ﴿**قَـالُوا: تلـك إِذًا كـرَّة خاسرة(١٢)**﴾ ذات خسران، أو خاسرا أصحابها؛ والمعنى: أَنـَّهَا إن صحَّـت فنحن إِذًا لخاسرون لتكذيـبنا بها، وَهُوَ استهزاء مِنـْهُم، ﴿**فإنـَّما هِيَ زجرةٌ وَاحِدَةٌ(١٣)**﴾ أي: لاَ يستصعبونها فما هِيَ إِلاَّ صيحة وَاحِدَة، يعني: النفخـة

---

١ - فيِ الأَصْلِ: «كقولهم».

٢ - سورة الحاقَّة: ٢١. القارعة: ٧.

الثانية؛ ﴿فإذَا هُـم بالسَّاهرة(١٤)﴾ فـإذا [هـم] أحيـاء عَلَى وجـه الأَرْض، بعدما كَانُوا أمواتا فِي بطنها، والساهرة: الأَرْض البيضـاء المستوية؛ وسُمَيـِّت ساهرة، لأَنَّ السراب يجري فِيهَا، من قولهم: عين ساهرة: جارية الماء، ونائمة ضدُّها، قَالَ:

وساهـرةٌ يَضحى السَّرَابُ مجلّلا      لأقطــارها قـد جبتُها متـلـثِّما

أو لأَنَّ سالكها لاَ ينام خوف الهلاك؛ وقيل: اسم جَهَنَّم.

﴿هلْ أتاك حديثُ مُوسى(١٥)﴾؟ أليس قد أتاك حديثه، فيسلِّيك عَلَى تكذيب قومك، ﴿إذْ نَادَاهُ ربـُّه بـالوادي المقدَّسِ طُوى(١٦)، اذهـب إِلَى فرعونَ إِنَّهُ طغَى(١٧)، فقل: هل لَّكَ إِلَى أن تَزَكَّى(١٨)﴾؟ هل لـك ميلٌ إِلَى أن تـتطهَّر مِنَ الكفر والطغيان، (لَعَلَّهُ) وَمَا عداه وَبالٌ عليـك، كمـا قَـالَ: ﴿لاَ خيرَ فِي كثير من نـَّجْوَاهم...﴾[1] الآيـَة؛ ﴿وأهدِيـَكَ إِلَى ربـِّك﴾ وأُرشدك إِلَى معرفته ﴿فَتَخْشَى(١٩)﴾ بأداء الواجبات وترك المحرَّمات، إذ الخشية إِنَّمَا تكون بعد المعرفة؛ ﴿فأراهُ الآيـةَ الكُبرى(٢٠)﴾ أي: فذهب وبلغ، فـأراه المعجزة الكبرى، ﴿فَكَذَّبَ وعَصَى(٢١)﴾ بعد ظهور الآية وتحقُّق الأمر، ﴿ثُمَّ أدبر﴾ عَن الطاعة ﴿يسعى(٢٢)﴾ سعيا فِي إبطـال أمـره، ﴿فحَشَرَ﴾ فجمع السحرة، أو جنوده، ﴿فنَادَى(٢٣)﴾ فِي المجمع بنفسه، أو مناد؛ ﴿فقال: أنا رَبُّكُم الأَعلى(٢٤)﴾ كُلُّ من يلي أمركـم، ﴿فأخذه الله

١ - سورة النسـاء: ١١٤؛ وتمامها: ﴿إلاَّ من أمر بصدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس؛ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نُؤتِيه أجرا عظيما﴾.

**نَكَالَ الآخِرَة والأولى(٢٥)** أخذا منكّلاً لِمَن حلَّ بِهِ فِي الآخِرَة بـالإحراق، وفِي الدُّنْـيَا بالإغراق، ﴿**إنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبرةً لِمن يَخشى(٢٦)**﴾ لِمن كَانَ من شأنه الخشية.

﴿**أأنتـم أشـدُّ خلقـا**﴾؟ أصعـب خلقـا أيـُّهَا المنكـرون للبعـث، ﴿**أم السَّمَـاء**﴾؟ ثُمَّ بيَّن كيف خلقها، فقال: ﴿**بناها(٢٧)**﴾ (لَعَلَّهُ) أي: من قـدر عَلَى خلق السَّمَاء يقدر عَلَى حياتكم بعد الموت؛ ثُمَّ بـيَّن البناء، فقال: ﴿**رفعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاها(٢٨)**﴾ فعدَّلها، أو فجعلها مستوية، أو فـتمَّمها بِمَـا يـتمُّ بـهِ كَمالَهَا؛ ﴿**وأغطـشَ ليلَهـا**﴾ أظلمـه؛ منقـولٌ مـن غَطش الليـل: إذَا أظلـم؛ ﴿**وأخـرجَ ضُحاهـا(٢٩)**﴾ وأبـرزَ ضـوءَ شمسـها، كقولـه: ﴿والشـمس وضحاها﴾[1] يريد النَّهَار.

﴿**والأَرْضَ بعدَ ذَلِـكَ دحَاهـا(٣٠)**﴾ بسـطها ومهَّدهـا، ﴿**أخـرجَ منهـا ماءَهـا**﴾ بتفجـير العيـون، ﴿**ومَرعاهـا(٣١)**﴾ لِرَعيهـا، ﴿**والجبـالَ أرسَاها(٣٢)**﴾ أثبتها، ﴿**متاعًا لَكُم ولأنعـامِكم(٣٣)**﴾ تمتيعـا لكـم، وتمتيع المواشي راجع إِلَى تمتيعهم أَيْضًا.

﴿**فإذا جاءَت الطَّامة**﴾ الدَّاهية التِي تطمُّ، أي: تعلو عَلَى سـائر الدواهـي مِنَ الأمـور الدنيويـَّة، ﴿**الكـبرى(٣٤)**﴾ التِـي هِـيَ أكـثر الطامَّـات، وهـي القيامـة، أو طامَّـة الموت، لأنـَّهَا أكـبر الدواهـي فِي الدُّنْـيَا؛ ﴿**يـومَ يتذَكَّـر**

---

١ - سورة الشمس: ١.

**الإِنْسَانُ مَا سَعَى(٣٥)﴾** بأنْ يراهُ مدوَّنا فِي صحيفته، وكَانَ قد نسيَها من فرط الغفلة؛ **﴿وبُرِّزت الجحيم﴾** وأُظهرت **﴿لِمن يَرَى(٣٦)﴾** لِكُلِّ راءٍ، أو كافر؛ **﴿فأمَّا مَن طَغَى(٣٧) وآثرَ الحياةَ الدُّنْيَا(٣٨)﴾** فانهمك فِيهَا، و لم يستعدَّ للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس، **﴿فإنَّ الجحيمَ هِيَ المأْوَى(٣٩)﴾** هِيَ مأواه؛ **﴿وأمَّا مَن خافَ مقامَ ربِّه﴾** مقامه بين يديه، لعلمه بالمبدإ والمعاد، **﴿ونَهَى النفسَ عَنِ الْهَوى(٤٠)﴾** لَعلمه بأنَّه عدوٌّ مهلكٌ، **﴿فإنَّ الجنَّةَ هِيَ المأْوَى(٤١)﴾** ليس لها سواها مأوى.

**﴿يسألُونكَ عَنِ السَّاعة أيَّانَ مُرساها(٤٢)﴾**؟ متى إرساؤها، أي: إقامتها وإثباتها ومنتهاها ومستقرها، مِن مرسى السفينة: وَهُوَ حيث تنتهي إِلَيْهِ وتستقرُّ، **﴿فِيمَ أنت مِن ذِكراها(٤٣)﴾** فِي أيِّ شيء من أن تذكر وقتا لَهُم؛ أي: مَا أنت مِن ذكراها لَهُم، وتبيين وقتها فِي شيء، فإنَّ ذِكرها لاَ يزيدهم إلاَّ غيًّا، ووقتُها مِمَّا استأثره[1] الله بعلمه؛ وقيل: «فيم» إنكار لسؤالهم و«أنت مِن ذِكراها» مستأنف، معناه: أنت ذِكرٌ مِن ذكراها، أي: علامة من أشراطها، فإنَّ إرساله خاتما للأنبياء أمارة من أماراتها؛ وقيل: إنَّهُ مُتَّصل، والجواب: **﴿إلَى رَبِّكَ مُنتَهَاها(٤٤)﴾** [٦٥٠] أي: منتهى علمها؛ **﴿إنَّمَا أنتَ مُنذرُ مَن يخشاها(٤٥)﴾** إنَّمَا بُعِثت لإنذار من يخاف هولها.

**﴿كأنَّهم يومَ يرونَهَا لم يلبَثُوا﴾** أي: فِي الدُّنْيَا أو فِي القبور **﴿إلاَّ عشيَّةً أو ضُحاها(٤٦)﴾** إلاَّ عشيَّةَ يوم أو ضُحاه، كقوله: **﴿إلاَّ ساعةً مِن نَّهار﴾**[2].

---

١ - كذا فِي تفسير البيضاوي أيضًا وَلَعَلَّ الصواب: «استأثر». انظر: ج٤/ ص٢٤٣.

٢ - الأحقاف: ٣٥.



# سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ﴾ بوَجهِه، ﴿وتَوَلَّى(١)﴾ أعرض بحاله، أو بشخصه، ﴿أَن جَاءَهُ الأَعمَى(٢)﴾ رُوي أنَّ ابن أمِّ مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعِندَه أحدٌ مِنَ الأغنياء يتصدَّى لَهُ ليعلِّمه، فكأنَّه عاتبه الله عَلَى ذَلِكَ، وكَانَ بعد ذَلِكَ يُكرمه، ويقول إِذَا رآه: «*مرحبا بِمَن عاتبنِي فِيهِ رَبِّي*»[1]، ﴿وَمَا يُدرِيك لعَلَّه يَزَّكَّى(٣)﴾؟ (لَعَلَّهُ) أي: قامت عليك الدلائل فِيهِ، لأَنَّ مراده التطهُّر من آثامه وسوء أخلاقه، لأَنَّهُ قيل: كلَّما جاء فِي القرآن: ﴿وَمَا يُدريك﴾ فهو يَدريه، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى(٤)﴾؟ أي: يتَّعظُ فتنفعه موعظتُك. ﴿أمَّا مَن استغنى(٥) فأنت لَهُ تَصدَّى(٦)﴾ أي: تتعرض بالإقبال عليه، ﴿وَمَا عليك ألاَّ يَزَّكَّى(٧)﴾ أي: لاَ وجوب عليك تزكيته بالإسلام إن أبى، ﴿إِن عليك إِلاَّ البلاغ﴾[2].

---

١ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث. وقد عزاه الألوسيُّ إِلَى «ابن عبد البرِّ فِي الاستيعاب عن أهل العلم بالسير». الألوسي: روح المعاني، ج٣٠/ ص٣٩. كما أوردته كتب التفسير. انظر: الزمخشري: الكشَّاف، ٥٦٠/٤. البغوي: معالم التنزيل، ٤٤٦/٤. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص١٠٧.

٢ - سورة الشورى: ٤٨.

﴿وأمَّا مَن جاءَك يَسعى(٨)﴾ يسرِع طالبـا للخير ﴿وَهُـوَ يخشـى(٩)﴾ ا لله، ﴿فأنت عَـنْـهُ تَلَهَّى(١٠)﴾ تـتشاغل (لَعَلَّهُ) بمَا لاَ معنى لَهُ، عَن معنـى مهمٍّ، وَلَعَلَّ ذِكره بالتصدِّي والتلهِّي، للإشعار بـأنَّ العتـاب عَلَـى اهتمـام قلبه بالغنيِّ، وتلهِّيه عَن الفقير؛ وسمَّـاه ا لله تعالى تلهِّيا[1] من حيث (لَعَلَّهُ) إنَّـهُ شَغله عمَّا هُوَ أنفع مِنْهُ: تذكُّر مَن تـنفعه الذكرى، (لَعَلَّهُ) والاشتغال بمَـا لاَ معنـى لَهُ. (اشتغال عَن معنى)[2]. و(لَعَلَّهُ) قد قامت عليه الأمـارات بذلـك: أنَّ هَـذَا تنفعه، وذاك لاَ تنفعه، فلذلك عاتبه، لأنَّـهُ لـو كَانـا عِنـدَه بمثابـة واحـدة، لم يستحقَّ عتابا بعد، وَا للهُ أعلم.

﴿كَـلاَّ﴾ ردع عَـن معـاودة مثلـه، ﴿إنَّـها تذكـرة(١١)، فمـن شـاء ذكرَه(١٢)﴾ حفِظه أو اتَّعظ بـهِ، والضمـيران للقـرآن، أو العتـابِ المذكـور ﴿فِي صُحفٍ﴾ مثبتـة، فِيهَا صفة التذكرة، ﴿مُكَرَّمةٍ(١٣)﴾ عِندَ ا لله وعِنـدَ أوليائه؛ ﴿مرفوعةٍ﴾ [مرفوعةٍ] القدرِ عَن حزب الشيطان، كقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آياتي الذِينَ يتكبَّرون فِي الأَرْض بغير الحَقِّ﴾[3]، ﴿مُطهَّرةٍ(١٤)﴾ منزَّهـةٍ عَـنْـهُم[4]، ﴿بأيدي سفَرَةٍ(١٥)﴾ كتبة مِنَ المَلاَئِـكَة، أو الأنـبـياء ينسـخون الكتب مِنَ اللوح، أو الوحي، أو سفراء يسفرون بالوحي بين ا لله ورسـوله أو

---

١ - فِي الأصل: «تهليا»، وهو خطأ.

٢ - لم يَتـَّضِح ما موقع هَذِهِ العبارة فِي هَذَا السياق.

٣ - سورة الأعراف: ١٤٦.

٤ - الضمير فِي «عنهم» يعود عَلَى حزب الشيطان المذكور. وَفِي تفسير البيضاويِّ: «منزَّهة عن أيدي الشياطين». ج٤/ ص٢٤٤.

الأُمَّة، جمعُ سافر، مِنَ السفر، أو السفارة والتركيب للكشف، يقال: سفرت المرأة: إِذَا كشفت وجهها، ﴿كرامٍ﴾ أعزَّاء عَلَى ا لله، أو متعطِّفين عَلَى المؤمنين، ﴿بَرَرَةٍ(١٦)﴾ أتقياء.

﴿قُتِل﴾ أي: نابذناه القتال بعدما نابَذَنا؛ وَهُوَ كقوله: ﴿قاتَلَهم ا لله﴾[1]، ﴿الإِنْسَانُ مَا أكفَرَهُ(١٧)﴾! (لَعَلَّهُ) مَا أشدَّ كفره؛ وذلك بمعنى الدعاء عليه، دعا عليه بأشنع الدعوات، وتعجَّب من إفراطه فِي الكفران، وَهُوَ مع قصره [٦٥١] يدلُّ عَلَى سخط عظيم وذمٍّ بليغ، (لَعَلَّهُ) والتعريف للجنس، وكَأَنَّ جنسه أسرع إِلَى الكفر من غيره؛ ﴿من أيِّ شيءٍ خلَقَهُ(١٨)﴾؟ بيان لِمَا أنعم عليه، خصوصا من مبدإ حدوثه؛ والاستفهام للتحقير، ولذلك أجاب عَنْهُ بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(١٩)﴾ فهيَّأ لَهُ مَا يصلحه مِنَ الأعضاء والأشكال، أو فقدَّره أطوارا إِلَى أن أتَمَّ خِلقته؛ ﴿ثُمَّ السَّبيلَ يَسَّرهُ(٢٠)﴾ سبيل الخير والشرِّ؛ وفيه إيماء بأنَّ الدُّنْيَا طريق، والمقصد غيرها، ولذلك عقَّبه بقوله: ﴿ثُمَّ أماته فَأَقْبَرَهُ(٢١) ثُمَّ إِذَا شاء أنشرَهُ(٢٢)﴾ جعل الإماتة والإقبار مِنَ النِّعم، لأَنَّ الإماتة وصلَةٌ فِي الجملة إِلَى الحياة الأبديَّة، واللذَّات الخالصة؛ والأمر بالقبر تكرمة وصيانة؛ وفي «إِذَا شاء» إشعار بأَنَّ وقت النشور غير متعيِّن فِي نفسه، وَإِنَّمَا هُوَ مَوكُول إِلَى مشيئته. ﴿كَلاَّ﴾ ردع للإنسان عَمَّا هُوَ عليه، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ(٢٣)﴾ لم يقض مَا أمره ا لله مِنَ الأمر والنهي.

---

١ - سورة التوبة: ٣٠. المنافقون: ٤. فِي الأَصْلِ: «قاتله» وَهُوَ خطأ.

وَلَمَّا ذَكر خلق ابن آدم، ذَكر رزقَه ليعتبر فقال: ﴿**فلينظرِ الإنْسَانُ إلَى طعامه(٢٤)**﴾ إتبَاع للنعم الذَّاتِيَّة بالنعم الخَارِجيَّة، ﴿**إنَّا صَبَبْنا الماءَ صبًّا(٢٥)، ثُمَّ شَقَقنا الأَرْض شقًّا(٢٦)، فأنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(٢٧) وعِنَبًا، وَقَضْبًا(٢٨)**﴾ قيل: القَتُّ ﴿**وزيتونا، ونخلا(٢٩)، وحدائقَ غُلبًا(٣٠)**﴾ عِظاما؛ وصفَ بِهِ الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها، أو لأَنـَّهَا ذات أشجار غلاظ، ﴿**وفاكهةً وأبًّا(٣١)**﴾ ومرعًى، من أبَّ: إذَا أمَّ، لأَنَّهُ يؤمُّ وينتجع؛ أو مِن أبَّ لكذا: إذَا تهيَّأ لَهُ، لأَنَّهُ متهيِّء[1] للرعي؛ أو فاكهة يابسة تؤبُّ للشتاء؛ ﴿**متاعا لكم ولأنعامكم(٣٢)**﴾ فإنَّ الأنواع المذكورة بعضها طعام، وبعضها علف.

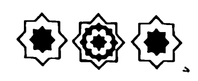
﴿**فإذا جاءَت الصَّاخَّةُ(٣٣)**﴾ حالة الهلاك، أي: يصخُّ المرء لها؛ (لَعَلَّهُ) أو يصخُّ منها، ﴿**يومَ يَفِرُّ المرءُ**﴾ مِنَ المحبَّة الدُّنْيَوِيَّة عند انكشاف الحقائق، فيفرُّ ﴿**من أخيه(٣٤) وأمِّه وأبيه(٣٥) وصاحبتِه وبنيه(٣٦)**﴾ (لَعَلَّهُ) لاَ يلتفت إلَى [أيِّ] وَاحِد مِنْهُم لاشتغاله بشأنه، وعلمه بأنـَّهم لاَ ينفعونه؛ ﴿**لِكُلِّ أمرئ مِّنْهُم**﴾ مِن صالح وطالح ﴿**يَوْمَئِذٍ شأنٌ يُغنِيهِ(٣٧)**﴾ يكفيه في الاهتمام، (لَعَلَّهُ) ويشغله عَن شغل غيره، وهكذا العاقل فِي الدُّنْيَا لَهُ شغل من نفسه يغنيه عَن الاشتغال بغيره، فينبغي لَهُ الفرارُ والهجرةُ إلَى ا لله (لَعَلَّهُ) من كُلِّ شيء عَلَى سبيل الاختيار، قبل الحيلُولة عَن ذَلِكَ.

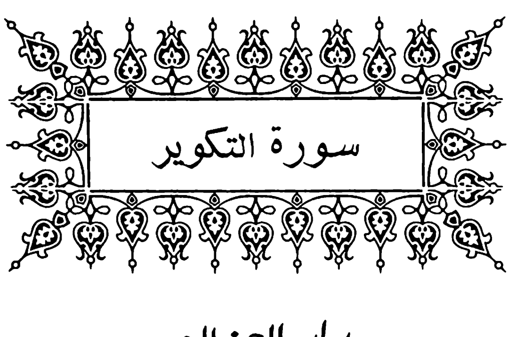
---

١ - فِي الأَصْلِ: «منتهى»؛ وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٤٤. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص١١٢.

﴿**وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسفِرةٌ(٣٨)**﴾ (لَعَلَّهُ) مضيئةٌ مشرقةٌ، من إسفارِ الصبح، ﴿**ضاحكةٌ**﴾ بالسرور، ﴿**مُسْتَبْشِرَةٌ(٣٩)**﴾ بِمَا تَرى مِنَ البشارة.

﴿**ووُجوهٌ يَوْمَئِذٍ عليهَا غَبَرَةٌ(٤٠)**﴾ كُسوف وكُدورة، ﴿**تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ(٤١)**﴾ يغشاها سواد وظُلمة وكسوف؛ قيل: الفرق بين الغَبَرة والقَتَرة: مَا ارتفع مِنَ الغبار فحلَّق [فِي] السَّمَاء، والغبرة: مَا كَانَ أسفل، ﴿**أُولَـئِكَ هُمُ الكَفَرةُ الفَجَرةُ(٤٢)**﴾ الذِينَ جمعوا إلىَ الكفرِ الفجورَ.





# سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشمسُ كُوِّرت(١)﴾ لُفت، مِن كوَّرت [٦٥٢] العمامة: إِذَا لففتها، أي: لُفَّ ضوءها، فذهب انبساطه فِي الآفاق وزال أثره، أو ألقيت عَن فلكها؛ ﴿وَإِذَا النُّجومُ انكَدَرت(٢)﴾ انقضت أو أظلمت؛ ﴿وَإِذَا الجبال سُيِّرت(٣)﴾ عَن وجه الأَرْض أو فِي الجوِّ؛ ﴿وَإِذَا العِشَارُ﴾ قيل: النُّوق التِي أتى عَلَى حملهنَّ عشرة أشهر، ﴿عُطِّلت(٤)﴾ تُركت مهملة؛ ﴿وَإِذَا الوُحوش حُشِرت(٥)﴾ جُمعت من كُلِّ جانب، (لَعَلَّهُ) أو فنِيت.

﴿وَإِذَا البحارُ سُجِّرت(٦)﴾ أملئت[1] بتفجير بعضها إِلَى بعض؛ ﴿وَإِذَا النُّفوس زُوِّجت(٧)﴾ قُرِنت بالأبدان أو بِعملها؛ ﴿وَإِذَا الموءُودَة﴾ (لَعَلَّهُ) وهي الجارية المدفونة حيَّة؛ وكانت العرب تَئِد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أسباب فعلهنَّ؛ وقيل: النطفة المستخرجة بالعبث، حَتَّى قيل:إنَّ يد العابث بها، تُبعث يوم القيامة حُبلى، ﴿سُئلت(٨) بأيِّ ذنب قُتِلت(٩)﴾

١ - وَفِي تفسير البيضاويِّ: «أحميت أو ملئت». ج٤/ ص٢٤٥.

تبكيت للفاعل بها، كتبكيت[1] النصارى بقوله تعالى لعيسى: ﴿أأنتَ قلتَ للناسِ...﴾[2] وقرئ: «سألَت» أي: خاصمت عَن نفسها، وسؤالها توبيخ لوائدها، لأنَّهَا تقول: قُتلت بغير ذنب أذنبت.

﴿**وَإذَا الصُّحفُ نُشرت**(١٠)﴾ صحف الأعمال ليقال للعامل: ﴿اقرأ كتابَك...﴾ الآية[3]؛ ﴿**وَإِذَا السَّمَاء كُشِطت**(١١)﴾ قُلعت وأُزيلت كما يُكشط الغطاء عَن الشيء؛ ﴿**وَإِذَا الجحيم سُعِّرت**(١٢)﴾ أُوقدت؛ ﴿**وَإِذَا الجَنَّة أُزلِفت**(١٣)﴾ قُرِّبت مِنَ المؤمنين؛ ﴿**عَلمت نفسٌ مَّا أحضَرت**(١٤)﴾ (لَعَلَّهُ) من عملها.

﴿**فلا أُقسمُ بالْخُنَّسِ**(١٥)﴾ بالكواكب الرواجع، مِن خَنَس: إِذَا تأخَّر، ﴿**الجوارِ الكُنَّس**(١٦)﴾ السيارات التِي تختفي تحت ضوء الشمس، من كَنس الوحش: إِذَا دخل كناسه؛ ﴿**واللَّيْل إِذَا عَسعَسَ**(١٧)﴾ أقبل ظلامه وأدبر، وَهُوَ مِنَ الأضداد؛ ﴿**والصُّبح إِذَا تنفَّس**(١٨)﴾ أي: أضاء.

﴿**إِنَّهُ لقولُ رسولٍ كريمٍ**(١٩)﴾ يعني: جبريل، فَإِنَّهُ قاله عَن الله تعالى، ﴿**ذِي قوَّة**﴾ كقوله: ﴿شديدُ القوى﴾[4]، ﴿**عِندَ ذِي العرشِ مَكِينٍ**(٢٠)﴾ عِندَ الله ذي مكانة، ﴿**مُطَاع**﴾ (لَعَلَّهُ) فِي السَّمَاء أو فِي الأَرْض، لأَنَّهُ إمام، ﴿**ثَمَّ أَمِينٍ**(٢١)﴾ عَلَى الوحي.

---

١ - في الأصل: «كتكبت»، وهو خطأ.

٢ - سورة المائدة: ١١٦.

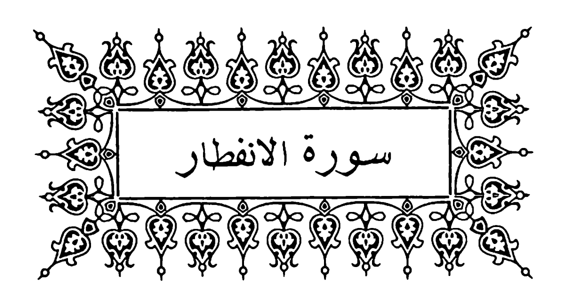
٣ - سورة الإسراء: ١٤؛ وتمامها: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾.

٤ - سورة النجم: ٥.

﴿وَمَا صاحِبُكم بمجنونٍ(٢٢) وَلَقَد رآه﴾ وَلَقَد رأى رسولُ ا لله جبريل ﴿بالأُفقِ الْمُبين(٢٣)﴾ بمطلع الشمس الأعلى، ﴿وَمَا هُوَ﴾ وَمَا محمَّد ﴿عَلَى الغيب﴾ عَلَى مَا يخبره مِنَ الوحي إليه وغيره مِنَ الغيوب ﴿بظنِينٍ(٢٤)﴾ متَّهم؛ مِنَ الظنَّة: وهي التهمة، وقرئ: «بِضَنين» مِنَ الضِّن: وَهُوَ البخل، أي: لاَ يبخل بالتبليغ. والضاد مِنَ أصل حافة اللسان وَمَا يليها مِنَ الأضراس، مِن يمين اللسان أو يساره، والظاء مِن طرفي اللسان وأصول الثنايا العليا؛ ﴿وَمَا هُوَ بِقَولِ شيطانٍ رَّجِيمٍ(٢٥)﴾ بقول بعض المسترقة للسمع؛ وهي نفي قولهم: إنَّهَا لكهانة وسحر؛ أو مَا يلقيه الشيطان مِنَ الوسوسة.

﴿فأين تَذهبُونَ(٢٦)﴾؟ [٦٥٣] استضلال لَهُم فيما يسلكونه مِن أمر الرسول والقرآن، كقولك لتارك الجادَّة: أين تذهب؟ وأين تَسلك؟ أيُّ طريق أَبْين لك من طريق الحَقِّ؟ ﴿إِنَّ هُوَ إلاَّ ذِكر للعالمِينَ(٢٧)، لمن شاء مِنْكُم أن يستقيم(٢٨)﴾ بتحرِّي الحَقِّ وملازمة الصواب؛ ﴿وَمَا تشاءون إلاَّ أن يَشَاءَ ا للهُ ربُّ الْعَالَمِينَ(٢٩)﴾.





# سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ(١)﴾ انشقَّت؛ ﴿وَإِذَا الكواكبُ انتثرت(٢)﴾ تساقطت؛ ﴿وَإِذَا البحارُ فُجِّرت(٣)﴾ فُتِح بعضها إِلَىٰ بعض؛ ﴿وَإِذَا القبور بُعثِرت(٤)﴾ قُلِب ترابها، وأُخرج موتاها؛ ﴿عَلِمَت نفسٌ مَّا قَدَّمت﴾ مِن عمل أو صدقة، ﴿وأَخَّرت(٥)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّك بربِّكَ الكريمِ(٦)﴾ أيُّ شيء خدعك وجرَّك عَلَى عِصيانه؛ وذكر الكريم للمبالغة فِي المنع عَن الاغترار، فإنَّ محض الكرم لاَ يقتضي إهمال الظالم، وتسوية المُوالي والْمُعادي، والمطيع والعاصي، فكيف إِذَا انضمَّ إِلَيْهِ صفة القهر والانتقام، والإشعار بِمَا بِهِ يغرُّه الشيطان، فَإِنَّهُ يقول لَهُ: افعل مَا شئت فربُّكَ كريمٌ لاَ يعذِّب أحدا، وَلاَ يعاجل بالعقوبة؛ والدلالة عَلَى كثرة كرمه تستدعي الجِدَّ فِي طاعته، لاَ الانهماك فِي عصيانه، اغترارا بكرمه.

﴿الذِي خلَقَك فَسوَّاك فعَدَلَك(٧)﴾ صفة ثانية مقرِّرة للربوبيَّة، مُبيِّنة للكرم، منبِّهة عَلَى [أَنَّ] مَن قدر عَلَى ذَلِكَ أَوَّلاً قَدرَ عليه ثانيا؛ والتسوية:

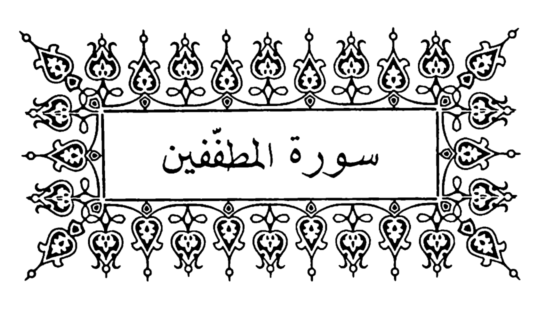
جعْل الأعضاء سليمة مُسوَّاة، مُعـدَّة لمنافعها؛ والتعديل: جعلُ البنية معتدلة متناسبة الأعضاء، أو معدَّلة مِمَّا تستعدُّها مِنَ القوى، وقرئ: «فعدَّلك» أي: عدَّل بعض أعضائك ببعض حَتَّى اعتدلت؛ أو فصرفك عَن خلقة غيرك، ومغيِّرك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات، ﴿**فِي أيِّ صورةٍ مَّا شاءَ ركَّبك(٨)**﴾ أي: ركَّبك فِي أيِّ صورة شاءَها.

﴿**كَلاَّ**﴾ ردع للاغترار بكرم الله، وقوله: ﴿**بَل تُكذِّبون بالدِّينِ(٩)**﴾ إضراب إِلَى بيان مَا هُوَ السبب الأصليُّ فِي اغترارهم؛ والمراد بالدِّين: الجزاء، أو الإسلام، ﴿**وإنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ(١٠)كراما كاتبينَ(١١)، يَعْلَمُونَ مَا تفعلُونَ(١٢)**﴾ تحقيق لِمَا يكذِّبون بِهِ، وردٌّ لِمَا يتوقَّعون مِنَ التسامح والإهمال؛ وتعظيم الكَتَبة بكونهم كراما عِندَ الله لتعظيم الجزاء.

﴿**إنَّ الأبرارَ لَفِي نعيم(١٣)، وإنَّ الفجَّار لَفِي جحيم(١٤)**﴾ بيان لِمَا يكتبون لأجله، ﴿**يَصْلَونَها**﴾ يُقاسون حرَّها ﴿**يومَ الدِّينَ(١٥)، وَمَا هم عنها بغائبِينَ(١٦)**﴾ لخلودهم فِيهَا.

﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يومُ الدِّينِ(١٧)**﴾؟ تفخيم لشأنه، ﴿**ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يومُ الدِّينِ(١٨)**﴾ تعجيب وتفخيم ثان لشأن اليوم أَيْضًا، أي: كُنهَ أمره، بحيث لاَ تُدركه دراية دارٍ، ﴿**يوم لاَ تملك نفسٌ لنفسٍ شَيْئًا، والأمر يَوْمَئِذٍ لله(١٩)**﴾ تقريرٌ لشدَّة هوله، ومخافة أمره إجمالا.





# سورة المطفّفين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**وَيْلٌ لِّلمطَفِّفِينَ(١)** [٦٥٤] **الذِينَ إِذَا اكتالوا عَلَى الناس يَستَوفُونَ(٢)**﴾ أي: إذَا اكتالوا مِنَ الناس حقوقهم يأخذونها وافية، (لَعَلَّهُ) وتعُمُّ فِيهِ الحقوق الماليَّة والبدنيَّة والحاليَّة، ﴿**وَإِذَا كالُوهم أو وَّزَنوهم يُخسِرُونَ(٣)**﴾ بيان لاختلاف حالهم فِي الأخذ والدفع؛ ﴿**أَلاَ يَظُنُّ أُولَـئِكَ أَنَّهُمْ مَّبعوثُونَ(٤)**﴾؟ فإنَّ مَن ظنَّ ذَلِكَ، لم يتجاسر عَلَى أمثال هَذِهِ القبائح، فكيف بمن يتيقّنه؛ وفيه إنكار وتعجُّب من حالهم، ﴿**ليوم عظيم(٥)**﴾ عظّمه لعِظم مَا يكون فِيهِ، ﴿**يوم يقومُ الناسُ لربِّ الْعَالَمِينَ(٦)**﴾ إِلَى حكمه وقضائه وجزائه، وفِي هَذَا الإنكارِ، والتعجُّبِ، وذِكرِ الظنِّ، ووصفِ اليوم بالعظم، وقيامِ الناس فِيهِ لله، والتعبيرِ عَنْهُ بـ«ربِّ الْعَالَمِينَ» مبالغاتٌ فِي المنع عَن التطفيف وتعظيم إثمه.

﴿**كَلاَّ**﴾ ردع عَن التطفيف، والغفلة عَن البعث والحساب، ﴿**إِنَّ كِتَاب الفُجَّارِ**﴾ مَا يُكتب مِن أعمالهم، أو كتابة أعمالهم، ﴿**لفي سِجِّين(٧)**﴾ كِتَاب جامع لأعمال الفجرة مِنَ الثقلين، كما قَالَ: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ(٨)؟ كِتَابٌ**

**مَّرقُومٌ(٩)﴾** أي: مسطور بيِّن الكتابة، ومعلمٌ يُعلَم من ورائه[1] أنَّهُ لاَ خير فِيهِ، فعيل: مِنَ السِّجن، لُقِّب بِهِ الكتاب، لأنَّهُ سبب الحبس.

**﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ(١٠)﴾** بِالْحَقِّ، **﴿الذِينَ يُكذِّبُون بيوم الدِّينِ(١١)﴾** صفة مخصِّصَة أو موضِّحة أو ذامَّة، **﴿وَمَا يُكذِّب بِهِ إلاَّ كُلُّ مُعتدٍ﴾** متجاوز عَن النظر، غال فِي التقليد، حَتَّى استقصر قدرة الله وعلمه، فاستحال مِنْهُ الإعادة، **﴿أثيم(١٢)﴾** منهمك فِي الشهوات المخدجة، بحيث أشغلته عَمَّا وراءها، وحملته عَلَى الإنكار لِمَا عداها، **﴿إِذَا تُتلى عليه آياتُنا قَالَ: أساطيرُ الأَوَّلِينَ(١٣)﴾** من فرط جهله وإعراضه عَن الحَقِّ، فلا تنفعه شواهد النقل، كما لم تنفعه دلائل العقل.

**﴿كَلاَّ﴾** ردع عَن هَذَا القول. **﴿بَلْ رَانَ عَلَى قلوبهم مَّا كَانُوا يَكسِبُونَ(١٤)﴾** ردٌّ لِمَا قالوه، وبيان لِمَا أدَّى بهم هَذَا القول، بأن غلب عَلَيْهِم حبُّ المعاصي، بالانهماك فِيهَا، حَتَّى صار ذَلِكَ صدأً عَلَى قلوبهم، فعمي عَلَيْهِم معرفة الحقِّ والباطل، (لَعَلَّهُ) لأَنَّ الحبَّ للشيء يُعمي ويُصمُّ صاحبه عَن ضدِّه، وكثرة الأفعال السَّيِّئَة سبب لحصول (لَعَلَّهُ) الظلمات عَلَى القلب، كما قَالَ الـ[عليه السلام] : *«إنَّ العبد كلَّما أذنب ذنبا، حصل فِي قلبه نكتة سوداء حَتَّى يسودَّ قلبُه»*[2]، والرين: الصدأ.

---

١ - وَفِي تفسير البيضاويِّ: «يَعلم مَن رآه». ج٤/ ص٢٤٧.

٢ - رواه الترمذيُّ: كتاب تفسير القرآن: رقم ٣٢٥٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ =

﴿كَلاَّ﴾ ردع عَن الكسب الرائن؛ ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَّمَحجُوبُونَ(١٥)﴾ (لَعَلَّهُ) بالظلمات عَن توفيقه وثوابه؛ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الجحيمِ(١٦)﴾ لَيَدخلون النار، ويصلون بها، ﴿ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا﴾ (لَعَلَّهُ) العذاب ﴿الذِي كُنتُم بِهِ تكذِّبُونَ(١٧)﴾ يقوله لَهُم الزبانية توبيخا لَهُم، وإهانة لَهُم.

﴿كَلاَّ، إنَّ كِتَاب الأبرار لَفِي عِلِّيِّينَ(١٨)﴾ علوٌّ بعد عُلوٍّ، وشرف بعد شرف؛ [٦٥٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(١٩)؟ كِتَابٌ مَّرقُومٌ(٢٠) يَشهَدُهُ المقرَّبُونَ(٢١)﴾ يَحضرونه فيحفظونه، أو يشهدون عَلَى مَا فِيهِ يوم القيامة؛ ﴿إِنَّ الأبرارَ لَفِي نعيمٍ(٢٢) عَلَى الأرائك يَنظُرُونَ(٢٣)﴾ إِلَى مَا يَسُرُّهم مِنَ النِّعم والمنفرجات، ﴿تَعرِف فِي وجوههم نَضرَةَ النعيم(٢٤)﴾ بهجةَ التنعُّم، ﴿يُسقَون مِن رَّحيقٍ﴾ (لَعَلَّهُ) شراب خالص، ﴿مختومٍ(٢٥) خِتامُه مِسكٌ﴾ أي: مختوم أوانيه بالمسك، مكَانَ الطين، وَلَعَلَّهُ تمثيل لنفَاسته[1]، ﴿وفي ذَلِكَ﴾ يعني: الرحيق أو النعيم ﴿فليتنافسِ

---

قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾». قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه ابن ماجه: كتاب الزهد، رقم ٤٢٣٤ بلفظ: «صُقِلَ قَلْبُهُ». ورواه أحمد في باقي مسند المكثرين، رقم ٧٦١١. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «نكتة سوداء».

١ - فِي الأَصْلِ: «لنفاسيهِ»، و لم يذكره صاحب اللسان أو القاموس بهذا الوزن. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٦/ ص٦٨٨-٦٩١، مَادَّة «نفس». الفيروزآبادي: القاموس، ص٥٢٠، مَادَّة: «نفس».

**المتنافسُونَ(٢٦)﴾** فليرتغب المرتغبون؛ وقيل: فليرغب الراغبون بالمبادرة إِلَى طاعة ا لله.

**﴿ومزاجُه مِن تَسنِيم(٢٧)﴾** عَلمٌ لعَيْن بِعينها، سُمَيِّت تسنيما لرفعة شرابها، **﴿عَينا يشربُ بها المقرَّبُونَ(٢٨)﴾** فَإِنَّهُمْ يشربون[ـها] صرفا، لأَنَّهُم لم يشتغلوا بغير ا لله، وتمزج لسائر أهل الجَنَّة (لَعَلَّهُ) مِن أدناهم، وَإِنَّمَا زاد طيب شراب الأبرار بِمَا مزج من شراب المقرَّبين. قَالَ الغزالي: «وَإِنَّمَا طاب شراب الأبرار بشرب شراب الصِّرف الذِي هُوَ للمقرَّبين». والشراب عبارة عَن جملة نعيم الجنان، كما أنَّ الكتاب عبارة عَن جميع الأعمال، فقال: ﴿إِنَّ كِتَاب الأبرار لَفِي عِلِّيِّين﴾، ثُمَّ ﴿يشهده المقرَّبون﴾.

**﴿إِنَّ الذِينَ أجرَموا كَانُوا مِنَ الذِينَ آمنوا يَضحكُونَ(٢٩)﴾** استهزاء بهم؛ **﴿وَإِذَا مَرُّوا بهم يتغامزُونَ(٣٠)﴾** يغمز بعضُهم بعضًا[1]، ويشيرون بأعينهم؛ **﴿وَإِذَا انقلبوا إِلَى أهلهم انقَلبوا فكهِينَ(٣١)﴾** مُتلذِّذين بالسخريَّة مِنْهُم، **﴿وَإِذَا رأوهم قَالُوا: إِنَّ هَؤُلاَءِ لضالُّونَ(٣٢)﴾** نسبونهم إِلَى الضلال، **﴿وَمَا أُرسِلوا عليهم﴾** عَلَى المؤمنين **﴿حافظِينَ(٣٣)﴾**، يحفظون عَلَيْهِم أعمالهم، ويشهدون برشدهم وضلالهم.

**﴿فاليومَ الذِينَ آمنوا مِنَ الكُفَّار يضحكُونَ(٣٤)﴾** حين يَرونهم أذلاَّء مغلولين فِي النار، (لَعَلَّهُ) يتنعَّمون بذلك، **﴿عَلَى الأرائك ينظُرُونَ(٣٥) هل ثُوِّب الكفار﴾**؟ هل جُوزي الكُفَّار **﴿مَا كَانُوا يفعلُونَ(٣٦)﴾** (لَعَلَّهُ) فلم يُثابوا عَلَى عملهم كما ثيب المؤمنون.

---

١ - في الأصل: «يغمز من بعضهم بَعض»، وَهُوَ خطأ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاء انشقَّت(١)﴾ بالغمام لقوله: ﴿يوم تَشَقَّق السَّمَاء بالغمام﴾[1]، ﴿وأَذِنت لربِّها﴾ واستمعت لَهُ وانقادت، لتأثير قدرته حين أَرَادَ انشقاقها، انقيادَ المطواع الذِي يأذن للأمر ويُذعن لَهُ، ﴿وحُقَّت(٢)﴾ وجُعلت حقيقة بالاستماع والانقياد، يقال: حُقَّ بكذا، فهو محقوق وحقيق. ﴿وَإِذَا الأَرْض مُدَّت(٣)﴾ بُسطت بأن تزال جبالها، ﴿وأَلْقت مَا فِيهَا﴾ مِنَ الأموات ﴿وتَخلَّت(٤)﴾ وتكلَّفت فِي الخلوِّ أقصى جهدها، حَتَّى لم يبق شيء فِي باطنها، ﴿وأَذِنت لربِّها﴾ فِي الإلقاء والتخلية، ﴿وحُقَّت(٥)﴾ للإذن.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَان إِنَّكَ كادحٌ إِلَى رَبِّكَ كدحا فمُلاقيه(٦)﴾ الكدح: السعي إِلَى لقاء جزائه؛ ﴿فأَمَّا مَن أُوتيَ كتابَه بيَمِينِه(٧) فسوف يُحاسب حسابا يسيرا(٨)﴾ وذلك نعمة لَهُم [٦٥٦] لاَ عليهم، إذ لم يبق عَلَيْهِم ذنب فيجزيهم، وَإِنَّمَا يجدون فِيهِ الأعمال الصالحة وتلك تسرُّهم، ﴿وينقلبُ إِلَى أهله﴾ (لَعَلَّهُ) للتمتُّع والتنعُّم ﴿مسرورا(٩)﴾.

---

١ - سورة الفرقان: ٢٥.

﴿وَأَمَّا مَن أوتي كتابه وراء ظهره(١٠)﴾ قيل: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره؛ قيل: تغلُّ يمناه إِلَى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، ﴿فسوف يَدعُو ثُبورا(١١)﴾ يقول: يا ثبوراه تعال فهذا أوانك، وَهُوَ الهلاك؛ ﴿ويُصلَّى سعيرا(١٢)﴾؛ إِنَّهُ كَانَ فِي أهلِه﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿مسرورا(١٣)﴾ بطرا بالمال والجاه، فارغا عَن الآخرة، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أن لَّن يَحورَ(١٤)﴾ لن يرجع إِلَى الله، ﴿بلى﴾ إيجاب بما بعد «لن» ﴿إِنَّ ربَّه كَانَ بِهِ بصيرا(١٥)﴾ عالما بأعماله فلا يهمله، بَل يُرجعه ويجازيه.

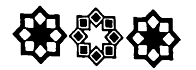
﴿فلا أُقسمُ بالشَّفقِ(١٦)﴾ الحُمرة التِي فِي أفق المغرب بعد الغروب، وعن أبي حنيفة: البياض الذي[1] يليها، سُمِّي بِهِ لرقَّته، مِنَ الشَّفقة؛ ﴿واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ(١٧)﴾ وَمَا جمعه وستره مِنَ الذوات وغيرها؛ يقال: وسقَه فاتَّسق؛ ﴿والقمرِ إِذَا اتَّسق(١٨)﴾ اجتمع وتمَّ بَدرا؛ ﴿لتَركَبُنَّ طبقا عَن طبق(١٩)﴾ هِيَ طبقاتٌ بعضها أرفع من بعض؛ وقيل: لتركبنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم مِنَ الأَوَّلين وأحوالهم، حالا بعد حال؛ (لَعَلَّهُ) والطبق: مَا طابق غيره، يقال: مَا هَذَا بطبقٍ لذا، أي: لاَ يطابقه، ثُمَّ قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق، ومنه قوله: ﴿طبقًا عَن طبق﴾، أي: مطابقة لأختها فِي الشِّدَّة، وَهُوَ لِمَا طابق غيره؛ فقيل: للحال المطابقة، أو مراتب مِنَ الشِّدَّة بعد المراتب، وهي الموت ومواطن القيامة وأهوالها، أو هِيَ وَمَا قبلها مِنَ الدواهي، عَلَى أَنَّهُ جمعُ طبقة، وهي المرتبة، عَلَى معنى: لتركبنَّ أحوالا بعد أحوال. وقُرئ بالفتح:

---

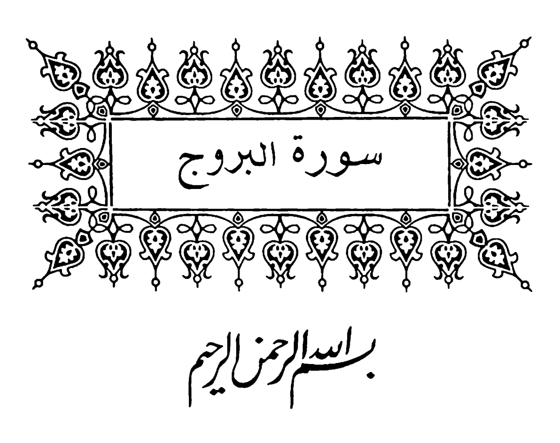
١ - في الأصل: «التي»، وهو خطأ.

لَتركَبَنَّ، عَلَى خطاب الإنْسَان باعتبار اللفظ، أو الرسول عَلَى معنى: لتركبنَّ حالا شريفة، ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة، وبالكسر عَلَى خطاب النفس، وبالياء عَلَى الغيبة، و«عن طبق» صفة لـ«طبقًا»[1]، أو حال بمعنى: الضمير، بمعنى مجاوز الطبق، أو مجاوزين لَهُ.

﴿**فما لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ(٢٠)؟ وَإِذَا قُرِئ عَلَيْهِمُ القرآن لاَ يسجدُونَ(٢١)**﴾ لاَ يخضعون، والسجود عبارة عَن الإذعان، ودليله مَا بعده: ﴿**بَل الذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ(٢٢) وَا للهُ أعلَم بِمَا يُوعُونَ(٢٣)**﴾ بِمَا يُضمِرون فِي صدورهم مِنَ الكفر، ﴿**فبشِّرهم بعذاب أليمٍ(٢٤) إلاَّ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات لَهُم أجر غير ممْنُونٍ(٢٥)**﴾ بِهِ عليهم.



١ - فِي الأَصْلِ: «لبظق»، وَهُوَ خطأ.



# سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والسَّمَاءِ ذات البُرُوج(١)﴾ قيل: البروج الاثني عشر، شُبِّهت بالقصور، لأنَّها تنزل بها السيارات، وتكون فِيهَا الثوابت؛ أو منازل القمر؛ أو عظام الكواكب، سُمِّيت بروجا لظهورها؛ أو أبواب السَّمَاء، فإنَّ النوازل تخرج منها، ﴿واليومِ الموعودِ(٢)﴾ يوم القيامة [٦٥٧] ﴿وشاهدٍ ومشهُودٍ(٣)﴾ قيل: كُلُّ نَبيٍّ وأمَّته؛ وقيل الشاهد: العبد، والمشهود: المعبود؛ وعن ابن عطاء: «الشاهد: المكوِّن، والمشهود: الكون»؛ وقيل غير ذَلِكَ.

﴿قُتِل أصحابُ الأخدُود(٤)﴾ كأنَّهم[1] قيل: إنَّهُمْ ملعونون، فإنَّ السورة وردت لتثبيت المؤمنين عَلَى أذاهم، وتذكيرهم بِمَا جرى عَلَى من كَانَ قبلهم؛ الأخدود: الخَدُّ، وَهُوَ الشَّقُّ فِي الأَرْض ونحوهما[2]. ﴿النارِ ذات الوَقود(٥) إذ هُم عليها﴾ عَلَى حافَّةِ النَّار ﴿قُعُود(٦)﴾ قاعدون، ﴿وَهُم عَلَى مَا يفعلون بالمؤمنين شُهود(٧)﴾ يشهد بعضهم لبعض، أو بعضهم عَلَى بعض.

---

١ - الصواب: «كأنَّه».

٢ - كذا في تفسير البيضاوي أيضًا، والصواب: «ونحوها». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٥٠.

﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ (لَعَلَّهُ) أي: وَمَا علموا مِنْهُم عيبا، وَلاَ وجَدُوا لَهُم جُرما، وَلاَ رأوا عَلَيْهِم سوءًا وَمَا أنكروا ﴿مِنْهُم إلاَّ أن يؤمنوا با لله العزيز الحميد(٨) الذِي لَهُ مُلك السَّمَاوَات وَالأَرْض وَا للهُ عَلَى كُلِّ شيء شهيد(٩)﴾ للإشعار بمَا يَستحقُّ أن يُؤمَن بِهِ ويُعبد. ﴿إنَّ الذِينَ فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ بلَوهُم بالأذى، ﴿ثُمَّ لم يَتُوبوا فلهم عذاب جهَنَّم، ولهم عذابُ الحريق(١٠)﴾ العذاب الزائد فِي الإحراق بفتنتهم.

﴿إنَّ الذِينَ آمنوا وعملوا الصَّالحات لَهُم جنَّاتٌ تجري مِن تحتها الأنهار، ذَلِكَ الفوزُ الكبير(١١)﴾ إذ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا يَصغر دونه.

﴿إنَّ بطشَ رَبِّكَ لَشديد(١٢)﴾ مُضاعَف شدائده؛ فإنَّ البطش أَخذ بقوَّة. ﴿إنَّهُ هُوَ يُبدئ ويُعيد(١٣) وَهُوَ الغَفُور الودودُ(١٤)﴾ مُحبٌّ لِمَن أطاع. ﴿ذو العرش المجيدُ(١٥)﴾ العظيم فِي ذاته وصفاته، فَإِنَّهُ واجب الوجود تامُّ القدرة والحكمة؛ وجُرَّ صفةً لربِّكَ[1]، أو للعرش؛ ومَجدُه: علوُّه وعظمة شأنه. ﴿فعَّال لِما يُريد(١٦)﴾ لاَ يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره.

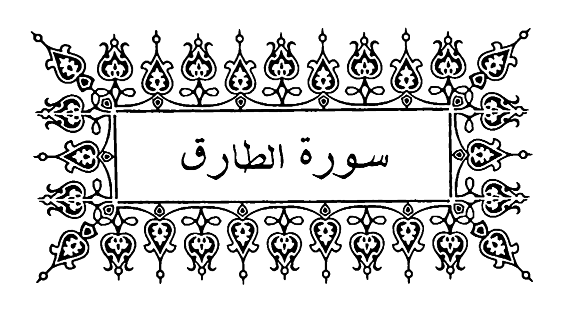
﴿هل أَتَاكَ حديثُ الجنود(١٧) فرعونَ وثمودَ(١٨)﴾ والمعنى: قد عرَّفكَ تكذيبهم للرُّسل وَمَا حاق بهم، فتَسلَّ واصبر عَلَى تكذيب قومك، وحذِّرهم مثل مَا أصابهم. ﴿بَل الذِينَ كَفرُوا فِي تكذيبٍ(١٩)﴾ لاَ يَرعوون عَنْهُ، ومعنى الإضراب: أنَّ حالهم أعجب من حال هَؤُلاَءِ، فَإِنَّهُمْ سمعوا قصَّتهم، ورأوا آثار هلاكهم، وكذَّبوا أشدَّ من تكذيبهم، فكلٌّ من كفر با لله

١ - وَفِي تفسير البيضاوي: «وجرَّه حمزة والكسائيُّ صفة لربِّك» ج٤/ ص٢٥١.

كُفر جحود أونفاق فالتكذيب ملازم لَهُ، بدليل هَـذِهِ الآية، كما قَالَ: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرورٍ﴾[1] فكلٌّ كافر مُغترٌّ مستدرج مَمكور بِهِ.

﴿**وا لله من وَّرائهم مُّحيطٌ**(٢٠)﴾ لاَ يفوتونه كما لاَ يفوت الْمُحاط المحيط. ﴿**بَل هُوَ قرآنٌ مَّجيد**(٢١)﴾ بَل هُوَ الذِي كذَّبوا بِهِ كِتَاب شريفٌ وحيدٌ فِي النظم والمعنى. ﴿**فِي لوحٍ مَّحفوظٍ**(٢٢)﴾ مِنَ التحريف.

١ - سورة الملك: ٢٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

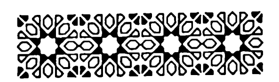
﴿والسَّمَاء والطَّارقِ(١)﴾ الكواكب البادية بالليل، وَهُوَ فِي الأصل: لسالك الطريق. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارق(٢) النَّجمُ الثَّاقب(٣)﴾ قيل: المضيء، كأنَّه يَثقب الظلام بضوئه فيَنفُذ فِيهِ.

[٦٥٨] ﴿إنْ كلُّ نفسٍ لَمَّا عليها حافظ(٤)﴾ أي: إنَّ الشأن كُلُّ نفس لعليها حافظ رقيب. ﴿فلينظر الإِنْسَانُ مِمَّ خُلق(٥)﴾ لَمَّا ذَكر أنَّ كُلَّ نفس عليها حافظ أتبعه بوَصِيَّة الإِنْسَان بالنظر فِي مبدئه[1] ليعلم صِحَّة إعادته، فلا يُملي عَلَى حافظه إِلاَّ مَا يسرُّه فِي عاقبته. ﴿خُلق مِن مَّاء دافِقٍ(٦) يَخرج مِن بينِ الصُّلب والتَّرائب(٧)﴾ قَالَ أبو سعيد: «فقيل: إنَّهُ مِمَّا يخرج مِنَ الصلب هُوَ ماء الرجل، وَمَا يخرج مِنَ الترائب هُوَ ماء المرأة؛ وقيل الترائب: عظام الصدر، أو ما بين الثديين والتُّرقوين؛ وقيل: غير ذَلِكَ».

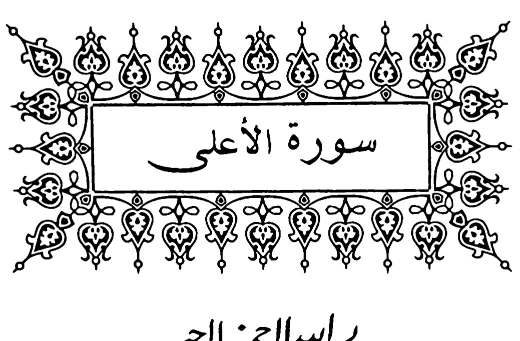
١ - فِي الأَصْلِ: «مدته»، وَهُوَ تصحيف.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجعِهِ لقادرٌ(٨) يومَ تُبلى السرائر(٩)﴾ تتعرَّف؛ أو يميِّز بين مَا طاب مِنَ الضمائر، وَمَا خفي مِنَ الأعمال وَمَا خبث منها. ﴿فما لَهُ من قوَّةٍ﴾ مِن مَنعة فِي نفسه يمتنع بها، ﴿وَلاَ ناصر(١٠)﴾ يمنعه.

﴿والسَّمَاء ذاتِ الرَّجع(١١)﴾ قيل: الرجع: المطر، ترجع بمطر بعد مطر. ﴿والأَرْض ذاتِ الصَّدع(١٢)﴾ مَا تتصدَّع عَنْهُ الأَرْض مِنَ النبات. ﴿إِنَّهُ﴾ إنَّ القرآن ﴿لقولٌ فَصْلٌ(١٣)﴾ فاصل بين الحَقِّ والباطل. ﴿وَمَا هُوَ بالهزل(١٤)﴾ باللعب والباطل فَأُخُذ كلُّه[1]؛ ﴿إنَّهم يَكيدون كيدا(١٥)﴾ فِي إبطاله وإطفاء نوره. ﴿وأكيدُ كيدا(١٦)﴾ وأقابلهم بكيدي، فِي استدراجي لَهُم وانتقامي مِنْهُم، بحيث لاَ يحتسبون. ﴿فمهِّل الْكَافِرِينَ﴾ فلا تستعجل بإهلاكهم، ﴿أمهِلهم رُوَيْدًا(١٧)﴾ إمهالا يسيرا.



١ - فِي تفسير البيضاوي: «فإنَّه جِدٌّ كلُّه». ج٤/ ص٢٥٢.



# سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأعلى(١)﴾ نَزِّه اسمه عَن الإلحادِ فيه بالتأويلات الزائغة، وإطلاقِه عَلَى غيره، زاعما أَنَّهُمَا فِيهِ سواء، وذِكْرِه لا على وجه التعظيم. ﴿الذِي خَلَق فَسَوَّى(٢)﴾ خلق كلَّ شيء فسوَّى خلقه، بأن جعل لَهُ مَا بِهِ يتأتَّى كماله، وتتمُّ معانيه. ﴿والذِي قَدَّرَ﴾ أي: قدَّر أجناس الأشياء، وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها، ﴿فَهَدَى(٣)﴾ فوجَّهه إِلَى أفعاله طبعا أو اختيارا بخلق الإلهامات، ونصب الدلائل والعلامات. ﴿والذِي أخرجَ المرعى(٤)﴾ أنبت مَا ترعاه الدَّوابُّ، ﴿فجعله﴾ بعد خُضرته ﴿غثاءً أَحوَى(٥)﴾ يابسا أسود؛ وقيل: أخرجه أحوى من شدَّة خضرته.

﴿سنُقرِئك﴾ عَلَى لسان جبريل؛ أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة، ﴿فلا تنسى(٦)﴾ أصلا، مَعَ أَنَّكَ أُمِّيٌّ، لتكون ذَلِكَ آية أُخْرَى لك، مَعَ أنَّ الإخبار بِهِ عَمَّا يستقبل وقوعه كذلك أَيْضًا مِنَ الآيات؛ وقيل: نُهي عَن ترك الدراسة لئلاَّ ينسى؛ وقيل: مدحٌ، أي: فلا تهمل تكراره فتنسى، ﴿إلاَّ ما شاء الله﴾ نسيانه، ﴿إِنَّهُ يعلم الجهرَ وَمَا يخفى(٧) ونُيسِّرك لليسرى(٨)﴾ ونعدُّك للطريقة المثلى.

﴿**فذَكِّر إن نَّفَعَتِ الذكرى(٩)**﴾ لَعَلَّ هَذِهِ [٦٥٩] الشرطيَّة إِنَّمَا جاءت بعد تكرير التذكرة، وحصول اليأس عَن البعض، لئلاَّ يُتعب نفسه، ويتلهَّف عليهم، كقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بجبَّار...﴾[1] الآيَة؛ أو لذمِّ المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى[2] فِيهِم، وللإشعار بِأَنَّ التذكير إِنَّمَا يجب إِذَا ظُنَّ نفعه، ولذلك أمر بالإعراض عمَّن تولَّى. ﴿**سَيَذَّكَّر مَن يَخْشَى(١٠)**﴾ سيتَّعظ وينتفع بها من يخشى ا لله، بِأَن يتفكَّر فِيهَا، فيعلم حقيقتها؛ وَهُوَ يتناول العارف والمتردِّد، ﴿**ويتجَنَّبها**﴾ ويتجنَّب الذكرى، ويتباعد عنها ﴿**الأشقى(١١)**﴾ الكافر، فَإِنَّهُ أشقى الخلق عاجلا وآجلا إن توسَّمت فِي أحواله...[3] ﴿**الذي يَصلَى النارَ الكُبرى(١٢)**﴾ نار جَهَنَّم فَإِنَّهُ قيل: إِنَّهُ[4] الطَّيْلا قَالَ: «*ناركم هَذِهِ جزء من سبعين جزء من نار جهنم*»[5]. وذلك لشدَّة عذابها، ﴿**ثُمَّ لاَ يموت فِيهَا**﴾ فيستريح، ﴿**وَلاَ**

---

١ - سورة ق: ٤٥؛ وتمامها: ﴿فذكِّرْ بالقرآن من يخاف وعيدِ﴾.

٢ - فِي الأَصْلِ: «واستعاب د نائير الذي»، وَهُوَ تصحيف عجيب. وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٥٢.

٣ - كذا فِي الأصل، ولعلَّ الصواب: «وإن توسَّمت الخير فِي أحواله». أو نحو ذَلِكَ. و لم نجد فيما بين أيدينا من المصادر عبارة تشبهها.

٤ - فِي الأَصْلِ: «إِنَّهُ قال الطَّيْلا قَالَ»، وَهُوَ تكرار.

٥ - رواه مسلم: كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم ٥٠٧٧، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ». قَالُوا: وَا للهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ ا للهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا». وَفِي رواية: «كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا». ورواه الترمذيُّ فِي =

**يَحيا(١٣)﴾** حياة تنفعه، بخلاف نار الدُّنْيَا؛ لأَنَّ نار الدُّنْيَا تقتل مَن يُلقى فِيهَا فيستريح منها، وتلك لاَ يموت فِيهَا.

**﴿قَد أَفلحَ مَن تَزكَّى(١٤)﴾** تطهَّر مِنَ المعاصي، ودخل فِي نزهة الطاعة، **﴿وذكرَ اسمَ ربِّه﴾** بقلبه ولسانه، **﴿فصلَّى(١٥)﴾** لقوله: ﴿أقم الصلاةَ لِذِكْرِي﴾[1] وفيه إشعار بِأَنَّ الصَّلاَة يراد بها الذكر.

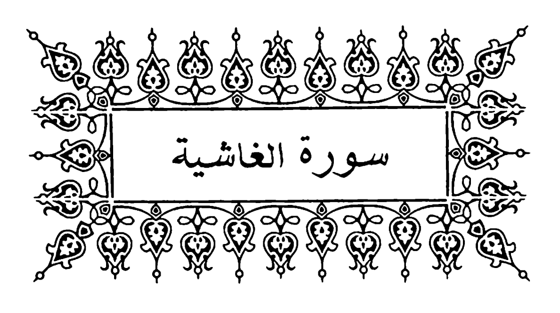
**﴿بَل تُؤثِرون الحياةَ الدُّنْيَا(١٦)﴾** فلا تفعلون مَا يُسعدكم فِي الآخِرَة، (لَعَلَّهُ) لأَنَّ الإِنسَان خُلق عَجولا، والدُّنْيَا أُحضرت وعجِّل طعامها وشرابها ونساؤها ولذَّتها وبهجتها، **﴿والآخِرَة خيرٌ وأبقى(١٧)﴾** فإِنَّ نعيمها ملذ بالذات، خالص عَن الغوائل لاَ انقطاع لَهُ.

**﴿إنَّ هَذَا لفي الصُّحف الأولى(١٨)﴾** الإشارة إِلَى مَا سبق، من ﴿قد أفلح...﴾ فَإِنَّهُ جامع أمر الديانة، وخلاصة الكتب المنزَّلة، **﴿صُحفِ إبراهيم وموسى(١٩)﴾** قيل: إنَّ هَذِهِ السورة، أو حكمها فِي صحف إبراهيم وموسى.

---

كتاب صفة جَهَنَّم، رقم ٢٥١٤، ٢٥١٥. ابن ماجه: كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٩. أحمد: باقي مسند المكثرين، رقم: ٧٠٢٥، ٧٧٧٨، ٩٨١١. الدارميُّ: كتاب الرقاق، رقم ٢٧٢٣. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «ناركم هَذِهِ».

١ - سورة طه: ١٤.



# سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**هل أتاك حديثُ الغاشية**(١)﴾؟ الداهية التِي تغشي النّاس بشدائدها، يَعنِي: يوم القيامة، أو النار؛ ﴿**وجوهٌ يَومَئِذٍ خاشعةٌ**(٢)﴾ ذليلة، ﴿**عاملةٌ نّاصبةٌ**(٣)﴾ تَعمل مَا تتعب فِيهِ، كجرِّ السلاسل، وخوضها فِي النار خوض الإبل فِي الوحل، والصعود والهبوط فِي تلالها؛ أو عملت ونَصبت فِي أعمال لاَ تنفعها يَومَئِذٍ، ﴿**تَصْلَى**﴾ (لَعَلَّهُ) تُقاسي ﴿**نارا حَامِيَةً**(٤) **تُسقى مِن عينٍ آنيةٍ**(٥)﴾ متناهية فِي الحرِّ.

﴿**ليس لَهُم طعامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ**(٦)﴾ قيل: يبيس الشبرق، وَهُوَ شوك ترعاه الإبل مَا دام رطبا؛ وقيل: شجرة نارٍ تشبه الضريع؛ وقيل: طعامهم الضريع: شيء فِي النار شبه الشوك، أَمرُّ مِنَ الصبر، وأَنتَن مِنَ الجيفة، وأشدُّ حَرًّا مِنَ النار؛ والمراد: طعامهم مِمَّا تتحاماه الإبل، وتتعافاه لضرِّه وعدم نفعه، كما قَالَ: ﴿**لاَ يُسمِنُ وَلاَ يُغنِي مِن جُوعٍ**(٧)﴾ والمقصود مِنَ الطعام أحد الأمرين، (لَعَلَّهُ) وَهَذَا مقصود بِهِ تعذيب كلّه.

﴿**وُجوهٌ يَومَئِذٍ نَّاعِمة**(٨) **لِسَعْيِها راضيةٌ**(٩)﴾ رضيت بعملها لَمَّا رأت ثوابه، ﴿**فِي جَنَّة** [٦٦٠] **عاليةٍ**(١٠)﴾ عليَّة المحلِّ والقدر، ﴿**لاَ تَسمَعَ فِيهَا**

**لاغيةً(١١)﴾** لغوا، أو كلمة ذات لغو، أو نفسا تلغو، لأَنَّ ذَلِكَ يتأذّى بِهِ المؤمن لكراهته عَلَى الله، وأنَّ كلام أهل الجَنَّة الذكر والحِكم، فإنَّ ذَلِكَ بِهِ يتنعَّمون.

**﴿فِيهَا عَينٌ جَارِيةٌ(١٢)﴾** يجري ماؤها وَلاَ ينقطع، **﴿فِيهَا سُررٌ مَّرفوعةٌ(١٣)﴾** رفيعة السُّمك، أو القدر، **﴿وأكوابٌ﴾** جمع كُوب: وَهُوَ إناء لاَ عُروة لَهُ فيما قيل، **﴿مَّوضوعةٌ(١٤)﴾** بين أيديهم **﴿ونَمارِقُ﴾** وسائد[1] جمع: نُمرقة، **﴿مصفوفة(١٥)﴾** مبسوطة، **﴿وزرابِيُّ﴾** بُسط فاخرة، جمع: زربيَّة **﴿مبثُوثة(١٦)﴾** مبسوطة.

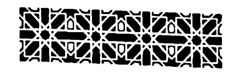
**﴿أفلا ينظُرُون﴾** نظر اعتبار **﴿إِلَى الإبل كَيفَ خُلقت(١٧)﴾**؟ خلقا دالاًّ عَلَى كمال قدرته وحسن تدبيره، حيث خلقها لِجرِّ الأثقال إِلَى البلاد النائية، باركة للحمل، منقادة لمن اقتادها، طول الأعناق لتنوء بالأوقار، وترعى كُلَّ نابت، وتحتمل العطش إِلَى عشر فصاعدا، ليَتأتَّى لها قطع البراري والمفاوز، مَعَ مَا لها من منافع أخر؛ ولذلك خُصَّت بالذكر، لبيان الآيات المثبتة فِي الحيوانات التِي هِيَ أشرف المركبات وأكبرها صنعا، وَلأَنَّهُ أعجب مَا عند العرب من هَذَا النوع. يروى عَن المفضل أَنَّهُ قَالَ: «عجَّبهم تعالى مِنَ الإبل تحمل وقرها باركة، فيعلمون أنَّ لها صانعا أفردها بذلك، ليعلم من لَهُ لبٌّ أنَّ للأشياء صانعا يخالف بين خلقها، ولو لم يكن لذلك لكانت الدوابُّ وغيرها مِنَ الأجناس عَلَى خلق واحد».

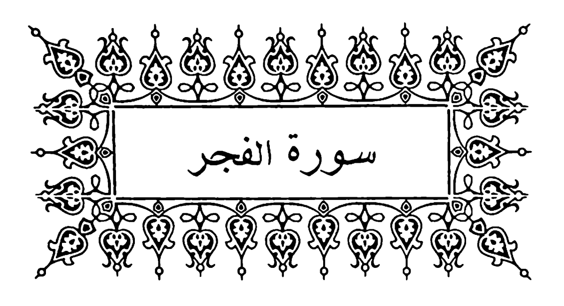
---

١ - فِي الأصل: «مسائد»، ولا مَعْنَى له.

﴿**وإلى السَّمَاء كَيفَ رُفِعت(١٨) وإلى الجبالِ كَيفَ نُصبت(١٩)**﴾ فهي راسخة لاَ تميل؛ ﴿**وإلى الأَرْض كَيفَ سُطحت(٢٠)**﴾ بُسطت حتّى صارت مهادا؛ قيل: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل؟ أو يرفع مثل السَّمَاء؟ أو ينصب مثل الجبال؟ أو يسطح مثل الأَرْض غيري؟ وَالمَعْنَى: أفلا ينظرون إِلَى أنواع المخلوقات والمركّبات ليتحقّقوا كمال قدرة الخالق، فلا يُنكر اقتداره عَلَى البعث؟. ولذلك عقّب بِهِ أمر المعاد، ورتّب عليه الأمر بالتذكير، فقال: ﴿**فذَكِّرْ إِنَّمَا أنتَ مُذكِّر(٢١)**﴾ إن عليك إِلاَّ البلاغ، ﴿**لستَ عَلَيْهِم بِمُسيطِرٍ(٢٢)**﴾ بمسلّط، وقد قُرِئَ بالصاد.

﴿**إِلاَّ مَن تَولَّى وكَفَر(٢٣)**﴾ لأَنَّ من تولّى وكفر ﴿**فيُعذِّبه الله العذاب الأكبرَ(٢٤)**﴾ وَهُوَ عذاب الآخِرَة، يُنبئ عَلَى أَنَّهُ أعظم وأكبر من كُلِّ عذاب فِي الدُّنْيَا، وإن عَظُم أمره فعذابه فِي الآخِرَة لاَ يشبهه عذاب فِي الدُّنْيَا، وثوابه فِي الآخِرَة لاَ يشبهه ثواب فِي الدُّنْيَا؛ ﴿**إِنَّ إلينا إيَّابَهم(٢٥)**﴾ رجوعهم؛ ﴿**ثُمَّ إِنَّ علينا حسابهم(٢٦)**﴾.





# سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والفجرِ(١) وليالٍ عَشرٍ(٢)﴾ ذي الحجَّة فيما قيل، ﴿والشفعِ والوَتر(٣)﴾ والأشياء كلّها شفعها ووترها؛ أو وبالخلق ــ كقوله: ﴿ومِن [٦٦١] كلِّ شيء خلقنا زوجين﴾[1] ــ والخالقِ لأنَّهُ فرد. ﴿والليْل إذا يَسرِ(٤)﴾ إذَا سار وذهب، ﴿هل فِي ذَلِكَ﴾ القَسم أو المُقسم بِهِ، ﴿قَسَمٌ﴾ حَلف، أو محلوف، ﴿لِذي حِجْرٍ(٥)﴾؟ يعتبره ويؤكّد بِهِ مَا يريد تحقيقه؛ والحِجر: العقل، سُمِّي، لأَنَّهُ يَحجر عَمَّا لاَ ينبغي، كما سُمِّي عقلا.

﴿ألم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعادٍ(٦) إرَمَ ذاتِ العِمادِ(٧)﴾ ذات البناء الرفيع؛ قيل: كَانَ لعادٍ ابنان: شداد وشديد، فمَلَكا وقَهرا، ثُمَّ مات شديد، فخلص الأمر لشداد، وملك المعمورة، ودانت لَهُ ملوكها؛ فسمع بذكر الجَنَّة فبنى عَلَى مثلها فِي بعض صحاري عدن جنَّة، وسمَّاها "إرم"، ثُمَّ سار إِلَيْهَا بأهله؛ فَلَمَّا كَانَ منها عَلَى مسيرة يوم وليلة بعث الله عَلَيْهِم صيحة مِنَ السَّمَاء فهلكوا؛ وقيل: إِنَّهُ خرج فِي طلب إبِله فوقع عَليها.

---

١ - سورة الذاريات: ٤٩.

﴿التِي لم يُخلقْ مثلُها فِي البلاد(٨) وثمودَ الذِينَ جابُوا الصَّخرَ﴾ قطعوه واتَّخذوه منازل، كقوله: ﴿وتنحتون مِنَ الجبال بيوتا﴾[1] ﴿بالوادي(٩)﴾.

﴿وفرعونَ ذِي الأوتَادِ(١٠)﴾ لكثرة جنوده، ومضاربهم التِي كَانُوا يضربونها إِذَا نزلوا، أو لنعذِّبنَّه بالأوتاد، ﴿الذِينَ طَغَوْا فِي البلاد(١١)﴾ صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون، ﴿فَأَكْثَروا فِيهَا الفَسَاد(١٢)﴾ بالكفر والظلم ﴿فصبَّ عَلَيْهِم رَبُّكَ سوطَ عذابٍ(١٣)﴾ ما خلط لَهُم من أنواع العذاب، وأصله الخلط؛ ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبالمرصاد(١٤)﴾ المكَانَ الذى يترقَّب فِيهِ الرصد، وَهُوَ تمثيل لإرصاده العصاة بالعذاب الأدنى والآخِرَة.

﴿فَأَمَّا الإِنسَان﴾ مُتَّصِل بقوله: ﴿إنَّ رَبَّك لَبالمرصاد﴾ كأنَّه قيل: إنَّهُ لبالمرصاد مِنَ الآخِرَة، فلا يريد مِنْهُ إلاَّ السعي لها، فَأَمَّا الإِنسَان فلا يهمُّه إلاَّ الدُّنْيَا ولذَّتها، ﴿إِذَا مَا ابتلاَه ربُّه﴾ اختبره بالغِنى واليُسر، ﴿فأكرَمَه ونَعَّمَه﴾ بالجاه والمال، ﴿فيَقُول رَبِّي أكرمَنِ(١٥)﴾ فضَّلني بِمَا أعطاني باستحقاقي، لاَ يرى الكرامة مِنَ الله إلاَّ بكثرة الحظِّ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿وأَمَّا إِذَا مَا ابتلاه فقَدَرَ عليه رِزقه﴾ إِذ[2] التقدير: وَأَمَّا الإِنسَان إِذَا مَا ابتلاه، أي: بالفقر والتقدير ليوازن قسمه، ﴿فَيَقُول: رَبِّي أهانَنِ(١٦)﴾ لقصور نظره، وسوء فكره، فإنَّ التقدير يؤدِّي إِلَى كرامة الدارين؛ إِذ التوسعة

---

١ - سورة الشعراء: ١٤٩.

٢ - فِي الأَصْلِ: «إذا»، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٥٥.

قد تفضي إِلَى قصد الأعداء[1]، والانهماك فِي حبِّ الدُّنْيَا؛ ولذلك ذمَّه عَلَى قوليه، وردعه عَنْهُ بقوله: ﴿كلاَّ﴾ (لَعَلَّهُ) كذَّبهما بقوله: ﴿كَلاَّ﴾، يقول: ليس هَذَا بكرامتي، وَلاَ هَذَا بهواني؛ وَلَكِنَّ التكريم من أكرمته بطاعتي، غنيًّا كَانَ أو فقيرا؛ ﴿بَل لاَّ تُكرِمون اليتيم(١٧) وَلاَ تَحَاضُّون عَلَى طعامِ المسكِينِ(١٨)﴾ بَل فِعلُهم أسوء من قولهم[2]، وأدلُّ عَلَى تهالكهم بالمال، وَهُوَ أَنَّهُمْ لاَ يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرَّة، وَلاَ يَحثُّون أهلهم عَلَى طعام المسكين فضلا عَن غيرهم.

﴿وتأكلون التُّراث﴾[٦٦٢] الميراث، وأصله وراث[3]، ﴿أَكْلاً لَّمًّا(١٩)﴾[4] ذا لَمٍّ: أي جَمْعَ بين الحلال والحرام، فَإِنَّهُمْ لاَ يُطهِّرونه مِنَ الحقوق والوصايا؛ أو يأكلون أنصباءهم وأنصباء شركائهم (لَعَلَّهُ) الضعفاء؛ أو يأكلون مَا جمعه الموروث من حلال وحرام مَعَ علمهم بذلك؛ وقيل: الأكل

---

١ - كذا فِي تفسير البيضاوي أيضًا، وَلَعَلَّ الصواب: «الاعتداء به». انظر: المصدر نفسه.

٢ - فِي الأَصْلِ: «بل فعلهم أسوأ من فعلهم»، ولا مَعْنَى لهذا التكرار، وصحَّحناه من المصدر نفسه.

٣ - فِي الأَصْلِ: «وارث»، وَهُوَ خطأ، وقد نقل هَذَا الخطأ من تفسير أبي السعود. وصحَّحناه من البيضاويِّ والألوسيِّ الذي يقول: «﴿وتأكلون التراث﴾: أي الميراث، وأصله: وراث، فأبدلت الواو تاء». الألوسي: روح المعاني، ج٣٠/ ص١٢٧. وانظر: البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٥٥. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص١٥٧.

٤ - فِي الحاشية: «وأظنُّ أنَّهُ قد صحَّ تقديم وتأخير فِي تفسير ﴿أكلا لَمًّا﴾»، وقد صحَّحناه حسب السياق، فقدَّمنا قوله: «ذا لَمٍّ... مع علمهم بِذَلِكَ» عَلَى عبارة «وقيل: الأكل اللمُّ... حتَّى أكلته».

اللَّمُّ: الذِي يأكل كُلَّ شيء يَجده، لاَ يسأل عَنْهُ أحلال أم حرام؛ ويأكل الذِي لَهُ ولغيره؛ يقال: (لَعَلَّهُ) لَمَمت مَا عَلَى الجواب[كذا]: إذا أتيت مَا عليه حَتَّى أكلته.

﴿وتُحبُّون المال حُبًّا جَمًّا(٢٠)﴾ كثيرا مَعَ حرص وشَره، وَهُوَ من صفاتهم المذمومة، لأَنَّهُم أُمروا بحبِّ ا لله وطاعته، وَلاَ يتَّفق حُبُّهم لهذا وَهَذَا، لأَنَّهَا أضداد لاَ تكاد تتَّفق.

﴿كلاَّ﴾ ردع لَهُم عَن ذَلِكَ وإنكار، وَمَا بعدَه وعيدٌ عَليه، ﴿إِذَا دُكَّت الأَرْض دكًّا دكًّا(٢١)﴾ دكًّا بعد دكٍّ، حَتَّى صارت هباء منبثًّا، ﴿وجاء رَبُّكَ﴾ أي: ظهرت آيات قدرته، وآثار قهره؛ مثل ذَلِكَ بمَا يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته، ﴿والمَلَك صَفًّا صَفًّا(٢٢)﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم، (لَعَلَّهُ) هكذا أخبر ا لله عَن يوم القيامة أنَّ المَلاَئِكَة تكون يوم العروض صفوفا، ويأتي أمر ا لله بمَا قد حكم وقضى وقسم من أهوال يوم القيامة، ﴿وجيء يَومَئِذ بجهنَّمَ﴾ لقوله: ﴿وبُرِّزت الجحيم لِمَن يرى﴾[1].

﴿يَومَئِذٍ يتَذكَّر الإِنسَان﴾ أي: يتذكَّر معاصيه؛ أو يتَّعظ، لأَنَّهُ يعلم قُبحها فيندم عليها، ﴿وأنَّى لَهُ الذِّكرى(٢٣)﴾ (لَعَلَّهُ) ومن أين لَهُ التوبة؟ أي: منفعة الذكرى.

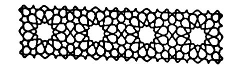
﴿يقولُ: يا لَيتني قَدَّمتُ لِحَيَاتِي(٢٤)﴾ أي: لحياتي الأبديَّة، فإنَّ غيرها ليست بحياة فِي الحقيقة ﴿فيومَئِذٍ لاَ يُعذِّب عذابَه أحدٌ(٢٥) وَلاَ يُوثِق وَثاقَه

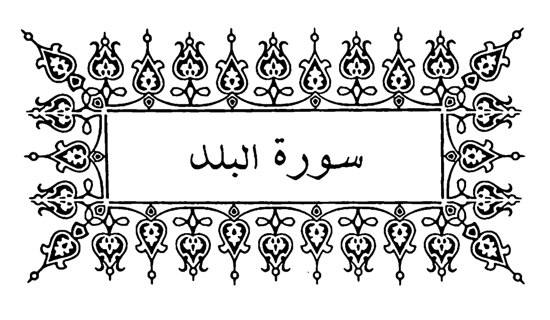
---

١ - سورة النازعات: ٣٦.

**أحدٌ(٢٦)**﴾«الهاء» لله، أي: لاَ يَتَولَّى عذابَ ا لله ووثاقَه يوم القيامة سواه، إذ الأمر كلُّه لَهُ.

﴿**يا أيَّتُها النفسُ المطمئنَّة(٢٧)**﴾ عَلَى إرادة القول، وهي التِي اطمأنَّت بذكر ا لله، فإنَّ النفس تترقَّى فِي سلسلة الأسباب إِلىَ الواجب لذاته، ﴿**ارجِعي إِلىَ رَبِّكَ**﴾ إِلىَ أمره، أو موعده بالموت؛ (لَعَلَّهُ) وقيل: يقال لها عند الموت وخروجها مِنَ الدُّنْيَا: رضي عنها ربُّها؛ فإِذَا كَانَ يوم القيامة قيل لها: ادخلي فِي عبادي، ﴿**راضيةً**﴾ بِمَا أوتيت، ﴿**مَرضيَّةً(٢٨)**﴾ عند ا لله، ﴿**فادخلي فِي عِبَادي(٢٩)**﴾ الصالحين، ﴿**وادخلي جَنَّتي(٣٠)**﴾ معهم.





# سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لاَ أُقسِمُ بِهَذَا البَلَدِ(١) وَأَنتَ حِـلٌّ بِهَـذَا البلـدِ(٢)﴾ أقسـم سبحانه بالبلد الحرام، وقـيَّده بحلول الرسـول فِيـهِ إظهـارا لمزيـد فضلـه، ﴿وَوَالِـدٍ وَمَا وَلَدَ(٣) لَقَد خلقنا الإِنسَان فِي كَبَدٍ(٤)﴾ فِي تعب ومشقَّة، مِن كَبَـد الرجـل كبدا، إِذَا وجعته كبده ومنه المكابدة، وذلك يعمُّ المؤمن والكافر، وإِذَا كَـانَت المكابدة لا بدَّ منها، كَـانَ بذلها فِي الطاعـة أولى، وَإِلاَّ كَـانَت [٦٦٣] مَغرما عَلَى صاحبها.

﴿أَيحسَبُ﴾ لبعضهم الذِي كَانَ يكابد مِنْهُ أكثر؛ أو لِكُلِّ أحـد مِنـْهُم؛ أو الإِنسَان، ﴿أن لَّن يَقدِرَ عليه أحـدٌ(٥) يقـول: أهلَكـت مـالاً لـبَدًا(٦)﴾ عَلَى عداوة محمَّد؛ ﴿أَيحسِب أن لَّـم[1] يَـرَه أحـد(٧)﴾ أيظـنُّ أنَّ ا لله لم يـرَ ذَلِكَ مِنْهُ، و لم يسأله عَن ماله من أين كسبه وأين أنفقه؟ يَعنِـي: إنَّ ا لله يـراه فيجازيـه، ثُـمَّ قـرَّر ذَلِـكَ بقولـه: ﴿ألم نجعَـل لَّـهُ عَيـنَـيْنِ(٨)﴾ يـبصر بهمـا، ﴿ولسانا﴾ يُترجم بِهِ عَـن ضمـائره، ﴿وَشَـفَـتَـيْنِ(٩)﴾ يَستَعين بهمـا عَلَى

---

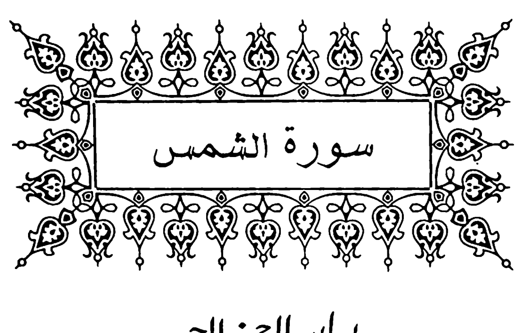
١ - فِي الأَصْلِ: «أن لن يراه»، وفِي تفسير البيضاويِّ: «لن يـره»، ومـن العجيـب أن ينقـل الآيـة من البيضاويِّ مع خطئها. انظر: البيضاوي: ج٤/ ص ٢٥٦.

النطق والأكل والشرب وغير ذَلِكَ، ﴿وهديناه النَّجدَيْنِ(١٠)﴾ طريقي الخير والشرّ.

﴿فلا اقتَحَمَ العَقَبةَ(١١)﴾ أي: فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة، وَهُوَ الارتقاء فِي مصاعب الأمور عَلَى النفس، إلاَّ أنَّ فِيهِ السلامة؛ والعقبة: الطريق فِي الجبل، استعارها لِمَا فسَّرها بِهِ مِنَ الفكِّ والإطعام فِي قوله: ﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا العَقَبَةُ(١٢) فكُّ رَقَبَةٍ(١٣) أو إطعامٌ فِي يومٍ ذي مَسغَبةٍ(١٤)﴾ مجاعة، ﴿يتيمًا ذا مَقْرَبةٍ(١٥)﴾ (لَعَلَّهُ) ذا قرابة ﴿أو مِسكِينا ذا مَتْرَبةٍ(١٦)﴾ (لَعَلَّهُ) شدَّة حال لِمَا فيهما من مجاهدة النفس؛ وقوله: ﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا العقبةُ﴾ اعتراضٌ، معناه: إنَّكَ لم تَدرِ كُنْه صعوبتها وثوابها.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا﴾ لأَنَّ الكافر لاَ ينتفع بعمل، ﴿وَتَوَاصَوْا بالصبرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضا بالصبر عَلَى طاعة الله، ﴿وتواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(١٧)﴾ بالرحمة عَلَى عباده، أو بموجبات رحمة الله، ﴿أُولَـئِكَ أصحابُ الميمنةِ(١٨)﴾ اليمين، أو اليُمن.

﴿وَالذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنا﴾ بِمَا نصبنَاه دليلا عَلَى حقٍّ، من كِتَاب وحجَّة، أو إلهام، ﴿هم أصحابُ الْمَشأَمَةِ(١٩)﴾ الشمال، أو الشُّؤم؛ قيل: ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة، وَالكُفَّار بالضمير شأنٌ لاَ يخفى، ﴿عَلَيْهِم نارٌ مُؤْصَدَةٌ(٢٠)﴾ مُطبقة، من أَوصَدت الباب إِذَا أطبقته وأغلقته.



# سورة الشمس

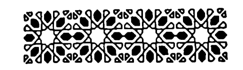
بسم الله الرحمن الرحيم

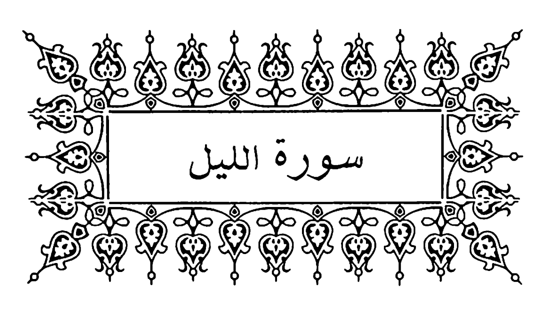
﴿والشمسِ وضُحَاهَا(١)﴾ وضوئها إِذَا أشرقت؛ وقيل: هُوَ النَّهَار كلُّه، وقيل: حرُّها؛ ﴿والقمرِ إِذَا تَلاهَا(٢)﴾ تلاَ طلوعُه طلوعَ الشمس أوَّل الشهر، أو غروبها ليلة البدر، أو فِي الاستدارة وكمال النور، ﴿والنَّهَار إِذَا جَلاَّها(٣)﴾ جلاَّ الظلمة إِذَا كشفها، فإنَّها تنجلي إِذَا انبسط النَّهَار، أو الظلمة أو الدُّنْيَا، ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَغشَاهَا(٤)﴾ يَسْتُرُ[هَا]، ﴿والسَّمَاء وَمَا بَنَاها(٥)﴾ ومَن بناها؛ كأنَّه قيل: والشيء القادر الذِي بناها، وَدَلَّ عَلَى وجوده وكمال قدرته بناؤها، ولذلك أفرد ذكره؛ وكذا الكلام فِي قوله: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(٦)﴾ بَسَطَها، ﴿ونفسٍ وَمَا سَوَّاها(٧)﴾ (لَعَلَّهُ) تسوية خلقها للإلهام.

﴿فألهَمَهَا فُجُورها وتَقوَاهَا(٨)﴾ إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما وتعريف حاليهما، والتمكين مِنَ الإتيان بهما، وبمعنى: أَنَّهُ تعالى أَلهَم العبد وبيَّن لَهُ مَا هُوَ فِيهِ تقواه فيتبعه، وَمَا فِيهِ هلاكه فيجتنبه؛ وقيل: جعل فِيهَا ذَلِكَ، يَعنِي: بتوفيقه إِيَّاهَا للتقوى، وخذلانه إِيَّاهَا للفجور، وذلك أنَّ الله تعالى خلق فِي المؤمن [٦٦٤] التقوى، وفي الكافر الفجور.

﴿**قد أفلَح مَن زكَّاها(٩)**﴾ أنماها وطهَّرها من خبائث الشيطان بالعلم والعمل، كأنَّه لَمَّا أَرَادَ بِهِ الحثَّ عَلَى تكميل النفس والمبالغة فِيهِ، أقسم عَليه بِمَا يدلُّهم عَلَى العلم بوجود الصانع، ووجوب ذاته وكمال صفاته، الذِي هُوَ أقصى درجات القوَّة العلميَّة، ﴿**وقَد خَاب مَن دسَّاها(١٠)**﴾ أهملها وأنقصها حقَّها، وأخفاها بالجهالة والفسوق.

﴿**كذَّبَت ثَمود بِطَغوَاها(١١)**﴾ بسبب طغيانها، ﴿**إذِ انبَعَثَ**﴾ قام ﴿**أشقَاها(١٢)**﴾ (لَعَلَّهُ) عاقر الناقة أشقى ثمود؛ قيل: هُوَ قدار بن سالف، أو هو ومَن والاه عَلَى قتل الناقة، وذلك لتَولِّيهم العقر، ﴿**فقال لَهُم رسولُ ا للهِ: ناقةَ ا للهِ**﴾ أي: ذروا ناقة ا لله، واحذروا عقرها، ﴿**وَسُقياها(١٣)**﴾ وسَقيها فلا تذودوها عنها، ﴿**فَكَذَّبوه**﴾ فيما حذَّرهم مِنْهُ من حلول العذاب إن فعلوا، ﴿**فعَقَرُوها، فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم ربُّهم**﴾ فأطبق عَلَيْهِمُ العذاب، وَهُوَ من تكرير قولهم: ناقة مدمومة: إِذَا لبسها الشحم، ﴿**بِذَنبِهِم**﴾ بسببه، ﴿**فَسَوَّاها(١٤)**﴾ فسَوَّى الدمدمة بذنبهم؛ أو عَلَيْهِم ﴿**ولاَ يَخَاف عُقبَاها(١٥)**﴾ عاقبة الدمدمة؛ أو عاقبة هلاكهم.





# سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والَّيْلِ إِذَا يَغشى(١)﴾ أي: يغشى الشمس، أو النَّهار، أو كلاهما؛ أ[ي] يواريه بستره، ﴿والنَّهَارِ إِذَا تجلَّى(٢)﴾ ظهر بزوال ظلمة اللَّيْل، أو تبيَّن بطلوع الشمس، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَر والأنثى(٣)﴾ والقادر الذِي صنع الذكر والأنثى من كُلِّ نوع؛ وقيل: "مَا" مصدرية، ﴿إِنَّ سعيكم لشَتَّى(٤)﴾ إنَّ مساعيكم لأسباب مختلفة، (لَعَلَّهُ) فساعٍ فِي فِكاك نفسه، وساعٍ فِي عَطبها وهلاكها.

﴿فَأَمَّا مَن أَعطى﴾ (لَعَلَّهُ) ماله فِي سبيل الله، ﴿واتَّقى(٥)﴾ (لَعَلَّهُ) ربَّه بطاعته، ﴿وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)﴾ المعنى: من أعطى الطاعة وَاتَّقَى المعصية، وصدَّق بالكلمة الحسنى، وهي كلمة التوحيد، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسرى(٧)﴾ من أمر الدارين.

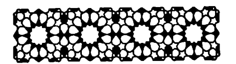
﴿وأَمَّا مَن بَخِلَ﴾ بِمَا أُمر بِهِ، ﴿وَاسْتَغْنَى(٨)﴾ واستغنى بشهوات الدُّنْيَا عَن نعيم العقبى، أو استغنى بتدبيره عَن توفيق الله، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩)﴾ بإنكار مدلولها، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى(١٠)﴾ مِن أمر الدارين، ﴿وَمَا يُغني عَنْهُ مالُه﴾ إنكار، ﴿إِذَا تَرَدَّى(١١)﴾ هلكَ، "تفَعَّل" مِنَ الرَّدى، أو تردَّى فِي مخنق الموت، أو قَعر جَهَنَّم، ﴿إِنَّ علينا

﴿لَلْهُدَى(١٢)﴾ للإرشاد إِلَىَ الحَقِّ بموجب قضائنا، أو بمقتضى حكمنا، فإنَّ علينا طريقة الهدى لقوله: ﴿وعلى ا للهِ قَصْدُ السبيلِ﴾[1].

﴿وإنَّ لَنَا لَلآخرةُ والأولى(١٣)﴾ فنعطي فِي الدارين ما نَشَاء[2] لِمَن نشاء؛ أو ثواب الهداية للمهتدين؛ أو فلا يضرُّنا ترككم الاهتداء، [٦٦٥] أو فمَن طلبهما مِن غير مالكهما فقد طمَعَ فِي غير مطمع.

﴿فَأَنذَرْتُكُم نَارًا تَلظَّى(١٤)﴾ تتلهَّب، ﴿لاَ يَصلاَهَا﴾ لاَ يلزمها مُقاسيا شدَّتها[3] ﴿إِلاَّ الأشقى(١٥)﴾ إِلاَّ الكافر ﴿الذِي كَذَّبَ وَتوَلَّى(١٦)﴾ أي: كذَّب الحقَّ، وأعرض عَن الطاعة، ﴿وَسَيُجَنَّبُها الأتقى(١٧)﴾ الذِي اتَّقى المعصيةَ، ﴿الذِي يُؤتي مالَه﴾ يصرفه فِي مصارف الخير، فَإِنَّهُ ﴿يَتزكَّى(١٨)﴾ يطلب أن يكون عند ا لله زاكيا لاَ رياء وَلاَ سمعة.

﴿وَمَا لأحَدٍ عنده مِن نِّعمةٍ تُجزى(١٩)﴾ فيَقصِد بإتيانه مُجازاتها، ﴿إلاَّ ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأعلى(٢٠) ولَسَوفَ يَرضى(٢١)﴾ بثواب ا لله فِي العُقبى عوضا عَلَى عمله؛ وعدٌ بالثواب الذِي يرضاه.

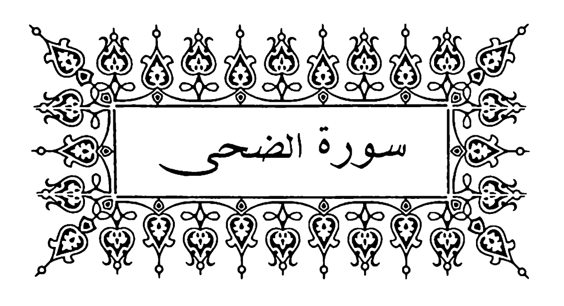


---

١ - سورة النحل: ٩.

٢ - فِي الأَصْلِ: «من تشاء»، وَهُوَ خطأ.

٣ - في الأصل: «شتدتها»، وهو خطأ.



# سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والضُّحى(١) واللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢)﴾ سكن أهله؛ أو ركد ظلامه؛ مِن سجى البحر سُجُوًّا[1]: إِذَا سكنت أمواجه، ﴿مَا وَدَعَك رَبُّكَ﴾ وَمَا قطعك قطع الودع[2]، بمعنَى: مَا تركك، ﴿وَمَا قَلَى(٣)﴾ وَمَا أبغضك، ﴿وَلَلآخرةُ خيرٌ لَّكَ مِنَ الأولى(٤)﴾ فإنَّها باقية خالصة عَن الشوائب، وهذه فانية مَشوبة بالمضارِّ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا بيَّن أَنَّهُ تعالى لاَ يزال يواصله بالوحي، أخبره أنَّ حاله فِي الآخِرَة أعظم من ذَلِكَ وأجلُّ، ولَنهاية أمره خير من بدايته، فَإِنَّهُ لاَ يزال يتصاعد فِي الرِّفعة والكمال.

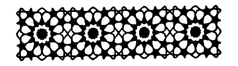
﴿وَلَسَوْفَ يُعطيك رَبُّكَ فترضى(٥)﴾ وعد شامل لِمَا أعطاه من كمال النفس، وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولِمَا أَخَّر لَهُ مَا لاَ يعرف كُنهَه سواه، والدلالةِ عَلَى أنَّ العطاء ـ وإن تأخَّر ـ كائنٌ لاَ محالة لحكمة.

---

١ - فِي الأصل: «سجودا»، وهو خطأ. وانظر: الفيروزآبادي: القاموس، ص١١٦٤، مَادَّة: «سجي».

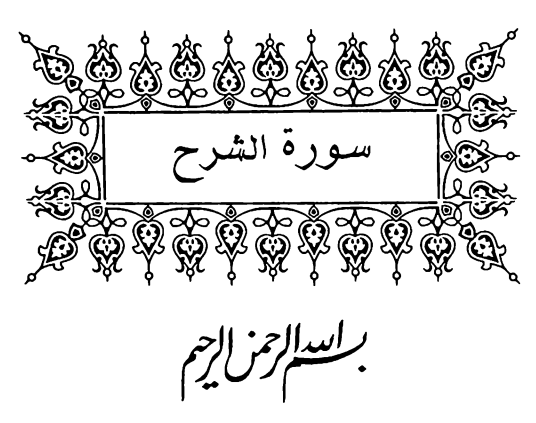
٢ - فِي تفسير البيضاويِّ: «قطع المودِّع». ج٤ / ص ٢٥٨.

﴿أَلَم يَجِدْكَ يَتيمًا فآوى(٦)﴾ تعديد لِمَا أنعم عَلَى نبيِّه، عَلَى أَنَّهُ[1] كما أحسن إِلَيْهِ فيما مضى يُحسن إِلَيْهِ فيما يستقبل وإن تأخَّر، ﴿وَوَجَدك ضَالاًّ﴾ عَن علم الحكمة والأحكام، أو عَن النبوَّة، ﴿فَهَدَى(٧)﴾ فعلَّمَك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر، ﴿وَوَجَدك عائلا﴾ فقيرا ذا عِيال ﴿فأغنى(٨)﴾ لِما حصَّل لك من رزقه، ﴿فَأَمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ(٩)﴾ فلا تغلبه عَلَى ماله وحقِّه لضعفه، وقرئ: «فلا تَكهر»[2] أي: لاَ تعبس فِي وجهه، ﴿وَأَمَّا السائلَ فلا تَنهرْ(١٠)﴾ فلا تزجره، ﴿وأَمَّا بنعمة رَبِّك فحدِّثْ(١١)﴾ فإنَّ التحدُّث بها شكرها؛ وقيل: المراد بالنعمة: النبوَّة، والتحدُّث بها: تبليغها.



١ - فِي الأصل: «أن»، وهو خطأ.

٢ - قال فِي القاموس: «الكَهْرُ: القَهر، والانتهار، والضحك، واستقبالك إنسانا بوجه عابس تهاونا به، واللهو». الفيروزآبادي: القاموس، ص ٤٢٦، مَادَّة: «كهر».



# سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

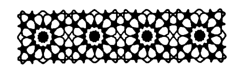
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١)﴾ ألم نُفسحه لك حتَّى ينشرح لمناجاة الحقِّ ودعوة الخلق، فكَانَ غائبا حاضرا؛ أو [أ]لَمْ نفسحه بمَا أودعنا فِيهِ مِنَ الحكم، وأنزلنا عَنْهُ ضيق الجهل؛ أو بِمَا يَسَّرنا لك [من] تلقِّي الوحي بعدما كَانَ يشقُّ عليك؛ ومعنى الاستفهام: إنكار نفي الانشراح، مبالغة فِي إثباته، ولذلك عطف عليه:

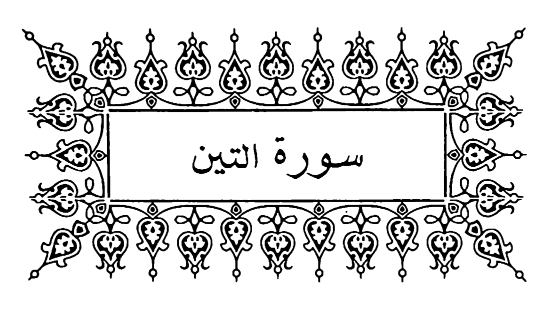
﴿وَوَضَعنا عَنك وِزرَك(٢)﴾ عِبْأَك الثقيل، ﴿الذِي أَنقَضَ ظَهرَك(٣)﴾ الذِي حَمَلَكَ حَمْلُه عَلَى النقيض، وَهُوَ [٦٦٦] صوت الرجل عند الانقباض[1] من ثقل الحمل، وَهُوَ مَا ثَقل عليه من فرطاته، ﴿وَرَفَعنا لَك ذِكرَك(٤)﴾ وجعل طاعتَه طاعته، وصلَّى عليه ملائكته والمؤمنون.

---

١ - الصواب «عند الانتقاض» كما فِي سائر التفاسير. الزمخشري: الكشَّاف، ٤/ ص٦١٤. البغوي: معالم التنزيل، ج٤/ ص٥٠٢. البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٥٩. أبو السعود: تفسير، مج٥/ ج٩/ ص١٧٢. الألوسي: روح المعاني، ج٣٠/ ص١٦٨. وانظر مَعْنَى الانتقاض فِي: الفيروزآبادي: القاموس، ص٥٨٩، مَادَّة: «نقض». ابن منظور: لسان العرب، ج٦/ ص٧٠٥-٧٠٦، مَادَّة «نقض». وفيه تحقيق مهم فِي مَعْنَى الآيَة المفسَّرة.

﴿**فإنَّ مَعَ العُسرِ**﴾ كضيق الصدر والوزر، والنقض للظهر، والضلال عَـن علم الحكمة، والعجز عَـن القيـام بالعيـال، ﴿**يُسـرا(٥)**﴾ كالشـرح والوضـع والإغناء، والتوفيـق للاهتـداء والطاعـة، فـلا تيـأس مِـن رَوح ا لله إذَا اعـترتك شدَّة، ﴿**إنَّ مَعَ العُسـرِ يُسـرا(٦)**﴾ التكريـر للتـأكيد، ﴿**فـإذَا فَرغـتَ**﴾ مِـن (لَعَلَّهُ) حال مِن أحوال العبادة ﴿**فانصب(٧)**﴾ فاتعب شكرا لِمَا عَدَّدنا عليك مِنَ النعم السالفة، ووعَدنا بالنعمة الآتية؛ وقيل: إذَا فرغت مِنَ الصَّلاَة فانصب فِي الدعـاء، ﴿**وإلى رَبِّـكَ فـارغب(٨)**﴾ (لَعَلَّـهُ) فِي جميـع أحوالـك للعبـادة والانقطاع والسؤال.






بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والتِّينِ والزَّيتُونِ(١) وطورِ سِينِينَ(٢)﴾ يَعنِي: الجبل الذِي نَاجَى موسى عليه السلام ربَّه، وسينين وسيناء: اسمان للموضع الذِي هُوَ فِيهِ، ﴿وَهَذَا البلدِ الأمِينِ(٣)﴾ يأمن فِيهِ مَن دخله.

﴿لَقَد خَلَقنا الإنسَانَ﴾ يريد الجنس، ﴿فِي أحسن تَقويمٍ(٤)﴾ فِي أحسن تعديل لشكله وصورته، وتسوية الأعضاء، وإبانته لَهُ عَن غيره، بنطقه وتمييزه وعقله وتدبيره، وقبوله للميثاق، واستجماع خواصِّ الكائنات، ونظائر سائر الممكنات، (لَعَلَّهُ) إذ جعله جوهرا انطوى عليه أصداف مكنوناته.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ ثُمَّ كَانَ عاقبة أمره حين لم يشكر النعمة فِي الخلقة القويمة أن رددناه ﴿أسفلَ سافلِينَ(٥)﴾ مِن أسفلَ خلقًا، يَعنِي: أقبح مِن قبح[1] صورة (لَعَلَّهُ) خلقها، وَهُم أصحاب النار، كقوله: ﴿أُولَئِكَ هم شرُّ البريَّة﴾[2].

١ - لعلَّ الصواب: «أقبح».

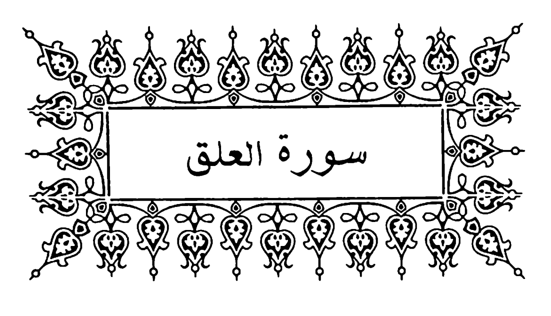
٢ - سورة البيِّنة: ٦.

﴿**إلاَّالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات**﴾ إلاَّ الذِينَ ثبتـوا عَلَى الطاعـة، أو تابوا بعد المعصيـة فَهُـم فِي أحسـن تقويـم كمـا وصفهـم، ﴿**فلهـم أجـرٌ غـير مَمنُونٍ(٦)**﴾ لاَ ينقطع، أو لاَ يُمَنُّ بِهِ عَلَيْهِم.

﴿**فما يُكذِّبُك بعدُ بالدِّينِ(٧)**﴾ الخطاب للإنسان عَلَى طريقة الالتفـات، أي: فما جعلك كاذبا بسبب الدِّين؛ وإنكاره بعد هَـذَا الدليـل، يَعنِـي: إنَّـكَ تكذِب إِذَا كذَّبت بالجزاء، فإنَّ كلَّ مكذِّب بِالْحَقِّ كاذب لاَ محالـة، ﴿**أليـسَ الله بأحكمِ الحاكمِينَ(٨)**﴾؟ تحقيق لِمَا سبق، أليس الـذِي فَعـل[1] ذَلِـكَ مِـنَ الخلق والردِّ بأحكم الحاكمِينَ، صنعا وتدبـيرا؛ ومن كان كذلـك كـان قـادرا عَلَى الإعادة والجزاء.



١ - فِي الأَصْلِ: «فعل فعل».



# سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقرأْ باسم ربِّكَ﴾ أي: القرآن، مفتتحا باسمه أو مستعينا باسمه، ﴿الذِي خلَقَ(١)﴾ الذِي خلق كُلَّ شيء، فيتناول كُلَّ مخلوق مِنَ الأفراد[1]، مَا هُوَ أشرف وأظهر صنعا [٦٦٧] وتدبيرا، وأدلّ عَلَى وجوب العبادة المقصود مِنَ القراءة فقال: ﴿خلَقَ الإنسَانَ﴾ خصَّص الإِنسَان بالذكر مِن بين الخلق لأَنَّهُ أشرف مَا عَلَى الأَرْض، ﴿مِن علَقٍ(٢)﴾ وَلَـمَّا كَانَ أَوَّل الواجبات معرفته تعالى نزل أوَّلا مَا يدلُّ عَلَى وجوده وكمال قدرته، وثبوت حكمته.

﴿اِقْرَأْ﴾ تكرير للمبالغة، ﴿ورَبُّكَ الأكرمُ(٣) الذِي﴾ لَهُ الكمال (لَعَلَّهُ) فِي زيادة كرمه عَلَى كُلِّ كريم، أنعم عَلَى عباده بأن أخرجهم إِلَى الوجود مِنَ العدم، وأفاض عَلَيْهِم مَا لاَ يدخل تحت الحصر مِنَ النعم، ويَحلم عَنْهُم فِي ركوبهم المناهي واطِّراحهم الأوامر، وَلاَ يُعاجلهم بالنقم، مِمَّا (لَعَلَّهُ) ليس لكرمه نهاية، ﴿عَلَّم بالقلم(٤)﴾ أي: الخطَّ بالقلم، وقُرِئَ بِهِ، لتقيَّد بِهِ العلوم، ويُعْلم بِهِ البعيد.

---

١ - فِي العبارة خلل، وَفِي تفسير البيضاويّ: «الذِي خلَقَ كُلَّ شيء ثُمَّ أفرد مَا هُوَ أشرف وأظهر صنعا... فقال». البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٦٠.

﴿عَلَّم الإنسَانَ مَا لم يَعلَم(٥)﴾ فخلق القوى، ونصَب الدلائل، وأنزل الآيات فيعلِّمك القراءة وإن لم تكن قارئا، [وقد عدَّد][1] سبحانه مبتدأ أمر الإنسَان ومنتهاه إظهارًا لِمَا أنعم عليه، مِن أن نقَله مِن أخسِّ المراتب إِلَى أعلاها، تقريرا لربوبيَّته وتحقيقا لإكرامه، وأشار أَوَّلاً إِلَى مَا يدلُّ عَلَى معرفته عقلا، ثُمَّ نبَّه عَلَى ما يدلُّ سمعا.

﴿كلاَّ﴾ ردع لِمَن كفر بنعمة الله بطغيانه، فقال: ﴿إنَّ الإنسَان لَيطغَى(٦)﴾ (لَعَلَّهُ) لَيجاوز حدَّه بالاستكبار عَلَى ربِّه، ﴿أنْ رَآه استغنى(٧)﴾ أي: لأن رأى نفسه مستغنية عَن ربِّه بأمواله وعشيرته وقوَّته وَقُوَّة غريزته. وعن (لَعَلَّهُ) بعض: «إِذَا أصاب مالا زاد فِي مراكبه وثيابه، وطعامه وشرابه وهمِّه، وأشغاله وجمعه، واشتغاله بِسُمِّ المال عَن ترياقه، فذلك طغيانه». ﴿إنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجعى(٨)﴾ إِلَيْهِ مرجع الأمور كلِّها، واقع عَلَى طريقة الالتفات إِلَى الإِنسَان تحذيرا لَهُ مِن عاقبة الطغيان.

﴿أرَأَيْتَ الذِي يَنهى(٩) عبدا إِذَا صَلَّى(١٠)﴾؟ قيل: نزلت فِي أبي جهل، قَالَ: لو رأيت محمَّدًا ساجدا لوطئت عنقه، فجاءه، ثُمَّ نكص عَلَى عقبيه، فقيل لَهُ: ما لك؟ فقال: «إنَّ بيني وبينه لَخندقا مِن نار، وهولا وأجنحة»؛ فنزلت.

﴿أرَأَيتَ إن كَانَ عَلَى الهدى(١١) أو أمر بالتقوى(١٢) أَرَأَيْتَ إنْ كذَّب وتَولَّى(١٣)﴾؟ عَن الإيمان، ﴿ألم يَعلَم﴾ أي: الناهي ﴿بأنَّ الله

---

١ - في الأصل بياض قدر كلمة، وأضفناها من البيضاويِّ: المصدر نفسه.

يَرى(١٤)﴾؟ فيجازيه عَلَى ذَلِكَ؛ وَالمَعْنَى: أخبرني [عمَّن] ينهى بعض عباد الله عَن صلاته إن كَانَ ذَلِكَ الناهي عَلَى هدى فبما ينهى عَنْهُ، أو أمر بتقوى فيما يَأمُرُ بِهِ، مِن عبادة الأوثان كما يعتقده، أو إن كَانَ عَلَى التكذيب لِلْحَقِّ، والتولّي عَن الصواب، كما يقول: ﴿أَلم يعلم بأنَّ الله يرَى﴾ ويطّلع عَلَى أحواله، مِن هُداه وضلاله؛ وقيل: المعنى: أرأيت الذِي ينهى عبدا يصلّي؟ والمنهيُّ عَن الهدى آمر بالتقوى، والناهي مُكذِّب مُتولٍّ [٦٦٨] فما أعجب مِن ذا؛ وقيل: الخطاب فِي الثانية مَعَ الكافر، فَإنَّهُ تعالى كالحاكم الذِي حضره الخصمان، فخاطب هَذَا مرَّة، والآخر أُخْرَى، وَكَأَنَّهُ قَالَ: يا كافر، أخبرني إن كَانَ صلاته هدى، ودعاؤه إِلَى الله أمرًا بالتقوى أتنهاه؟؛ ولعلّة ذَكر الأمر بالتقوى فِي التعجُّب والتوبيخ، ولم يتعرَّض لَهُ فِي النهي، لأَنَّ النهي كَانَ عَن الصلاة والأمر بالتقوى، فاختصر عَلَى ذكر الصلاة لأَنَّهُ دعوى دعوة[1] بالفعل؛ أو لأَنَّ نهي العبد إِذَا صلَّى يحتمل أن يكون لها ولغيرها، وعامَّةُ أحوالها محصورة فِي تكميل نفسه بالعبادة.

﴿كَلاَّ﴾ ردع للناهي، ﴿لئن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عَمَّا هُوَ فِيهِ ﴿لَنَسْفَعًا بالناصيةِ(١٥)﴾ لنأخذنَّه بناصيته، ولنسحبنَّه بها إِلَى النار؛ والسفع: القبض عَلَى الشيء وجذبه بشدَّة، ﴿ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ(١٦)﴾.

﴿فليدعُ نادِيَهُ(١٧)﴾ أي: أهلَ ناديه ليعينوه، وَهُوَ المجلس الذِي ينتدي فِيهِ القوم. يُروى أنَّ أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ فقال: «أتهدِّدني وأنا أكثر

---

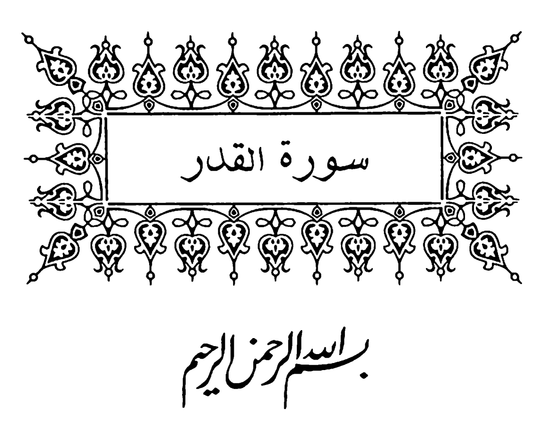
١ - الصواب: - «دعوى»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٦١.

أهل الوادي ناديا»؟ فنزلت[1]. ﴿سَندعُ الزبانيةَ(١٨)﴾ زبانية نار جَهَنَّم ليجرُّوه إِلَىٰ النار.

﴿كَلاَّ﴾ ردع أَيْضًا للناهي، ﴿لاَ تُطِعْهُ﴾ أي: اثبت أَنتَ عَلَى طاعتك، ﴿واسجدْ﴾ ودُم عَلَى سجودك، ﴿واقتربْ(١٩)﴾ وتقرَّب إِلَىٰ رَبِّكَ.



١ - روى الترمذيُّ: فِي كتاب تفسير القرآن: حديث رقم ٣٢٧٢، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ. قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ. وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ. ورواه أحمد: مسند بني هاشم: ٢٢٠٧، ٢٨٨٧. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «فليدع ناديه».



# سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أنزلناه فِي ليلةِ القَدْرِ(١)﴾ الضمير للقرآن؛ قيل: أنزل الله القرآن جملة وَاحِدَة فِي ليلة القدر مِنَ اللوح المحفوظ إِلَى السَّمَاء، ثُمَّ كَانَ يُنزله جبرائيل عَلَى رسول الله ﷺ نجوما فِي ثلاث وعشرين سنة عَلَى مَا قيل، وَالله أعلم.

﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا ليلةُ القدرِ(٢)﴾؟ يَعنِي: و لم تبلغ درايتك عَلَى قدرها؛ ثُمَّ بيَّن ذَلِكَ فقال:

﴿ليلةُ القدرِ خيرٌ مِّن ألفِ شهر(٣)﴾ أي: قيامها والعمل فِيهَا خير مِن قيام ألف شهر ليس فِيهِ ليلة القدر؛ كذا يوجد فِي جوامع الجامع[1]. وتسميَّتها بذلك لشرفها، أو لتقدير الأمور فِيهَا، لقوله: ﴿فِيهَا يُفرَق كُلُّ أمر حكيم﴾[2]. والفائدة فِي إخفاء هَذِهِ الليلة أن يجتهد النَّاس فِي العبادة، ويحيوا

---

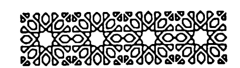
١ - تأليف أمين الدين أبي عليٍّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م. الدكتور علي شواخ إسحاق: معجم مصنَّفات القرآن الكريم، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج٣/ ص٥٥-٥٦، رقم ١٤٤٧.

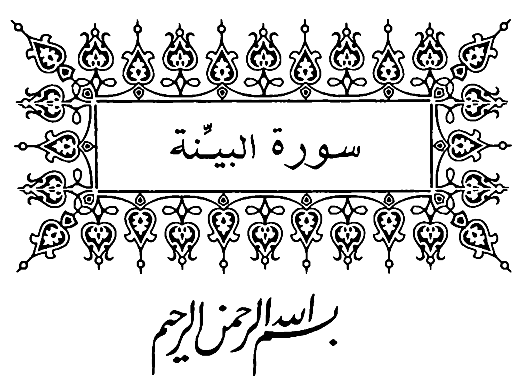
٢ - سورة الدخان: ٤.

الليـالي الكثـيرة طمعـا فِي إدرَاك فضلهـا، كمـا أخفـــى الصَّــلاَة الوســطى فِي الصلوات الخمس.

﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِـكَة والروحُ فِيهَا بإذن رَبِّهِم﴾ بيـان لِمَـا لَـهُ فُضِّلـت عَلَـى ألف شهر، ﴿مِن كُلِّ أمر(٤)﴾ مِن أجل كُلِّ أمر قُدِّر فِي تلك السنة.

﴿سلام هِيَ﴾ أي: مَا هِيَ إلاَّ سلامة لأوليـاء ا لله؛ وَالْمَعْنَـى: لاَ يُقـدِّر ا لله فِيهَا إلاَّ السلامة والخير، ويقضي فِي غيرها البـلاء والسـلامة عَلَـى مَـا قيـل؛ أو ماهي إلاَّ سلامٌ لكثرة سلامهم عَلَى أوليـاء ا لله وأهـل طاعتـه، ﴿حتَّى مطلـع الفجر(٥)﴾ أي: وقت طلوعه.





# سورة البيّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكتاب والمشركين مُنفكِّينَ﴾[1] عَمَّا كَانُوا عليه [٦٦٩] مِن دينهم.

﴿حتّى تأتيهم الْبَيِّنَةُ(١)﴾ الرسول، أو القرآن فَإِنَّهُ مبيِّن لِلْحَقِّ، أو معجزة الرسول بأحلامه[2]، والقرآن بإفحامه، ﴿رسولٌ مِّنَ الله﴾ بدل مِنَ «البَيِّنَة» بنفسه[3]، ﴿يتلُو صُحفا مُّطَهَّرَةً(٢)﴾ والرسول وإن كَانَ أمِّيًّا لكنَّه لَمَّا تَلى مثل مَا فِي الصحف كَانَ كالتالي لها؛ وكَون الصحف مطهَّرة: أنَّ الباطل لاَ يأتي فِيهَا، وَأَنَّهَا لاَ يمسُّها إلاَّ المطهَّرون، ﴿فِيهَا كتبٌ قيِّمة(٣)﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بِالْحَقِّ.

---

١ - فِي الحاشية عبارة لم يحِلْ إِلَيْهَا الناسخ من المتن، جاء فيها: «وسألته عَن قوله: ﴿لم يكن الذِينَ كَفَرُوا﴾ أهو نفي؟ قَالَ: نعم، هكذا عندي؛ قَالَ لَهُ: ﴿منفكّين﴾ مَا عنى بذلك؟ قَالَ: الذِي يقع لِي أنَّ الانفكاك مِنَ الشيء: خروجه؛ قلت: فيخرج أَنَّهُ لم يكن الذِينَ كَفَرُوا مِن أهل الكتاب والمشركين خارجين مِنَ الإسلام، وَلاَ يلحقهم معنى اسم الشرك والضلال إِلاَّ بحجَّة تنزل عَلَيْهِم (لعلّه) فيردُّونها، قَالَ: هكذا يقع لِي. قيَّدته على المعنى».

٢ - فِي تفسير البيضاويِّ: «بأخلاقه»، ويبدو أَنَّهُ الصواب. ج٤/ ص٢٦٢.

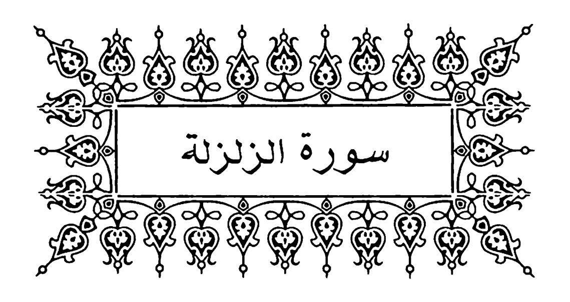
٣ - فِي تفسير البيضاويِّ: «بنفسه أو بتقدير مضاف». المصدر نفسه.

﴿وَمَا تفرَّق الذِينَ أُوتُـوا الكتـاب﴾ عَمـَّا كَـانُوا عليـه، ﴿إلاَّ مِـن بعـد مَـا جاءتهم الْبَـيِّـنَة(٤)﴾ إلاَّ من بعدما قامت عَلَيْهِمُ الحُجَّة، ﴿وَمَا أُمِـروا﴾ أي: فِي كتبهم بِمَا فِيهَا، ﴿إلاَّ ليعبدوا الله مُخلصين لَهُ الدِّينَ﴾ لاَ يشـركون بِـهِ شَيْـئًا، ﴿حُنَفَـاء﴾ مـائلين عَـن العقـائد الزائغـة، ﴿ويقيمـوا الصَّـلاَة ويؤتـوا الزَّكَـاةَ﴾ وَلَكِـنَّهُمْ حرَّفوا وعصوا، ﴿وذلك دينُ القَيِّمة(٥)﴾ دين المِلَّة القيِّـمة.

﴿إنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكتاب والمشركين فِي نـار جَهَنـَّم خـالدين فِيهَا﴾ أي: يوم القيامة؛ أو فِي الحال لِملابسـتهم مَـا يوجـب ذَلِـكَ؛ واشـتراك الفريقـين فِي جنس العـذاب لاَ يوجـب اشـتراكهمَا فِي نوعـه، فلعلَّـه يختلـف لتفاوت كفرهما، ﴿أولَـئِكَ هم شَرُّ البريـَّة(٦)﴾ أي: الخليقة، وقـرئ بـالهمز عَلَى الأصل.

﴿إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـات أُولَـئِكَ هـم خيرُ البريـَّة(٧)﴾ (لَعَلَّهُ) حَتَّى قيل: إنـَّهُمْ أفضل مِنَ المَلاَئِـكَة لعموم اللفظ؛ وقيـل: إنَّ المَلاَئِـكَة أفضل (لَعَلَّهُ) مِنَ المؤمنين، ﴿جزاؤهم عند رَبـِّهِم جَنـَّات عـدن تجـري مِـن تحتها الأنهار خالدين فِيهَا أبَـدا رضـيَ الله عَنْـهُم ورضـوا عَنْـهُ﴾ (لَعَلَّهُ) وثواب رضاك عَنْـهُ رضاه عنك؛ ﴿ذَلِـكَ﴾ المذكـور مِـنَ الجـزاء والرضـوان. (لَعَلَّهُ) قَـالَ السريُّ: «إِذَا كنـت لاَ ترضـى عَـن الله، فكيـف تسـأله الرضـى عنك؟». ﴿لِمن خَشِيَ ربـَّه(٨)﴾ (لَعَلَّهُ) عَن أن يعصيـه، فـإنَّ الخشـية مـلاك الأمر والباعث عَلَى كُلِّ خير.





# سورة الزلزلة

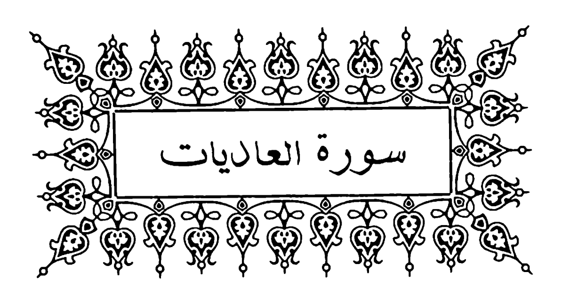
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلزلت الأَرْض زِلزالها(١)﴾ اضطرابها المقدَّر لها عند النفخة الأولى أو الثانية، أو الممكن لها واللائق لها فِي الحكمة، ﴿وأخرَجَت الأَرْض أثقالها(٢)﴾ مَا فِيهَا مِنَ الأموات، ﴿وقال الإِنسَان: مَا لها(٣)﴾؟ لِما بهره مِنَ الأمر الفظيع؛ وقيل المراد بالإِنسَان: الكافر؛ فإِنَّ المؤمن يعلم مَا لَها.

﴿يومَئِذٍ تُحدِّث﴾ الخلق بلسان الحال ﴿أخبارَها(٤)﴾ مَا لأجله زلزالها وإخراجها، ﴿بأنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لها(٥)﴾ أي: تُحدِّث بسبب إيحاء رَبِّكَ لها، بأن أحدث فِيهَا مَا دلَّت عليه عَلَى الإخبار.

﴿يومَئِذٍ يَصدُر الناس﴾ مِن مخارجهم، مِنَ القبور إِلَى الموقف ﴿أشتاتا﴾ متفرِّقين بحسب مراتبهم، ﴿لِيُرَوا أعمالهم(٦)﴾ جزاء أعمالهم، ﴿فمَن يعمل مِثقال ذرَّة خيرا يَرهُ(٧) وَمَنْ يعمل مثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَره(٨)﴾ وذَلِكَ أنَّ سَيِّئَات المؤمن [٦٧٠] مغفُورة، فلم يبق له إِلاَّ جزاء الخير، وأعمال الكافر محبوطة فلم يبق له إِلاَّ جزاء معاصيه.





# سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

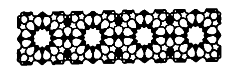
﴿والعَادِيَات ضَبحا(١)﴾ قيل: أقسم الله بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا، وَهُوَ صوت أنفاسها عند العَدْو، ﴿فالْمُوريات قَدحا(٢)﴾ التِي توري النار، ﴿فالمغيرات﴾ تغير بأهلها عَلَى العدوِّ، ﴿صبحا(٣)﴾ أي: فِي وقته، ﴿فأَثَرن﴾ هيَّجن بذَلِكَ الوقت ﴿بِهِ نقعا(٤)﴾ غبارا أو صياحا، ﴿فوَسَطْنَ بِهِ﴾ فتوسَّطن بذَلِكَ العَدْو، [أو] الوقت، أو بالعدو، أو بالنقع، أو ملتبسات بِهِ، ﴿جمعا(٥)﴾ مِن جموع الأعداء.

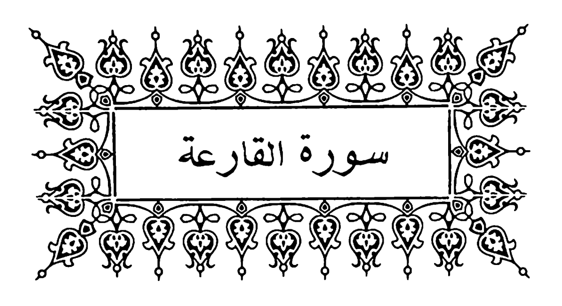
روي أَنَّهُ عليه السلام: بعث خيلا فمضت شهرا لم يأته مِنْهُم خبر، فنزلت؛ وتحتمل أن يكون القَسَم بالنفوس العادية إثر كمالهنَّ، الموريات بأفكارهنَّ أنوار المعارف، والمغيرات عَلَى الهوى، والعاديات إِذَا ظهر لهنَّ مثل أنوار القدس؛ فأثرن بِهِ شوقا، فوسطن بِهِ جَمعًا مِن جموع العلِّيِّين.

﴿إنَّ الإِنسَان لِربِّه لَكنُودٌ(٦)﴾ لكفور؛ مِن كَنَد النعمة كنودا، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ وإنَّ الإِنسَان عَلَى كُنوده ﴿لشهيد(٧)﴾ يشهد عَلَى (لَعَلَّهُ) نفسه لظهور أثره عليه؛ أو أنَّ الله عَلَى كنوده لشهيد، فيكون وعيدا.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير﴾ المال ﴿لشديد(٨)﴾ لبخيل، أو لقويٌّ مبالغ فِيهِ، (لَعَلَّهُ) وَهُوَ مِن أذمِّ صفاته، لأَنَّهُ يبعد عَن حبِّ الله وطاعته، بدليل قوله:

﴿أفلاَ يعلم إِذَا بُعثر﴾ بعث ﴿مَا فِي القبور(٩)﴾ مِنَ الموتى، ﴿وحُصِّل مَا فِي الصدور(١٠)﴾ مِن خير وشرٍّ، وتخصيصه، لأنَّهُ الأصل، ﴿إِنَّ رَبَّهَم بهم يَومَئِذٍ﴾ وَهُوَ يوم القيامة ﴿لَخَبيرٌ(١١)﴾ عالم بِمَا أعلنوا وَمَا أسرُّوا فيجازيهم.





# سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿القَارعـة(١)﴾ (لَعَلَّـهُ) اسـم مِـن أسمـاء القيامـة، لأَنـَّـهَا تَقـرع القلـوب بالفزع، ﴿مَا القَارعة(٢)﴾ تهويل عظيم لها، ﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا القارعة(٣)﴾؟ سبق بيانه فِي الحاقـَّـة[1]، ﴿يـومَ يكـونُ النَّـاس كـالفراشِ الْمَبثُـوث(٤)﴾ فِي كثرتهم وانتشارهم واضطرابهـم، ﴿وتكـون الجبـالُ كـالعِهن المنفُـوش(٥)﴾ كالصوف ذي الألوان، المندوف لتفرُّق أجزائها.

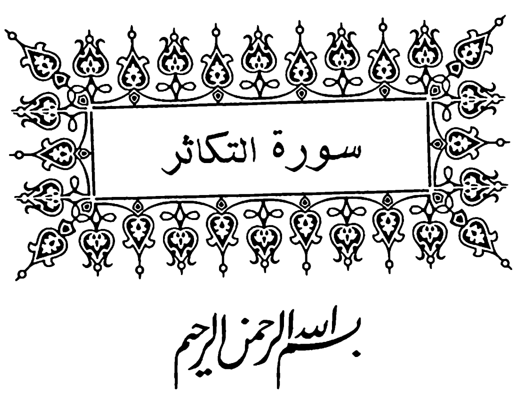
﴿فَأَمَّا مَـن ثَقُلـت موازينـه(٦)﴾ أي: صـارت حسـناته مثبتـة، وسيـِّئاته مُمحاة، ﴿فهو فِي عيشة راضية(٧)﴾ ذات رضى أو مرضية.

﴿وأَمَّا مَن خفَّت مَوازينه(٨)﴾ صارت حسناته محبوطة، وسيِّئاته مثبتـة، ﴿فأُمـُّه هاوية(٩)﴾ فمأواه النار، والهاوية مِن أسمائها، والساعي لها هاوٍ، كما أنَّ الساعي للخير مرتـقٍ[2]، ﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا هيـــه(١٠) نـارٌ حاميـة(١١)﴾ ذات حمى.

❁❁❁

١ - انظر: ج٤/ ص ٣٠٤. من هَذَا التفسير.

٢ - فِي الأَصْلِ: «والساعي لها هاوي، كما أنَّ الساعي للخير مرتـقِي».




بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكاثر(١)﴾ شغلكم (لَعَلَّهُ) عَن عبادة الله، وأصله الصرف إِلَى اللهو[1]، منقول مِن لَها إِذَا غفل، لقوله: ﴿لاَ تُلهيهم تجارةٌ...﴾ الآية[2]، والتكاثر: التباهي بالكثرة مَعَ الأقران، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المقابر(٢)﴾ معناه: ألهاكم التكاثر بالأموال [٦٧١] والأولاد، إِلَى أن مِتُّم وصرتم مضيِّعين أعماركم فِي طلب الدُّنْيَا عَمَّا هُوَ أهمُّ لكم، وَهُوَ السعي لأخراكم، فيكون زيارة القبور عبارة عَن الموت.

﴿كَلاَّ﴾ ردع وتنبيه عَلَى أنَّ العاقل ينبغي أن لاَ يكون جميع همِّه ومعظم سعيه للدنيا، فإنَّ عاقبة ذَلِكَ وبالٌ وحسرة، ﴿سوف تَعْلَمُونَ(٣)﴾ خطأ رأيكم إِذَا عاينتم مَا وراءكم؛ وَهُوَ إنذار ليخافوا وينتبهوا مِن غفلتهم، ﴿ثُمَّ كَلاَّ سوف تَعْلَمُونَ(٤)﴾ تكرير للتأكيد، وفي «ثُمَّ» دلالة عَلَى أنَّ الثاني أبلغ مِنَ الأَوَّل عند الموت؛ أو الثاني عند النشور.

---

١ - فِي الأَصْلِ: «اللهوى»، ولا مَعْنَى له.

٢ - سورة النور: ٣٧؛ وتمامها: ﴿رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاةِ، يخافون يوما تتقلَّب فيه القلوب والأبصار...﴾.

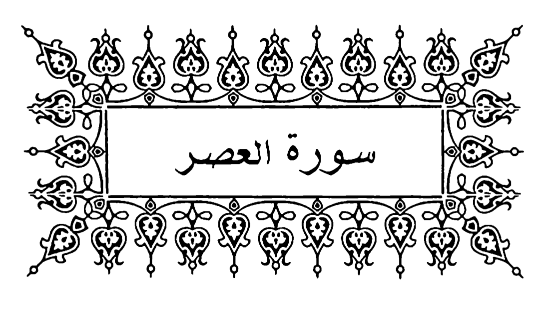
﴿**كَلاَّ لو تَعْلَمُونَ عِلم اليقِينِ(٥)**﴾ أي: لو تَعْلَمُونَ مَا بين أيديكم علم الأمر اليقين، كعِلمكم مَا تستيقنونه لشغلكم ذَلِكَ عَن غيره، أو لفعلتم مَا لاَ يوصف وَلاَ يكتنه، (لَعَلَّهُ) ولكنَّكم ضُلاَّل، فحذف الجواب للتفخيم، وَلاَ يجوز أن يكون قوله: ﴿**لَتَرَوُنَّ الجحيمَ(٦)**﴾ جوابا، لأَنَّهُ محقَّق الوقوع، بَل هُوَ جواب قَسمٍ محذوف، أكَّد بِهِ الوعيد، وأوضح بِهِ مَا أنذرهم مِنْهُ بعد إبهامه تفخيما.

﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَين اليقِينِ(٧)**﴾ أي: الرؤية التِي [هي] نفس اليقين، فإنَّ عِلم المشاهدة أعلى مراتب اليقين؛ (لَعَلَّهُ) والجحيم: النار الشديدة التأجُّج[1]، وكلٌّ بعضها فوق بعض.

﴿**ثُمَّ لَتُسألُنَّ يومَئِذٍ عَن النعيم(٨)**﴾ عَن التنعُّم الذِي شغلكم الالتذاذ بِهِ عَن أمر دينكم؛ أو تسألون عَن النعيم الذِي خُلق لأجلكم، لتستعينوا (لَعَلَّهُ) بِهِ عَلَى أمر مَعادكم، ففيما استعملتموه؟.



١ - في الأصل: «التايح»، وهو خطأ.



# سورة العصر

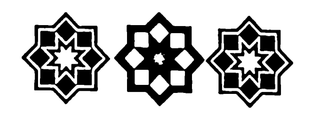
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعَصرِ(١)﴾ قيل: أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها؛ أو بعصر النبوَّة؛ أو بالدهر لاشتماله عَلَى الأعاجيب، لأَنَّ فِيهِ عبرة لأولي الأبصار؛ وقيل: وربِّ العصر، وكذَلِكَ فِي أمثاله.

﴿إنَّ الإنسَان لفي خُسر(٢)﴾ إنَّ النَّاس لفي خسران فِي مساعيهم وصرف أعمارهم [في مطالبهم][1]؛ والتعريفُ: للجنس؛ والتنكيرُ: للتعظيم.

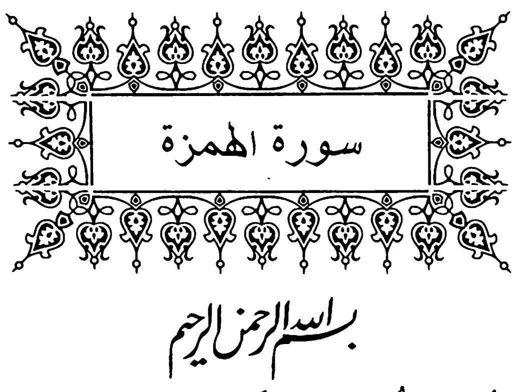
﴿إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ فَإِنَّهُمْ اشتروا الآخِرَة بالدُّنْيَا، ففازوا بالحياة الأبديَّة، والسعادة السرمديَّة.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالثبات الذِي لاَ يصحُّ إنكاره مِن اعتقاد أو عمل، ﴿وَتَوَاصَوْا بالصبر(٣)﴾ عَن المعاصي، أو عَلَى الحَقِّ، أو مَا يبلوا الله بِهِ عباده.



---

١ - إضافة من البيضاويّ: ج٤/ ص٢٦٤. ليتمَّ المَعْنَى.

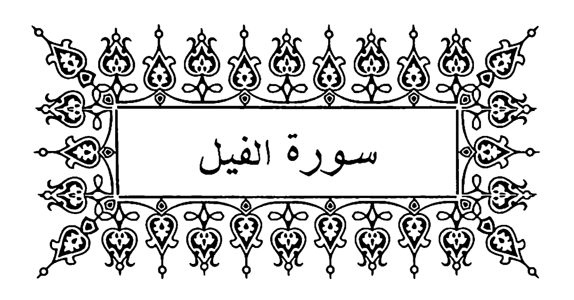


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزة(١)﴾ (لَعَلَّهُ) قيل: هُمُ المشَّاؤون بالنميمة؛ وقيل: الهمز في الغيب، (لَعَلَّهُ) واللمز في الوجه؛ وقيل: الهمَّاز: النمَّا[مُ]؛ واللاَّمز: المغتاب، ﴿الذِي جَمَعَ مالاً وعدَّده(٢)﴾ وجعله عدَّة للنوازل؛ أو عدَّه مرَّة بعد أُخْرَى تلهِّيا بِهِ، ﴿يحسَب أنَّ مَالَهُ أخلدَه(٣)﴾ تركه خالدا فِي الدُّنْيَا، فأحبَّه كما يحِبُّ الخلود؛ أو حبُّ المال أغفله عَن الموت؛ أو طول أمله، حَتَّى حسب أَنَّهُ مخلَّد فعمل عمل مَن لاَ يظنُّ الموت؛ وفيه تعريض بأنَّ المخلِّد هُوَ [٦٧٢] السعي للآخرة.

﴿كَلاَّ﴾ ردع لَهُ عَن حسبانه، أي: لاَ يخلده ماله، ﴿لَيُنبَذنَّ﴾ لَيُطرحنَّ ﴿فِي الْحُطَمة(٤)﴾ فِي النار التِي مِن شأنها أن تحطم كُلَّ مَا يطرح فِيهَا. ﴿وَمَا أَدرَاكَ مَا الْحُطَمة(٥)﴾؟ مَا النار التِي لها هَذِهِ الخاصِّيَّة، ﴿نارُ الله﴾ تفسير لها، ﴿الْمُوقدة(٦)﴾ التِي أوقدها الله، وَمَا أوقده لم يقدِر أن يُطفئه غيره، ﴿التِي تطَّلِع عَلَى الأفئدة(٧)﴾ تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها؛ وتخصيصها بالذكر، لأَنَّ الفؤاد ألطف مَا فِي البدن وأشدُّه تألُّما، أو لأَنَّهُ محلُّ العقائد، ومنشأ الأعمال، بِهِ يثبت الثواب والعقاب.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤصَدةٌ(٨)﴾ مطبقة؛ مِن أوصدتُ الباب إِذَا أطبقته، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدةٍ(٩)﴾ أي: مُوثَّقين فِي عمد، مثل المقاطر التِي تقطر فِيهَا اللصوص.



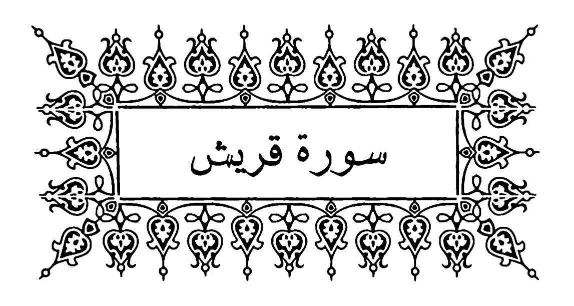
# سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم تر كَيفَ فَعل رَبُّكَ بأصحابِ الفيل(١)﴾؟ الخطاب للرسول، وَهُوَ وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها، وسمِعَ بالتواتر أخبارهـا، فكأنـَّه رآها؛ وَإنـَّمَا قَالَ: «كَيْفَ»، و لم يقل: «مَا»، لأنَّ المراد: تذكير مَا فِيهَا مِن وجوه الدلالة عَلَى كمال علم الله وقدرته.

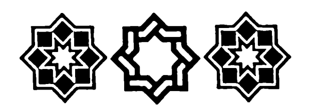
﴿ألَم يَجعل كَيدَهم فِي تَضلِيل(٢)﴾ فِي تضييع وإبطال؛ وقيل: فِي تضليل عَن مَا أرادوا.

﴿وأرسلَ عَلَيْهِم طَيرا أبَابِيلَ(٣)﴾ قيل: كثيرا متفرِّقة يتبع بعضها بعضا، ﴿تَرمِيهِم بِحِجارة مِّن سِجِّيل(٤) فجعلهم كعصفٍ مأكول(٥)﴾ قيل: كورق الزرع، وقع فِيهِ الأكال، وَهُوَ أن يأكله الدود؛ أو أُكل حَبـُّه، فبقي صِفرا [منه]؛ أو كَتِبن أكلته الدوابُّ وَرَاثته؛ فصاروا أشباحا بلا أرواح، وَهُم فِي الحياة كذَلِكَ فِي الحقيقة.




بسم الله الرحمن الرحيم

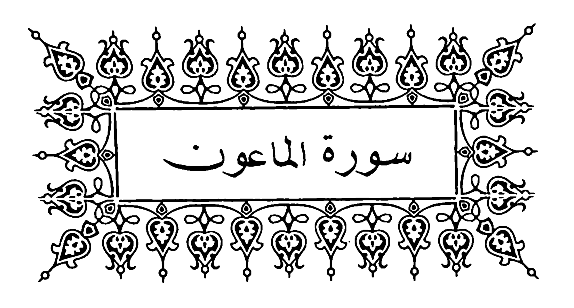
**﴿لإيلاَف قُريشٍ(١) إيلاَفِهِم رحلةَ الشتاء والصيـف(٢) فليعبـدوا ربَّ هَذَا البيت(٣) الذِي أطعمهم مِّـن جـوعٍ، وآمنهـم مِّن خـوفٍ(٤)﴾** قيـل: كَانَت لقريش رحلتان للميرة، (لَعَلَّهُ) مِنَ الشـام رحلـة فِي الشـتاء، ورحلـة فِي الصيف[١]، وكانوا يتآلفون ويدفنون[٢] مَـا بَيْنَـهُم مِنَ الأحقـاد والضغـائن، لأجل حاجتهم للميرة؛ فأمرهم تعالى أن يتـآلفوا عَلَى عبادتـه ولـزوم طاعتـه، كما يأتلفون للرحلة.



---

١ - الصواب: «رحلة فِي الشتاء إِلَى اليمن، ورحلة فِي الصيف إِلَى الشام».

٢ - فِي الأَصْلِ: «يتآلفوا ويدفنوا»، وَهُوَ خطأ إذ لا موجب لحذف النون، ونلاحظ تكرار مثل هَذَا الخطإ.



# سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيت الذِي يُكذِّب بالدِّينِ(١)﴾؟ بالجزاء، ﴿فذَلِكَ الذِي يدُعُّ اليتيمَ(٢)﴾ يدفعه عن حقّه وصلته دفعًا عنيفا، ﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾ غيره ﴿عَلَى طعام المسكِينِ(٣)﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء.

﴿فَوَيلٌ لِّلمُصلِّينَ(٤) الذِينَ هم عَن صلاتهم ساهُونَ(٥)﴾ غافلون غير مُبالين بها، ﴿الذِينَ هُم يُراءُونَ(٦)﴾ يراءون النَّاس بأعمالهم ليُروهُم الثناء عَلَيْهِم، ﴿ويَمنعُون الماعُونَ(٧)﴾ اللازم مِن أموالهم؛ وَالمَعْنَى: إِذَا كَانَ عدم المبالاة باليتيم مِن ضعف الدين والموجب للذمِّ والتوبيخ، فالسهو عَن الصَّلاَة التِي [٦٧٣] هِيَ عماد الدين، والرياء الذِي هُوَ شعبة مِنَ الكفر، ومنع الزَّكَاة التِي هِيَ قنطرة الإسلام أحقُّ بذَلِكَ، ولذَلِكَ رتّب عليها الويل؛ أو للتَّنبيه[1] عَلَى معنى: فويلٌ لَهُم؛ وَإِنَّمَا وضع المصلّين مَعَ الضمير للدلالة عَلَى معاملتهم مَعَ الخالق والخلق، لأَنَّهُ إِذَا استقامت أحوالهم مَعَ الخالق، استقامت مَعَ الخلق، فإن فسدت مَعَ الخالق كَانَت مَعَ الخلق أفسد.

---

١ - فِي تفسير البيضاويّ: «للسببيَّة»، وَهُوَ أصوب. ج٤/ ص٢٦٦.

وَمِن تفسير جامع الجوامع: «أي: هل عرفتَ الذِي يكذّب بالجزاء والحساب، وينكر البعث مَن هُوَ؟ إن لم تعرفه ﴿فذَلِكَ الذِي﴾ يُكذّب بالجزاء وَهُوَ ﴿يدعُّ اليتيم﴾، أي: يدفعه دفعا عنيفا، بجفوة وغلظة، ويردُّه ردًّا قبيحا بزجر وخشونة، ﴿وَلاَ يَحضُّ﴾ وَلاَ يبعث أهله ﴿عَلَى﴾ بذل ﴿طعام المسكين﴾، فلا يُطعمه وَلاَ يأمر بإطعامه. جعل ا لله سبحانه عَلَم التكذيب بالجزاء منع المعروف، والإقدام عَلَى إيذاء الضعيف؛ يَعنِي: أَنَّهُ لو آمن بالجزاء وأيقن بالحسنات ورجا الثواب، وخاف العقاب، لَمَا قَدِم عَلَى ذَلِكَ، علم أَنَّهُ مكذّب. فما أشدَّ هَذَا مِن كلام، وَمَا أخوفه مِن مقام، وَمَا أبلغه فِي التحذير مِن ارتكاب المعاصي والآثام؛ وإنّها جديرة بأن يستدلَّ بها عَلَى ضُعف الإيمان؛ ثُمَّ وصل بِهِ قوله: ﴿فويلٌ لّلمصلّين﴾ كأنّه قَالَ: فإذَا كَانَ الأمر كذَلِكَ، فويل للمصلّين الذِينَ يسهون عَن الصلاة قِلّةَ مبالاة بها حَتّى تفوتهم أو يخرج وقتها؛ أو يستخفُّون بأفعالها، فلا يُصلُّونها كما أمروا فِي تأدية أركانها، والقيام بحقوقها وحدودها؛ لكن ينقرونها نَقر الغراب مِن غير خشوع وإخبات، واجتناب المكروهات مِنَ العبث بالشعر والتثاؤب والتمطّي والالتفات، الذِينَ عادتهم الرياء والسمعة بأعمالهم، وَلاَ يقصدون بها الإخلاص والتقرُّب إِلَى ا لله تعالى عَلَى وجه الاختصاص، ويمنعون حقوق ا لله تعالى فِي أموالهم؛ وَالَمعْنَى: إنَّ هؤلاء هُمُ الأحِقّاء بأن يكونوا ساهين عَن الصلاة التِي هِيَ عماد الدين، والفرق بين الإيمان والكفر؛ وملتبسين بالرياء الذِي هُوَ شعبة مِنَ الشرك، ومانعين للزكاة التِي هِيَ قنطرة الإسلاَم، وتكون صفاتهم هَذِهِ عَلَمًا عَلَى أَنّهُمْ مكذّبون بالدين، مفارقون لليقين.

وعن أنس: «الحمد لله عَلَى أن لم يقل: فِي صلاتهم». والمراءاة: مفاعلة مِنَ الإراءة، لأَنَّ المرائي يُري النَّاس عَملَه، وَهُم يُرُونَه الثناء عليه والإعجاب بِهِ، وَلاَ يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كَانَ فريضة، فمن حقِّ الفرائض الإعلانُ بها وتشهيرُها، لقوله ﷺ: «*وَلاَ غمة فِي فرائض الله*»[1] لأَنـَّهَا [٦٧٤] شعائر الدين وأعلام الإسلاَم؛ وقوله ﷺ: «*مَن صلَّى الصلوات الخمس جماعة، فظُنُّوا بِهِ كُلَّ خير*»[2]؛ وقوله ﷺ لأقوام لم يحضروا الجماعة: «*لَتحضرنَّ المسجد أو لأحرقنَّ عَلَيْكُم منازلكم*»[3]؛ ولأَنَّ تاركها يستحقُّ الذمَّ والتوبيخ، فوجبت إماطة التهمة بالإظهار. وإن كَانَ تطوُّعا فالأولى فِيهِ الإخفاء، لأَنـَّهُ مِمَّا لاَ يُلام بتركه، وَلاَ تهمة فِيهِ، فيكون

---

١ - قال مصحِّح الكشَّاف: «هو طرف من حديث وائل بن حجر فِي كتاب النبيء ﷺ إِلَى الأقيال، وفيه: "ولا يوصم فِي الدين، ولا غمة فِي فرائض الله" وقال: الغمَّة: السترة، أي لا تستر فِي فرائض الله بل ظاهر بها». الزمخشري: الكشَّاف، ٢/٢٨٢.

٢ - لم نعثر عَلَيْهِ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث.

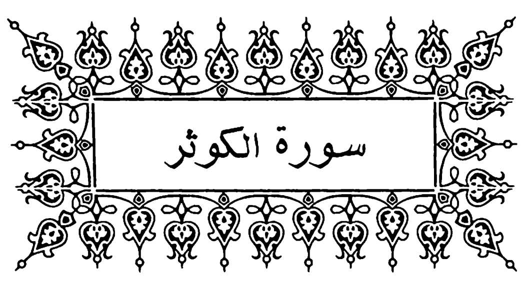
٣ - لم نعثر عليه بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث. وقد روى الربيع حديثا بمعناه عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ بهَا، ثمَّ آمُرَ رَجُلاً يَؤُمُّ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلىَ رِجَالٍ فَأُحرقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ. وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنـَّهُ يَجدُ عَظْمًا سَمِينـًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ العِشَاءَ». باب [٢٨] فِي أوقات الصلاة، حديث ١٨٢. وروى ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات: ٧٨٧، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنْ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ أَوْ لأُحَرِّقَنَّ بُيُوتَهُمْ». وروى نحوه أحمد: باقي مسند المكثرين، رقم ٧٥٧٥، ٧٩٠٨. العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «لأحرقن».

أبعد مِنَ الرياء؛ فإن أظهره قاصدا للاقتداء بِهِ كَانَ حسنا؛ فَإِنَّمَا الرياء أن يقصد بإظهاره أن يراه النَّاس فيثنوا عليه بالصلاح؛ عَلَى أنَّ اجتناب الرياء أمر صعب إِلاَّ عَلَى المخلصين، ولذَلِكَ قَالَ النبيُّ ﷺ: *«الرياء أخفى مِن دبيب النملة السوداء فِي الليلة المظلمة عَلَى المسح الأسود»*[1].

واختُلف فِي «الماعون»، فقيل: الزَّكَاة؛ وقيل: هُوَ مَا يتعاون النَّاس بَيْنَهُم، مِنَ الدلو والفأس والقِدر، وَمَا لاَ يُمنع كالماء والملح». انتهى الذِي مِن كِتَاب "جامع الجوامع".



١ - لم نعثر عليه بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر الحديث. وورد عند أحمد، في مسند الكوفيِّين، رقم ١٨٧٨١: عن أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُول ا للهِ ﷺ خطب الناس فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ ا للهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ ا للهِ؟ قَالَ: «قُولُوا اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَن نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ». العالميَّة: موسوعة الحديث، مَادَّة البحث: «دبيب النمل».



# سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أعطيناك الكَوْثَرَ(١)﴾ الكوثر، "فَوعَل"، مِنَ الكثرة، وَهُوَ الخير المفرط فِي الكثرة، مِنَ العلم والعمل، وشرف الدارين. وقيل: عَن ابن عَبَّاس أَنَّهُ فسَّر «الكوثر»: بالخير الكثير، وقد أعطاه الله سبحانه ما لا غاية لكثرته مِن خير الدارين، ﴿فصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فَدُمْ عَلَى الصَّلاَة خالصا لوجه الله، خلاف الساهي عنها المرائي فِيهَا، شكرا لإنعامه؛ فإنَّ الصلاة جامعة لأقسام الشكر، ﴿وَانْحَرْ(٢)﴾ البُدن التِي [هي] خيار أموال العرب، وتصدَّق عَلَى المحاويج، خلافا لِمَن يدُعُّهم ويمنع عَنْهُم الماعون؛ فالسورة كالمقابَلة للسورة المتقدِّمة، وقد فُسِّرت الصلاة: بصلاة العيد، والنحر بالضحيَّة.

﴿إِنَّ شَانِئك﴾ إنَّ مَن أبغضك لبُغضه لك[1]، ﴿هُوَ الأبتر(٣)﴾ لاَ أَنتَ، والأبتر مِن خير الدارين؛ كما أنَّ الكوثر هُوَ خير الدارين. والوعد بخير الدارين يعمُّ كُلَّ مَن كَانَ عَلَى طريقته، والوعيد بانقطاع خيرهما يعمُّ كُلَّ مَن عاداه، فلا يُرجى مِنهُ وَلاَ فِيهِ وَلاَ لَهُ خير، بَل كلُّ شرٍّ محيط بِهِ.

---

١ - وَفِي تفسير البيضاويِّ: «إنَّ مَن أبغضك لبُغضه الله»، ويبدو أنَّهُ الصواب. انظر: ج٤/ ص٢٦٧.

فانظر فِي نظم هَـذِهِ السورة الأنيق، وترتيبه الرشيق، مَعَ قِصرها ووجازتها تبصرة، كَيفَ ضمَّنها ا لله النكت البديعة، حيث بنى الفعل فِي أوَّلها عَلَى المبتدإ، ليدلَّ عَلَى الخصوصِيَّة؛ وجمَعَ ضمير المتكلِّم ليُؤذِن بكبريائه وعظمته؛ وصدَّر الجملة بحرف التأكيد الجاري مَجرى القَسم؛ وأتى بالكوثر محذوف الموصوف، ليكون أدلَّ عَلَى الشباع، والتناول عَلَى طريق الاتِّساع؛ وعقَّب ذَلِكَ بفاء التعقيب، ليكون القيام بالشكر الأوفر مسبَّبا عَن الإنعام بالعطاء الأكبر.

وقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾ تعريض بدين مَن يعرض لَهُ بالقول المؤذي، مِن ابن وائل وأشباهه مِمَّا[1] كَانَت [٦٧٥] عبادته ونحره لغير ا لله. واشاربها[كذا] بين العبادتين إِلَى نوعي العبادات: البدنيَّة التِي الصَّلاَةُ إمامها، والماليَّة التِي نحرُ البدن سنامها؛ وحَذف اللام الأخرى إذ دلَّت عليهما الأولى، ولمراعاة حقِّ التشيع الذِي هُوَ مِن جملة نظمه البديع؛ وإلى [الرسول ﷺ] بكاف الخطاب عَلَى طريقة الالتفات، إظهارا لعلوِّ شأنه، وليعلم بذَلِكَ أنَّ مِن حقِّ العبادة أن يقصد بها وجه ا لله خالصا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ فعلَّله[2] مَا أمره بِهِ مِنَ الإقبال عَلَى شأنه فِي العبادة بذَلِكَ، عَلَى الاستئناف الذِي هُوَ جنس مِنَ التعليل رائع. وَإِنَّمَا ذكره بصفته لاَ باسمه، ليتناول كُلَّ من أتى بمثل حاله، وعَرَف الخير ليتمَّ بِهِ البَتر، وأفخم الفضل لبيان أَنَّهُ المعين لهذا النقص والعيب. وذَلِكَ كلُّه مَعَ علوِّ

---

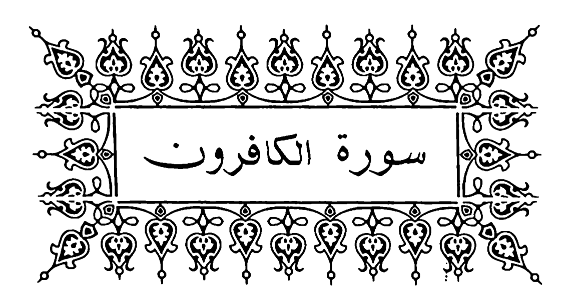
١ - الصواب: «مِمَّن».

٢ - لَعَلَّ الصواب: «فعلَّل»، أو «فعلَّل له».

مطلعها وتمام مقطعها، وكونها مشحونة بالنكت[1] الجليلة، متكثِّرة بالمحاسن غير القليلة، مِمَّا يدلُّ عَلَى أَنَّهُ كلام رَبِّ الْعَالَمِينَ، الباهر لكلام المخلوقين؛ فسبحانه لو لم يُنزِّل إلاَّ هَذِهِ السورة الوَاحِدَة الموجزة، لكفى بِهِ آية معجزة، لو همَّ الثقلان أن يأتوا بمثلها، لَشَابَ الغراب، وساب كالماء السراب قبل أن يأتوا بها.



١ - في الأصل: «بالنكتت».




بسم الله الرحمن الرحيم

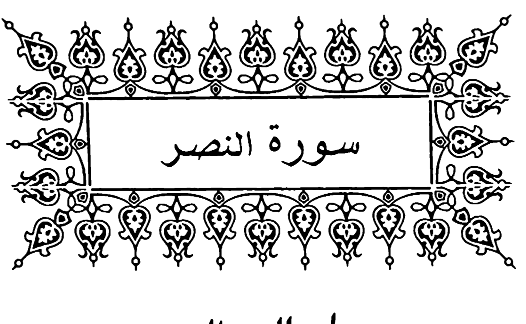
﴿قُل: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لاَ أعبدُ مَا تَعبُدُونَ(٢)﴾ أي: فيما يستقبل، لأَنَّهُم يُشركون با لله، وَهُوَ مُوحِّدٌ لله تعالى.

﴿وَلاَ أَنتُم عابدون مَا أعبدُ(٣) وَلاَ أنا عابدٌ مَا عبدتُّم(٤)﴾ أي: فِي الحال؛ أو فيما سلف.

﴿وَلاَ أَنتُم عابدون مَا أعبُد(٥)﴾ أي: وَمَا عبدتم فِي وقت مَا أنا عابده؛ كأنَّه قَالَ: لاَ أعبد الباطل، وَلاَ تعتقدون الحقَّ.

﴿لكم دينُكم﴾ لكم جزاء عملكم الذِي عملتموه، ﴿وَلِيَ دِينِ(٦)﴾ الذِي أنا عليه لاَ أرفضه وَلاَ أنثني عَنْهُ، ولي جزاء عملي.





# سورة النصر

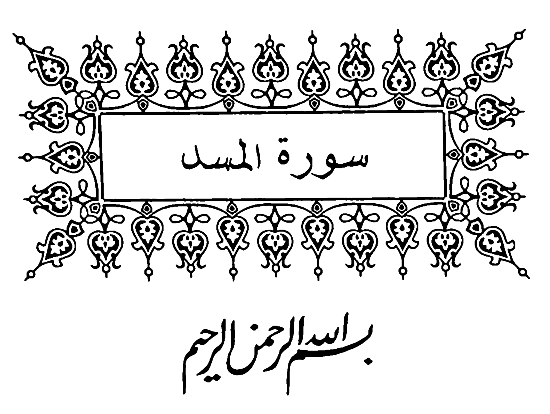
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نصرُ الله﴾ إظهاره إِيَّاكَ عَلَى أعدائك، ﴿والفَتحُ(١)﴾ وفتح مكّة؛ وقيل: المراد: جنس نصر الله المؤمنين، وفتح مكّة وسائر البلاد عَلَيْهِم، وَإِنَّمَا عبَّر عَن الحصول بالمجيء تجوُّزا، للإشعار بِأَنَّ المقدورات متوجِّهة مِنَ الأزل إِلَى أوقاتها المعيَّنة لها، فيقرب منها شَيْئًا فشَيْئًا، وقد قرب النصر مِن وقته لوروده مستعدًّا لشكره، ﴿ورَأَيت النَّاس يدخلون فِي دين الله أفواجا(٢)﴾ جماعات كثيفة.

﴿فسبِّح بحمد رَبِّكَ﴾ فتعجَّب لتيسير الله مَا لم يخطر ببال أحد، حامدا لَهُ عليه؛ أو فَصلِّ لَهُ حامدا عَلَى نعمه؛ أو فنزِّهه عَمَّا كَانَت الظَّلَمة يقولون بِمَا لاَ يجوز عليه؛ حامدا لَهُ عَلَى أن صدَق وعده؛ أو فأثنِ عَلَى الله بصفات الجلال، حامدا لَهُ عَلَى صفات الإكرام، ﴿واستغفره﴾ هضما لنفسك، واستقصارا لعملك، [٦٧٦] واستدراكا لِمَا فرط منك بالالتفات إِلَى غيره، ﴿إِنَّهُ كَانَ توَّابا(٣)﴾ لِمَن استغفر، (لَعَلَّهُ) لأنَّك قريب[1] لاحق بِهِ.



١ - لَعَلَّ الصواب: «قريبا».



# سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَـبَّت﴾ هلكت، أو خسرت؛ والتَّباب: الخسران، ﴿يدَا أبي لَهب﴾ نفسه، كقوله: ﴿وَلاَ تُلقوا بأيديكم...﴾[1]؛ وقيل: إِنـَّمَا خُصَّتا لأَنـَّهُ الطَّيْلاً لَمَّا نزل عليه: ﴿وأنذر عشيرتَك الأقربين﴾[2] جَمَعَ أقاربه فأنذرهم؛ فقال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا؟ وأخذ حجرا ليرميه بِهِ، فنزلت. وقيل: المراد بِهِ دنياه وأخراه، ﴿وَتَبَّ(١)﴾ إخبار بعد إخبار.

﴿مَا أغنى عَـنْهُ مالُه﴾ نفى إغناء المال عَنْهُ حين نزل بِهِ التباب، ﴿وَمَا كَسَب(٢)﴾ وكسبه؛ أو مكسوبه مِمَّا لَهُ مِنَ النتائج والأرباح، والوجاهة والأتباع؛ أو عمله الذِي ظنَّ أَنَّهُ ينفعه، ﴿سَيصلَى نارا ذاتَ لَهَبٍ(٣)﴾ اشتعالٍ، يريد نار جَهَنَّم (لَعَلَّهُ) تتلهَّب عَليه وتسعر بِهِ.

﴿وامرأته حمَّالة الحطب(٤)﴾ قيل المعنى: حطب جَهَنَّم، فإنـَّها كَانَت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول؛ أو النميمة، فإنـَّها توقد نار الخصومة[3]؛ أو

---

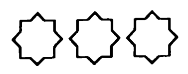
١ - سورة البقرة: ١٩٥.

٢ - سورة الشعراء: ٢١٤.

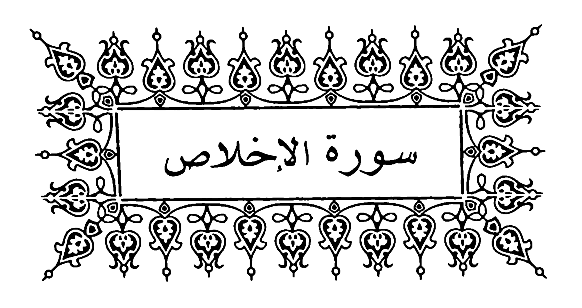
٣ - أحال الناسخ إِلَى الحاشية وكتب هَذِهِ العبارة الآتية، ولم يَتَبَيَّن لنا موقعها من المتن: =

حزمة الشوك كَانَت تحملها، فتنشرها باللَّيل فِي طريق رسول ا لله، (لَعَلَّهُ) قيل: إنَّهَا كَانَت كافرة.

﴿فِي جيدها﴾ (لَعَلَّهُ) عنقها ﴿حبلٌ مِّن مَّسَدٍ(٥)﴾ أي: مِمَّا مُسِد، أي: فتل؛ ومنه رجل ممسود الخلق، أي: مجدوله؛ وَهُوَ ترشيح للمجاز؛ أو تصوير لها بصورة الحطَّابة التِي تحمل الحزمة وتربطها فِي جيدها، تحقيرًا لشأنها؛ أو بيانا لحالها فِي نار جَهَنَّم، حيث يكون عَلَى ظهرها حزمة مِن حطب جهنَّم كالزقُّوم والضريع، وفِي جيدها سلسلة مِنَ النار.



«الارتقاء والنزول المؤدِّي إِلَى الهلاك، وَهُوَ ضدٌّ؛ فتحمل النميمة لزوجها فيقبلها، فتكون حطبا لها وله فِي نار جَهَنَّم».



# سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل: هُوَ ا لله أَحَدٌ(١)﴾ الضمير للشأن، كقولك: هو زيد منطلق؛ إذ روي أنَّ قريشا قَالُوا: «يا محمَّد صف لَنَا رَبَّكَ الذِي تدعونا إِلَيْهِ» فنزلت. و«أحدٌ» بدل، أو خبرٌ ثان، يدلُّ عَلَى مجامع صفات الجلال، كما دَلَّ ا لله عَلَى جميع صفات الكمال، إذ الوَاحِد الحقيقيُّ مَا يكون منزَّه الذات عَن أنحاء التركيب والتعدُّد، وَمَا يستلزم أحدهما كالجسميَّة، والمشاركة فِي الحقيقة وخواصِّها، كوجوب الوجود، والقدرة الذاتيَّة، والحكمة التامَّة المقتضية للألوهيَّة.

﴿ا لله الصَّمد(٢)﴾ السيِّد المقصود إِلَيْهِ فِي الحوائج؛ مِن صَمَد: إِذَا قصد، وَهُوَ الموصوف بِهِ عَلَى الإطلاق، فَإِنَّهُ يستغني عَن غيره مطلقا، وكلُّ مَا عداه محتاج إِلَيْهِ فِي جميع جهاته؛ وتعريفه لعلمهم بصمديَّته[1] بخلاف أحدِيَّته؛ وتكرير لفظه للإشعار بِأَنَّ من لم يتَّصف بِهِ لم يستحقَّ الألوهيَّة؛ وقيل: هُوَ السيِّد الذِي قد انتهى [٦٧٧] سؤدده؛ وقيل: هُوَ الكامل فِي جميع صفاته وأفعاله.

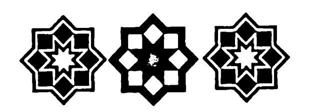
---

١ - فِي الأَصْلِ: «بصدمديته»، وَهُوَ خطأ.

﴿لَم يَلِد﴾ لأَنَّهُ لم يجانس، ولم يفتقر إِلىَ مَا يعينه، أو يخلف عَنْهُ لامتناع الحاجة والفناء[1] عَليه. وَلَعَلَّ الاقتصار عَلَى لفظ الماضي لوروده ردًّا عَلَى مَن قَالَ: المَلاَئِكَة بنات ا لله، أو المسيح ابن ا لله، ﴿وَلَم يُولَد(٣)﴾ وذَلِكَ أَنَّهُ لم يفتقر إِلىَ شيء، وَلاَ يسبقه عدم.

﴿وَلَم يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)﴾ أي: ولم يكن أحد يكافئه، أي: يماثله مِن صاحبة وغيرها، وقرئ: «كُفوًا» بالتخفيف، و«كُفُوًا» بالتحريك وقلب الهمزة واوا[2].

لاشتمال هَذِهِ السورة مع قصرها جميعَ المعارف الإِلَهيَّة، والردَّ عَلَى مَن ألحد فِيهَا قيل: جاء فِي الحديث أَنَّهَا تعدل ثلث القرآن[3]، فإِنَّ مقاصده محصورة فِي بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكلّه يعتبر المقصود بالذات مِن ذَلِكَ.



١ - فِي الأَصْلِ: «والغنى» وَهُوَ عكس المـُرَاد!!. وصحَّحناه من البيضاويّ: ج٤/ ص٢٧٠.

٢ - انظر مختلف القراءات الواردة فِي ﴿كفوًا﴾: الألوسي: روح المعاني، ج٣٠/ ص٢٧٧.

٣ - جاء فِي صحيح الإمام الربيع بن حبيب: أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدريّ أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ا للهُ أَحَدٌ ا للهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وَيُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ ا للهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَلَّلُها، فَقَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لإِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». الربيع: الجامع الصحيح، باب [٣] فِي ذكر القُرآن، حديث ٨.



# سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل: أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ(١)﴾ المعنى: قل اعتصم وامتنع مِن رَبِّ الصبح، ومدبِّره ومطلعه؛ وقيل: هُوَ كُلُّ مَا يفلقه الله كالأَرْض عَن النبات، والجبال عَن العيون، والسحاب عَن المطر، والأرحام عَن الأولاد، وَهُوَ يعمُّ جميع الممكنات، فَإِنَّهُ تعالى فَلَق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها. وتخصيص الصبح بِهِ، لأَنَّ فِيهِ مِن تغيُّر الحال، وتبدُّل وحشة اللَّيْل لسرور[1] النور، ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بِأَنَّ مَن قدر أن يزيل بِهِ ظلمة اللَّيْل عَن هَذَا العالم، قدر أن يزيل عَن هَذَا العابد مَا يخافه. ولفظ الرَّبِّ أوقع مِن سائر أسمائه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ(٢)﴾ خصَّ عالم الخلق بالاستعاذة عَنْهُ لانحصار الشرِّ فِيهِ، فإنَّ عالم الأمر خير كلُّه، وشرُّه اختياريٌّ، لازم ومتعدٍّ، كالكفر والظلم، وطبيعيٌّ كإحراق النار وإحراق السَّموم.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ ليل عظم ظلامه، مِن قوله: ﴿إِلَى غسق اللَّيْل﴾[2]، وأصله الامتلاء؛ يقال: غَسَقَت العين إِذَا امتلأت دمعا؛ وفي القاموس: «﴿وَمِن

---

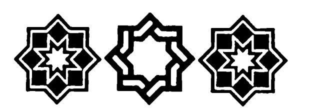
١ - الصواب: «بسرور»، كما فِي البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٧٠.

٢ - سورة الإسراء: ٧٨.

شر غاسق إِذَا وقب﴾ أي: اللّيل إِذَا دخل»[1]؛ أو جهلٌ تراكمت آثامه، ﴿إِذَا وقب(٣)﴾ دخل ظلامـه فِي كُـلِّ شـيء؛ وتخصيصه، لأَنَّ المضـارَّ فِيـهِ تكـثر، ويعسر الدفع، ولذَلِكَ قيل: «اللّيل أخفى للويل»، لكن إن تـفكّرت فمضمـرة الظلام تحصن فِي الأمور الدُّنيَاوية[2]، وَأَمَّا مضرَّة الجهـل إِذَا وقَـبَت ودخلـت عمَّت الحالين.

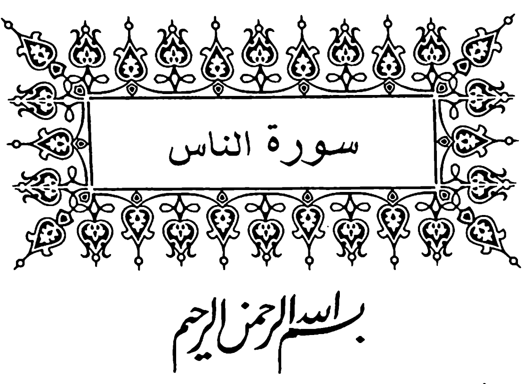
﴿وَمِـنْ شـرِّ النَّــفَّاثَات فِي العُــقَد(٤)﴾ وَمِـن شـرِّ النفـوس، أو النسـاء السواحر اللواتي يعقدن عقدا فِي خيوط وينـفـثن عليها؛ والنفـث: هُـوَ النفـخ؛ وقيل: المراد بالنفث فِي العقد: إبطال عزائم الرجال بالحيل، مستعار مِـن تليـين العقد بنفث الريق ليسهل حلُّها.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد(٥)﴾ إِذَا أظهر حسـده وعمـل بمقتـضاه، فَإِنَّهُ [٦٧٨] لاَ يعود ضرره مِنْهُ قبل ذَلِكَ إِلَى المحسود، بَل يخصُّ بِهِ لاغتمامـه بسروره، وتخصيصه لأَنَّ العمدة فِي إضرار الإِنسَان بَل الحيوان.



١ - فِي الأصْلِ: «(لَعَلّهُ) أي اللّيـل...»، ولا شَكَّ أَنَّ «لَعَـلّهُ» من إضافة الناسخ كما أوضحناه فِي بداية هَذَا التفسير. ويضيف صاحب القاموس: «أو الثريـَّا إذا سقطت لكثرة الطواعـين والأسقام عند سقوطها». الفيروزآبادي: القاموس، ص٨٢٣، مَادَّة: «غسق».

٢ - يبدو أَنَّ الصواب: «فمضرَّةُ الظلام تختصُّ بالأمور الدُّنيَاويـَّة» بدليل ما يأتي.



# سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس(١)﴾ لَمَّا كَانَت الاستعاذة فِي السورة المتقدِّمة مِنَ المضارِّ البدنيَّة، وهي تعمُّ الإنسَان وغيره، والاستعاذة فِي هَذِهِ السورة مِنَ الأضرار التِي تضرُّ النفوس البَشَرِيَّة وتخصيصها، عمَّم الإضافة وخصَّصه بالنَّاس هاهنا، وَكَأَنَّهُ قيل: أعوذ مِن شرِّ الموسوس إِلىَ النَّاس، بربِّهم الذِي يَملك أمورهم، ويستحقُّ عبادتهم.

﴿مَلِكِ النَّاس(٢) إِلَه النَّاس(٣)﴾ عطف بيان لَهُ، فإنَّ الربَّ قد لاَ يكون ملكا، والمَلِك قد لاَ يكون إلـهًا؛ وفِي هَذَا النظم دلالة عَلَى أنَّهُ حقيق بالإعادة، قادر عليها غير ممنوع عنها، وإشعار عَلَى مراتب الناظر فِي المعارف، فَإِنَّهُ يعلم أَوَّلاً بِمَا يرى عليه مِنَ النعم الظاهرة والباطنة أنَّ لَهُ ربًّا، ثُمَّ يتغلغل[1] فِي النظر حَتَّى يتحقَّق أَنَّهُ غنيٌّ عَن الكلِّ، وذات كُلِّ شيء لَـهُ، فهو الملك الحَقُّ، ثُمَّ يستدلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ المستحقُّ للعبادة لاَ غير؛ وتدرّج فِي وجوه الاستعاذة [كما يتدرَّج فِي الاستعاذة][2] المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات

١ - فِي الأصل: «يتغلل»، وهو خطأ.

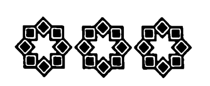
٢ - فِي الأصْلِ: «واندرج فِي وجوه استعاذة المعتادة تنزيلا»، وَفِي العبارة خلط واضح، وصحَّحناه من البيضاوي: تفسير، ج٤/ ص٢٧١.

منزلة اختلاف الذات، إشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها. وتكرير «النَّاس» لِمَا فِي الإظهار مِن مزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسَان.

﴿مِن شَرِّ الوَسوَاسِ﴾ والمراد بِهِ: الموسوس، يسمَّى بِهِ مبالغة، والوسواس: الشيطان، والوسوسة: حديث النفس والشيطان بِمَا لاَ نفع فِيهِ وَلاَ خير، كالوِسواس بالكسر، والاسم بالفتح، وقد وسوس لَهُ وَإِلَيْهِ؛ ﴿الْخَنَّاس(٤)﴾ الذِي عادته أن يخنس، أي: يتأخَّر إِذَا ذكر الإنسَان ربَّه.

﴿الذِي يُوَسوِسُ فِي صُدور النَّاس(٥)﴾ إِذَا غفلوا عَن ذكر رَبِّهِم، وذَلِكَ كالقوَّة الوهميَّة، فإنَّها تساعد العقل فِي المقدِّمات، فإِذَا آل الأمر إِلَى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشكِّكه.

﴿مِنَ الجِنَّة والنَّاس(٦)﴾ بيان للوسواس.



تَمَّ مَا أردت نسخه مِن [كثير][1] التفاسير، وقد زدت فِيهِ وحذفت أشياء وجدتها فِي تفاسيرهم، وشيء منها [نقلت][2] معناه لا اللفظ، وشيء منها كتبته ولم يَبِن لي معناه، فَمَنَ قرأه أو قُرِئَ عليه فليتدبَّر مَا قرأه أو قُرِئَ عليه مِنْهُ، وَلاَ يعمل بشيء مِنْهُ إلاَّ أن يتَبَيَّنَ لَهُ صوابه، ويتَّضح لَهُ حقّه مِن خطئه، لأَنَّ الحَقَّ واجب اتّباعه، والخطأ لازم اجتنابه.

وقد نسخته مِن كِتَاب يسمَّى «مدارك التنزيل»[3]، وكتاب «معالم التنزيل»[4]، وَمِن كِتَاب «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» المعروف بـ«البيضاويِّ»[5]، ومِن كِتَاب «جوامع الجامع»[6]، وكلُّها مِن تفاسير القوم،

---

١ - هَذِهِ الكلمة غير واضحة فِي الأصل، وقد أضفناها باجتهادنا.

٢ - هَذِهِ الكلمة غير واضحة فِي الأصل، وقد أضفناها باجتهادنا.

٣ - فِي الأصْلِ: «مدرك»، والصواب: مدارك التنزيل، أو تفسير النسفي، أو تفسير القرآن الجليل، تأليف أبي بركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهّاد المُتَأَخِّرين المُتَوَفَّى سنة ٧٠١هـ. انظر مصادر ترجمته فِي: الدرر الكامنة، ٢/٢٤٧؛ الفوائد البهيَّة فِي تراجم الحنفيَّة، ١٠٢. ر: شواخ: معجم مصنَّفات القرآن الكريم، ج٣/ ص١٤٦، رقم ١٧٨٤.

٤ - تأليف البغويِّ، حسين بن مسعود بن مُحَمَّد الفرَّاء، أو ابن الفرَّاء، أبو مُحَمَّد، الملقَّب بمحيي السنَّة، المُتَوَفَّى سنة ٥١٠هـ، وَقِيلَ: ٥١٦هـ / ١١٢٢م. انظر مصادر ترجمته: الأزهريَّة، ١/٢٩٧؛ الأعلام، ٢/٢٨٤؛ كشف الظنون، ٢/١٧٢٦... ر: شواخ: معجم، ج٣/ ص١٥٤، رقم ١٨٠٣.

٥ - تأليف ناصر الدين أبي الخير، عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن عليٍّ البيضاويِّ الشافعيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٦٨٥هـ. انظر مصادر ترجمته: طبقات المُفَسِّرين للداودي، ص١٠٢-١٠٣؛ طبقات الشافعيَّة، ٥/٥٩؛ كشف الظنون، ٢/١٦٢... ر: شواخ: معجم، ج٢/١٢٦، رقم ٨٩١.

٦ - تأليف الطبرسيِّ، الفضل بن الحسن بن الفضل، أمين الدين، أبي عليٍّ، المُتَوَفَّى سنة =

وزدت فِيهِ أشياء مِن (لَعَلَّهُ) كتب أصحابنا، وشَيْـئًا مِن عندي، مَا أرجوه أَنَّـهُ خارج عَلَى معاني الصواب، [٦٧٩] وحذفت منها مَا حذفت طلبا للإيجاز.

*والحمد لله حقَّ حمده والصلاة والسلام عَلَى نبيِّنا محمَّد وعلى جميع الأنبياء، صلَّى الله عليه وعَلَيْهِم أجمعين.*

(هَذَا مَا أردت نسخه ووجدته مكتوبا بخطِّ الشيخ سعيد بن أحمد الكندي، ونسخته بنفسي بخطِّ يدي وبخطِّ غيري، طالبا رضى الله تعالى، وَإِنِّي أستغفر الله تعالى الـذِي لاَ إله إِلاَّ هُوَ، مِن جميع مَا خالفت فِيهِ الحقَّ والصواب، ودائن إِلَى الله التوبـة مِن جميـع مَـا يلزمني فِيهِ التوبة، وَمَا التوفق إِلاَّ الله[1]. وأنا الفقير سيف بـن مـالك بـن سـيف اليعربـي بيده، وصلَّى الله[2] عَلَى سيِّدنا رسولك محمَّد النبيِّ الأمِّيِّ، وعلى آله وسلَّم، وَلاَ حـول وَلاَ قوَّة إِلاَّ با لله العليِّ العظيم، آمين. آمين)[3].

=

٥٤٨هـ / ١١٥٣م. انظر مصادر ترجمته فِي: الأعـلام، ٣٥٢/٥-٣٥٣؛ الذريعـة، ٢٤٠/٢؛ الخزانة التيموريَّة، ١٨٠/٣؛ روضات الجنَّات، ٥١٢، ر: شواخ: معجـم، ج٣/ ص٥٥-٥٦، رقم ١٤٤٧.

١ - الصواب: «وما التوفيق إِلاَّ با لله».

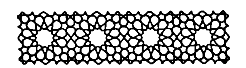
٢ - الصواب: «وصلِّ اللَّهُـمَّ».

٣ - ما بين قوسين من قول الناسخ.

وكتب فِي الحاشية: «قَالَ: أبو سعيد: كمـا مضـى الخطيـب عَلَى شـيء مِـنَ التوحيـد والصلوات عَلَى النبيِّ ﷺ أو شيء مِن ذكر الله أن يذكر ذَلِكَ (لَعَلَّهُ) فِي نفسه ويلزمه

=

# تَمَّ بـحمد اللّٰه وحُسن عونه
# الـجُزء الثالث من :
# " التفسير الـمُيسر للقُرآن الكريم "
# والـحَمدُ لِلّٰهِ أَوَّلاً وَآخراً

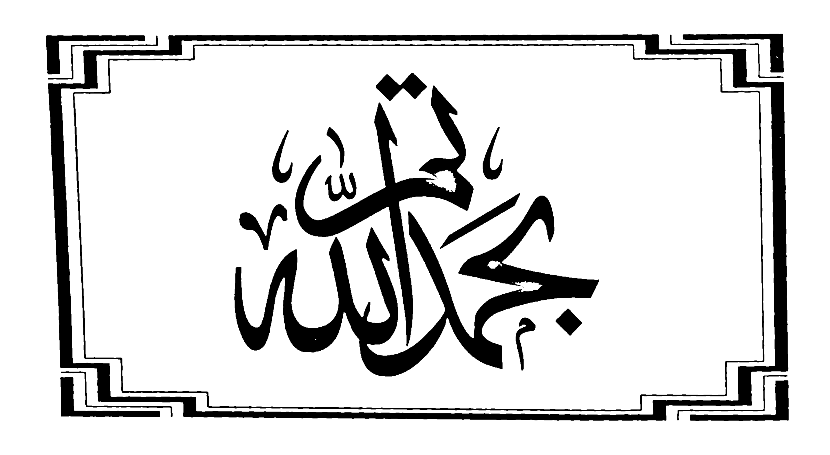


---

ذَلِكَ فِي الاعتقاد فِي معنى ذكر القلب فِي معنى المعرفة بذَلِكَ. قَالَ غـيره: ويجـب عليـه عند قراءة القـرآن كمـا يجـب عليـه عنـد قـراءة الخطبتـه [كـذا، والصـواب: الخطبـة]. والصلاَة عَلَى معنى قول الشيخ...».

وَفِي الصفحة الأخيرة: «هَذَا الكتاب صار ملكا لي بالشـراء مِن ترايـك الشـيخ الثقـة الوالـد قيس بن سليمان بن سعيد الكندي، وأنا الفقير: سيف بن أحمد بن سليمان بـيده».

# فهرس الجزء الثالث


تم بحمد الله

رقم الإيداع: ٣١/١٩٩٨م